

أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى

المتوفى سنة ٣٩٨ للهجرة



جمعها وصنفها

عبد الرحمن بن محمد بن دوست النيسابوري

المتوفى سنة ٤٣١ للهجرة

حققها وضبطها وعلق عليها

إحسان ذنون الثامري



دار الذخائر
إحياء لتراث أمة

رسائل

بديع الزمان الهمذاني

أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى

المتوفى سنة ٣٩٨ للهجرة

جمعها وصنفها

عبد الرحمن بن محمد بن دُوست النيسابوري

المتوفى سنة ٤٣١ للهجرة

حققها وضبطها وعلق عليها

د. إحسان ذنون الثامري

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

دار الذخائر



بن يحيى، أبي الفضل أحمد بن الحسين.
رسائل بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى.
جمع وتصنيف: عبد الرحمن بن محمد بن دوست النيسابوري.
تحقيق: د. إحسان ذنون الثامري
القاهرة: المكتبة، العمرية - ٢٠٢١
٤٨٠ ص - ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٢٥٣

الطّبعة الأولىٰ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م





شارع الإمام محمد عبده خلف الجامع الأزهر
+2012202275629 +201060908845 +20108543160
dar.alzakhair@gmail.com
دار الذخائر

بسم الله الرحمن الرحيم

«بَديع الزّمان، ومعجزة هَمَذان، ونادرة الفلك، وبِكْر عُطارد، وفَرْد الدَّهْر، وغُرّة العَصْر، ومَنْ لم يُدرَك قَرينُه في ظَرْف النَّثر ومُلَحهِ، وغُررِ النَّظْم ونُكَتِه، ولم يُرَ ولم يُرْوَ أنّ أحداً بلغ مبلغَه من لُبِّ الأدب وسِرِّه، وجاء بمثل إعْجازه وسِحْرِه، فإنّه كان صاحبَ عجائبَ وبدائع وغرائب، فمنها أنّه كان يُنشَدُ القصيدةَ التي لم يَسْمَعْها قطّ، وهي أكثرُ من خمسين بيتاً، فيحفظُها كلَّها ويؤدّيها من أوّلها إلى آخرها، لا يَخْرُمُ حَرْفاً، ولا يخلّ بمَعْنى. وينظر في الأربعِ والخمسِ أوراق، من كتابٍ لم يعرفْهُ ولم يَرَه، نظرةً واحدةً خفيفةً، ثم يَهُذُّها[1] عن ظَهْر قَلبه هَذّاً، ويَسْرُدُها سَرْداً».

هكذا قدّم أبو منصور الثعالبي مؤرِّخُ الأدب العربي الكبير (ت٤٢٩هـ) أبا الفَضْل أحمد بن الحسين الهمَذاني، المعروف ببَديع الزّمان. وزاد في مَواهبه:

«كان يُقترح عليه عملُ قصيدةٍ أو إنشاءُ رسالةٍ في معنىً بَديع، وبابٍ غريب، فَيفرُغُ منها في الوقت والسّاعة. وكان ربّما يكتبُ الكتابَ المقترحَ عليه، فيبتدىء بآخر سطرٍ منه، ثم هَلُمّ جرّاً، إلى الأول، ويُخرجُه كأحسنِ شيءٍ وأمْلحِه[2]. وكان يُترجِم ما

---

(١) الـهَذّ: سرعة القراءة والسَّرْد. هَذّ الحديث: سرده. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥١٧ (هذذ).

(٢) انظر قوله ص٨١، ص٨٢ من هذه الرَّسائل، وانظر رسالته إلى أبي بكر الخوارزمي التي ابتدأ فيها من آخرها، ص٨٤.

يُقترَح عليه من الأبيات الفارسيّة المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية، فيجمعُ فيها بين الإبداع والإسْراع، إلى عجائبَ كثيرة لا تُحصى، ولطائفَ يطولُ أنْ تُستقصى»[1].

وكان يستطيع أنْ يكتبَ كتاباً يُقرأ جوابُه منه[2]، وينظمَ في وَقْته قصيدةً في مَعْنىً مُقتَرح، أو يكتبَ كتاباً ليس فيه حرفٌ منفصل، أو خالياً من حرف معيَّن، وغيرَ ذلك ممّا يَصعُب على غيره من الكُتّاب[3].

وممّا يُذكر من مَواهبه أيضاً: بَديهتُه وقدرتُه الشعريّة العالية، يُروى أنّه كان في مجلس الوزير الصّاحب بنِ عَبّاد وزير البُوَيْهِيين الشهير، فدخل عليه شاعرٌ من شعراء العَجَم الشُّعوبيِّين، فأنشده قصيدةً يفخَر فيها، ويفضِّلُ قومَه على العرب، منها:

فلســتُ بتــاركٍ إيــوانَ كِسْــرى ... لتوضــحَ أو لحومــلَ فالــدَّخولِ

فأنكر عليه الصّاحبُ ما قاله، وانتدب أبا الفَضْل البديعَ ليردّ عليه؛ فردّ عليه مُرْتجلاً بقصيدةٍ أخْرَسَتْه، منها :

تريــدُ عــلى مَكارِمنــا دَلــيلاً ... متــى احتــاج النّهــارُ إلى دَليــلِ

فأرْضى الصّاحبَ وشفى غليلَه[4].

ومن صِفاته الخَلْقية والخُلُقية التي أوْردها الثعالبي، وهو ممّن لَقيه، وكَتَب عنه، وأحسنُ مَن استقصى أخباره - كما قال ياقوت -: «مقبول الصّورة، خفيف الرّوح، حسن العِشْرة، ناصح الظَّرْف، عظيم الخلق، شريف النّفس، كريم العَهْد، خالص الودّ،

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٣.

(٢) انظر قوله ص٨١.

(٣) انظر رسالته لاحقاً، ص٨٢، وانظر كذلك، ص٥١.

(٤) ابن ظافر، بدائع البدائه، ص٣٣.

حلو الصّداقة، مرّ العداوة»[1]. وقال هو ذاته عن نفسه: «ضعيف البُنية، يابس العظام، حادّ الطبع، حديث السّن»[2]. كما وَصَف نفسه بأنه أسمر، أحمر، أحور، طويل[3].

ومن رسالةٍ كتبها جواباً على أحد أصدقائه يشمت بمرض خصمه اللّدود أبي بكر الخوارِزْميّ، نستشفّ سُموّ أخلاقه؛ فقد رفض الشّماتة، وأنّب صديقه على ذلك، وبيّن له عدم لياقة هذا الشعور، قائلاً: كيفَ يَشمَتُ بالمِحْنةِ مَن لا يأمَنُها في نفسِه، ولا يَعْدَمُها في جِنْسِه ؟ والشّامتُ إنْ أفلتَ فليس يفوت، وإنْ لم يَمُتْ فسيموت. وما أقبحَ الشّماتة بمَن أمِن الإماتة، فكيفَ بمَن يَتوقّعُها بعدَ كُلِّ لحظة، وعَقِبَ كُلِّ لفظة. ثم وَصَف الخوارِزْميّ بـ(الفاضل) ودعا له بالشفاء، بقوله: هذا الفاضلُ – شَفاهُ الله – وإنْ ظاهَرَنا بالعَداوة قليلاً، فقد باطنّاهُ وُدّاً جميلاً، والحُرُّ عندَ الحميّةِ لا يَصطاد، ولكنّهُ عندَ الكَرَمِ يَنقاد، وعندَ الشدائدِ تذهَبُ الأحقاد. فلا تَتَصوّرْ حالي إلّا بصُورتِها من التّوجُّع لعلّتِه، والتّحزُّنِ لمَرْضتِه، وَقاهُ اللهُ المكروه، ووَقاني سَماعَ السُّوء فيه، بحَوْلِه ولُطْفِه[4].

ووَصَفه الحاكم عبد الرّحمن بن مُحمّد بن دُوسْت (ت٤٣١هـ)، جامعُ هذه الرّسائل بأنّه: «فتىً وَضيّ الطَّلعة، رَضيّ العشرة، فَتّان المشاهدة، سَحّار المفاتحة، غايةٌ في الظَّرْف، آيةٌ في اللُّطف، مَعْشوق الشِّيمة، مَرْزوق فَضْل القيمة»[5].

وكان – هو ذاته – يعدّ نفسَه عراقياً، ذوقاً وثقافة[6]، ويعتدّ باللُّطْف والظَّرْف العراقي[7].

---

(١) معجم الأدباء، ج١، ص٢٦٧.

(٢) رسائله ص٤٥٣.

(٣) رسائله ص١٩٤.

(٤) رسائله ص١٨١.

(٥) من ديباجته التي وضعها للمجموع الذي جمعه من رَسائل الهَمَذاني.

(٦) رسائله، ص٣٤٤.

(٧) رسائله ص٤١٢. وانظر لاحقاً ص (م١٧).

بَديعُ الزّمان هَمَذانيُّ المَوْلِد والمَوْطِن، لكنه عربيُّ الأَرُومة والأصل، وقد صرّح بهذا في إحدى رَسائله قائلاً: «اسمي أحمد، وهَمَذان المولد، وتَغْلِب المورد، ومُضَر المحتد»[1]. كما صرّح بذلك في رسالةٍ إلى القاضي عليّ بن عليّ، حينما قال: «أنا أمتُّ إلى القاضي بقَرابه، إنْ لم يكن عربيّاً، فأبي وأبوه إسماعيل»[2]. وعبّر عن ذلك أيضاً بقوله: «لا خير في لغةٍ ليست في القرآن»[3]. ووَصَف العرب بالوفاء، وأنهم أكثر الأمم حفاظاً له[4].

وفي رسالةٍ له في أحد أعياد الفرس يبسط الهَمَذاني فكرتَه في تفضيل العرب على العَجَم وعلى سائر الأمم[5]، وهو رأيٌ مبالَغٌ فيه، ويمكن أنْ يجلبَ عليه نكراً شديداً.

لا نعلم متى هاجرت أسرتُه إلى المشرق الإسلامي، ولماذا استقرّت بهَمَذان، لكنّ ذلك جعل أبا الفَضْل ينشأ في بيئةٍ ذات ثقافتين: عربيّة وفارسيّة، وجعله يُتقن اللِّسانين وآدابهما، ومكّنه ذوقُه الأدبيّ وموهبتُه العالية أنْ يبدعَ فيهما أيّما إبداع.

وهَمَذان - مَوْطنه - مدينةٌ كبيرةٌ من إقليم الجبال، الواقع شرقيّ العراق. أطْنَب البُلدانيون المسلمون في وَصْفها وبَيان مَحاسنها وخيراتها ومياهها وقِدَم بنائها. وهي أهم مُدن هذا الإقليم إضافةً إلى الرّيّ، وأصْفَهان، وقِرْمِيسين (كرمانشاه)[6].

فارَق الهَمَذاني مَوْطنَه هَمَذان سنة ٣٨٠هـ وهو في مُقتبل العمر،

---

(١) من رسالته إلى أبي الفضل الإسْفَرايني، المنشورة في هذا الكتاب، ص٦. وقال في رسالة أخرى: «همذانيّ المولد، جبليّ المنبت». ص٤٥٣.

(٢) رسائله، ص٣٤٤.

(٣) رسائله، ص٣٧٣.

(٤) رسائله، ص٢٩٨.

(٥) رسائله، ص٢٦٨. وقد تقدّم خبر قصيدته في حضرة الصّاحب بن عَبّاد في الردّ على الشاعر الشعوبي والانتصار للعرب.

(٦) عن همذان، انظر على سبيل المثال: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٣٤٢؛ مستوفي، نزهة القلوب، ص٧١. وانظر ما كتبه لسترنج، وقد استوعب ما جاء عنها عند البلدانيين المسلمين، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٢١، ص٢٢٩.

وجال في بُلدان المشرق الإسلامي: جُرْجان[1]، والرَّيّ، وأصْفَهان[2]، ونَيْسابور[3]، وبِيكَنْد[4] ببلاد ما وراء النَّهْر. ولم يبقَ من بلاد خُراسان[5] وسِجِسْتان[6] وغَزْنة[7] بلدةٌ إلّا دَخلها. ثم استقرّ به المقام في هَراة، وصاهَرَ إحدى أهمّ أسرها (الخُشْنامي)، وعبّر عن ذلك بقوله: «وهَراة لي دار»[8]. وعاش في هَراة عيشةً راضيةً هانئة[9]، وبات يشعر أنّها الوَطَن، فقال عنها: «الضَّنُّ بالولد أوْلى من الضّنّ بالبلد»[10]، ويدعو لها بالخير والصِّيانة[11]، ويُطلق عليها (مدينة السّلام)[12]، بل يفضّلها على بغداد مدينة السّلام، فيقول: «وما علمتُ أنّ هَراة تُنْسيني صَرْصَرَ والصَّراة، حتى أنْسَتْني دجلةَ والفُرات»[13]، ويصفها بأنّها «شيعةُ الدَّوْلة وعيناها»[14]، و«دارُ السُّنّة ومَدارها»[15]. وقد ظلّ بها[16] إلى أنْ لاقى ربَّه سنة ٣٩٨هـ

---

(١) رسائله، ص٩٦.

(٢) انظر المقامة الأصفهانية من مقاماته.

(٣) رسائله، ص٣٥، ص٣٦، ص١٠٧.

(٤) رسائله، ص١٠٧.

(٥) رسائله، ص٣٥، ص١٥٣.

(٦) انظر المقامة السجستانية من مقاماته.

(٧) رسائله، ص٣٧٧.

(٨) رسائله، ص٤٠٤.

(٩) انظر رسالته التي يقول فيها: «ما سكنتُ هَراة اضطراراً، ولا فارقتُ غيرها فراراً، وإنما اخترتها قَطَناً وداراً، واخترته – يقصد من أرسل له رسالته – سَكناً وجاراً، لتكون أرفق بي من سِواها، ولأزدادَ به عزّاً وجاهاً». ص٤٠٤.

(١٠) رسائله، ص٣٦٣.

(١١) رسائله، ص٣٤٩.

(١٢) رسائله، ص٤٠٠

(١٣) رسائله، ص٤١١.

(١٤) رسائله، ص٢٨٨.

(١٥) رسائله، ص٤٠٠.

(١٦) انظر: ص١١٢، ص٢٤٤، ص٢٩٢، ص٢٩٤، ص٢٩٦، ص٣٦٣ (بوشنج من هراة)، ص٣٧٧.

وقد أدرك أربعين سنة[1].

وتَردُ في مَوْته المبكّر روايتان، الأولى: أوْرَدها الحاكم ابن دُوسْت، وأخذها عنه كلُّ مَن تَرْجَم للهَمَذانيِّ بعده، وتقول: إنّه مات بالسَّكْتة وعُجِّل في دَفْنه، فأفاق في قَبْره وسُمع صوتُه باللَّيْل، فلما نُبِش عنه، وَجَدوه قد قَبض على لحيته، ومات من هَوْل القَبْر. والرّواية الأخرى تقول: إنّه مات مَسْموماً، ذكرها ابنُ خلّكان والذهبي وغيرهما[2].

وربّما كان يَتوقّع مَوْته المبكّر هذا ؛ فكَتَب وَصيّته وأوْدعها ما أراد إيصاله لأهله ومحبّيه[3]، وفيها ما يدلّ على إيمانه الحسن، وتبرُّئه من الأهواء والبِدَع، وأوْصى بتشييعٍ ودَفْنٍ غير مُبالَغ فيهما، وأنْ لا تُعقد عليه مَناحةٌ، ولا يُظهر الحزن والأسى.

* * *

كان بَديعُ الزّمان قد نَهَل العلمَ من بعض كبار عُلماء عَصْره، كأبي الحسين أحمد بن فارس اللُّغوي الكبير[4]، وعيسى بن هشام الأخباري[5]، كما أخذ عن الصّاحب بن عَبّاد الوزير الأديب، وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته عند: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٣؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج٥، ص٢٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٢٢٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٧؛ العمري، مسالك الأبصار، ج١٢، ص٦٧. وله ذكرٌ كثير في زهر الآداب للحصري القيرواني. كما أن عدداً من الدراسات بحثت في أدبه وبيّنت ما فيه من إبداع ومميزات. نذكر منها: مبارك، النثر الفني، ج٢، ص٣٩٥؛ ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص٦٦٦؛ الشكعة، بديع الزمان الهمَذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية؛ عبود، بديع الزمان؛ عميري، مقامات الهمَذاني.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٩١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣، ص١١٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٥١٣.

(٣) انظرها في ص٥٠٧ من هذه الرَّسائل.

(٤) انظر رسالته إليه في ص٣٤٠، من هذا الكتاب، وانظر كذلك: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٤؛ القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص١٣٠.

(٥) انظر: السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٥٢.

طارت شُهْرةُ الهمَذاني إلى الآفاق، وملأت الأجواءَ الثقافية في العراق والمشرق الإسلامي. وممّا ساهم في شُهْرته وذيوع صِيته مُساجلاتُه مع أبي بكر الخوارِزْميّ[1] الأديب الكبير، المتوفّى سنة ٣٨٣هـ، حيث شَجَر بينَهما ما أَوْجَد مكاتباتٍ ومُباهاةً ومُناظراتٍ ومُناضلات ؛ فارتفع قدرُه وعلا أمرُه، وأدْناه الملوكُ والرّؤساء[2]. قال الثعالبي: لم يكن في الحسبان والحساب أنّ أحداً من الأدباء والكُتّاب والشعراء ينبري لمباراته، ويجترىء على مجاراته. فلما تصدّى له الهمَذاني، طار ذكرُ الهمَذاني.

وفي هذه الرَّسائل نسخةُ ما جرى بينهما من المناظرة يومَ اجتماعهما في دار أبي القاسم المسْتَوْفي[3]. كما حفظ أبو الحسين البَيْهقي (ت٥٦٥هـ) صاحبُ كتاب (وشاح دمية القصر) مُساجلةً دارت بينهما سنةَ ٣٨٣هـ في منزل أحد نُقباء الأشراف بنَيْسابُور، وقد كان المجلس غاصّاً بالعلماء والتّلامذة[4].

والسّببُ الآخَرُ لشهرته وعُلُوّ نَجْمه: موتُ الخوارِزْميّ المبكّر، وخُلوُّ السّاحة الأدبية له.

أمّا لقبُه (بَديع الزّمان) فقد اكتسبه أبو الفَضْل في نَيْسابُور، إذ أُعجب به أهلُها لما وَرَدها سنةَ ٣٨٢هـ ؛ وتعصّبوا له، فأعْجبه ذلك وأُعْجب بنفسه[5].

---

(١) تُنطق الخاء في (خوارِزْم) بين الضمة والفتحة، والألف مسترقة مختلسة، ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون به. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٥. ويؤيّد هذا النُّطْقَ قولُ أبي الحسن عليّ بن الحسن اللّحّام الحَرّاني، أحد شعراء بُخارى أيام السّامانيين، حيث يقول:

يـا أهـل خـارِزْم سـلالة آدمِ ... مـا هـم وحـقّ الله غـير بهـائمِ

الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص١٢٧.

(٢) انظر: الحصري، جمع الجواهر، ص٢٠٨.

(٣) ص٣٣. وقد ذكر صفة ذلك المجلس، والتحضير له، ومشاهير الحاضرين، ومؤيّدي الطرفين، وبعض ما يتعلّق به من تفصيلات، إضافةً إلى ما دار فيه من مساجلات. وانظر: ص٦٦ وما بعدها.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص٢٧٣؛ وانظر: الحصري، جمع الجواهر، ص٢٠٧.

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٧٣.

ولا يظنُّ ظانٌّ أنّه كان إسماعيلياً شيعياً، كما فَهِم بعضُهم[1] من قول الثعالبي: «ثم قَدِم جُرْجان، وأقام بها مدّةً على مُداخلة الإسْماعيلية والتعيُّش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم»[2]. فهذا الاسم يُطلق على أسرةٍ جُرْجانية مهمّة تنتسب إلى جدّها إسماعيل، لا إلى المذهب الإسماعيلي[3]. بل إنّه كان أشْعَريّاً، متعصّباً لأهل الحديث والسنّة[4]. ومع هذا، فقد أنكر على الناس إطلاقَهم لقب (الحافظ) على بعض المحدّثين، فسمع به الحاكم النَّيْسابُوري أبو عبد الله ابن البَيِّع (ت٤٠٣هـ) صاحبُ (المستدرك على الصَّحيحَيْن)، فوجّه إليه بجزء، وأمْهَلَه أسبوعاً لحفظه، فردّ إليه الجزء بعد انقضاء المهلة، قائلاً: مَن يحفظ هذا؟ مُحمّد ابن فلان، وجعفر ابن فلان، عن فلان، أسامي مختلفة وألفاظ متباينة! فقال له الحاكم: فاعرفْ نفسَك، واعلمْ أنّ هذا الحفظ أصْعب ممّا أنت فيه[5].

لقد عاش الهمَذاني حقبةً من تاريخ المشرق الإسلامي، احتدم فيها الصِّراعُ بين القُوى السياسية الطامحة للنفوذ، والطامعة بالثروة، والمؤثرة في سَيْر الأحداث في تاريخ المنطقة، فقد كان الصِّراع السياسي والعسكري هو الذي يحكم علاقاتِ كلٍّ من: البُوَيْهيين والسّامانيين والزِّياريين والغَزْنويين بعضهم ببعض. ومع انشغالهم في ذلك الصِّراع، زاحَموا الخلافة العباسية، متعدّين على نُفوذها وسُلطانها وحقوقها وصَلاحياتها وإجراءاتها وولاياتها، وحتّى في بغداد نفسها[6]. وقد خيّم ذلك الصِّراع على مَفاصل الحياة كلِّها تقريباً.

(١) عبود، بديع الزمان، حيث قال: «فعاش بينهم مقتبساً من علومهم وفلسفتهم الباطنية». ص٢٠.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٤.

(٣) انظر: السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٥٢. وانظر رسالة بديع الزمان إلى سعيد الإسماعيلي، ص١٠٧ من هذا الكتاب.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص٢٦٦؛ الصفدي، الوافي، ج٦، ص٢٢٠.

(٥) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٦٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٧٣.

(٦) في هذا الموضوع، انظر: صدّيقي، الخلافة والملكية في إيران.

ولم يكن بَديعُ الزّمان بمعزلٍ عن ذلك الصِّراع، فكان – بسبب علاقته ببعض رجال الدَّوْلة – يعبّر عن آرائه السياسيّة التي يعتنقها – إيماناً أو نفاقاً – كغيره من المتّصلين برجال السياسة والحكم؛ فقد كان على علاقةٍ بكثيرٍ من أُمراء عَصْره، وبعض الوُزراء والكُبراء والرُّؤساء والقادة، كالأمير شمس المعالي قابوس بن وَشْمكير الزِّياري (ت٤٠٣هـ) أمير جُرْجان[1]، والأمير أبي الحارث مُحمّد بن فريغون أمير الجوزجان[2]، حيث كان الهمَذاني «يُؤَلِّفُ التَّواليف ويجعلها باسْمه، ونال عندَه بذلك فوق ما أمل»[3]. وكذلك بعض أمراء الأسرة الصَّفّارية كأبي أحمد خَلَف بن أحمد أمير سِجِسْتان[4]، والمعدَّل بن أحمد[5]، وبعض أُمراء الأسرة المِيكالية رُؤساء نَيْسابُور[6]. كما كان على علاقةٍ حَميمةٍ مع الصّاحب بن عَبّاد وزير البُوَيْهيين الذي كان يُحبّ الأدب والأدباء. وكذلك رُؤساء: هَراة[7] والرَّيّ[8] ونَسا[9] وبَلْخ[10] وبُسْت[11]، وغيرهم.

---

(١) انظر ص١٣٤ من هذا الكتاب.

(٢) انظر رسالته إليه في ص٤٢١، وانظر كذلك: العُتبي، اليميني، ص٣٠٣.

(٣) ابن خلدون، كتاب العبر، ج٨، ص١٨٩.

(٤) انظر رسالته إليه في ص٢٥٧ من هذا الكتاب.

(٥) انظر رسالته إليه في ص٤٧٦ من هذا الكتاب.

(٦) انظر رسائله في: ص٩٥، ص١٠٠، ص١٠٢، ص١٧٧، ص٢٢٩، ص٤٦٤ من هذا الكتاب.

(٧) انظر رسائله في: ص١٧٣، ص٢٠٣، ص٢٦٨، ص٢٧٢، ص٣٣٦، ص٣٣٩، ص٣٤٦، ص٣٥٠، ص٣٥١، ص٣٥٢، ص٣٥٣، ص٣٥٤، ص٣٥٥، ص٣٦١، ص٣٦٣ من هذا الكتاب.

(٨) انظر رسالته في ص٢٦٥ من هذا الكتاب.

(٩) انظر رسالته في ص٢٢٧ من هذا الكتاب.

(١٠) انظر رسالته في ص٤٦٠ من هذا الكتاب.

(١١) انظر رسالته في ص٤٤٧ من هذا الكتاب.

وفي هذه الرَّسائل ما يؤكّد علاقته الوَطيدة بأبي العبّاس الفَضْل بن أحمد الإسْفَراييني وزير السُّلْطان محمود الغَزْنَوي، الذي مَلَك كثيراً من أرجاء المشرق الإسلامي، وامتدّ سُلْطانُه إلى شمال الهند، وانتصر على السّامانيين، ودام حكمُه بين ٣٨٧-٤٢١هـ[١]، فقد أرسل إلى هذا الوزير أكثر من عشر رَسائل، وأرسل له – من ضمن ما أرسل – رسالتين يهنّئه فيهما بالانتصار على جيش السّامانيين في وَقْعة باب سَرَخْس، ووَقْعة باب مَرْو، ويعبّر عن سعادته[٢].

وفيها أيضا ما يُفْصح عن علاقته الحميمة بأبي عامر عدنان بن مُحمّد الضَّبّي زعيم هَراة، حيث نال نصيباً وافراً من رسائل بَديع الزّمان. وله في مَدْحه أبياتٌ منها:

فاعمـدْ براحلتـي هَـراةَ فإنّهـا ... عَـدْنٌ وأنـت رَئيسُـها عـدنانُ[٣]

كما كان أبو الفَضْل يتمتّع بعلاقاتٍ اجتماعية وعلمية وثقافية واسعة مع بعض القُضاة والكُتّاب والأدباء، ومنهم أصدقاءٌ ذوو علاقةٍ وديّة حَميمة، كالمؤرّخ الفيلسوف أبي عليّ مسْكَوَيْه (ت٤٢١هـ) صاحب كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)[٤]، وأبي الطَّيِّب سَهْل بن مُحمّد الصُّعْلوكي (ت٤٠٤هـ) أحد كبار علماء المشرق الإسلامي، وكان ذا قدرٍ ورأي مُحترَمَيْن، وله نصيبٌ كبير من رَسائل أبي الفَضْل[٥].

---

(١) وهو الذي دوّن العتبي سيرته في كتابه (اليَميني).

(٢) ص١٧، ص٢١ من هذا الكتاب.

(٣) ديوانه، ص١٣٧.

(٤) انظر رسالتيه إليه في ص١٥٩، ص٥٠١ من هذا الكتاب.

(٥) انظر فهرس المحتويات.

ثقافته وآثاره

إنّ تُراث بَديع الزّمان الهَمَذاني يُفصح عن ثقافةٍ واسعة، ومخزونٍ لُغوي وأدبي، أتاحا له استخدام اللّغة بيُسْرٍ وإبْداع، واستطاع – ببراعة – التحكّم بالمفردات، فراح يُطوّعها لخدمة النصّ والمعنى المقصود. ومن قراءة ما خلّفه من مَنْثورٍ ومَنْظوم نُدرك أبعاد ثقافته، التي تبدأ بالقرآن الكريم، مُروراً بالحديث الشريف، وكلام العرب والمولَّدين، وأمثالهم وأشعارهم، إلى ما يمكن تسميتُه بالمعجم الحضاري، المشتمل على المعارف الدِّينية والمذهبية والأخلاقية والاقتصادية وما يتّصل بالحياة اليومية للمجتمع.

وبالإضافة إلى مجموع رَسائله هذا، والذي سنتحدّث عنه فيما بعد، تَرك الهَمَذاني ديوانَ شعرٍ، ومجموعةَ مَقامات، هي أبرز ما خلّفه، وهي – لعَمْري – التي أعطته لقبَ (بَديع الزّمان)، وأطارت شُهْرتَه في الآفاق على مرّ الزمن، حيث إنّ مَوْهبته القَصصيّة جعلته يبتدعُ هذا الفنّ الجديد، المسمّى فنَّ المقامة.

وقد كان رائدَ هذا الفنّ، وأُنموذجاً احتذى به القاسمُ بن عليّ الحريريّ (ت٥١٦هـ) صاحبُ المقامات المشهورة، وغيره ممّن أغرم بهذا الفنّ الأدبي، مع وُجود رأي بأسْبقيّة ابن دُريد البَصْريّ (ت٣٢١هـ) إلى هذا الفنّ[١].

ومَقاماتُ بَديع الزّمان قصصٌ قصيرةٌ محبوكة السَّرْد، متفاوتة الحجم، تجمع بين الشعر والنثر، ابتكر لها بطلاً وراوياً وَهْميين، ونَسَج من خلالهما حكاياتٍ شائقةً يربطُ بينها روحُ المغامرة والخداع والكُدْية والذكاء والفُكاهة والطَّرافة.

أمْلى أبو الفَضْل هذه المقامات في نَيْسابور، فالتفّ حولَه طلبةُ العلم؛ فأبدع – وهو يريدُ إظهار مَوْهبته اللُّغوية ومَلَكته الأدبية والبيانية – أكثرَ من أربعمائة[٢] مَقامة، لم يصلنا منها – للأسف – سوى اثنتين وخمسين مَقامة[٣]. وكان يختال بوضعه لتلك

---

(١) مبارك، النثر الفني، ج١، ص٢٤٣. وعن فنّ المقامة، انظر: ضيف، المقامة.

(٢) ذكرها هو نفسه في إحدى رسائله. انظر: ص٤٨٨ من هذا الكتاب.

(٣) استوفتها كثيرٌ من الدراسات النقدية والتحليلية. انظر على سبيل المثال: مبارك، النثر الفني، ج١، ص٢٤٢، ص٢٥٢. وانظر مقدمة عيسى سابا التي كتبها لنشرته من مقامات الحريري.

المقامات، حتى أنه تحدّى أبا بكر الخوارِزْميّ أنْ يكتب خمس أو عشر مقامات[1].

وقد تجلّت موهبته اللغويّة والأدبيّة وهو في مقتبل العمر، فقد كان ناضج الكتابة وهو في الخامسة والعشرين من عمره[2].

وتَتّصف لغتُه – فيها وفي رَسائله أيضاً – بالفَصاحة، وامتلاك ناصية البلاغة، والغنى اللُّغوي، والقُدْرة على التحكّم في استعمال المفردات. وَصَفها الثعالبي قائلاً: «ضمّنها ما تشتهي الأنفس، وتلذّ الأعين، من لفظٍ أنيق قريب المأخذ، بعيد المرام، وسَجْعٍ رشيق المطلع والمقطع كسَجْع الحمام، وجِدٍّ يروق؛ فيملك القلوب، وهَزْلٍ يشوق؛ فيسحر العقول»[3]، فهي في جانبَيْها: الإبداعي، واللُّغوي الأسلوبي – وكما قال الثعالبي – تثير الإعجاب وتشدّ الأسْماع. أما الجناس عنده فغايةٌ في الإبداع.

ومَقاماتُه – من جانب آخر ، وعلى الرغم من قلّتها مقارنةً مع العدد الأكبر المفقود – تُفصح عن ثقافته المتمثلة بفَهْمه معتقدات كثيرٍ من المذاهب الدِّينية والفَلْسفية، وحِفْظه نُصوصاً كثيرة من القرآن والسنّة؛ وحِفْظه كثيراً من الشعر والأخبار والأمثال والحِكَم وتاريخ الأدب، ومعرفته الكبيرة بالجغرافيا والبُلدان، إضافةً إلى تمكّنه المبهر من المعجم اللُّغوي العربي.

أما شعرُه – وفي هذه الرَّسائل كثيرٌ منه – فيُفصح عن شاعريّته، ورِقّة ألفاظه، وتنوّع أغراضه. وقد مرّ بنا قبلَ قليل رأيُ الثعالبي في شعره[4]. لكنه – مع هذا – لم

---

(١) رسائله، ص٤٨٧.

(٢) رسائله، ص٤١٣.

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٤.

(٤) إن شعر الهَمَذاني كلّه بحاجة إلى بحث ودراسة وتقييم، فهو متناثرٌ في بطون المصادر. وهناك نشرةٌ بسيطة لديوانه نشرها أول مرّة محمد شكري أفندي المكي، وذلك سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م وكتب على غلافها: (ديوان العلامة فخر همذان بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني رحمه الله تعالى). وكتب عليها أيضاً أن حقوق إعادة طبعها محفوظة لملتزميها الفاضلين: الشيخ عبد الوهاب رضوان، ومحمد شكري أفندي المكي. وقد طبعها في مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر لصاحبها إسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الأهلية، كما ثبت على ذلك الغلاف. ثم ظهرت طبعة أخرى باعتناء يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

يُعرَف شاعراً، وظلّ اسمُه مرتبطاً بالمقامات.

وقادَتْه مَوْهبتُه الشعرية ومَلَكته القادرة على السَّبْك والصِّياغة إلى حُسْن التصرّف بالأبيات التي ساقَها من أشعار الشعراء، وذلك لضَرْب الأمثال، أو للتّعبير عن موقفٍ ما، فغيّر بعض الألفاظ وأبدلها وحوّر فيها، لخدمة نَصّه وهَدَفِه.

❊ ❊ ❊

رَسائلُ البديع هذه رَسائلُ إخوانية، تتناول مَضامينُها: المدح، والثناء، والاعتذار، والاستعطاف، والعتاب، والشكوى، والهجاء، والعزاء، والرّثاء، والشكر، والودّ، والصّداقة، والوَصْف، والنُّصْح، والحِكْمة، وفيها كثيرٌ من النَّقْد الاجتماعي. ومنها رَسائل مُوجّهةٌ إلى الأمراء والرُّؤساء والكُبراء، ومنها ما هو مُوجّهٌ إلى بعض أدباء عَصْره وأقرانه. وهي تزيد على مائتين وسبعٍ وثلاثين رسالة[1]، وأغلبُ الظنّ أنها كانت أكثر من ذلك.

وبالإضافة إلى الأهمية اللُّغوية والأدبية والثقافية لرَسائل الهَمَذاني، فإنّ جانباً آخر من الأهمية تحظى به هذه الرَّسائل، وهو الجانب التاريخي والحضاري، حيث إنّ الهَمَذاني كتب بعض الرَّسائل إلى أشخاصٍ أسهموا في صُنْع الأحداث السياسية، وفي بعض الرَّسائل ما يعبّر عن توجّهاته السياسية، وفي بعضها ما يقدّم معلومةً تاريخية. كما أنه يوثّق بعض الأحداث الكبيرة التي عصفت بالمشرق الإسلامي.

وفي رَسائله كثيرٌ من المصطلحات والمفاهيم الحضاريّة المفيدة في كتابة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وإضافةً إلى ذلك، فيُمكن للباحث الحصيف أنْ يرى

---

(١) في نص المناظرة التي جرت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي أكثر من رسالة، وهي كلها تحت عنوان واحد.

الهَمَذاني يرصدُ كثيراً من المظاهر والظواهر والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المشرق الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، كما نجده ينفذ إلى خَوافي علاقات الناس بالوُلاة وأصحاب السُّلْطة. وبذلك يمكن أنْ يُعدّ مصدراً من مصادر كتابة التاريخ، تُوظَّف مادّتُه لدراسة تاريخ المجتمع الإسلامي.

وفي رسائله كثيرٌ من شعره المفقود، ومن الشعر النادر الذي لم يذكره غيره.

ولعلّ من أهمّ ما يُلاحَظ على أدبه اهتمامَه بكلام العامّة وما يدورُ على ألسنتهم في حياتهم اليوميّة، من مفرداتٍ وتراكيبَ وأمثالٍ يُمكن أنْ تؤرّخ لجانبٍ من جوانب تاريخ المجتمع، ومثالُ ذلك قوله: « أو لم تكنْ خمرٌ فخَلّ، أو لم يُصِبْ وابلٌ فطَلّ، وبَذلُ الموجود، غاية الجُود، وبعضُ الحميّة آخِرُ المجهود، وماشْ خيرٌ من لاش»[1]؛ فهو أديبٌ اجتماعي بكلّ المعايير والمقاييس.

وفي هذه الرَّسائل ما يمكّن من دراسة شخصية بَديع الزّمان نفسه وطبيعته على غير الصّورة المألوفة المشحونة بالمديح والثناء. ويمكن الإفادة أيضاً من رَسائله إلى أبيه[2]، وعمّه[3]، وأخيه[4]، وابن أخته[5] المنشورة هنا.

لقد أوْضح زكي مبارك بعضَ سِمات كتابة بَديع الزّمان، بعد أنْ أرْخى عليها مِسْحةً نفسيّة – كعادته – ورجّح أنّها هي التي تحكّمت في انفعالاته وأحاسيسه ؛ فظهرت في أغراضه ألوانُ النفوس الإنسانية، كما يقول، مع فَهْمٍ للحياة وأحزانها ونكدها ونكباتها، وحَسَد أهلها وتنافُسهم، واضطراب العلاقات بين الأقران، ومحاولة كلِّ واحدٍ إظهارَ مظلوميّته من الدَّهْر والناس، وأنّ مَواهبه أكبر من مَواهب أقرانه.

---

(١) رسائله، ص٩٦.

(٢) ص٢٣٩، ص٢٥٢، ص٣٦٥، ص٣٦٦، ص٣٦٧، ص٣٦٨، ص٤٣٠.

(٣) ص٢٤٠.

(٤) ص٢٣٥، ص٣٧٠، ص٣٧٣، ص٣٧٤.

(٥) ص٢٣٧.

لكنّ هذه الفلسفة والسَّماحة النفسيّة لم تكن سمةً غالبةً على أدب بَديع الزّمان، كما يستدركُ زكي مبارك، وإنّما هو في كثيرٍ من الأحيان يتّصف بالمكر واللُّؤم والحقد وما يُشابه ذلك[1]. وقد كان مُحقّاً في حُكْمه، فهذا واضحٌ في رَسائله. ولعلّ ذلك يَعود لغِلَظ الطِّباع التي كان يتّصف بها أهلُ هَمَذان، كما كان يُشاع في تلك الأيام[2]. وقد وَصَف نفسَه بلسانِه، فقال: «ناريّ المزاج، حادّ الطَّبْع»[3]. كما قال في موضع آخر: «اثنتان قلّما تجتمعان: الخراسانية والإنسانية، وأنا وإنْ لم أكنْ خُراسانيّ الطِّينة، فإنّي خُراسانيُّ المدينة، والمرءُ حيثُ يُوجَدُ، لا من حيث يُولَد، فإذا انضافَ إلى خُراسان، وِلادة هَمَذان؛ ارتفعَ القلمُ وسقَط التكليف؛

لا تَلُمْني على ركاكةِ عَقْلي إنْ تَيَقَّنتَ أنّني هَمَذاني»[4]

وقال في موضعٍ آخر: «أعزّ موجودٍ في الخراسانية الإنسانية»[5].

لكنّ شوقي ضيف يرى هذه الرَّسائل بمنظارٍ آخر، فهو يصفُها – بعد أنْ بيّن سِماتها القائمة على السَّجْع وقِصَر العبارات والمحسّنات البلاغية – بأنّها «خفيفةٌ رشيقة، بل لعلّها أخفّ وأرْشق رَسائل وَصَلتنا عن عَصْره، وبعد عَصْره»[6].

ونظر مارون عَبّود إلى هذه الرَّسائل نظرةً نقدية؛ فرآه – كزملائه كُتّاب ذلك العَصْر – يُغيرُ على مَعاني الشعراء الكبار كالمتنبّي، يحلّ مَنْظومهم في عباراتٍ منثورة،

---

(١) مبارك، النثر الفني، ج٢، ص٣٩٥-٤٣٤.

(٢) يُذكر في هذا المجال مناظرة بين عراقي وهَمَذاني رواها ياقوت، وفيها يقول العراقي للهَمَذاني: «فيكم أخلاق الفرس، وجَفاء العلوج، وبُخل أهل أصْبَهان، ووَقاحة أهل الرَّيّ، وفَدامة أهل نَهاوَنْد، وغِلَظ طبع أهل هَمَذان». معجم البلدان، ج٥، ص٤١٣.

(٣) انظر: رسالته، ص٤٥٣.

(٤) رسائله، ص٣٤٣.

(٥) رسائله، ص٤١٣.

(٦) ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج٥ (عصر الدول والإمارات)، ص٦٦٩. وانظر: مبارك، النثر الفني، ج١، ص١٢٧.

ويدّعي أنّه مُولِّد للمَعنى. كما رآه يترسّم خُطى الصّاحب وابن العميد في استعمال حروف الجرّ، فيكتب: « وجدتُني بك آنس، وعليك أقدَرَ، ولك أمْلَك، وفيك أنطقَ، ومعَكَ أجرأ وأجرَى »[1] وأنّه كثير التذمّر والشكوى والعتاب[2].

ويُمكن القول: إنّ كتابته صورةٌ لأدب القرن الرابع الهجري، تُظهر ما به من خصائصَ فنية ولُغوية.

***

جَمَع رَسائلَ الهَمَذاني الحاكمُ ابن دُوسْت كما أكّد ابن خلّكان (ت٦٨١هـ)، حيث قال: «ثم وجدتُ في آخر رَسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن ابن مُحمّد بن دُوسْت: هذا آخرُ الرَّسائل»[3]. وجاء عند ابن العماد (ت١٠٨٩) «وقال الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن دُوسْت جامِعُ رَسائل البَديع...»[4].

وابنُ دُوسْت أديبٌ نَحْوي لُغوي من أهل خُراسان، قال عنه السمعاني (ت٥٦٢هـ): «من مفاخر خُراسان»[5]. وكان عالماً بالعربيّة، أخذ اللُّغة عن اللُّغويّ الكبير إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) صاحب (تاج اللُّغة وصحاح العربيّة).

وكان، مع صَمَمه الذي عانى منه، ذا مَواهبَ متعدّدة في اللُّغة والأدب، وكان شاعراً وله ديوانُ شعر. وألّف تَصانيفَ أهمّها : الردّ على الزَّجّاجي فيما اسْتدركه على ابن السِّكّيت في إصلاح المنطق[6]، وشرحٌ لديوان المتنبّي[7].

---

(١) رسائله، ص٣٧٠.

(٢) عبود، بديع الزمان، ص٣٣-٣٤.

(٣) وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٩.

(٤) شذرات الذهب، ج٤، ص٥١٣.

(٥) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ج٣، ص١٥٤٦.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٥٢.

(٧) البديعي، الصبح المنبي،ج١، ص٤٢٥.

تختلفُ المصادرُ في كُنيته بين (أبي سعد) و(أبي سعيد). ولم أجد – من القُدماء – مَن جَزَم أو رَجّح إحدى الكُنْيتين، بل إنّ كثيراً ممّن ذكره من المؤلّفين أوْرده بالكُنْيتين في الكتاب نفسه، مع أخذ التَّصحيف بعين الاعتبار، وعدم دقّة بعض النَّشْرات من تلك المصادر الأوليّة.

وما يُذكر عن الاختلاف في كُنيته يصدق على لقبه (دُوسْت)، فالبعض يجعله من أسماء أجداه، والآخر يجعله لقباً لجدّه مُحمّد[1].

وكلمةُ (دُوسْت) فارسيّة تعني (حبيب)[2]، قال أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ): «كان سَهْل التُّسْتَري – وهو أحدُ أئمة الصُّوفية وعلمائهم (ت٢٨٣هـ) – إذا تكلّم مع إنسان، قال: يا دُوسْت؛ فارسيّة أي: يا حبيب»[3]. وكان أحدُ ملوك الفرس السّاسانيين السّاسانيين وهو يزدجرد يُلَقّب (سباه دُوسْت)، أي: مُحبّ الجيش، كما قال الخوارِزْميّ (ت٣٨٧هـ)[4]. وساق ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أبياتاً منها :

اعْـفُ عنّـي وأقِلْنـي عَثْـرتي ... يـا عتـادي للـمّات الـزّمنْ

يـا حبيـبي بلسـان العـربيّ ... ولسان الفارسيّ يا دُوسْـت مَـنْ[5]

لم يحظَ ابن دُوسْت – للأسف – بذكرٍ كثيرٍ في المصادر، وما وَصلنا عنه لا يمكّن من معرفة سيرته الذاتية وتفصيلات حياته، باستثناء بعض الإشارات المتقطّعة

---

(١) انظر: السمعاني، المنتخب من معجم شيوخه، ج١، ص١٥٤٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٥١؛ ابن شاكر، فوات الوفيات، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٨٧.

(٢) تُستخدم الآن بمعنى (صديق) أيضاً.

(٣) إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٣٨.

(٤) مفاتيح العلوم، ص١٢٤.

(٥) المدهش، ص١٦٥.

والمتنائرة[1].

وأورد البيهقي بعض شعره في الزهد والابتعاد عن ملذّات الحياة[2]، ما يشير إلى بعض جوانب شخصيته.

جمع ابن دُوسْت هذه الرَّسائل لشخصٍ طلب منه ذلك، لكنه لم يصرّح باسمه، ولم نستطع الاهتداء إلى شخصيّته. وبعد أن امتثل لما طلب، خاطب سائله في مقدّمته المقتضبة التي مهّد بها لهذا المجموع من الرَّسائل قائلاً: «سألتَ أنْ أجمعَ لك آثارَ أبي الفَضْل أحمدَ بن الحُسين البديع، نَظْمَها ونثْرَها، وأؤلّف شَواردَها، قُلَّها وكُثْرَها، ليكونَ مُتفكَّهاً لخاطِرِك أوانَ فَراغِك من دَواعي أشغالك، ومُتَنَزَّهاً لناظِرِك وقتَ انتفاضِك من عَوارض أحوالِك».

ولم نصل إلى النّظام الذي اتّبعه في ترتيب الرَّسائل، ويبدو أنّه لا يوجد نظام لذلك؛ فلا يظهر في ترتيب الرَّسائل أيّ منهجٍ أو نظامٍ متَّبع.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ العناوين التي وضعها للرَّسائل لم تكن موفَّقةً دائماً، فأكثرها بلا دلالاتٍ أو أسماء الأشخاص المرسَل إليهم؛ ممّا جعل العناوين مُبهمة. وممّا زادها إبهاماً استخدامه كلمة (أيضاً) التي تدلّ على أنّ المرسَل إليه هو نفسُه المرسَل إليه في الرِّسالة السّابقة. لكنّ ذلك لم يكن موافقاً للصَّواب دائماً. وقد نوّهتُ إلى ذلك

---

(١) ترجم له الثعالبي ترجمةً مقتضبة، يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٩١، وذكره في معظم كتبه، وأورد بعض أقواله وأشعاره. كما إنّ له ترجمةً موجزةً عند: الباخرزي، دمية القصر، ج٢، ص٩٧٠؛ الصريفيني، المنتخب من السياق، ص٣٣٨؛ القفطي، إنباه الرواة، ج٢، ص١٦٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٠٩؛ ابن شاكر، فوات الوفيات، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج٦، ص٢٧٢؛ القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٨٩؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص١٨٧؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٨٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٥١٢.

(٢) كتاب الزهد الكبير، ص٢٥٣.

في مواضعه. ومع هذا كلّه، يُحسب للحاكم ابن دُوسْت جمعه لرسائل بديع الزمان، فلولاه لما وصلتنا رسائله مجموعة، وربّما ضاعت أو تفرّقت.

❊ ❊ ❊

لقد نُشرت هذه الرَّسائل قديماً غير مرّة، ولعلّ أوّل نشرةٍ لها كانت تلك التي طُبعت في مطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م، ووُضع على غلافها عبارة «طبعة أولى».

لكنّ أشهر نشرات رَسائل بَديع الزّمان ظهرت بعدها بعشر سنين، وأعني بها نشرة سنة ١٨٩٠م التي عُني بها الشيخُ إبراهيم بن علي الأحدَب الطرابُلُسي (ت١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م)[١]، ونشرها عن المطبعة الكاثوليكية للآباء اليَسوعيين في بيروت. وقد شرَحها شرْحاً أدبياً ولُغوياً وبَيانياً وافياً، زاد من عدد أوراقها وضخّم حجمها. ويمكن القول بأنّه قد بالَغ في شرح الكلمات والألفاظ؛ مما جَعَله يضع للرَّسائل عنواناً جديداً هو (كشف المعاني والبيان عن رَسائل بَديع الزّمان).

ومن المآخذ البسيطة على عَمَل الشيخ الأحدب: إغراقُه في الشرح الأدبي، وحتى للمُصْطلحات الحضارية ذوات الدِّلالات الخاصة، وابتعاده عن إبراز الجانبين التاريخي والحضاري، بل إنّه بالَغ في الشرح حتى أنّه أجهد نفسَه في وَصْف الأرنب - مثلاً - الذي ذكره الهمَذاني في إحدى رَسائله[٢]، فقال: «الأرنب حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين، فإذا علا صعب عليه الانحدار». وحينما ذكر الهمذاني الجُبْن[٣]، قال: «الجبن ما يُتّخذ من اللّبن الرّائب».

---

(١) ترجم له عبد الرزاق البيطار ترجمةً ضافية في حلية البشر، ص٤٦.

(٢) انظر ص١٨٦.

(٣) انظر ص٣٨٥.

كما أنّ له بعضَ قراءاتٍ واجتهاداتٍ وتعريفاتٍ جانَبَ فيها الصّواب، وأسوقُ ثلاثة أمثلةٍ لذلك، وأكتفي بها للتدليل على ما ذهبت إليه:

١. عندما أراد تعريف الأمير السّاماني الضّبي الذي ذكره الهَمَذاني[1]، قرّر أنّه الأمير نَصْر بن أحمد بن إسماعيل وهو المتوفّى سنة ٣٣١هـ، في حين أنّ مَن قَصَده الهَمَذاني هو الأمير عبد الملك بن نوح المتوفّى سنة ٣٨٩هـ!

٢. والمثال الآخر محاولة تعريف كلمة (تاشي) التي تصحّفت عند النُّساخ إلى (تالشي، تاتشي، تانشي)[2]، فقد قرّر أنها (تالشي) نسبة إلى تالش كصاحِب: كورة من أعمال جيلان» ! ولا أدري ما علاقة تالِش هذه بكلام أبي الفضل. والمقصود بتاش أنه منسوبٌ إلى قائدٍ يدعى تاش.

٣. عرّف الوزير السّاماني الذي ذكره الهَمَذاني، وهو أبو الحسين بن كثير[3] بقوله: «هو أبو الحسين العتبي من جملة وزراء الأمير نوح السّاماني». وبين هذين الوزيرين بَوْنٌ كبير في الاسم والزّمن ! فتأمّل.

كما أنّ في نشرته بعض السَّقْط، فقد خَلَت من بعض الرّسائل. لكنّني – مع هذا – أفدتُ من شُروحه في بعض المواضع، وخاصّة اجتهاداته وتخريجاته، وقد أثبتُّ ما أخذته منه مَعْزوّاً إليه، اعترافاً بفضله واحتراماً لريادته، كما أنني ناقشتُ بعض آرائه التي جانَبَ فيها الصّواب.

ولأهمية هذه الرّسائل التاريخية والأدبية، ولأهمية مُنشئها، ونُدرتها في هذا الزّمن، وللمسوِّغات التي ذكرتُها، عزمتُ على نَشْرها. وذلك بعد مُضيّ أكثر من قَرنٍ على آخر نشرةٍ لها، وإخراجها في صورةٍ حديثة تُواكبُ هذا العصر. كما أنّها – في الوقت نفسه – تشكّل إحدى حلقات المشروع الذي أضطلعُ بتقديمه للمكتبة العربية، وهو

---

(١) انظر ص٢١.

(٢) انظر ص١٩٦.

(٣) انظر ص١٨.

إحياءُ رَسائل كُتّاب القرون الأولى[1]، وتقديمها للمؤرّخين والباحثين والمهتمّين؛ توفّر لهم مادةً أوليّة خصبة يعتمدون عليها في دراساتهم.

وكان اعتمادي في نَشْري هذه الرَّسائل على ثلاثة نُسخ، منها اثنتان محفوظتان في مكتبة الأزهر، هما:

١. نسخةٌ برقم ٢٢٨٥٧/١٩١١ أدب، تتألّف من ١١٥ ورقة، في كلٍّ من صَفْحَيْها ثلاثة وعشرون سطراً، في كلّ سطرٍ من خمس كلمات إلى ستّ.

كُتبت بخطٍّ نسخي جميل مزوّق بالحلى والشكل، مزيّنة بشروحاتٍ أدبية للحوشيّ من ألفاظها والغريب، بخطّ ناسخها حسين بن مُحمّد بن حسن الميمي البَصْري، الذي فرغ من كتابتها في ١١ ربيع الآخر ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م.

وهو ناسخٌ مثقّفٌ ذو معرفةٍ ودراية باللُّغة والأدب والبيان والتحقيق والتصحيح ؛ قرأ النصّ بعين العالم الناقد البصير، فشرح وبيّن وأوْضح وصحّح ونبّه واقترح كثيراً من المسائل.

---

(١) كنتُ قد نشرتُ في إطار هذا المشروع :

* **الدرر والغرر**، وهي رَسائل أبي الحسين الأهوازي (توفي بعد ٤٣٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت / دار الرازي، عمّان، ٢٠٠٦.
* **منية الراضي برسائل القاضي**، وهي رَسائل منصور بن محمد الأزدي الهروي (ت٤٤٠هـ)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩.
* **رَسائل الشيرازي**، وهي رَسائل عبد العزيز بن يوسف (ت٣٨٨هـ)، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠.
* **رَسائل العَميدي** (ت ٤٣٣هـ)، منشورات كُرسيّ الدكتور عبد العزيز المانع بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، ٢٠١٣.
* **المختار من رَسائل الصاحب ابن عباد** (ت٣٨٥هـ)، منشورات جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، ٢٠١٤.
* **ديوان رسائل الصابي** (ت٣٨٤هـ)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٧.

في صفحة العنوان منها: «منشآت ورسائل البديع الهمذاني. من كتب المرحوم حسن جلال باشا الحسيني هدية للجامع الأزهر تنفيذاً لوصيته. علي جلال».

وفي صفحة الخاتمة منها: «هذا آخرُ ما وُجِد من ترسلات أبي الفضل بَديع الزّمان ومُكاتباتِهِ تغمَّدهُ الله تَعالى برحمته وغفرانه، وأسكنه بحبوبة جنانه، وأفرغ عليه سجال رضوانه، بقلم العبد الفقير إلى رحمة المولى المنعم: الحاج حسين بن مُحمّد بن حسن الشهير سلفُه بآل ميمي، البصريُّ مولداً ومنشأً، كان الله لهُ في جميع أطواره وأوطاره وأدواره، في اليوم الحاديَ عشَرَ من شهر ربيع الآخر لسنة ثمانٍ وخمسين ومائة وألف، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وحسبنا الله تَعالى وكفى».

وبعد ذلك كتب الناسخ أنّ الذي أشار بكتابة هذه المنشآت البديعية مصطفى أفندي رئيس الكتّاب.

وقد رمزتُ هٰذه النُّسخة بالحرف (س).

٢. نسخةٌ برقم٤٩٣/ ٧٨٥، تتألّف من ١٦٧ ورقة، في كلٍّ من صَفْحَيْها تسعة عشر سطراً، في كلّ سطرٍ من عشر كلمات إلى اثنتي عشرة كلمة.

كتبها بخطّ التعليق ناسخُها أحمد عرابي بن أحمد عرابي الشافعي، الذي فرغ من كتابتها في ٢٠ جُمادى الأولى ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م.

في صفحة العنوان منها: «هذه رسايل بَديع الزّمان وعَلّامة هَمَذان أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين».

وهناك تملّكٌ على هذه الصفحة باسم سليمان بيك أباظة، وختمٌ بوَقْف هذا الكتاب من ورثة سليمان على الجامع الأزهر مؤرخ بسنة ١٣١٦هـ.

وفي خاتمة هذه النُّسْخة: «اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيِّدنا ومَوْلانا مُحمّد، شجرةِ الأصل النورانيّة، ولمعة القَبْضةِ الرّحمانية، وأفضل الخِلقة الإنسانية، وأشرف

الصورة الجسمانية، ومعدِن الأسرار الربّانيّة، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنيّة، والرُّتبة العلِيّة، مَن اندرجت النبيُّونَ تحت لوائه، فهم منه وإليه. صلّى وسلّم وبارك عليه وعلى آله، عددَ ما خلَقْتَ ورزقت، وأمتَّ وأحييت، إلى يوم تبعَثُ مَن أفنيت، وسلِّم تسليماً كثيراً. والحمدُ لله ربِّ العالمين. وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب الجليل في يوم الأحد عشرين جمادى الأولى سنة ١٢٩١[1] من هجرة المصطفى زاده الله تعالى عزّاً وشرفاً، على يد أفقر العبيد وأحوجهم إلى مولاه أحمد عرابي ابن المرحوم أحمد عرابي الشافعي تجاوز الله عن سيئاته والمسلمين، آمين آمين آمين».

وقد رمزتُ لهذه النُّسخة بالحرف (ص).

٣. نسخة ثالثة وهي من مقتنيات مكتبة أياصوفيا بإسطنبول تحمل رقم F٩٩٦، تتألّف من ١٣٤ ورقة، في كلٍّ من صَفْحَيْها سبعة عشر سطراً، في كلّ سطر ١٢-١٧ كلمة. كتبها ناسخٌ يُدعى مُحمّد سليم الكاتب.

على صفحة العنوان: «رسايل بديع الزمان الهمذاني رحمه الله تعالى»، ونصٌّ بوقف هذه النسخة، وهو: «وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي محمود خان، وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع واستكسب وتوسم بسمة الأدب، أعظم الله تعالى شأنه وأعز أعوانه. حرره الفقير أحمد شيخ المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما». و«استكتبه العبد الفقير إلى مولى المواهب مُحمّد سليم الكاتب غفر له».

وفي خاتمة هذه النسخة: «هذا الموجود من ترسيله رحمة الله عليه، والحمد لله وحده، وصلى الله على مُحمّد وآله وسلم».

---

(١) توافق سنة ١٨٧٤ الميلادية.

وكما كتب ناسخها مُحمّد سليم، فإن هذه النسخة من أوقاف السلطان العثماني محمود خان، لكنني لا أدري أي محمود يعني ؛ فقد حمل هذا الاسم سلطانان، هما:

- محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م).
- محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م).

أي أن هذه النسخة تعود إلى المدة من منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، وهي الحقبة التي كُتبت فيها النسختان الأخريان نفسها.

وهي نسخةٌ فيها استدراكاتٌ وتنميقاتٌ ضافية، كُتبت بخط تعليق متقن جميل، يزينها بعض الحواشي التي تشرح بعض الألفاظ المشكلة. وأغلب الظن أنها مُقابَلةٌ على نسخةٍ أقدم منها، نسخة واحدة أو أكثر من نسخ رسائل بديع الزمان التي ضاعت ؛ فنحن نرى، في بعض مواضعٍ من ألواحها، كلمة «بلغ»، وهي علامة المقابلة، على ما أثبتنا كلًّا في موضعه في حواشي عملنا. لكن تحريفات ناسخ هذه النسخة كثيرة جداً، اقتصرنا على ذكر التحريفات ذوات البال.

وقد رمزتُ لهذه النُّسخة بالحرف (ي).

وبين هذه النُّسخ الثلاث بعضُ التّباين، واختلافُ الترتيب والتسلسل، وقد أشرتُ إلى ذلك في مَواضعه، لكنّ ذلك جَعَلني أُحجم عن اعتماد إحداها أصلاً أو أمّاً؛ فليس هناك ما يرجّح واحدةً على الأخرى. كما أنّ بعض الرَّسائل تكرّرت، سواء في (س) أو (ص) أو (ي)، فحذفتُ المكرّر، واخترتُ من اختلاف القراءة ما رأيتُ أنّه يؤدّي المعنى المراد، وما ارتضيتُه من وُجوه القراءة، وأحسَبُ أنّ أبا الفضل راضٍ عن هذه النشرة من رَسائله.

والحقُّ أنّي لا أستطيع إغفال أهمية شُروح النُّسّاخ الثلاثة وتعليقاتهم في حواشي النصّ، فبعضها في غاية الأهمية، وقد أثبتُّها في مَواضعها إتماماً للفائدة ، بعد أنْ تأكّدتُ من صحّتها، وناقشتُ ما كان محتاجاً إلى مناقشة.

ولقد حاولتُ أنْ أربط كلّ رسالةٍ بالحدث التاريخي المعاصر لها، كما عملتُ في الرَّسائل التي نشرتها سابقاً، لكنّي وجدت أنّ الامر هنا مختلف ؛ فما من دالّةٍ أو قرينة تمكّن من ذلك أو تهدي إليه، إلّا في أضيق الحدود، وسيرى القارىء ذلك في الرَّسائل التي تحمل مضامين تاريخية وسياسية.

وقد خدمتُ هذا النصّ التّراثي المهمّ بما يستحقّ، تحقيقاً وضَبْطاً وفَهْرسة، فضَبْطُ النصِّ بالحركات من أكثر الأعمال أهميةً في تحقيق النصوص التراثية الصعبة كهذا النصِّ، وكذلك تقسيم الفقرات، وعلامات الترقيم. أما الفهارس الفنية فهي من مكمِّلات النشر الصّحيح لكتب التّراث، وهي التي تمكّن الباحثين من إنجاز بُحوثهم ودراساتهم بيُسر. وهذه مسوِّغاتٌ كافية لإعادة نشر هذا الكتاب المهم، دون الالتفات إلى بعض مَن يظنّ في نفسه العلم ويدعو إلى عدم نشره. وقد راعَني ما قرأته ذات مرّة لأحدهم بأنّ صُنْع فهرس للمحتويات يخالف أصول تحقيق التراث لأنه ليس من وضع المؤلّف نفسه !

هذه أولُ نشرةٍ علمية لرسائل بديع الزّمان الهَمَذاني؛ فأرجو أنْ تحقّق الهدف من نشرها، وأنْ تأخذ ما تستحقّ من مكانةٍ في المكتبة العربية، وبين أوْساط المؤرّخين والمهتمّين والمثقّفين، وأنْ يجدوا فيها ما يفيدهم في البحث وكتابة تاريخ الأمّة. وإنّي إذ أقدّم هذه الرَّسائل للباحثين وطلبة العلم، لأرجو أنْ أكون قد وُفّقت في ذلك، وأنْ يُقابل الزَّلل بالصَّفْح والتَّجاوز. والحمد لله واهب العقل، العالم بمصادر الأمور، وسرائر الصُّدور.

إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري

مملكة هولندا

١٩ ذي الحجّة ١٤٣٨هـ

١١ أيلول ٢٠١٧م

نماذج من الأصول الخطيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلوة على محمد النبي وآله سألت
ادام الله توفيقك وسهل الى نفائس الخيرات طريقك
ان اجمع لك آثار ابي الفضل احمد بن الحسين البديع
نظمها ونثرها واوفق سوارها قلها وكثرها
ليكون متفكها لخاطرك اوان فراغك من دواعي
اشتغالك ومتنزها لناظرك وقت انتفاضك
من عوارض احوالك وكان ابو الفضل فتى وضيء
الطلعة رضي العشرة فتان المشاهدة سحار
المفاكهة غاية في الظرف آية في اللطف معشوق
الشيمة مرزوقا فضل القيمة طلق البديهة سمح القريحة
شديد العارضة سديد السيرة زلال الكلام
عذبه فصيح اللسان عضبه ان دعا الكتابة اجابته
عفوا واعطته قيادها صفوا والقوافي اتته
ملء الصدور وعلى الحوافي ثم كانت له طرق في
الفروع هو افترعها وسنن في المعالي هو اخترعها
ومصداق ما ادعيناه له تشهد به في اثناء شعره
ونثره وكان في صفاء العقيدة بين الكفاة قدوة

نموذج من النسخة (س)

(المستهلّ)

نموذج من النسخة (س)

(الخاتمة)

بسم الله الرحمن الرحيم وبالله التوفيق

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي واله .
سألت أدام الله توفيقك، وسهل إلى نفائس الخيرات طريقك، أن أجمع لك آثار أبي الفضل أحمد بن الحسين البديع نظمها ونثرها، وأولف شواردها قلها وكثرها، لتكون متفكها لخاطرك، أوان فراغك من دواعي اشتغالك، ومتنزها لناظرك، وقت انتقاضك من عوارض أحوالك .
وكان أبو الفضل وضيء الطلعة رضي العشرة، فتان المشاهد، سمار المفاكهة، غاية في الظرف، آية في اللطف، معشوق الشيمة، مرزوقا فضل القيمة، طلق البديهة، سمح القريحة، شديد العارضة، سديد السيرة، زلال الكلام عذبه، فصيح اللسان عضبه، إن دعا الكتابة أجابته عفوا، فأعطته قيادها صفوا، أو القوافي أتته مل‍ء الصدور على النوافي، ثم كانت له طرق في الغزو هوافيها . . .

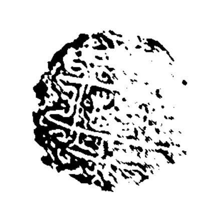
نموذج من النسخة (ص)

(المستهلّ)

ينبوع الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب
المقبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية
من اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه وصل وسلم
وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمت
وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب الجليل في يوم الأحد عشرين
جمادى الأولى سنة ١٢٩١ من هجرة المصطفى زاده الله تعالى
عزا وشرفا على يد أفقر العبيد وأحوجهم إلى مولاه
محمد زكي بن المرحوم محمد زكي الشافعي
تجاوز الله عن سيئاته والمسلمين
آمين آمين
آمين

نموذج من النسخة (ص)

(الخاتمة)



رسايل بديع الزمان الهمداني رحمه الله تعالى

٤٩٩٦

نموذج من النسخة (ي)

(صفحة العنوان)

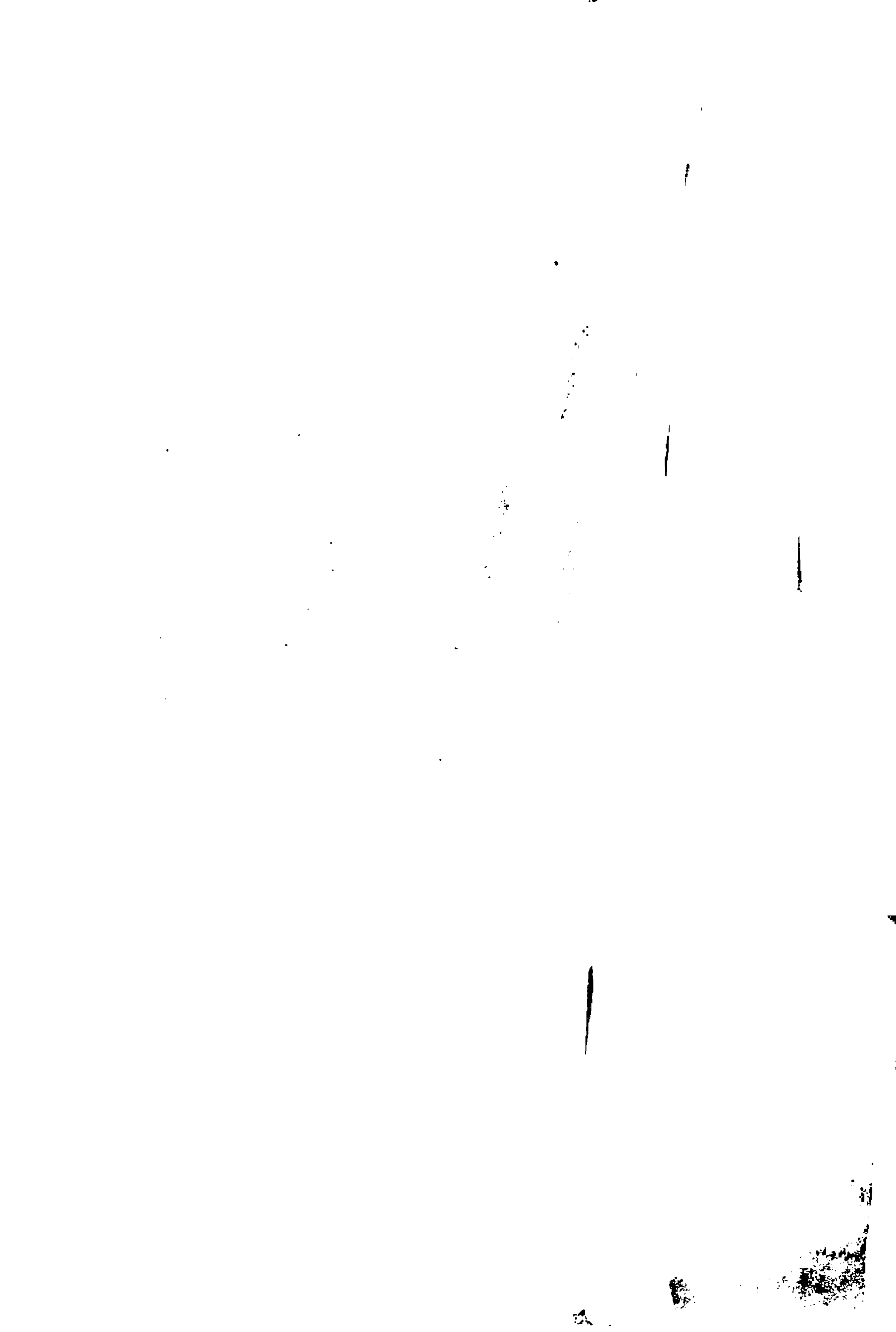
نموذج من النسخة (ي)

نموذج من النسخة (ي)

(الخاتمة)



رسايل بديع الزمان وعلامة همذان ابو الفضل
احمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد
الهمداني رحمه الله تعالى ونفعنا
بعلومه امين



[مقدّمة جامع الرسائل][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبالله التوفيق[2]

الحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصَّلاةُ على سيّدنا[3] مُحمّد النبيِّ وآله.

سألتَ – أدام اللهُ توفيقَك، وسهَّل إلى نفائس الخيرات طريقَك – أنْ أجمعَ لك آثارَ أبي الفَضْل أحمدَ بن الحُسين[4] البديع، نَظْمَها ونثْرَها، وأؤلّف شَواردَها، قُلَّها وكُثْرَها[5]، ليكونَ مُتفكَّهاً[6] لخاطِرِك أوانَ فَراغِك من دَواعي أشغالك، ومُتَنزَّهاً لناظِرِك وقتَ انتفاضِك[7] من عَوارض أحوالِك.

وكان أبو الفَضْل فتىً وَضيَّ[8] الطَّلْعة، رَضيَّ العِشْرة، فَتّانَ المُشاهدة، سَحّار[9]

---

(١) ما بين معكوفين إضافةٌ منّا. وهذه المقدمة من وَضْع جامع الرَّسائل الحاكم عبد الرحمن بن دُوسْت النَّيسابُوري، كما بيّنّا في مقدّمة التحقيق.

(٢) من ص فقط.

(٣) من ص فقط.

(٤) ي: حسين.

(٥) القُلّ، بالضمّ، والقِلّة، بالكسر: ضدّ الكثرة والكُثْر، ويقال: ما له قُلّ ولا كُثر. والقُلّ من الشيء: أقلّه، والكثر: معظم الشيء وأكثره. الزبيدي، تاج العروس، ج١٤، ص١٧ (كثر)، ج٣٠، ص٢٧٣ (قلل).

(٦) كتب ناسخ ي في الحاشية: «تفكّهت بالشيء: تمتّعت. صحاح».

(٧) كتب ناسخ ي تحتها بخط دقيق: «أي: وقت بُرئك».

(٨) كتب ناسخ ي في الحاشية: «الوضاءة: الحسن والنضارة. صحاح».

(٩) قوله: (سحّار) يومىء إلى قوله صلّى الله عليه وسلَّم: «إنّ من البيان لسحراً» المرويّ في صحيح البخاري (٤٨٥١) و(٥٤٣٤).

المُفاتحة، غايةً في الظَّرْف، آيةً في اللُّطْف، معشوقَ الشيمة، مرزوقاً فضلَ القيمة، طَلْقَ البديهة، سَمْحَ القريحة، شديدَ العارضة[١]، سديدَ السِّيرة، زُلالَ الكلام عَذْبَه، فَصيحَ اللِّسانِ عَضْبَه[٢]. إنْ دعا الكتابةَ أجابتهُ عفواً[٣]، فأعطتهُ قِيادَها صفْواً، أو[٤] القَوافي أتتْهُ ملءَ الصّدورِ على التّوافي[٥].

ثم كانت له طُرقٌ في الفروع هو افترَعَها، وسُننٌ في المعاني[٦] هو اختَرَعها، ومِصداقُ ما ادَّعيناه له تشهَدُهُ[٧] في أثناء شعرِه ونثرِه.

وكان في صَفاء العقيدة بين الكُفاةِ قُدوة، وفي حُسن النظر لكافَّةِ نُظرائه أُسوة. وقد أُوتيَ حِفْظاً لا يَسمَعُ كلمةً إلّا اعتلَقَها فاعتَقَلَها[٨]، ثم إذا شاءَ أعادها ونقَلَها.

وقد أجبتُكَ[٩] إلى مَسْؤولِك[١٠]، وجعلتُ بعضَ أوقاتي مصروفةً لتحصيل مَأمولِك، وجمعتُ لك ما وَجَدْتُهُ له[١١] من الرَّسائل والرِّقاع، لتنظرَ فيها وتستفيد، وتُقرِّبَ إليك منها ما تُريد، واللهُ الموفِّقُ للصّواب.

---

(١) كتب ناسخ س في حاشية الورقة بإزاء هذه الكلمة: «شديد العارضة: كناية عن جودة البيان».

(٢) كتب ناسخ ي في الحاشية: «وعضُب لسانه، بالضمّ، عضوبة: صار عضباً، أي: حديداً في الكلام. صحاح». والعضب: السَّيْف، وإضافته إلى الضّمير العائد على اللسان من إضافة المشبّه به إلى المشبّه، فيكون المعنى: لسانه – بفصاحته – كالحسام البتّار.

(٣) ضبط ناسخ ي (عفواً) بكسر الياء، وكذلك (صفواً) بعدها، وكتب بإزاء اللفظين «عفو الشيء وصفوه: خيره وخياره». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٧٦ (عفو).

(٤) ي: و.

(٥) س: الغوالي.

(٦) س: المعالي، واضحة اللام مجودتها.

(٧) عبارة ي: ومصداق ما ادعينا له يُشهد.

(٨) الاعتلاق: التعلُّق بالشيء، والاعتقال: الحبس.

(٩) ص: أجبت.

(١٠) ي: إلى سؤالك، وما هنا من س، ص، وهو الموافق للسجع.

(١١) س: وجدت له، وفي ص: وجدته، من غير شبه الجملة، وما هنا من ي، وهو الأبين.

كَتَب[1] الأستاذُ أبو الفضل بَديعُ الزَّمان الهمَذاني[2]

إلى الشّيخ أبي العَبّاس الفَضْل بن أحمد الإسْفَرايينيّ[3]

وهو أوَّلُ مَن[4] استُوزِرَ لأبي القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين الناصرِ لدين الله فاتح السِّنْد والهند[5]

كتبتُ[6] - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليل السَّيِّد، وأدام عُلوَّهُ وتمكينَهُ - عن سَلامة. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَواتُه[7] على محُمّد وآلِه وسلَّم.

ليسوا سواءً: فئةٌ بالباب تُسعَدُ بالحضرة، وأخرى بالمَغيب تُكْمَدُ[8] بالحسرة. والله، ما للسّاعة من وَليِّ النِّعْمة ثَمَن، ولا كالاعتياض[9] من لِقائه غَبْنٌ وغَبَن[10].

---

(١) قبلها في ص، ي كلمة: أولها.

(٢) ص، ي: أبو الفضل الهَمَذاني بَديع الزَّمان، بتقديم وتأخير فيهما في النسبة واللقب.

(٣) وزير السُّلْطان محمود الغزنوي (٣٨٧-٤٢١هـ)، قتله بعض أتباع السُّلْطان. عن الإسْفَرايِيني، انظر: كرماني، نسائم الأسحار، ص٣٩؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٣٥.

(٤) ص: ما.

(٥) كلام الهَمَذاني هذا فيه مبالغة، فهو لم يفتح السند والهند، وإنما فتح شمال الهند. عن فتوحاته تلك، انظر: العتبي، اليميني، ص٢٧٨ وما بعدها.

(٦) من ص.

(٧) ص: وصلاته.

(٨) كتب ناسخ ي في الحاشية: «الكمد: الحزن المكتوم. صحاح».

(٩) كتب ناسخ ي في الحاشية: «واعتاض وتعوض، أي: أخذ العوض. صحاح».

(١٠) الضبط في الكلمتين من س، ي، وكتب ناسخ الأولى إزاءهما في الحاشية شارحاً: «الغبن بالسكون: مصدر غبَنَه يغبِنُه، كضرب: إذا خدعه في البيع. وبالتحريك: مصدر غَبِن، كعلم: ضعف الرأي ونقصانه». واختصره ناسخ الثانية فكتب مع ذكر مصدر النقل: «الغبْن بالتسكين: في البيع، والغبَن بالتحريك في الرأي. صحاح».

فليت كتابَ الإذنِ شَفَى مِمّا[1] نَجدْ، وليتَ هنداً أنجزَتْنا ما تَعِدْ[2].

معاذَ الله أنْ أشتاقَ إلى حضْرتِه، لكنِّي أفتقرُ إليها فقرَ الجسدِ إلى الحياة، والحوتِ إلى الفُرات، وإنّما مَثَلُ العبدِ مع الأصحاب، مَثَلُ الأرض مع السَّحاب. أفيُسمَّى القَحْطُ[3] شَوْقاً، أم يكونُ الموتُ وَجْداً ؟ إنّي عبدُ الشّيخ، واسمي أحمد، وهَمَذان المولِد، وتغلِبُ المورِد، ومُضَرُ المحتد[4]. وعبدٌ بهذه الصِّفَة غريبٌ نادر، وللصّدور والملوك بغريب الأعلاق[5] وُلُوع. والمولى أحقُّ بعبده ؛ له وَلاؤُهُ، وعليه تِلاؤه[6]، وإليه انتسابُه، وله[7] وعليه كَسْبُه واكتسابُه.

ولا أزيدُهُ بحالي وباستقرارِها[8] عِلْماً، وقد تطَوَّلَ[9] عامَ[10] أوَّل، وخوَّلَني[11] من العِناية ما خوَّل. ووافقتُ القومَ على نِصْف المال في العاجل، وإنظارِهم في الباقي إلى

---

(١) قوله: (شفى مما) ساقط في ي.

(٢) صدر بيتٍ لعمر بن أبي ربيعة، وعجزُه: وشَفَت أنفسنا مما تجدْ.

ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٢٠؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٩٣.

(٣) عبارة ي: أفنسمّي القحطَ.

(٤) في حاشية ي: «المحتد: الأصل. صحاح».

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الأعلاق بالفتح: جمع علق بكسر العين، وهو النفيس من كل شيء».

وكذا الحاشية في ي مع تقديم وتأخير، غير أنه زاد بعدها المصدر الذي نقل منه، فكتب: «قاموس».

(٦) س، ص: بلاؤه، ولا معنى لها، وما هنا من ي، وكتب ناسخها في الحاشية: «التِّلاء: الذمة. صحاح».

(٧) من ص.

(٨) ص: وباستقرانها، وما هنا من النسختين الأخريين، ويعضده ما بعده.

(٩) في حاشية ي: «وتطوّل عليهم: امتنّ. قاموس».

(١٠) ي: عاماً.

(١١) في حاشية ي - شارحاً -: «وخوّله الله الشيء: إن ملّكه إياه. صحاح».

القابل، ورأيتُ إرجاءَ الأمر[1] مَظْلِمةً، فاغتنمتُ وانتهزْتُ[2] صَفْوَ[3] المال، ولم آخُذْ من القوم صَفراءَ ولا بيضاءَ[4]، إنّما أخذتُ منهم الحِمارَ والحِمارة، والتِّبْنَ والغِرارة[5]، والطَّسْتَ والمَنارة[6]، والكُوزَ والغَضارة[7]، والإزارَ والعُقارة[8]، والحيَّةَ والفارة[9].

ثم لَطَفَ اللهُ في تلك العُقودِ فحلَّها، وأحياها كلَّها، وذلك بكريم عِنايةِ الشّيخ الجليل السَّيِّد - أدام اللهُ تأييدَهُ - فاللهُ يُحسنُ جَزاءَهُ، ويجعَلُني وأهلي من كلِّ مكروهٍ فداءَهُ، وارتُهنَ الباقي بعونِ الله، ثم بعالي رأيه. فإنْ تدارَكَ فقد أيْنعت[10] الحقوقُ وحان قِطافُها، وهناك النوائبُ واختلافُها، والأيدي واجترافُها[11]، والأفواهُ واعتِلافُها،

---

(١) س: الأمير، تحريف. وما هنا من ص، ي، وفي حاشية ي: «أرجأ».

(٢) في حاشية ي: «النهزة بالضم: الفرصة، وانتهزها: اغتنمها. قاموس».

(٣) ي: صفر.

(٤) يعني: لا دنانير ولا دراهم، كما هو ظاهر.

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الغرارة: للتّبن، وجمعها غرائر، ولعلّها معرّبة». وهي الجُوالق. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٨ (غرر). أي: الكيس أو ما يُسمى (الشوال).

(٦) كتب ناسخ س بهامشها: «المنارة ما يوضع فوقها السراج». وهي المسرجة.

(٧) عبارة ي: واللوز والغفاره، وقيّد ناسخ س في الحاشية: «الغضارة: إناء يُعمل من الطين الحرّ».

(٨) من ي، وكتب ناسخها في الحاشية: «العُقار: ضرب من الثياب أحمر. صحاح». وفي س، ص: الغفارة، وكتب ناسخ س عليها في الحاشية: و«الغفارة، بالكسر: خرقة توضع فوق الرأس وقايةً لرضّ الدّهن».

(٩) كلّ ما عدّده ممّا أعطوه هي أشياء تافهة لا قيمة لها، وهو ما رمى إليه في المعنى. كشف المعاني، ص٩.

(١٠) في حاشية ي: «ناع ينيع: مال. قاموس».

(١١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الاجتراف والجرف: الأخذ بالكُلّية». والمراد باجتراف الأيدي: تناولُها للشيء واستئصالُه. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٥ (جرف).

والعَمالةُ[1] واعتسافُها[2]، والزَّعامةُ والتقافُها[3]، والأكَرَةُ[4] وانتصافُها[5]، والأعوانُ وإسرافُها. هذه التي أعلمُها[6]، ثم التي أخافُها: الجَرادُ واحتجافُها[7]، والقُمَّلُ[8] وإتلافُها، والعَساكرُ واجترافُها[9]، والرِّيحُ وانتسافُها. فإذا امتلأتْ أجوافُها، فالعِطاشُ واغترافُها، والبِطانُ[10] واشتفافُها[11]، والشِّفاهُ وارتشافُها، والصُّوفةُ وانتزافُها، والقُطنةُ واستنطافُها، والشّمسُ وإشرافُها، أفليس عمّا قريبٍ جَفافُها؟

---

(١) من ي، وفي س، ص: والعمّال.

(٢) في حاشية ي: «اعتسف فلاناً: استخدمه. صحاح».

(٣) في حاشية ي: «لقِفت الشيء بالكسر، وتلقّفته، أي: تناولته بسرعة. الزعامة: السيادة. صحاح».

(٤) في حاشية ي: «الأكرة: جمع أكّار، وهي الحرّاث. قاموس». إكّارو Ikkaru (m): فلّاح، كلمة مستعارة من السومرية LU.ENGAR: رجل المحراث، ويبدو أنها تعود إلى الشعوب التي سكنت جنوبي بلاد الرافدين قبل السومريين، بالعبرية «إكّار»، وبالسريانية «أكّارا»، وبالعربية «أكّار». بالعربية: الأكر: الأُكْرةُ بالضم: الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فيُغرف صافياً. وأكر يأكر أكراً، وتأكّر أكراً: حفر أُكْرةً، والأُكَرُ الحفر في الأرض، واحدتها أُكرة. والأكّار: الحرَّاث والزرَّاع، والجمع: أكَرَة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٦ (أكر)؛ مرعي، اللسان الأكادي، ص١٧٦.

(٥) في حاشية ي: «انتصف منه: استوفى حقه منه كاملاً. قاموس».

(٦) س، ي: اعملها. وقد قيّد ناسخ س بإزائها في الحاشية ما نصُّه: «لعله: أُغِلُّها، أي: أنسُبُها إلى الإغلال والخيانة، أو إلى الغلّ، وهو الضّغن».

(٧) في حاشية ي: «احتجفه: استخدمه. قاموس».

(٨) في حاشية ي: «القُمّل: دويبة من جنس القروان إلا أنه أصغر منه. صحاح».

(٩) في حاشية ي: «الحرفة: الصناعة، والمحترف: الصانع. صحاح».

(١٠) في حاشية ي: «بَطِن، بالكسر، عظم بطنه. صحاح».

(١١) هكذا اللفظة في س، ص، وقيّد ناسخ س في الحاشية ها هنا: «الاشتفاف: الاستقصاء، يقال: اشتفّه، أي: استقصاه، وفي حديث أم زرع: وإذا شرب اشتفّ». وفي ي: واشتغافها، وقيّد ناسخ ي: «الشغاف: غلاف [القلب]، وهي جلدة دونه كالحجاب، يقال: شغفه الحب، أي: بلغ شغافه. صحاح».

هي - أيّد اللهُ الشّيخ الجليل - اليدُ لا تَسَعُها الرُّخصة، إنّه لا يَنبِضُ للنّاحية بعدَ شهرينِ عِرْق، ولا يُوجَدُ بأهلِها طِرْق[1]. مَن وَرَد حوضَها الآن، وَرَدهُ ملآن. فإن احتَسَب[2] الشّيخ الجليل ونَشِط[3] لقاصدٍ يُنهِضُهُ[4] بمنشورٍ يَبذُلُه، عن عِناية يؤكّدُها، بكتابٍ يصحَبُهُ إلى الشّيخ الرّئيس أبي عامر[5]، رَجَوْتُ أنْ يَرتفعَ المُراد، وإلّا فلا، وإن استَسْقى عمرُ بن الخطاب بالعَبّاس بن عبد المطّلب فسُقي النّاس، وكُشِفَ الجَدْب[6]، فقد استسقَيْتُ بشيخَي الجماعةِ والسُّنة، وسيِّدَيَّ من شابِّ[7] أهل الجنّة، وتنجّزْتُ كتابَهما،

وليس امرؤٌ في الرَّوْع كانا سِلاحَهُ ... عشيّةَ يَلقَى الحادثاتِ بأعزَلا[8]

وللشّيْخ الجليل السَّيِّد وَليِّ النِّعْمة مَوْلانا، في تَشريفِ عَبْدِه وخادمِه، وتَصْريفِه على أمْرِه ونَهْيه، عالي رأيه، إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الطِّرْق بكسر الطاء وسكون الراء: القوة، يقال: ما به طِرق، أي: ما به قوّة».

(٢) في حاشية ي: «احتسب بكذا أجراً عند الله: اعتدّه ينوي به وجه الله. قاموس».

(٣) في حاشية ي: «نشط - كسمع -: طابت نفسه للعمل. قاموس».

(٤) في حاشية ي: «وأنهضه: أقامه. قاموس».

(٥) هو عدنان بن مُحمّد رئيس هَراة الذي سيأتي ذكره في كثير من هذه الرسائل. انظر فهرس الرسائل آخر الكتاب.

(٦) قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي، وخرج بالعباس معه يستسقي فيقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم توسلنا إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا. ابن كثير، مسند الفاروق، ج١، ص٢٢١.

(٧) في س، ص: وابني سيدي شباب، ولا يتسق مع ما قبله، فأمّا شيخا الجماعة والسنة فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأما سيِّدا شباب أهل الجنّة فالحَسَن والحسين رضي الله عنهما، وانظر في هذا الخبر مسند الإمام أحمد، (١٠٩٩٩)، وأما ابناهما فلم أهتد لمقصوده.

(٨) البيت لأبي تمام من قصيدةٍ يمدح بها مُحمّد بن عبد الملك، وقوله: (كانا) بالتثنية ليس كذلك في بيت أبي تمّام، بل هو (كنتَ). ديوان أبي تمام، ج ١، ص١٢٦. وقوله: (بأعزلا)، كتب في حاشية ي: «الأعزل: الذي لا سلاح معه. صحاح».

وله إليه

صَدْر كتاب[1]

كتابي - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - عن سَلامةٍ يَفْتَرُّ[2] في وَجْهِها الحربُ والحِصار، وعافيةٍ معها الخوفُ والحِذار، وصُنعُ الله حاوِشٌ[3] أثناءَ الخطوب.

والشّيخُ الجليل - بحمد الله - مَليُّ القلب، ثابتُ القَدَم، وافرُ الأعوانِ والخَدَم، مُخيِّلٌ[4] بالظّفَر والسِّلاح، يَغُضُّ ويحلُم[5]، ويهدُّ[6] ويَهْدِم، والحربُ على ساق، والفِتْيانُ على تَلاق. ونحن إلى هذه الغاية مُتَّضعونَ ومُستَعْلُون[7]، واللهُ وَليُّ الكِفاية.

---

(١) لعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى الوزير الإسفراييني.

(٢) س: يغبرّ، ص: يُغِير، والمثبت من ي، وكلّه - مع الحرب والحصار - بمعنىً، ويفترّ: إذا كشر.

(٣) س ص: حارس، وقيّد ناسخ ي عليها «حاوشته عليه: حرضته. قاموس».

(٤) في حاشية ي: «مخيّل بالظفر: خليق له، أو متهيىء له. صحاح».

(٥) ص، ي: يعضّ ويكلم، وما هنا من س، وهو أحسن وأليق.

(٦) ي: يمد.

(٧) عبارة ي: منتصفون ومشتغلون.

وله إليه

عتابٌ[1]

كتابي والثَّمَرةُ – أدام اللهُ عزَّ الشّيخ الجليل[2] – تَخرُجُ من أكمامِها، فتكونُ مُرّةً قبل تَمامِها، ثم تصيرُ مُزّةً كثيراً من أيّامها، ثم تكونُ فِجّةً عَفِصَةً[3]، ثم لا يزالُ اللّيلُ والنّهارُ يُنضجانِها حتى تُصبحَ رُطَباً جَنِيّاً، وتُؤكل حُلْواً هنيّاً.

وقد تَصوَّرني الشّيخ الجليل حَجَراً لا يؤثِّر فيَّ الماءُ والنّار، ولا يُنضِجني اللّيلُ والنّهار، وللشّباب نَزْقةُ طَيْشٍ[4]، ثم يَرْبَعون[5] إذا جاء الأربَعُون، ويَنزِعون[6]، وإنْ كانوا لا يُوزَعُون[7].

ولقد نَظَرتُ في المِرآة، فوجدتُ الشَّيبَ يَتَلهَّبُ ويَنهَب، والشَّبابَ يتأهَّبُ[8] ويذهَب، وما أُسرِجَ هذا الأشهب[9] إلّا لسَيْر، وأسألُ اللهَ خاتمةَ خَيْر.

---

(١) العنوان في س: وله إليه أيضاً. ولفظة (عتاب) سقطت في ي، س. ولعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى الوزير الإسفراييني.

(٢) عبارة الدعاء ساقطة في س.

(٣) في حاشية ي: «الفجّ بالكسر: كل شيء من الفواكه لم ينضج. صحاح». والعفوصة: المرارة والقبض، فهو عَفِص، ككتف. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٣٤ (عفص).

(٤) قيّد ناسخ س ها هنا: «نزقة الطيش: خفّته، وقد نزِق، كفرح، نزقاً». وفي حاشية ي تعليق بالمعنى ذاته منقول من الصحاح.

(٥) في حاشية ي: «ربع الرجل يربع إذا وقف وتحبَّس. صحاح».

(٦) في حاشية ي: «ويقال للخيل إذا جرت طُلقاً: لقد نزعت. صحاح».

(٧) في حاشية ي: «وأوزعته بالشيء: أغريته به فأُوزع به فهو موزع به، أي: مغرى به».

(٨) في حاشية ي: «تأهب: استعدّ. صحاح».

(٩) الأشهب في الأصل: الحصان الأبيض، استعاره الهمذاني هنا لسرعة المشيب وابيضاض الرأس.

وأنا أرجو أنْ يكونَ ما نسبني إليه وَليُّ النِّعْمة - أدام اللهُ عُلوَّهُ - من الظُّلم والعُدوان، مُطايبةً ومُزاحاً، فإنْ كان اعتقاداً فلأمّيَ الويل، وسال بيَ السّيل.

فأمّا الخَراجُ وتَوابعُهُ، فوالله ما أحوجُ[1] عاملاً إلى اقتضائه[2]، إنّما[3] الحديثُ في جزافٍ[4] يُطلَب، ومُحالٍ[5] يُكْتَب. فأمّا حُقوقُ الدِّيوان أصْلاً وفَرْعاً، فلا يَدَّعي العُمّالُ عليَّ باقياً إلّا غرِمتُ للدِّرْهَم ديناراً، أَمجنونٌ أنا؟ وأمّا الشُّركاءُ فهم يُفَدُّونَني بالأمَّهاتِ والآباء، وقد سَمِع الشّيخ الجليلُ كلامَهم، والذِّكرى تنفَعُ المؤمنين[6].

وممّا أُطرِفُ[7] به المجلِسَ العاليَ - زادهُ اللهُ شرفاً - أنّه كان في جيرتِنا رجلٌ يُكَنّى[8] أبا الهَوْل، كُنّا[9] نُسمّيه أُسْطُوانةَ المسجد لكثرة صَلاتِه، وكان له عمٌّ موسِرٌ لا عَقِبَ له، فرُزِق ولداً على كِبَرِ السِّنّ، فحمَلَ أبا الهَوْل فَرْطُ غمِّه[10] - أنْ زَوى[11] اللهُ عنهُ ميراثَ عمِّه - على تَرْكِ الصَّلاة أصلاً، فكان لا يؤدّي فَرْضاً ولا نَفْلاً، ولا يَرُدُّ

---

(١) في حاشية ي: «وأحوجه إليه غيره. صحاح».

(٢) في حاشية ي: «واقتضى دينه وتقاضاهُ بمعنى. صحاح».

(٣) س: وإنما.

(٤) في حاشية ي: «الجزاف: فارسيّ معرّب من: كزاف. قاموس». كذا زعم، وظاهر أنه الجِزاف بالكسر، مصدر: جازف، كالمجازفة، وهي: المغامرة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٧ (جزف).

(٥) في حاشية ي: «المحال: الحيلة. صحاح».

(٦) تمثُّل بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من الآية ٥٥ من سورة الذاريات.

(٧) الضبط من ي، وعلّق ناسخها عليها بقوله: «أطرف فلان: إذا جاء بطرفة. صحاح».

(٨) الضبط من ي، بتشديد النون، وقال الناسخ في الحاشية: «كنيته أبا زيد وبأبي زيد تكنية. صحاح».

(٩) ص: وكنّا.

(١٠) ي: فُرُطُ عمِّه.

(١١) في حاشية ي: «ويقال: زوى فلان المال عن وارثه. صحاح».

سَلاماً ولا يعمَلُ في الخير عَمَلاً، ولا يغسِلُ اسْتَه مثلاً.

وقد وجدتُ لأبي الهول عِدْلاً وهو أبو فُلان، و[1] كان فيما مضى يُعتِقُ في كُلِّ شَهْرٍ عَبْداً، ويُصلِّي باللَّيل وِرْداً، ويتَّخذُ مصانعَ ورُبُطاً[2]، فرجَعَ من الحضرة وقد سَلَخَهُ اللهُ من كُلِّ خير، وضَرَبَهُ في قالَبِ عَيْر، فهُو الآنَ لا يَشهَدُ جامعاً ولا جُمُعة، ولا يُصلِّي في الظّاهر رَكعة، ولا يُعطي فقيراً حَبَّة، ولا يُرْزَقُ طِفلٌ منهُ محبَّة. وقد اتَّخذ نُقباءَ[3] وأعواناً، وارتَبطَ رَجّالةً وفُرساناً، وقد ملأ الرُّسْتاقَ والبلدَ أجْعالًا[4].

وما سُجِن[5] أحدٌ قبلي على سِعاية، ولولا أمرٌ خَصَّني لَرأيتُ حقّاً لله أنْ أنهَض[6] إلى المجلس العالي لتصوير حالِه. وقد طوَيْتُ هذا الكتابَ على ما عامَلَني به.

وإذا كانت هذه حالي وأنا أمشي بالنّهار على الماء، وأعرُجُ باللّيل إلى السَّماء، عَلِم الشّيخ الجليلُ حالَ العامَّة، وإذا أنعم بالنّظر في الرُّقْعة التي طَوَيْتُ كتابي هذا عليها، وفي جوابِ القاضي في آخرِها وعلى ظهرِها، علِمَ صِدْقَ ما يقولُه العبد.

وللشّيْخ الجليل في تأهيلِ العبدِ للجواب وزَجْر هذا الطّويل عمّا يتعاطاه، رأيُهُ العالي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) من: ص، ي.

(٢) في حاشية ي: «المصانع: الحصون. صحاح». والربط: الملازمة على الأجر وملازمة ثغر العدو كالمرابطة، كما في القاموس.

(٣) في حاشية ي: «النقيب: العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم، والجمع: النقباء. صحاح».

(٤) في حاشية ي: «الجعل، بالضمّ: ما جعل للإنسان من شيء على الشيء يفعله. صحاح». كذا فسّرها، وإنما المراد: أنه اتخذ عمّالاً كُثراً يعطيهم أرزاقهم، فعبّر عنهم بما يجاورهم على سبيل المجاز.

(٥) ص، ي: سجل.

(٦) ي: أنتهض.

وله إليه في شأنِ أبي البَخْتَرِيّ[1]

جَزَى اللهُ الشّيخَ الجليل، السَّيِّدَ النّبيل[2]، أفضلَ ما جازى مَولًى عن عبدِه[3]، وأضعفَ[4] اللهُ له من عندِه. ومَن قال: جزاكَ اللهُ خيراً، فقد أوْلَى جميلاً، وأعطى جَزيلاً[5]، وما قصَّر مَن اتّخذَ اللهَ وكيلاً.

وما بي - أدام اللهُ تمكينَ الشّيخ الجليل - مالٌ حَصَل، أو حقٌّ وَصَل. إنّي لا أعدَمُ في كَنَفِهِ المال، وأبلغُ في دَوْلتِهِ الآمال، ولكِنْ أبو البَخْتَرِيّ حَماني[6] لذيذَ النّوْم، ومنَعَني بَياضَ اليوم. أنّى[7] يكونُ مِثْلي وأنا سَحْتَبٌ[8] ضَرْب، يعبَثُ به

---

(١) في الأصول أينما وردت: البحتري، بالحاء المهملة، والنّصّ يمنعه، فصوابه البَخْتَرِيُّ بباء مفتوحة وخاء معجمة ساكنة وتاء مفتوحة وراء مكسورة وياء النسب. وقال ابن خلكان بعد أن ضبطه: «البختري: من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحّف على كثير من النّاس بالبحتري». وفيات الأعيان، ج٦، ص٤١. ولعلّ أبا البختريّ هذا هو الذي سيذكره الهمذاني في إحدى رسائله اللاحقة على أنه «من عيون التجار». ص٢٩٥.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) قوله: (ما جازى مولى عن عبده) ساقط في ي.

(٤) ص: ثم أضعف، ي: وضعّف.

(٥) مأخوذ من قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء». أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٣٥)؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٨٠).

(٦) في حاشية ي: «حميته حماية، أي: دفعت عنه. صحاح».

(٧) ي: أنْ.

(٨) كذا اللفظان في س، ص، وقيّد ناسخ س في الحاشية: «سحتب، كجعفر: الجريء المقدام، والضرب، بفتح فسكون: الرجل الحاذّ الخفيف اللحم». وفي ي: وأنا شُخُبٌ ضُرُبٌ، وكتب ناسخها في الحاشية: «الشخب، بالضم: ما امتد من اللبن حين يحلب، الضُّرُب: اللبن الحامض جداً. صحاح».

صَفْعان[1] كأنّه دَرْب[2]؟

وكنتُ أسمعُ بِطَرّارٍ[3] كأنّه النَّبْل[4]، ولم أسمَعْ بمُختالٍ كأنّه الطَّبْل. ويقولون: لِصٌّ كالحيَّة في الظُّلَم[5]، وطَرّارٌ كالزَّلَم[6]. فأمّا طَرّارٌ كالسَّلَم[7]، ولِصٌّ في طُول المَنارة وعَرْضِ الغرارة، فلا، إلّا هذا الحُرّ.

وعُنوانُ الأحمق كُنْيتُه ثم بُنْيتُه، ثم حِلْيتُه، ثم مِشْيتُه. وواللهِ، ما أعرف معنى أبي البَخْتَريّ، فهلّا أبو حامد وأبو خالد؟ وإنّ امرأةً تقعُدُ مُدّةً تعصِرُ[8] بطنَها وظهرَها،

---

(١) الصفعان: المصفوع بالكفّ، مجموعةً أو مبسوطة على قفاه أو بدنه. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٠٠ (صفع)؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج١٠، ص٢٦٧. ويرد هذا المصطلح في روايات المصادر الأولية مرادفاً للضعف والمهانة والانكسار. انظر على سبيل المثال: التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٢٧٣. وانظر ما كتبه عبود الشالجي محقق (الفرج بعد الشدة) للتنوخي، ج٣، ص١٨٩، فقد أورد مادة ضافية من المصادر الأولية وعلّق عليها. وفي ي: صعفان، بتقديم العين على الفاء، وفي الحاشية: «الضعف: شراب من العسل يشدخ فيه العنب فيطرح حتى يغلي، والصعفان: المولع بشربه. قاموس».

(٢) في حاشية ي: «الدربة: العادة، ودرب به، كفرح دَرَباً ودُربة بالضمّ: ضري. كذا في القاموس».

(٣) الطّرّار هو اللِّص الذي يطرّ الثياب، أي: يشقّها لسلب ما فيها من دراهم ونحوها. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٩٩ (طرر). وتشبيهه بالنبل لسرعة طرِّه.

(٤) في حاشية ي: «النبل: السهام العربية. صحاح».

(٥) في حاشية ي: «الظلم: جمع ظلمة، وهي خلاف النور».

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الزّلم، بالتحريك: السهم قبل أن يُراش، وقد تضم الزاي، وجمعه: أزلام». وفي حاشية ي: «الزّلْم: القِدح، والجمع أزلام». وهو معنى ولفظٌ غير مرادين هنا، بل المراد السهم عارياً. وفي (كشف المعاني): «والمراد أنه حقير». ص١٥.

(٧) في حاشية ي: «والسلم أيضاً: شجر من العضاه. صحاح». ويفهم من قول الناسخ: و«السلم أيضاً» أنه أراد تعداد معاني هذه الكلمة، غير أنه لم يكتب سوى هذا الذي ذكره، وهو المتعين المراد، ووجه الشبه فيه: الضخامة والظهور، يعضده قوله الآتي: (ولصّ في طول المنارة...).

(٨) ي: تُغِصُّ، وكتب ناسخها في الحاشية: «والمنزل غاصّ بالقوم، أي: ممتلىء بهم. صحاح».

وتعُدُّ يومَها وشهرَها، ثم تُسمّيه بالبَخْتريِّ، لَرعْناءُ[1] لا تستحقُّ مهرَها، وخليقةٌ أنْ تطُمَّ نهرَها[2]، فلا تلِدُ دهرَها. ثم الوجهُ اللّحيم لا يحمِلُهُ الكريم[3]، والأنف السّمين لا ينقُلُه الأمين، والقَطْف[4] سَيْرُ الحمير، والهَرْولةُ[5] مِشْيةُ الخنازير[6].

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «رجل أرعن وامرأة رعناء: وهو الأهوج في منطقه، والأحمق المسترخي دماغُه». ويشبه هذا ما كتبه ناسخ ي في الحاشية، حيث كتب: «الرعونة الحمق والاسترخاء، وامرأة رعناء بيّنة الرعونة. صحاح».

(٢) في حاشية ي: «أن تطم نهرها من قولهم: جاء السيل فطمّ الركية، أي: دفنها وسواها. صحاح».

(٣) س، ي: كريم، أثبتنا ما في ي؛ لأن اللفظ المزاوج له قبله معرَّف.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «القطف: مصدر قطفت الدابة فهي قطوف، وهو البطء، وقيل: ضيق المشي، وقيل: تقارب الخطو في سرعة والاسم: قطاف».

(٥) في حاشية ي: «الهرولة: ضرب من العدو، وهو بين المشي والعدو. صحاح».

(٦) كتب ناسخ ي في الحاشية: «بلغ» دلالة على موضع انتهاء المقابلة لهذه النسخة.

وله إليه

في هزيمة السّامانيّة بباب سَرَخْس[1]

ما أظُنُّ - أطال اللهُ بقاء الشّيخ السَّيِّد - آلَ سامان[2] إلّا مُدَّعِينَ على الله مُقاطعةَ أرضِهِ ومُساقاةَ ثِمارِها. يا هؤلاء[3]، لا تُكابِروا اللهَ في بِلاده، ولا تُرادُّوا[4] اللهَ تَعالى غيرَ مُرادِه، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[5].

وما أرى آلَ سِيمْجُور[6] إلّا مُعتَقِدينَ أنَّهم يأخُذونَ خُراسان قَهْراً، كأنّما[7]

---

(١) في سنة ٣٨٩هـ تواطأ اثنان من قادة الجيش في الدَّوْلة السّامانية (٢٦١-٣٨٩هـ) هما: بَكْتُوزون وفائق الخاصّة، وقبضا على الأمير السّاماني منصور بن نوح بن منصور، وخلعاه وسَملاه، ونصّبا أخاه عبد الملك - وهو صبي صغير - بدلاً منه؛ فغضب محمود بن سُبُكْتِكين - وهو من رجال السّامانيين - لذلك التصرّف وسار إليهما. انظر تفصيل ذلك عند: العتبي، اليميني، ص١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣. وسرخَس مدينة كبيرة من نواحي خراسان، بين نيسابور ومرو. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٢) في حاشية ي: «قوله: (آل سامان): مفعول قوله: (ما أظن)، وقوله: (أطال الله بقاء الشيخ السيّد): معترضة. م.س».

(٣) كتب ناسخ ي تحتها بخطّ دقيق: «التفات».

(٤) في حاشية ي: «رادّه: ردّ عليه. قاموس».

(٥) من الآية ١٢٨ من سورة الأعراف. (يا هؤلاء إلى نهاية الآية) جعلها ناسخ ي رسالة قصيرة قائمة بذاتها في مكان آخر، حذفناها هناك بالطبع.

(٦) ص، ي: سمجور. وآل سِيمْجور: أسرةٌ كان لها مكانة كبيرة في دولة السّامانيين، وخدم رجالها الدَّوْلة السّامانية كقادة ومدبّري جيوش، وتسلّم بعض أمرائها منصب قيادة الجيوش السّامانية، ومقرها نَيْسَابور. عنهم، انظر: العتبي، اليميني، ص٧٧ وما بعدها؛ السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٣٦٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤.

(٧) ي: آنّما.

كانت لأمِّهم مَهْراً، فلهم من حولِها مَحِيط، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾[1].

وبلَغني أنّ صاحبَهم[2] أُسِر، فإنْ كان ما بَلَغني صَحيحاً، فمَرْحباً بالآسر، ولا لعاً للعاثر[3]. حَتّامَ[4] كُفْرُ الكافر، وغَدْرُ الغادر!

وأبو الحُسين بنُ كثير[5] - خَذَلَهُ الله - لا يكادُ يُرى الخيرُ من ابـنِ واحـدٍ، أفـيُرى وَجْهٌ[6] من ابن كثير، وهـو التِّرْيـاق[7] المجـرَّب، للمَلِـكِ المقـرَّب، يُقـذَفُ[8] مـن كـلِّ جانب دُحوراً[9]؟ هذا المؤيَّدُ من السَّماء بيُمنِ تدبيرِه، يُلتَمسُ[10] في نيرِه[11]. وهذا سِـنانُ الدَّوْلة[12] ببرَكَة ضميرِه، وَقَع في تحيِيرِه، ولا يَزالُ هذا البائس حتى يَسُلَّ اللهُ العافيةَ عن بَدَنِه.

---

(١) الآية ٢٠ من سورة البروج.

(٢) أي: الأمير منصور بن نوح السّاماني (٣٨٧-٣٨٩هـ).

(٣) في حاشية ي: «يقال للعاثر: لعاً لك عالياً: دعاء له بأن ينتعش. صحاح».

(٤) في حاشية ي: «حتى ما، أي: إلى ما؟».

(٥) أبو الحسين مُحمّد بن كثير وزير الأمير منصور بن نوح. ذكره الثّعالبي، وأورد ما مدحه به الشاعر البخاري الأصمعي:

صـدر الـوزارة أنـت غـير كثـيرِ ... لأبي الحسـين مُحمّـد بـن كثـيرِ

تتمة يتيمة الدهر، ص٢١٩.

(٦) ص: أفنرجوهُ.

(٧) دواء السّموم، والعرب تسمي الخمر تِرْياقاً لأنها تذهب بالهمّ. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٢ (ترق).

(٨) في حاشية ي: «القذف: الرمي».

(٩) تمثّل بقوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا﴾ من الآيتين ٨ و٩ من سورة الصّافات. وكتب ناسخ ي: «الدحور: الطرد والإبعاد. صحاح».

(١٠) ي: يلمس.

(١١) ي: ونير الطريق.

(١٢) هو بَكْتُوزون سابق الذكر. البيروني، الآثار الباقية، ص١٣٤.

وحديثٌ؛ ما حديث هذا الجمّال[1]؟ كان إبليسُ يَقسِمُ كُلَّ صَبيحةٍ اللّحى[2] ألفاً، فصار يقسِمُ ألوفاً. سلطانٌ آتاه[3] اللهُ واسطةَ البَرّ، وحاشية البَحْر، وأمكنَهُ من طاغية الهند، وسخَّر له مُلُوكَ الأرض، يُريدُ جمّالٌ مُراغمتَه[4]؟

يا لَلرِّجال لِنازلِ الحَدَثانِ

إنّي لَأعجَبُ من رأسٍ يُودَعُ[5] تلك الفُضولَ فلا ينشَقّ[6]، ومن عُنُقٍ يحملُ ذلك[7] الرأسَ فلا يندَقّ[8]. وما أجِدُ لابن محمودٍ[9] مِثلاً إلّا ابنَ الرّاوَنْديّ[10] إذ ذهب

---

(١) ي: الكمال.

(٢) في حاشية ص: «من قولهم: لحاه الله، أي: قبّحه ولعنه». وفيه نظر. وفي الموروث الشعبي في جنوب العراق أن إبليس كان يوزع شعر اللحى على الرجال في بعض البلدان، فكان في البداية يعطي كثيراً، ثم تناقص الشعر، فصار يعطي أقل، وهكذا. ولم أهتد إلى ما قصد.

(٣) في حاشية ي: «وآتاه إتياناً، أي: أعطاه».

(٤) في حاشية ي: «المراغمة: المغاضبة، يقال: راغم فلان قومه: إذا نابذهم وخرج عنهم. صحاح».

(٥) ي: تودع.

(٦) ي: تنشقّ.

(٧) س، ص: ومن عنق تحمل تلك، وما هنا من ي، وهو الموافق لمعتمد المؤلف في تذكير هذين اللفظين، ويعضده تكرار التذكير عنده للرأس بعد ٣ سطور.

(٨) س، ص: تدقّ. وعبارة (إني لأعجبُ .... يندق) كررها ناسخا ي، س فيما بعد في رسالةٍ قائمة بذاتها، فحذفناها ولم نثبتها.

(٩) لا أدري من المقصود بابن محمود هذا !

(١٠) ي: الرّيوندي. وهو: أبو الحَسَن أحمد بن يحيى بن إسحاق، من قرية راوَنْد بين كاشان وأصفهان. مضطرب العقيدة، تحول بين اليهودية والاعتزال والتشيع والزندقة والإلحاد. ألّف كتباً كثيرة، ولم يصلنا من كتاباته إلا أقل القليل. عنه، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٥٩؛ بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص٨٩.

إلى ابـن الأعـرابيّ[1] يسـأله عـن قـول الله تعـالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[2] أتقولُ العربُ: ذُقتُ اللِّبـاسَ؟ فقـال: لا بـاسَ ولا[3] لبـاس[4]، وإذا حيّـا اللهُ النّاس، فلا حيّا ذلك الراس، هَبْكَ تَتَّهِمُ مُحمّداً لم يكنْ نبيّاً، أتتَّهِمُه بـأنْ لم يكـنْ فصيحاً عربيّاً؟ وجئتَ تسألُ ابنَ الأعرابيّ[5]، أليس الأعرابيُّ نفسُه جاءَ بهذا الكلام[6]؟

كذلك ابنُ محمودٍ ينفُضُ اسْتَه ويضرِبُ مِذرَوَيْهِ[7] لِيَنالَ المُلكَ، لا لوافر عُدَّة، ولا لكثرة عِدَّة، إنّما يطمَعُ في المُلك لأنه ابنُ محمود. أفليس محمودٌ نفسُه بالمُلك أحقَّ؟

فالحمدُ لله الذي نصَـرَكم وأخـزاهم، وثبَّـتكم ونَفـاهم[8]، وأركـبَ أُخـراهم[9] أُولاهم. فلا رحِمَ اللهُ قَتْلاهم، ولا جَبَرَ اللهُ جَرْحاهم، ولا فكَّ أَسْراهم[10]، ولا أراكـم إلّا قفاهم[11]، وإنْ أقبلوا ففضَّ اللهُ فاهم، ويرحَمُ اللهُ عبداً قال آمينا[12].

---

(١) أبو عبد الله مُحمّد بن زياد الهاشمي (مولاهم)، أحد أئمة اللغة، وله مصنّفات عديدة، ولد بالكوفة، ومات سنة ٢٣١هـ بسامراء. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦٨٧.

(٢) من الآية ١١٢ من سورة النحل.

(٣) س: لا، من غير واو.

(٤) في النسخ: باس، والتصحيح من مصدر التخريج، وفيه بعد هذا: «يا أيها النسناس».

(٥) عبارة ي: وحيث ليس ابن الأعرابي، بدل قوله: وجئت تسأل....

(٦) تفصيل ذلك أورده الرازي في تفسيره المسمى مفاتيح الغيب، ج٢٠، ص٢٧٩.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المذروان: أطراف الأليتين، ولا واحد له، ولو كانت مذرىً واحدة لقيل: مذرايان».

(٨) ي: وبقّاهم، خطأ بيّن.

(٩) ي: آخرهم.

(١٠) ي: أسرارهم.

(١١) ي: قضاهم.

(١٢) ي: آمين، وهذا خطأ واضح. عجز بيتٍ لقيس بن الملوَّح، وصدرُه:

يارب لا تسلبنّي حبّها أبداً

ديوانه، ص٣١.

وله إليه

في هزيمة السّامانيّة بباب مَرْو[1]

وَرَدَتْ رُقْعة الشّيخ الجليل – أدام اللهُ بسطتَه – مِنّي على صَدْرٍ انتظرَها، وقَلْبٍ استَشْعَرها. وإنّي لا أغلَطُ[2] في قومٍ أميرُهم صبيّ[3]، ولا في دَوْلةٍ عميدُها خَصِيّ[4]، وسِنانُها حَلَقي[5]، ونَصيرُها شَقيّ، وعَدوُّها قويّ، إنّي إذاً لَغَويّ[6].

يا قوم، بماذا يُنصَرون؟ أبِمالٍ عليه اعتمادُهم! أم بجَمْعٍ هو إمدادُهم[7]! أم بعَدْلٍ به اعتضادُهم[8]! أم لرأيٍ هو عمادُهم! هل هم إلّا سُطورٌ في قَطور[9]؟

---

(١) ذلك في القتال الذي دار بين محمود الغزنوي من جانب، وبكتوزون وفائق من جانب آخر، وكان في آخر جُمادى الأولى من سنة ٣٨٩هـ. تفصيل ذلك عند: العتبي، اليميني، ص١٦٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣.

(٢) ي: أُغلط.

(٣) المراد الأمير عبد الملك بن نوح السّاماني (ت٣٨٩هـ) آخر أمراء السّامانيين. انظر الهامش (١) في الرسالة السابقة.

(٤) المراد به فائق الخاصّة، وكان خصيّاً. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥.

(٥) ي: خلقي. وبحاشية س: «حلقي: منسوب إلى الحلق بكسر فسكون، وهو خاتم الملك، والحلق أيضاً المال الكثير». وهو تفسيرٌ خاطىء. والمقصود به: سنان الدولة بكتوزون، وَصَمه الهمذاني بأنه حَلَقي، أي: محلوق، بمعنى مفعول. قال المحبّي: «حَلَقِي: بفتحتين بمَعنى مَفعول، هكذا استَعمله المولَّدون. قال ابن الأنباري: الحلقي الذي في ذَكَره فساد، ولا يصلُ من أجلِهِ أن يَنكِح، لكنَّه يُنكَح. قال: وهو مأخوذ من قول العرب: حَلَقَ الحمارُ يحلق حَلقاً إذا أصابَهُ داءٌ في قضيبِهِ، فرُبَّما خُصيَ، ورُبَّما ماتَ». قصد السبيل، ج١، ص٤٣٩.

(٦) ي: لقويّ، خطأ.

(٧) ص، ي: مدادهم.

(٨) ي: إعضادهم.

(٩) عبارة ي: شطور في فطور.

إنّ اللهَ تَعالى عَلِمَ أنّهم إنْ ملَكوا لم يُصلحوا، وأمْرُهم أَبى[1] إلّا أنْ لا يُفْلِحوا؛ فسَمِعوا[2] وأطاعُوا. طائِفةٌ من المدابير، وُقوفهم[3] بينَ النّار والنِّير[4]، إنْ أقاموا فالسّيوفُ الهُنْدُوانيّة، وإنْ أيْمَنوا فالأتراكُ والخانيّة[5]، وإنْ أيْسَروا[6] فجُرْجان[7] والجُرْجانيّة[8]، وإن استأْخَروا فالعَطَشُ والبَرِّيّة. هو الموتُ إنْ شاءَ اللهُ آخذاً بالحَلاقيم، مُحيطاً بالظّاعن منهم والمُقيم.

---

(١) هذه الكلمة من س فقط، وبها ينجبر الكلام، وعبارة ص، ي: وأمر بهم أنا إن لا تفلحوا.

(٢) ي: فتسمّعوا.

(٣) مكانها في س، ي: وقرعهم.

(٤) ي: والنيران، والمثبت من س، ص، وقيّد ناسخ س: «النِّير، بالكسر: القصب».

(٥) ي: والحسانية. والدولة الخانية أو القَرَخانية أقامتها قبائل القارلوق التركية على التخوم الشمالية لدولة السّامانيين، متخذةً من طِراز عاصمةً لها، وذلك في حدود سنة ٢٢٥هـ. وصارت هذه الدولة تنمو وتتوسع، إلى أن طمع زعيمها أيلك خان نصر بن علي بأملاك السّامانيين الذين كانوا في طور الضعف والانهيار، فتحالف مع الغزنويين وانقضّوا على الدولة السّامانية وأسقطوها واقتسموا أملاكها.

وظلت هذه الدولة تحكم أجزاء كبيرة من تركستان، ثم فقدت كثيراً من أملاكها لصالح السّلاجقة، وسقطت أخيراً تحت ضربات قوة قبائل الخطا في حدود سنة ٥٣٦هـ.

وكان محمود بن سُبُكْتِكين الغزنوي قد تحالف مع أيلك خان ملك القَرَخانيين، وهزما بكتوزون وفائقاً اللذين قادا الجيش السّاماني إلى هزيمة منكرة؛ فسقطت دَوْلة السّامانيين وتقاسم المنتصران أملاكها. انظر: النرشخي، تاريخ بخارى، ص١٣٤؛ العتبي، اليميني، ص١٧٩؛ الكرديزي، زين الأخبار، ص٣٠٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥.

(٦) ي: أسرّوا.

(٧) بعد أن انهزم بكتوزون هرب إلى جرجان، وتوصف جرجان برداءة هوائها وثمرها، فمن أقام فيها وأكل من تينها لا يلبث أن يموت ويحمل في التابوت ويوسد في حفرته، كما سيقول بَديع الزّمان، بعد قليل.

(٨) قصبة إقليم خَوارِزْم على شاطىء جيحون. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٢٢.

جُرْجان يا مَدابيرَ حِرْجان[1]، إنّ بها أكْلَةً من التِّين[2]، ومَوْتَةً في الحِين، ونَظـرةً إلى الثمار، وأخرى إلى التّابوتِ والحفّار[3]، ونَجّاراً إذا رأى الخُراسـانيَّ نَجَـرَ التّـابوتَ عـلى قَدِّه، وأسلَفَ الحفّارَ على لَحدِه، وعطّاراً يُعِدُّ الحَنـوط برَسْـمِه[4]. وبهـا للغريـب ثـلاثُ فتحاتٍ للكِيس[5]، أوّلُها[6]: لِكراءِ البُيوت، والثانيـةُ: لابتيـاع القُـوت، والثالثـةُ: لـثمن التّابوت. أغْلَى اللهُ بهم أسواقَ النجّارينَ والحفّارينَ والمُكارِين، آمينَ يا[7] ربَّ العالمين.

---

(١) عبارة ي: جرجان يا مذابير جرحان (كذا)، وما هنا من س، ص، وكتب ناسخ س بهامشها: «حِرْجان: تثنية حِرْج، بكسر فسكون، وهي حِبالةٌ تنصب للسّبع». وهو تفسيرٌ فيه نظر.

(٢) عبارة ي: إنّ بها شمّة من التتن.

(٣) عبارة ي: والأخرى إلى الياقوت والجفار.

(٤) من ص، وأخلّ بها س، ي.

(٥) ي: للكسر.

(٦) كذا في الأصول، وصوابه: أولاها.

(٧) ساقطة في ي.

وله إليه

في فَتْح بَهاطية[1]

إنّ اللهَ – وهو العليُّ العظيم، المُعطي ما شاءَ – مَنَّ على الأسنان[2] بهذا اللِّسان. خَلَقَ ابنَ آدمَ وأودعَ فكَّيْه مُضغةَ لحمٍ يُصرّفُها في القرونِ الماضية، ويُخبِرُ بها عن الأُمم الآتية؛ يُخبِرُ بها عمّا كان بعدَ ما خُلِق، وعمّا يكونُ قبلَ أنْ يُخلَق، يَنطِقُ بالتَّواريخ عمّا وقَع من خَطْب، وجَرَى من حَرْب، وكان من يابسٍ ورَطْب، ويَنطِقُ بالوَحْي عمّا سيكونُ بعد، وصَدَّقَ عن الله بالوَعْد.

ثم لم ينطِقِ[3] الشارعُ[4] بما كان، ولا الوَحْيُ بما يكون، أنّ اللهَ تَعالى خصَّ أحداً من عِباده ليس[5] النبيِّين بما خصَّ به الأميرَ السَّيِّد يمينَ[6] الدَّوْلة وأمينَ المِلَّة، ودونَ

---

(١) في س، ص: «بهاضية» بضاد بعد الألف، وضبطها ناسخ س بفتح الباء وكسر الضاد وياء مشدّدة وما هنا من ي، وهو الصواب، وإن كتبها في الصفحة الآتية مثلهما. وهي بهاطية كما عند: العتبي صاحب سيرة السُّلْطان محمود الغزنوي، وقد أسهب في شرح وقائع هذه الوقعة. اليميني، ص٢٧٨؛ وابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٣. وهي مدينةٌ من أعمال الهند، حصينة عالية الأسوار، يحيط بها خندق عميق. قال عبد الحي حبيبي (محقق كتاب زين الأخبار): بهاطية معرب بهت وبهتيان، وهي قبائل كانت تعيش في السند العليا. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢٦٨؛ وهي عند البيروني (بهاتي). تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٤٥؛ وطاؤها منقلبة عن تاء، والتاء لا تقلب ضاداً بحال. وذكرها مستوفي (هياطية)، ولعلها تصحيف من الناسخ. نزهة القلوب، ص٢٥٩؛ وجاءت (بهاريته) عند هروي، طبقات أكبري، ج١، ص٢٦.

(٢) س، ص: الإنسان، وما هنا من ي، وهو أكثر اتّساقاً، لقوله بعدُ: وأودع فكّيْه.

(٣) س، ص: ولم ينطق.

(٤) ص: التاريخ.

(٥) استعمل (ليس) هنا بمعنى: عدا، وهو غير شائع، واللفظة في الأصول الثلاثة، فيدل على أنها من المصنف رحمه الله.

(٦) ي: أمين. والمقصود به محمود بن سُبُكْتِكين.

الجاحد إنْ جَحَدَ أخبار الدَّوْلة العَبّاسية، والمُدَّةِ المَرْوانيّة[1]، والسِّنينَ الحَرْبية[2]، والبيعةِ الهاشميّة، والأيّام الأُمويّة، والإمارة العَدَويّة[3]، والخِلافة التَّيْميّة[4]، وعَهْدِ الرِّسالة، وزمانِ الفترة. ولولا الإطالةُ لَعدَدْنا إلى عادٍ وثَمودَ بَطْناً بَطْناً، وإلى نُوحٍ وآدمَ قَرْناً قَرْناً.

ثم لم يجدْ قائلٌ مَقالاً أنّ مَلِكاً وإنْ علا أمرُه، وعظُم قدْرُه، وكبُرَ سُلطانُه، وهبَّت ريحُه، طَرَقَ الهندَ فأسرَ طاغيتَها بَسْطةَ مُلْكٍ ثم خلّاه، وعَرَضَ الأرض قُوَّةَ قلْب، وصبَّح سِجِسْتان وهي المدينةُ العذراء، والخِطّةُ[5] العوراءُ، والطِّيَّةُ[6] الغَرّاءُ، فأخذ مَلِكَها أخْذةَ عِزٍّ وعُنْف، ثم خلّاهُ تَخلِيةَ[7] فَضْلٍ ولُطْف.

ثم لم يلبَثْ أنْ خاضَ البحرَ إلى بهاطية[8]، والسَّيلُ والليلُ جُنودُها، والشوكُ والشَّجرُ سِلاحُها، والضِّحُّ[9] والرِّيحُ طريقُها، والبَرُّ والبحرُ حصارُها، والجنُّ والإنسُ أنصارُها. فقَتَلَ رِجالَها، وغنِمَ أموالَها، وساقَ أفيالَها[10]، وكسَّر أصنامَها، وهدَّم[11]

---

(١) نسبةً إلى مروان بن الحكم.

(٢) نسبةً إلى معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

(٣) نسبةً إلى الخليفة عمر بن الخطاب العَدَوي القرشي.

(٤) نسبةً إلى الخليفة أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة التَّيْمي القرشي.

(٥) قيّد ناسخ **س** في الحاشية: «الخِطّة بالكسر: الأرض التي تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك. والعوراء: تأنيث الأعور، والمراد هنا: الطريق الذي لا عَلَم فيه».

(٦) عبارة **ي**: والطيّبةُ العَرَاءِ، على الإضافة. وما هنا من **س، ص**. وهو الأليق والأنسق مع قوله قبل: (والخطّة..)، فهما مترادفان. والطِّيّة هي الجهة التي تطوى إليها البلاد، والناحية، والنّية التي نواها. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٠ (طوي).

(٧) **ي**: خلية.

(٨) في الأصول في هذا الموضع: بهاضية، وقد تقدّم التعليق عليها.

(٩) **س، ص**: والصبح، وكلاهما بمعنىً، فالضح بالكسر: الشمس.

(١٠) في الأصول: أقيالها، مجوّدة، ولعلّ الأصح ما أثبتناه.

(١١) تشديد الدال اختيار ناسخ **ي**.

أعلامَها. كُلُّ ذلك في فُسحةِ شَتْوة، قبلَ أنْ يتطرَّقَها الصَّيف، توسَّطَها السَّيْف، وهو اللهُ مالكُ الملكِ[1] يُؤتي المُلكَ مَن يشاء وينزِعُه مِمَّن يشاء[2].

ثم حكَمَتْ عُلماءُ الأمَّة، واتّفقَ قولُ الأئمَّة، أنّ سيوفَ الحقّ أربعةٌ، وسائرُها للنّار: سَيفُ رسُول الله صلّى الله عليه وسلَّم[3] في المشركين، وسيفُ أبي بكرٍ في المُرتَدِّين، وسيفُ عليٍّ كرَّم الله وجهَهُ[4] في الباغين، وسيفُ القِصاص بين المسلمين.

وسيوفُ الأمير – وفَّقه اللهُ – في مَواقِفِه، لا تَخرُج عن هذه الأقسام: فسَيْفُه بظاهِرِ هَراة فيمَن عطَّل الحدّ، واتُّهم بأنّه ارتدّ. وسَيْفُه[5] بظاهِرِ غَزْنة سَدَّ في وَجْهِ العُقُوق نوعاً من الكُفر والفُسُوق. وسَيْفُه بظاهِرِ مَرْو فيمَن نَقَض العَهْدَ بعد تَغليظِه، ونبَذَ اليمينَ بعدَ تأكيدِه. وسَيْفُه بظاهِرِ سِجِسْتان فيمَن نبَّه الحربَ بعدَ رُقودِها، وخلَعَ الطّاعةَ بعدَ قَبُولِها. وسَيْفُه الآنَ في دِيار الهِند سَيْفٌ قُرِنتْ به الفُتوح، وأثنتْ عليه الملائكةُ والرُّوح، وذلَّت به الأصنام، وعزَّ به الإسلام، والنبيُّ عليه السَّلام، واختصَّ بفَضْلِه الإمام، واشترك[6] في خيرِه الأنام، وأُرِّخَتْ بذكْرِه الأيّام، وأُحفيتْ بشَرْحِه[7] الأقلام.

وسنَذكُرُ من حديثِ الهِند وبِلادِها، وغِلَظ أكْبادِها، وشِدَّة أحْقادِها، وقوَّةِ اعتقادِها، وصِدْق جِلادِها، وكَثْرةِ أجنادِها، نُبَذاً؛ ليعلَمَ السّامعُ أيَّ[8] غزوةٍ غَزاها الأميرُ السَّيِّد.

---

(١) س، ي: الملوك، والمثبت من ص وحدها، وهو الموافق للآية الكريمة بعد.

(٢) تمثُّل بقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ سورة آل عمران، من الآية ٢٦.

(٣) الصلاة على النبي سقطت في ي.

(٤) من ص.

(٥) ي: فسيفه.

(٦) ي: واستدك، ولم أتبينها.

(٧) ص: لشرحه.

(٨) ي: أنّ.

إنّها بِلادٌ لو لم تُحْيِها السَّحابُ بِدَرِّها، لأهلكتْها الشّمسُ بحرِّها، فهي دَوْلةٌ بينَ الماء والنّار، ونوبةٌ بين الشّمس والأمطار، تَقْدُمُها صِعابُ الجبال، وتحجُبُها رِحابُ القِفار، ويعصِمُها[1] مُلتَفُّ الغِياض، وتحُفُّها[2] طَواغي[3] الأنهار؛ حتى إذا خُرِقَت هذه الحُجُب، خلَصَ إلى عدد الرَّمْل والحَصى[4] رجالاً، وشِبْهِ الجِبالِ أفيالاً[5]، وأنزاعِ[6] المَخاض جلاداً، ومِسْنافِ الجِمال[7] طِعاناً، وأركانِ الجِبال ثَباتاً، ثم لا يعرِفونَ غدْراً[8] ولا بَياتاً، ولا يَخافونَ مَوتاً ولا حياة[9]، ولا يُبالُونَ على أيِّ جَنْبَيْه[10] وقَع الأمر، ويَنامُونَ وتحتَهم الجَمْر.

وربّما عمَدَ[11] أحدُهم لغير ضَرورةٍ داعية، ولا حَمِيّةٍ باعثة، فاتَّخَذَ

---

(١) ي: وكعصيمها.

(٢) ي: ولحضيها.

(٣) ي: طواعي.

(٤) هذه الكلمة تكتب بالألف الممدودة، كقناة وقنا، وهو اختيار ناسخ ي، ويجوز بالألف المقصورة، كنواة ونوى، وهو اختيار ناسخي س، ص.

(٥) كذا في س، ص، بفاء، جمع فيل، الحيوان الضخم المعروف، وفي ي: أقيالاً، بقاف. والمصنف يستعمل هذه اللفظة قريباً في الفقرة الآتية، وهو قوله: (وقيلة تلك أهوالها)، ثم في آخر هذه الرسالة يستعمل الفيل، وهو قوله: (والفيلة كأنها الجبال).

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «أنزاع المخاض، أي: أشباهها وأمثالها، من قولهم: نزع فُلان إلى أبيه، أي: أشبهه، والمخاض: النُّوق الحوامل».

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المسناف بكسر الميم هو: البعير يؤخّر الرحل، وكذا الذي يقدّمه».

(٨) ي: عذراً. وما هنا من س، ص، كأنه أراد: لا يغدرون ولا يبيتون نية على غدر.

(٩) كتب ناسخ ي هذه الكلمة: حياتاً.

(١٠) س: جنبيهم.

(١١) كسر ناسخ س ميم عمد، وليس صواباً، فبابه: ضرب.

لِرأسِهِ[1] من الطِّين إكليلاً، ثم قوَّرَ قِحْفَهُ فحشاه فَتيلاً، ثـم أضرَمَ في الفَتيـل[2] نـاراً ولم يتأوَّهْ، والنّارُ تحطِمُهُ عُضواً فعُضواً، وتأكُلُهُ جُزءًا فجزءاً. فأمّا مُحرِقُ نفسِـهِ ومُغرقُهـا[3]، وآكلُ لحمِه، ومُفصِّلُ عظمِه، والرّامي بها من شاهق، فأكثرُ مـن أنْ يُعَـدَّ، وأقلُّهـم مَـن يموتُ حَتْفَ أنْفِه، فإذا مات هذه المِيتةَ أحدُهم سُبَّ بها أعقابُه[4]، وعَظُم عندَهم عِقابُه.

بلادٌ هذه حالُها، وقَيْلةٌ تلك أهوالُها، وجِبالٌ في السَّماء قِلالُها، وفَلاةٌ يلمَعُ آلُها[5]، وغِياضٌ ضيِّقٌ مجالُها، وأنهارٌ كثيرةٌ أوْحالُها، وطريقٌ طويلٌ مِطالُها، ثم الهندُ ورجالُها، والهُنْدُوانيَّةُ واستعمالُها.

زَحَمَ الأميرُ السَّـيِّد – أدام اللهُ ظِلَّـه – هـذه الأهـوالَ[6] بِمَنْكِبِـه مُحتسِـباً نفسَـه، معتمِداً نصرَ الله وعونَه، فركَضَ إليهم بعونٍ من الله لا يَخذُل، ومَدَدٍ من التوفيق لا يَفتُر، وقلبٍ عن الأهوال لا يَجبُن، وحثٍّ على المطلوبِ لا يَقصُر، وسيفٍ عن[7] الضَّـريبة لا يَنكُل؛ فسهَّل اللهُ له الصَّعْب، وكشفَ به الخَطْب، ورجعَ ثانياً[8] مـن عِنانِـه بالأُسـارى تنظِمُهُم[9] الأغلال، والسَّبايا تنقُلُهم[10] الجِمال، والفِيَلَـةِ كأنَّهـا الجبـال، والأمـوالُ ولا الرِّمال.

---

(١) ص: رأسه.

(٢) ي: الفتل.

(٣) تحرّفت هذه الكلمة في ي إلى (ومعرفتها).

(٤) ي: اعتقابه.

(٥) رسم ناسخ ي هذه الكلمة على صورة البهاء. والآل: السراب.

(٦) س: وهذه الأهوالُ، على الابتداء، خطأ.

(٧) ص: على.

(٨) ي: ثانية.

(٩) ي: تنطنهم، كذا قرأتها.

(١٠) س: تحملهم.

فَتْحٌ ذخَرَهُ اللهُ عن الملوكِ السّالفةِ الخالية، الكَفَرةِ[1] الطّاغية، الجبابِرةِ العاتية، حتى وَسَمَه بثارِه[2]، وجَعَله بعضَ آثارِه، والحمدُ لله مُعزِّ الدِّين وأهلِه، ومُذلِّ الشِّرك وحِزبِه، وصلّى اللهُ على مُحمّد وآله.

(١) ي: الكفر.

(٢) ي: بناره، وهو وجه محتمل.

وله رَحِمه اللهُ تَعالى[1]

دواءُ الشّوق - أطال[2] اللهُ بقاءَ القاضي الإمام - أنْ يَخلُص قلمٌ لا يُطلَبُ منهُ الخلاص، وإن انتَظر حتى تُمكِنَهُ قَصيَّةٌ[3] همَّتِه طال عليه، وعلى منتجعي ما لديه، ووَدَّ الشيطانُ لو ظَفِر بهذا منه[4]. فحاضرُ الوقتِ ومَوْجودُ اليوم أنّ هذا العالِمَ الأصيلَ متبرِّمٌ بالمقام، منتفِضٌ للمطار، صُوفيُّ الطَّبْع في الانتظار، ناريُّ[5] المِزاج، حارُّ[6] الأمشاج، ولا عُلْقَةَ له بهَراة إلّا القاضي الإمام، والسَّلام.

---

(١) الترحُّم سقط في ص، ي. وفي ي كتب الناسخ: وله إليه أيضاً. ولا يصح، إذ إن الأيض يعني أن الرسالة موجّهة إلى المرسل إليه في الرسالة السابقة نفسه، وهو ما يجانب الصواب، حيث إن الرسالة السابقة وجهها الهمذاني إلى الوزير أبي العباس الإسفراييني. أما هذه الرسالة فموجّهةٌ إلى قاضٍ.

(٢) س: أدام.

(٣) ص: قضية، بالضاد المعجمة، وما هنا من س، ص، وقيّد ناسخ س في الحاشية ها هنا: «القصيّة كعطيّة: الناقة الكريمة النّجيبة المبعدة عن الاستعمال، وعليه فالإضافة فيه من قبيل لُجين الماء».

(٤) ي: لو ظفر بها وأمنه.

(٥) ي: باري، مجوّدة.

(٦) ي: جار، مجوّدة.

وله – رَحِمه الله – حَنيناً[1] إليه أيضاً[2]

رُقْعتي هذه – أطال اللهُ بقاءَ[3] الشّيخ الجليل – من بعض الفَلَوات، ولو جَهِلْتُ أنّ الحِذق لا يزيدُ في الرِّزق، وأنّ الدِّعة لا تحجُبُ السَّعة، لَعذَرْتُ نفسي في الرَّحلِ أَشُدُّهُ، والحبلِ أمُدُّه، ولكنّي أعلَمُ هذا وأعمَلُ ضِدَّه، وأصِلُ سُراي بسَيْري، ليُعلَمَ أنّ الأمرَ[4] لغيري. وإلّا فمَن أخَذَني بالمطار، في هذه الأقطار، والمصار[5] في هذه الأمصار، لولا الشّقاء؟ ألم[6] يأتِني العمرُ مهيجاً[7]، والرِّزقُ[8] نهيجاً نضيجاً، حتى آتيَهُ قَصْداً، وأتكلَّفَ له زَرْعاً وحَصْداً، وأُعارِضَهُ شَيّاً[9] وطَبْخاً، وأعرِضَ[10] له الشِّعاب، والجِبالَ الصِّعاب، وأنزِلَ بمُناخ[11] السُّوءِ[12]؛ لكنَّ المرءَ يُساق إلى ما يُرادُ به، لا إلى ما يُريد.

---

(١) كلمة الترحُّم والحنين سقطتا في ص. وهذه الرسالة موجهةٌ إلى الوزير أبي العباس الإسفراييني فيما يبدو، وهو الذي اعتاد على مخاطبته بالشيخ الجليل.

(٢) الأيض سقط في ي.

(٣) ي: البقاء.

(٤) ي: الأمير.

(٥) س: والأمصار، مكررة. وقوله: المطار، بمعنى الطيران، والمصار، بمعنى الصيرورة.

(٦) ص: لم.

(٧) ي: بهيجاً.

(٨) بعده في ي: الأمر، فكأن ناسخها أراد أحد اللفظين غير أنه غفل فكتبهما معاً.

(٩) ي: شيئاً، مهموز.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية استدراكاً: «لعلّه: وأعترض». وهو الموافق للمعنى واللائق به.

(١١) قيّد ناسخ س: «المناخ بالضمّ: مبرك الإبل».

(١٢) ص: سوء. وأما ي فقد أغرب ناسخها، فكتب: «بمناخ السواكين المرء يساق... إلخ».

أمّا هـذه الأشـقاصُ[1]، إنْ تيسَّـرَ منهـا الخـلاص، بعـدَما سـافَرْتُ وسَـفَرْتُ، وناظَرتُ ونظَرْتُ، وحفَرتُ وحَرَثْتُ، وبذَرْتُ ونذَرْتُ، وزَرَعتُ وعَمرْتُ، حَمِدتُ اللهَ كثيراً، ورأيْتُهُ مَغْنَماً كبيراً، وإنْ لم يكن من إتمام[2] القِصّة بُدٌّ[3] فلا غِنىً عـن نظـرٍ كـريمٍ، ومُهلةٍ فيها مَجَالٌ، وتَسْويغٍ[4] يصلُحُ به فاسِد، وقَرضٍ يتألَّفُ به شارِد،

ومـا كـلَّ يـومٍ لي بأرضِـكَ حاجـةٌ   ومـا[5] كُـلَّ يـومٍ لي إليـكَ رسـولُ[6]

والسَّلام.

---

(١) الشَّـقْص: السَّـهْم، في المـال والأرض وغيرهمـا. الزبيـدي، تـاج العـروس، ج١٨، ص١٥ (شقص).

(٢) س: تمام.

(٣) ي: وبدّ.

(٤) ي: وتسريغ. والتَّسْويغ : أن يسوّغ الرجل شيئاً من خَراجه في السنة. الخوارِزْميّ، مفاتيح العلوم، ص٨٦.

(٥) ي: ولا.

(٦) قال الحصري القيرواني: «وأنشد مُحمّد بن سلام بعض هذه الأبيات، وزعم أنها لأبي بكر الهذلي، ورُويت ليزيد بن الطثرية، وغيره، والرواة يدخلون بعض الشعر في بعض». زهر الآداب وثمر الألباب، ج٤، ص٩٢٣. وهو غريب.

نسخةُ ما جَرى بينه وبين الأستاذ[1] أبي بكر الخوارِزْميِّ من المناظرة يومَ اجتماعِهما[2] في دار الشّيخ السَّيِّد[3] أبي القاسم المسْتَوْفي بمشهدٍ من القُضاةِ والفُقهاءِ والأشرافِ وغيرِهم من سائر النّاس وهي بإملاءِ[4] الأستاذ أبي الفَضْل بَديع الزَّمان[5] رَحِمه اللهُ تَعالى ورضي عنهُ وأرضاه[6]

قال الأستاذُ أبو الفَضْل أحمدُ بنُ الحُسين الهَمَذاني، بَديعُ الزّمان: سأل السَّيِّد - أمتعَ اللهُ ببقائه إخوانَه - أنْ أُمليَ جوامعَ ما جَرى بينَنا وبين أبي بكرِ الخَوارِزْميّ - أعزّه الله[7] - من مُناظرةٍ مَرّةً، ومُنافرةٍ أخرى، ومُوادَعةٍ أوّلاً، ومُنازَعةٍ ثانياً، إملاءً يجعَلُ السَّماعَ له عِياناً ؛ فما تلقَّيتُه إلّا بالطّاعة، على[8] حسَب الاستطاعة، إلّا أنّ للقصّة تشبيباً[9] لا تطيبُ إلّا به، ومقدِّماتٍ لا تَحسُنُ إلّا معها. وسَأسوقُ - بعَوْن الله - صَدْرَ حديثِنا إلى العَجْز، كما يُساقُ الماءُ إلى الأرض الجُرُز[10].

---

(١) من ص.

(٢) (يوم اجتماعهما) ساقط في س.

(٣) لفظة (السيّد) سقطت في ي.

(٤) عبارة ي: وهو من إملاء.

(٥) قوله: (بديع الزمان) ليس في ي.

(٦) الترضّي كلّه من ي فقط.

(٧) من: ي، ص.

(٨) ساقطة في ص.

(٩) عبارة ي: لكنّ للقصة تشبُّباً...، والتشبيب هنا: ما يُذكر في ابتداء الكلام كالتوطئة. كشف المعاني، ص٢٩.

(١٠) من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾. سورة السجدة، من الآية ٢٧. والأرض الجرُز: الملساء التي ليس فيها نبات. تفسير مقاتل بن سُليمان، ج٣، ص٤٥٣.

فنَبدأُ فيها باسم الله عزَّ وجلَّ، والصّلاةِ على النبيِّ مُحمّد صلّى الله عليه وسلَّم، ذهاباً بالقصّة عن أنْ تكون بَتْراء، وصِيانةً لها عن أنْ تُدعَى جَذْماء[1]، قال رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم: «كُلُّ خُطبةٍ لم يُبدأْ فيها باسم الله فهي بَتراء»[2].
وقد[3] خَطَب زيادٌ[4] خُطبتَهُ البتراءَ؛ لأنّه لم يحمَدِ اللهَ عزَّ وجلَّ، ولم يُصلِّ على رسولِهِ عليه السَّلام، وهذا مَقامٌ نَعوذُ بالله منه، ونسألُهُ التوفيقَ والصَّوابَ بورْدِه وصَدَرِه[5].

نعم - أطال اللهُ بقاءَ السَّيِّد وأمتعَ ببقائهِ أحِبّاءَهُ - إنْ قعَدْنا نعُدُّ آثارَكم، ونَروي[6] مآثِرَكم، نَفِدَ الحَصْرُ قبلَ نفادِ[7] نقودِها، وفَنِيت[8] الخواطرُ قبلَ أنْ تَفنَى[9] المآثر، فكيف لا وإنْ ذُكِر الشّرفُ فأنتم بنو بَجْدَتِه[10]، أو العِلْمُ فأنتم عاقدو

---

(١) ي: حذّاء.

(٢) الحديث ضعيف، ولفظه في مسند الإمام أحمد (٨٦٩٧): «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر». وجاء في سنن أبي داود (٤٨٤٠) بلفظ: «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم».

(٣) حرف التحقيق من ص وحدها.

(٤) زياد ابن أبيه، ويُسمّى زياد ابن سمية. ألحقه معاوية بن أبي سفيان به، وكان عامله وعامل ابنه يزيد من بعده على البصرة. كان جباراً عاتياً. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٤.

(٥) ي: نورد وصدره.

(٦) ي: ونرى، وهو وجه حسن.

(٧) ي: نعاد.

(٨) ي: وفيت.

(٩) ي: معنى، تحريف قبيح.

(١٠) ي: نجدته، مجوّدة النون تحريف. بجد بالمكان: أقام به ولزمه. عنده بَجْدة ذلك: أي علمه، ومنه يقال للعالم بالشيء المتقن له المميز له: هو ابن بَجْدتها. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٧٧ (بجد).

بُرْدَتِهِ[1]، أو[2] الدِّينُ فأنتم ساكنو بَلْدتِه، أو الجُودُ فأنتم لابسو جِلْدتِه[3]، أو التّواضُعُ صرتُم[4] لِسُدَّتِه، أو الرّأيُ صُلتُم بنَجْدتِه. وإنّ بيتاً تولّى اللهُ عزَّه وبناءه[5]، ولزِمَ الرّسولُ صلّى اللهُ عليه وسلَّم فِناءَه[6]، وأقام الوَصيُّ[7] - كرّم الله وجهَه[8] - عِمادَه، وخدَم جبريلُ - عليه السَّلام[9] - أهلَه، لحقيقٌ أنْ يُصانَ عن مَدْح لسانٍ قصير.

و[10] نعودُ للقصّة[11] نَسوقُها، وأوّلُها: أنّا وَطِئنا خُراسان، فما اخترْنا[12] إلّا نَيْسابُور داراً، وإلّا جوارَ السّادةِ جِواراً. لا جَرَمَ أنّا حَطَطْنا بها الرَّحْل، ومدَدْنا عليها الطُّنُب، وقديماً كنّا نسمَعُ بحديث هذا الفاضل فَنَتَشوَّقُه[13]، ونُخبَرُهُ[14] على المَغيب فَنَتعشَّقُه، ونُقدِّرُ أنّا إذا وَطِئنا أرضَهُ، ووَرَدْنا بَلَدَهُ، يَخرُجُ لنا في العِشْرة عن القِشْرة،

---

(١) أغرب ناسخ ي فجعلها: فأنتم على قدوا بركته.

(٢) ي: و.

(٣) ي: لحدته.

(٤) ي: صهتم. ولا أعرفها، وأحسبها تحريفاً.

(٥) ص: عزّ وجل بناءه. ي: عزّه وجل ثناءه.

(٦) ي: بناءه.

(٧) مكان هذه الكلمة في ي فراغ.

(٨) ي: صلى الله عليه وسلم.

(٩) التسليم من: ص، ي.

(١٠) الواو ساقطة في ص، وعبارة ي: ونعود نعود، بالتكرار.

(١١) ي: للنفضة.

(١٢) عبارة ي: كما اختر، بدل: فما اخترنا.

(١٣) ي: فنشوّقه.

(١٤) ي: ونختبره.

وفي المودّة عن الجِلْدة[1]، فقد كانت لُحمةُ الأدب جَمَعتْنا، وكلمةُ الغُربة نظَمَتْنا، وقد قال شاعرُ العرب غيرَ مُدافَع[2]:

أجارَتَنا إنّا غريبانِ ههنا ... وكُلُّ غريبٍ للغريبِ نَسيبُ

فأخلفَ ذلك الظَّنُّ كُلَّ الإخلاف، واختلفَ ذلك التقديرُ كُلَّ الاختلاف.

وقد كان اتّفقَ علينا في الطريق من العربِ[3] اتّفاق، لم يُوجبْهُ استحقاق، من بِزَّةٍ بَزُّوها، وفِضّةٍ فَضُّوها[4]، وذهَبٍ ذهَبوا به.

ووَرَدْنا نَيْسابُور براحةٍ أنقَى من الرّاحة، وكيسٍ أخلَى من جَوفِ الحمار[5]، وزِيٍّ أوْحشَ من طَلَعة المُعَلِّم، بل اطِّلاعةِ الرَّقيب. فما حلَلْنا إلّا قصَبةَ[6] جوارِه، ولا وَطِئْنا إلّا عَتَبة دارِه، و[7]هذا بعدَ رُقْعةٍ كتَبْناها، وأحوالِ أُنْسٍ نظمْناها. فلمّا أخذتْنا عينُه[8]، سَقانا الدُّرْدِيَّ من أوَّل دَنِّه[9]، وأجْنانا[10] سُوءَ العِشْرة من باكورةِ فَنِّه[11]، من طَرْفٍ[12]

---

(١) هذه العبارة بين الفاصلتين سقطت كلّها في ي.

(٢) يعني امرأ القيس. ديوانه، ص٣٥٧.

(٣) (من العرب) ساقط في ي.

(٤) ي: وقصة قصّوها.

(٥) س، ص: حمار. وانظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٥٧.

(٦) ص: خصبه.

(٧) الواو ساقطة في ي.

(٨) ص: أخذنا لحظ عينه.

(٩) الدُّرْدِي: الخميرة التي تُترك على العصير والنبيذ ليتخمّر، والدَّنّ: كالحُبّ والزِّير، لكنه أكبر منهما. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٦ (درد)، ج١٣، ص١٥٩ (دنن).

(١٠) ي: وأخبانا.

(١١) ي: بنّه.

(١٢) ي: طرق.

نَظَر بشَطرِه، وقيامٍ دَفَع في صَدْرِه، وصديقٍ استهانَ بقَدْرِه، وضَيْفٍ استخَفَّ بأمرِه، لكنّا أقطعناهُ جانب أخلاقِه، ووَلَّيناهُ خِطَّةَ رأيه، وقارَبْناهُ إذ جانَب، وواصَلْناه إذ جاذَب، وشرِبناهُ على كُدورتِه[1]، ولَبسناهُ على خُشونتِه، ورَدَدْنا[2] الأمرَ في ذلك إلى زِيٍّ[3] استَغَثَّه، ولِباسٍ استَرَثَّه[4].

وكاتَبْناه نَسْتمِدُّ وِدادَه، ونُسْلِسُ قيادَه، ونَسْتميلُ فُؤادَه، ونُقيم مُنْآدَه[5]، بما هذا نُسْختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ أبو بكر - واللهُ يُطيلُ بقاءَهُ - أزرَى بضَيفِه أنْ وجَدَهُ يضربُ إليه آباطَ القِلَّة في أطمارِ الغُربة، فأعملَ في رُتبتِه أنواعَ المصارفة، وفي الاهتزازِ له[6] أنواعَ المضايقة[7]، من إيماءٍ بنِصْف الطَّرْف، وإشارةٍ بصَدْرِ[8] الكَفّ، و[9]دَفْعٍ في صَدْر القيام عن التّمام، ومَضْغِ الكلام، وتكلُّفٍ[10] لردِّ السؤال. وقد قَبِلْتُ تربيتَهُ

---

(١) س، ي: كدره، وما هنا من ص لموافقته المزاوجة فيما بعده.

(٢) من ي: وفي س، ص: ووردنا.

(٣) قيّد ناسخ س ها هنا في الحاشية: «الزِّيّ بكسر الزاي: الهيئة». وقد مرَّت كثيراً، فغفل الناسخ عن شرحها قبلاً. والعبارة في ي: إلى ربّي أستعينُه.

(٤) ي: أشتريه.

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «منآد، كمنقاد: المعوجّ».

(٦) ص: إليه.

(٧) ص: المضايفة، وهو الأوفق للسَّجْع، لكن الخوارزْمي سيرد عليه في الفقرة الثانية من الرسالة اللاحقة بقوله: «أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إيّاه...»؛ لذلك آثرنا ترجيح (المضايقة) هنا.

(٨) ص: بشطر، وقد قيّد ناسخ س في الحاشية إزاء هذه الكلمة: «لعله: بحرف».

(٩) سقطت الواو في ص.

(١٠) ي: مكلّف، تحريف.

صَعَراً[1]، واحتملتُهُ وِزراً، واحتضَنْتُه نُكراً[2]، وتأبّطتُهُ شرّاً، ولم آلُهُ عُذراً، إنْ ألمّ[3] بالمالِ وثيابِ الجَمالِ. ولستُ مع هذه الحالِ، وفي هذه الأسْمالِ[4]، أتقزَّزُ صنفَ النِّعالِ. فلو صدقتُهُ العِتابَ، وناقشتُهُ الحِسابَ، لقُلتُ: إنّ بِوادينا ثاغيةَ صَباحٍ[5]، وراغيةَ رَواحٍ، وناساً يَجُرُّونَ[6] المطارِفَ، ولا يَمنَعونَ المعازِفَ[7]،

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ وأندِيةٌ يَنتابُها القَولُ والفِعلُ[8]

ولو طوَّحَتْ[9] بأبي بكرٍ - أيّده[10] اللهُ - طَوائحُ الغُربة لَوجَد منالَ البِشْرِ قريباً، ومَحطَّ الرَّحْلِ رَحيباً، ووَجْهَ المَصيفِ خَصيباً[11]. ورأيُ الأُستاذِ أبي بكر - أيّده اللهُ - في الوقوفِ على هذا العِتاب الذي مَعناهُ وُدّ، والمُرّ الذي يَتلوهُ[12] شَهْد، مُوفَّقٌ إنْ شاءَ الله تعالى.

فأجاب بها نسختُه[13]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلتْ رُقْعة سيّدي ومَوْلاي ورئيسي - أطال اللهُ بَقاءَهُ - إلى آخِر

---

(١) ص: صغراً، ي: صعواً، وقيّد ناسخ س في الحاشية: «لعلّه صِفْراً».

(٢) ي: رغواً.

(٣) ص: فإن المرء، ي: فإن ألمّ....

(٤) ما بين الفاصلتين سقط في س.

(٥) في الأصول: صياح.

(٦) ي: يمرون.

(٧) س، ي: العارف.

(٨) لزهير بن أبي سُلمى. ديوانه، ص٥٠.

(٩) ي: طرحت، براء قبل الطاء.

(١٠) س: آثره.

(١١) عبارة ي: ووحد المصنّف حصيباً.

(١٢) العبارة في ي: في هذا العتاب معناه ... الذي يتلوه. فسقط منها ثلاث كلمات كما ترى.

(١٣) من: ص، ي.

السَّكْبَاج[1]، وعرَفتُ ما تَضمَّنهُ[2] من خَشِن[3] خِطابه، ومُؤْلِمِ عَتْبِه وعِتابه[4]، وصرَفتُ ذلك منه[5] إلى الضَّجَر الذي لا يخلو منهُ مَن مَسَّهُ عُسْر، ونَبا به دَهْر. والحمدُ لله الذي جعَلني موضِعَ أُنسِه، ومَظِنَّة مُشتكَى ما في نفسِه.

أمّا ما شكاهُ[6] سيِّدي ورئيسي من مُضايقتي[7] إيّاه - زَعَم[8] - في القيام، فقد وَفَّيتُهُ حقَّهُ - أيّده اللهُ - سَلاماً وقياماً، على قَدْر ما قَدرْتُ عليه، ووَصَلْتُ إليه، ولم أرفَعْ عليه إلّا السَّيِّدَ أبا البَركات العَلَويَّ[9] - أدام اللهُ عِزَّه - وما كُنتُ لأرفَعَ أحداً على مَن أبوهُ[10] الرّسول، وأُمُّهُ البَتول[11]، وشاهِداهُ التَّوراةُ والإنجيل، وناصِراهُ التَّأويلُ والتَّنزيل، والبَشيرُ[12] به جِبْرِيلُ ومِيكائيل.

---

(١) السكباج: طعامٌ يعمل من اللّحم والخلّ ويُعالج بأنواع التوابل والأبازير والبقل، وقد أفرد ابن سيار باباً لأنواع السكباجات في كتابه الطبيخ، ص٢١١. واستعاره الخوارِزْميّ هنا لألْفاظ الاحترام التي قدّمها لكثرة المواد المستعملة فيه.

(٢) ي: من اتضمنه (كذا).

(٣) س، ي: حسن، تصحيف قبيح.

(٤) س: ومؤلم عتابه.

(٥) ساقطة في ي.

(٦) ص: شكا.

(٧) ي: صانعتي. والمضايقة أوفق هنا، لمناسبتها الضجر والعسر المذكورَيْن آنفاً.

(٨) من ي.

(٩) علي بن الحسين العلوي النيسابوري، ذكره الثعالبي وساق بعض أشعاره وأثنى عليه كثيراً في يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٨٤، وتتمتها، ص١٨١.

(١٠) ص: جاره.

(١١) المرادة هنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وقوله: (أبوه الرسول) يعني بها جدَّه رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم.

(١٢) ي: والمبشّر.

فأمّا القومُ الذين صَدَر سيِّدي عنهم، فكما وَصَفَ: حُسْنَ عِشرة، وسَدادَ طريقة، وكمالَ تفصيلٍ وجُملة، ولقد جاوَرْتُهم[1] فأحمَدْتُ المَراد[2] ونلتُ المُراد،

فإنْ كُنتُ[3] قد فارقتُ نَجْداً وأهلَهُ ... فما عَهْدُ[4] نَجْدٍ عِندَنا بِذَميمِ[5]

واللهُ يعلَمُ نيَّتي للإخوانِ[6] كافّة، ولسيِّدي من بينِهم خاصّة، فإنْ أعانني الدّهرُ على ما في نفسي بلَّغتُ إليه ما في الفكرة[7]، وجاوَزْتُ مسافةَ القُدرة. وإنْ قطَعَ عليّ طريقَ عِشرتي بالمُعارضة وسُوء المُؤاخذة، صرَفْتُ عِناني عن طريقِ الاختيار، بيدِ الاضطرار،

فما النَّفْسُ إلّا نُطْفةٌ بِقَرارةٍ[8] ... إذا[9] لم تُكَدَّرْ كان صَفواً مَعينُها[10]

وبعدُ، فحبَّذا عِتابُ سيِّدي إذا استوجَبْنا عَتْباً، واقترَفْنا ذَنْباً. فأمّا أنْ يُسلفَنا[11] العَرْبَدة، فنحنُ[12] نصُونُهُ عن ذلك، ونَصُونُ أنفُسَنا عن احتمالِه. ولستُ أسُومُهُ أنْ

---

(١) رسم ناسخ ي هذه الكلمة هكذا: حادتهم.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المراد، بالفتح: الموضع الذي ترعى فيه الإبل، ويقال له: مستراد».

(٣) ي: أكُ.

(٤) ي: عهدي.

(٥) لعبد العزيز بن زرارة الكلابي. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٠، ص٢٥٩.

(٦) قوله: (للإخوان) سقط في ي فأخلّ بالعبارة.

(٧) ي: النيّة.

(٨) ي: بقران.

(٩) ص: فإن.

(١٠) لعمارة بن عقيل. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٥، ص٣٥. وعجز البيت بياض في ي، إلّا من كلمتين هما: تكدّر كان.

(١١) ي: سلفنا.

(١٢) ي: صحن!

يقول: ﴿ اَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[1]، ولكنِّي أسألُهُ أنْ يقول: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2].

فحينَ وَرَد الجوابُ وعينُ[3] العُذرِ رائدةٌ، تركْناه بعُرِّه[4]، وطوَيناهُ على غَرِّه، وعَمدْنا لذكْره[5]، فسحَوناهُ عن صحيفتِنا ومحوناه، وصِرْنا إلى اسمِهِ فأخذناهُ ونَبذْناه، وتركْنا خِطّتَه[6]، وتجنَّبْنا خُطّتَه[7]، فلا طِرْنا إليه ولا طِرْنا به، ومضَى على ذلك الأُسبوعُ، ودَبَّت الأيام، ودَرَجتِ الليالي، وتطاوَلَت المُدَّةُ، وتصرَّمَ[8] الشهرُ، وصِرْنا[9] لا نُعيرُ[10] السَّماعَ[11] ذِكرَه، ولا نُودِعُ الصُّدورَ حديثَه.

وجَعَل هذا الفاضلُ يستزيدُ ويَستعيد[12] بألفاظٍ تقطعُها الأسماعُ[13] من لسانِه

---

(١) سورة يوسف، من الآية ٩٧.

(٢) سورة يوسف، من الآية ٩٢.

(٣) ي: وغير.

(٤) ي: بعزّه.

(٥) ص: إلى ذكره.

(٦) س، ص: حطته، بالحاء المهملة، تصحيف. والخطة بكسر الخاء: الدار.

(٧) س: خطبته، ص: خلطته، وهي وجه، وما هنا من ي، وهو الموافق لأسلوب بديع الزمان في السجع والجناس، والخطّة بضم الخاء: الحال والأمر والخطب.

(٨) ي: تصوم.

(٩) ي: وصونا.

(١٠) ي: يغير.

(١١) ص: السمع.

(١٢) ي: يستعيذ.

(١٣) ي: للأسماع.

وتردُّها[1] إليَّ، وكلماتٍ تخطَفُها[2] من فيه[3] الألسِنَةُ[4] وتُعيدُها[5] عليَّ،

فكاتبْناهُ[6] بما هذه نسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا أرِدُ من الأُستاذ سيِّدي – أطال اللهُ بقاءَهُ – شِرْعةَ وُدِّه وإنْ لم تَصْفُ، وألبَسُ خِلعةَ بِرِّه وإنْ لم تَضْفُ. وقُصاراي أنْ أكيلَهُ صاعاً عن مُدٍّ، وإنْ كنتُ في الأدب دَعِيَّ النَّسَب، ضَعيفَ السَّبَب، ضيِّقَ المضطرَب، سيِّءَ[7] المنقلَب، أمُتُّ إلى عِشرةِ أهلِهِ بنِيقة[8]، وأنزِعُ إلى خِدْمة أصحابِهِ بطريقة، ولكنْ بقيَ أنْ يكونَ الخليطُ مُنصِفاً في الوِداد، إنْ زُرْتُ زار، وإنْ عُدتُ عاد.

وسيِّدي – أطال اللهُ بقاءَهُ – ناقَشَني في الحِساب القبولَ أولاً، وصارَفَني في الإقبالِ ثانياً. فأمّا حديثُ الاستقبال، وأمرُ[9] الإنزالِ والأنزال[10]، فنِطاقُ الطَّمعِ[11]

---

(1) ص: وتوردها، ي: ويردّها.

(2) ص: وكلام تخطفه، ي: وكلمات يحفظها.

(3) س: برقمه، ي: مرقمة.

(4) ي: للألسنة.

(5) ص: وتعيده.

(6) ي: مكاتبناه.

(7) ي: شتّى.

(8) هذه العبارة ما بين الفاصلتين سقطت كلها في ي. وقيّد ناسخ س في الحاشية: «أمتُّ، من المتّ، وهو التوسل. والنِّيقة بالكسر: اسم لما يتزيّن ويتجمّل به، وفي المثل: خرقاء فرامت نيقة، يضرب لمن لا يتقن شيئاً وهو يدّعي الحذاقة». وانظر: العسكري، جمهرة الأمثال، ص٤١٨؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٣٧.

(9) ي: فأمر.

(10) الإنزال بكسر الهمزة: مصدر أنزله، والأنزال بهمزة مفتوحة: جمع نُزُل، وهو ما يُهيّأ للنزيل. الرازي، مختار الصحاح (ن ز ل).

(11) عبارة ي: فيطاق للطمع.

ضيِّقٌ عنه، غيرُ مُتَّسعٍ لتوقُّعه منه.

وبعدُ، فكُلْفةُ الفَضْل بيِّنة، وفُروضُ الوُدِّ مُتعيِّنة، وأرضُ العِشـرة ليِّنة، وطُرُقُها هيِّنة. فلمَ اختارَ قَعُودَ التَّعالي[1] مركَباً، وصُعودَ التَّغالي[2] مذهَباً ؟ وهلّا ذادَ الطَّيْرَ عن شجر العِشْرةِ وذاقَ الحُلْوَ من ثمرِها ! فقد علمَ اللهُ أنّ شوقي إليه قد كدَّ الفؤادَ بَرْحاً إلى بَرْح، ونكأهُ قَرْحاً على قَرْح، ولكنَّها مِرَّةٌ مُرَّة، ونفسٌ حُرَّة، لم تُقَدْ[3] إلّا بالإعظام، ولم تُلْقَ إلّا بالإجلال. وإذا استعفاني[4] من مُعاتبته وأعفَى نفسَهُ من كُلَفِ الفَضْل يتجشَّمُها، فليس إلّا غُصَصُ الشّوقِ نتجرّعُها[5]، وحُلَلُ الصّبرِ نتدرَّعُها[6]. ولم أُغرَّهُ[7] من نَفْسي، فأنا لو أُعِرْتُ جَناحَ طائر لما طِرتُ إلّا إليه، ولا وقَعتُ إلّا عليه. وبَقينا نلتقي خِيلاً، ونقنَعُ بالذِّكر وَصْلاً، حتى جعَلَتْ عواصفُهُ تَهُبّ، وعقارِبُهُ تَدِبّ، وهو لا يَرضَى[8] بالتّعريض حتى يُصرِّح، ولا يَقْنَع[9] بالنِّفاق حتى يُعلن. وأفضَتِ الحالُ به وبنا معَهُ إلى أنْ قال: لو أنّ بهذا البلَد رجُلاً تأخُذُهُ أرْيحيَّةُ الكَرَم، وتملِكُهُ هِزَّة[10] الهِمَم، يَجمَعُ بيني وبينَ فُلان، يعنيني.

---

(١) ي: التعال.

(٢) ي: التغال.

(٣) ي: يعد.

(٤) ي: استعناني، استعياني، مهمل الحرف الذي بعد العين، ومهما يكن فما بعد العين فاء بلا ريب.

(٥) ص: انجرَّ عنها، ي: يتجرّعها.

(٦) ص: أتدرّعها، ي: يتدرّعها.

(٧) ي: أعزّه.

(٨) ي: يرض.

(٩) ي: ينتفع.

(١٠) ي: وعليه هذه.

فلمّا ورَدَتْ عليه الرُّقْعة حَشَر تلامِذتَهُ وخَدَمَه، وزَمَّ عن الجوابِ قَلَمَـه، وجَشَّـم الإيجـافَ[1] قدمَـه، وطلَـعَ علينـا الفَجْـرُ طُلوعـه، ونظمَتْنـا حاشـيتا دارِ الإمـام أبي الطَّيِّب[2]، فقُلتُ: الآنَ تُشرِقُ الحِشـمةُ وتُنـوِّر، ونُنْجـدُ في الفَضْـلِ ونُغـوِّر، وقصَـدْناهُ شـاكرينَ لمأْتـاه، فانتظَرْنـا عـادةَ بـرِّه، وتوقَّعنـا مـادَّةَ فَضْـلِه، فكـان خُلَّبـاً[3] شِـمْناه، وآلاً[4] وَرَدْناه، وصَرَفْنا الأمرَ في تأخُّرِهِ [عنّـا][5]، وتأخَّرنـا عنـه إلى مـا قـال عبـدُ الله[6] ابـنُ المُعتزّ[7] رحِمَه الله[8]:

إنّـــا عـــلى البِعـــادِ والتَّفـــرُّقِ | لَنلتقـــي بالـــذِّكرِ إنْ لم نلتـــقِ

وأنشَدْنا قولَ ابن عصرِنا أبي الطَّيِّب[9]:

---

(١) ي: الإيجاب، و قيّد ناسخ س في الحاشية: «الإيجاف: ضرب من سير الخيل والإبل».

(٢) أبو الطيِّب هو سَهْل بن مُحمّد بن سُليمان العِجْلي الحنفي الصُّعْلوكي النَّيسابُوري، أحد الفقهاء والمحدِّثين الكبار بخُراسان، كان مفتي نيسابور وفقيهها وابن فقيهها، توفي سنة ٣٨٧هـ أو ٤٠٤هـ. له ترجمة عند: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٨٣؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٢٠؛ الذهبي في كتابيه: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٠٧؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٧٥. وللهمذاني غير رسالة إليه. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) البرق الخُلَّب: الذي لا غيث فيه، كأنه خادع. انظر: ابن منظـور، لسـان العـرب، ج١ ص٣٦٣ (خلب).

(٤) الآل: السراب. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٦٥ (سرب).

(٥) زيادة مِنّا يقتضيها السياق.

(٦) (عبد الله) ساقط في ص.

(٧) ديوانه، ص١٤٩.

(٨) الترحُّم من ي.

(٩) المتنبي. ديوانه، ج١، ص٢٨٠.

أحِبُّكَ[1] يا شمسَ البلادِ[2] وبَدْرَها وإنْ لامَني فيك السُّها والفَراقِدُ

وذاكَ لأنَّ الفَضْلَ عِندَكَ باهرٌ وليس لأنَّ العيشَ[3] عِندَك باردُ

وقولَ الآخر، وقد أحسنَ وزاد :

أحِبُّكَ[4] في البَتولِ وفي أبيها ولكنّي أحبُّكَ مِن بعيدِ[5]

ثم أرى[6] إذا انْجَلى الغُبارُ أفَرَسٌ تحتيَ[7] أم حمارُ

وعلم يَقيناً أيُّنا يُبرزُ خِلابَهُ[8] عَفواً، وأيُّنا يُغادِرُ في المكر، ووَدَّ فُلان بوُسْطاهُ، بل يُمناهُ لو رَحَلْنا وقُلنا في المُناخ له: نَمْ، إلى كلماتٍ تحذو إلى هذا الحذْو، وتنحُو هذا النَّحْو، وألفاظٍ أتتْنا من عَل. وكان من جَوابِنا أنْ قُلنا : بعضُ الوَعيد يذهَبُ بالبِيد، وقُلنا : الصِّدقُ يُنبيء عنكَ لا الوَعيد. وقُلنا : إنّ أجْرأ[9] النّاس على الأسدِ أكثرُهم رُؤيةً له.

وقد قال بعضُ أصحابِنا : قُلتُ لفُلان : لا تُناظِرْ فُلاناً، فإنّه يغلِبُك، فقال : أمثلي يُغلَبُ وعندي دفترٌ مجلَّد؟ ووجَدْنا عِندَنا دفاترَ مجلَّدة، وأجزاءً مُجوَّدة[10]، وأنشَدْناهُ قولَ حَجَل بن نَضْلة[11]:

---

(١) ي: اختلّ، ولا يستقيم لا وزناً ولا معنى.

(٢) ي: البلاء.

(٣) ي: العشير.

(٤) ي: أحبّل! هنا وفي التي تليها، كتب الناسخ الكاف على صورة اللام.

(٥) البيت للصاحب العلوي الداعي بطبرستان. العميدي، الإبانة عن سرقات المتنبي، ص١٢٥.

(٦) في الأصول: رأى. وانظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٥٤.

(٧) ي: شبه.

(٨) أي: الخديعة باللسان.

(٩) ي: أجرى.

(١٠) ي: مجرّدة، بالراء.

(١١) الباهلي، شاعر من عصر ما قبل الإسلام. له شعرٌ في الأصمعيات، ص١٣٩. وقد أورد المرزوقي البيت الأول في شرح ديوان الحماسة، ص٤١٣.

جـــاءَ شـــقيقٌ عارضـــاً رُمحَـــهُ إنّ بنـــي عَمِّـــكَ فـــيهمْ رِمـــاحْ
هـــل أحـــدثَ الـــدّهرُ بنـــا نكْبـــةً أم هـــل[1] رَقَـــتْ أُمُّ شـــقيقٍ سِـــلاحْ

وقُلنا: إنّا نقتحِمُ الخطبَ، ونتوسَّطُ الحَرْبَ، فنَرِدها مُفحِمين، ونَصدُرُها بُلغاء،

وألســـنُنا قبـــلَ النِّـــزال قَصـــيرةٌ ولكنَّهـــا بعـــدَ النِّـــزال طِـــوالُ

آخر[2]:

فأرضَـــكَ أرْضَـــكَ إنْ تأتِنـــا تَـــنَمْ نومـــةً لـــيسَ فيهـــا حُلُـــمْ[3]

فمَـــن ظَـــنَّ أنْ ســـيُلاقي الحـــروبَ وأنْ[4] لا يُصـــابُ فقـــد ظَـــنَّ عَجْـــزا[5]

فإنّك متى شئتَ لقيتَ مِنّا خَصْماً[6] ضَخْماً، يَنْهَشُكَ قَضْماً[7]، ويأكُلُك خَضْماً، وحَثْناهُ[8] على الأخذ بأدَبِ[9] الله تَعالى من قوله[10]: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[11]، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ

---

(١) ص: بل، ويطرد استعمال ناسخ هذه النسخة (بل) مكان (هل) في سائر الكتاب.

(٢) من ص.

(٣) لعدي بن زيد من أبياتٍ أرسلها من سجنه إلى أخيه أُبَيّ. الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١١٠.

(٤) رسم ناسخ ي هذا الحرف هكذا: بار.

(٥) للخنساء، تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية، ديوانها، ص٧٠.

(٦) ي: خصياً.

(٧) قيّد ناسخ س ها هنا في الحاشية: «القضم: الأكل بأطراف الأسنان، والخَضْم: الأكل بأقصى الأضراس... بالمأكول، أو الخضم خاص بالرطب، والقضم خاص باليابس». انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٨٢ (خضم)، ص٤٨٧ (قضم).

(٨) ي: وحثّيناه.

(٩) ي: بارب، كذا رسمها.

(١٠) ساقطة في س.

(١١) سورة النساء، من الآية ١٢٨.

﴿لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1]، وأنشَدْناهُ قولَ القائل:

السِّلْمُ تأخُذُ منها ما رَضِيتَ بِهِ والحربُ يكفيكَ من أنفاسِها جرَعُ[2]

وقُلنا له:

نصحتُك فالتمِسْ يا وَيْكَ غيري طَعاماً، إنّ لحمي كان مُرّا

ألم يَبْلُغْكَ ما فعلَتْ ظُباهُ بكاظمةٍ غَداةَ ضرَبْتُ عَمْرا[3]

وجعل الشّيطان يُثقِّل[4] بذلك أجفانَ طَرْفِه، ويُقيمُ بِهِ شَعَراتِ أنفِه،

وحتّى ظَنّ أنّ الغِشَّ نُصْحِي وخالَفني كأنّي قُلتُ هُجْرا

واتّفقَ أنّ السَّيِّد أبا عليّ[5] نَشِط للجَمْع بَيْني وبينَهُ، فدَعاني؛ فأجَبْت. ثم عرضَ عليَّ حُضورَ أبي بكر، فطلَبتُ ذلك وقلتُ: هذه عِدَةٌ كُنتُ[6] أستَنْجِزُها، وفُرْصةٌ لا أزالُ أنتهزُها. فتجشَّمَ السَّيِّد أبو الحُسين وكاتَبَهُ يستدعيه، واعتذر[7] أبو بكرٍ بعُذرٍ في التأخُر، فقلتُ: لا ولا كرامةَ للدّهر أنْ نقعُدَ تحت خَيْمِه[8]، أو نقبَلَ خَسْفَ ظُلمِه، ولا عَزازة للعَوائق أنْ تُضيعَنا ولا نُضيعُها، وتُعيِينَا[9] ولا نَدْفعُها، وكاتبتُه[10]: أنا أشحَذُ

---

(١) سورة الأنفال، من الآية ٦١.

(٢) ي: جُرَعُ. والبيت للعباس بن مرداس. ديوانه، ص١٠٣.

(٣) هذان البيتان والثالث الذي سيأتي لبشر بن عَوانة العذري، شاعر من عصر ما قبل الإسلام. البصري، الحماسة البصرية، ج١، ص١٠٥.

(٤) ي: تنقل.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: أبا الحسين».

(٦) في ي بدل هذه الكلمة: إن لم.

(٧) ص: فاعتذر.

(٨) ص: حكمه، وفي ي مكان هذه الكلمة بياض.

(٩) س: تعيننا، من الإعانة، ولا معنى لها هنا، وفي ي: تعنينا، وهو وجه.

(١٠) ي: وكاتبيه.

عزيمتَهُ على البِدار، وألوي رأيَهُ عن الاعتذار، وأُعرِّفُهُ ما في ذلك من ظنونٍ تشتبه[1]، وتُهمٍ[2] تتَّجه، وتصاويرَ تختلف، واعتقاداتٍ تُخلِف. وقُدنا إليه مركوباً لنكون قد ألزمناهُ[3] الحجَّ وأعطيناهُ[4] الرّاحلة، فجاءَنا في طَبَقة[5] أُفّ، وعَدَدِ تُفّ[6].

كـــلُّ بغـــيضٍ قَـــدُّهُ إصـــبعٌ وأنفُـــــهُ خمســـــةُ أشـــبارِ

مـع أربــاب عانــات[7]، وأصــحابِ جِربانــات[8]، لا تنــالُ العــينُ مــنهم إلّا جَبِساً[9]. وسرَّحنا الطَّرفَ منهم ومنهُ[10] في أحمى منَ استِ النَّمِر[11]، وأعْطسَ من أنْـفِ

---

(١) ي: فتشتبه.

(٢) ي: وبهم.

(٣) ي: ألزمنا.

(٤) ي: وأعطينا.

(٥) ي: طبيعة.

(٦) قيّد ناسخ س بإزاء هذه الكلمة في الحاشية: «الأُفّ بالضم: قلامة الظفر أو وسخ الأذن، وقيل: القِلّة، والتفّ: وسخ الظفر».

(٧) العانة: القطيع من حمر الوحش، وجمعها عانات. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٠٠ (عون).

(٨) قيّد ناسخ س في الحاشية ها هنا: «الجربانات: ثياب مصبوغة بالجربان، وهو صبغ أحمر».

(٩) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الجبس: الجبان الفدم الغبي، وقيل: ولد الزنا. والنّعِر: من في رأسه نعرة، كهمزة، أي: كبر ونخوة. ودوسر: اسم كتيبة للنعمان بن المنذر. والأنكدان: مازن ويربوع».

(١٠) ي: ومنهم.

(١١) من أمثال العرب. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٢٢؛ الزمخشري. المستقصى، ج١، ص٨٧.

النَّعِر[1]، فظننتُ أنّه يُريدُ أنْ يَلقَى كَتيبةً، أو يهزِمَ دَوْسَراً، أو يفُلَّ الأنكدَين، أو يَرُدَّ الوَفْدَين. ثم رأَيْنا رجالًا جُوفاً[2]، قد حَلَقُوا[3] صُوفاً، فأمِنّا المَعرَّة، ولم نخشَ المَضرَّة، وقُمنا له وإليه، وجلَس يُحرِّقُ أُرَّمَه[4]، ويتمثَّلُ ببيتٍ لا تقتضيهِ الحال:

مُرانا في الحِبالةِ نستبق[5]

فتركناهُ على غُلَوائه، حتى إذا نفَضَ ما في راسِه، وفرَّغَ جَعبةَ وَسْواسِه، عطَفْنا عليه، فقُلنا: يا[6] عافاكَ الله، دعَوْناك وغَرَضُنا غيرُ المُهارَشة، واستزَرْناك وقصْدُنا غيرُ المُناوَشة؛ فلتَهْدَأْ ضُلوعُك، ولْيُفرِخْ رَوعُك[7]،

يا مارَ سَرْجِسَ لا نُريدُ قِتالا[8]

---

(١) النُّعَر: ضربٌ من الذباب أزرق أو أخضر، والنَّعِر: الذي يدخل أنفه ذلك الذباب؛ فيجعله يضطرب. انظر: لسان العرب، ج٥، ص٢٢١ (نعر). والعرب تشبّه ذا الكِبْر من الرجال إذا صعّر خدّه بالبعير أو الحمار إذا دخل في أنفه النُّعَر (الذباب الأزرق). الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص١٦٧.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «جوف: جمع أجوف، وهو واسع الجوف».

(٣) ي: خلقوا. كذا.

(٤) الضبط من ي. وقيّد ناسخ س في الحاشية: «الأرّم: الأضراس، يقول: هو يحرق عليك الأرّم: إذا تغيّظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض».

(٥) قال الشّيخ إبراهيم الأحدب: «هذا الشطر لا يقام له وزن صحيح ولا يحسن له معنى، ولا أدري ما المراد بهذه الكلمات». كشف المعاني، ص٤٠.

(٦) حرف النداء ليس في ي.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «أفرخ روعه، أي: ذهب خوفه».

(٨) عجز بيتٍ لجرير من الكامل، صدرُه: قال الأخيطلُ إذ رأى راياتهم. ديوانه، ص٣٦٢. ومار سرجس: موضع.

وللبيت رواية أخرى في كتب النحو غير هذه، على بحر الوافر، وهي:

لقيتُم بالجزيرةِ آلَ قيسٍ   فقلتُم: مارَ سَرجسَ لا قتالا

انظر مثلاً: شرح أبيات سيبويه للسيرافي، ج٢، ص٢٥١.

وما اجتَمَعْنا إلّا لخير، فلْتَسكُنْ سَوْرتُك، ولْتلِنْ[1] فَوْرَتُك، ولا تَرقُصْ لِغيرِ طَرَب، ولا تَحمِلْ[2] لِغير سَبَب، وإنّما ذكَرْناك لِتَملأَ المجلِسَ فَرائد[3]، وتَذكُرَ أبياتاً شَوارد، وأمثالًا فَوارد[4]، ونُباحِثَك فنسعَدَ بما عندَك، وتسألَنا فتُسَرَّ بما عندَنا، ويَقِفَ كلُّ واحدٍ منّا موقِفَهُ من صاحبِه، وقديماً كنتُ أسمَعُ بحديثِك، فيعجبُني الالتقاءُ بك، والاجتماعُ معَك.

والآنَ إذْ سهَّل اللهُ ذلك، فهَلُمّ إلى الأدَب نُنفقْ يومَنا عليه، وإلى الجَدَلِ نتجاذبْ طَرَفيْه، فاسمَعْ خبراً وأسمِعْنا مِثلَه، ولْتَبْدَأ بالفَنِّ الذي مَلكتَ به زمانَك، وفُتَّ فيه[5] أقرانَك[6]، ومَلكتَ به عِنانَك، وأخذتَ منه مكانَك، وطار[7] به اسمُك بعدَ وُقوعِه، وارتفعَ له ذِكْرُك عَقِبَ خُضُوعِه، وأفحمتَ به الرِّجال، حتى أذعنَ العالِمُ وقَلَّدَ الجاهلُ، وقالوا قول الصُّوفيّة: (يا دَهَشاً) كلَّهُ، فجارِنا بفَرَسِك[8]، وجُدْ لنا بنَفَسِك. فقال: وما هو[9]؟ قُلتُ: الحِفظُ إنْ شِئتَ، والنَّظْمُ إنْ أردتَّ، والنثرُ إنِ اخترْتَ، والبديهةُ إنْ نشِطْتَ، فهذه أبوابُك التي أنت فيها ابنُ دَعْواك، تَملأُ منها فاك. فأحْجمَ عن الحفظ[10]

---

(١) ي: ولتكن.

(٢) ي: تحمَ. وهو وجه.

(٣) ص: فوائد.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «لعله: نوادر». وهما بمعنىً، لكن المثبت أوفق للمزاوجة.

(٥) ص، ي: به.

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «فُتّ أقرانك، أي: سبقتهم، من فات يفوت فوتاً، أي: سبق».

(٧) ص: فطار.

(٨) قوله: (بفرسك، وجد لنا) مطموسة ثلاثتها في ي، ومكانها بياض.

(٩) ي: (وما) كذا.

(١٠) قيّد ناسخ س في الحاشية: «أحجم عن الأمر، أي: كفّ عنه، ومعناه لا يختلف إن قدّمتَ الجيم على الحاء أو أخرتها عنها».

رأساً، ولم يَجُلْ في النَّثر قِدْحاً، وقال: أُبادِهُك، فقُلتُ: أنتَ وذاكَ؛ فمال إلى السَّيِّد أبي الحسين يسألُهُ بيتاً ليُجيز، فقُلتُ: يا هذا، أنا أكفيكَ، ثم تناولتُ جُزءاً فيه أشعارُه، وقُلتُ لمن حضَر: هذا شِعرُ أبي بكر الذي كدَّ به طَبْعَه، وأسْهرَ[1] له جَفْنَه، وأجالَ فيه فِكْرَه، وأنفقَ عليه عُمْرَه، واسْتَنْزَفَ فيه يومَه، ودَوَّنَهُ في[2] صحِيفَةِ مآثِره، وجعَلَهُ تُرْجُمانَ محَاسنِه، وعبَّر به عن باطِنِه، وأخذَ مكانَه به، وهو ثلاثونَ بيتاً، وسأُقرِنُ[3] كُلَّ بيتٍ بوِفْقِه، وأنظِمُ كُلَّ مَعنى إلى لِفْقِه[4]، بحيثُ أُصيبُ أغراضَهُ ولا أُعيدُ ألفاظَه. وشريطتي أنْ لا أقطعَ النَّفَس، فإنْ تَهَيَّأَ لواحد، أو أمكن لناقد، ممَّن قد حَضَر، يُريدُ النَّظَر، أنْ يَميزَ قولَهُ من قولي، ويَحكُمَ على البيتِ أنّه له أو لي، أو يُرَجِّح ما نظَمَهُ[5] بنار الرَّوِيَّة على ما أملَيْتُهُ على لِسانِ النَّفَس، فله يدُ السَّبْق، أو يكونَ غيرُها، فإعفاءً[6] عن هذه المقاومة، ويتنحَّى لنا عن أرض المماثلة، ويُخَلِّي بنا الطَّريقَ لمن يَبْني المنارَ به.

فقال أبو بكر: ما الذي يُؤمِنُنا من أنْ تكونَ نظَمْتَ من قبلُ ما تُريدُ إنشادَهُ الآن؟ فقلتُ[7]: اقترِحْ لِكُلِّ بيتٍ قافيةً، لا أسوقُهُ إلّا إليها، ولا أقِفُ به إلّا عَليها، ومِثالُ ذلك أنْ تقولَ: حشر، فأقولَ بيتاً آخِرُهُ: حشر، ثم: عشر، فأنظِم بيتاً قافيتُهُ عشر، ثم

---

(١) ي: وأشهد.

(٢) عبارة ي: وود به صحيفة... إلخ.

(٣) عبارة ي: ثلاثون بيتاً وبيتاً، قرن.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «اللفق بالكسر، في الأصل: أحد لفقي الملاءة، وهي نوع من اللباس، تقول: لفقت الثوب: إذا ضممت شُقّةً إلى أخرى لتخيطها، وأراد به هنا: الملائم والمشاكل».

(٥) ي: أنضمه، كذا، ولعله أراد: أنظمه.

(٦) الضبط من س، ونصبه على المصدريّة، بمعنى: فاعفُ. وقد اختار الأستاذ الأحدب رفعه، وهو جائز.

(٧) قوله: (الآن، فقلت) تحرّف في ي إلى: (إلا أن فعلت).

هَلُمَّ جرّاً إلى حيثُ يَتَّضِحُ الحقّ، ويَفتضِحُ الزُّرْق[1]، وتَستقِرُّ الحُجّة، وتَستَقِلُّ الشُّبْهةُ وتَنْطرد، فيُعرَف الحالي من العاطل، ويُفرّق بين الحقِّ والباطل؛ فأبَى أبو بكرٍ أنْ يُشاركَنا هذا العِنان، ومال إلى السَّيِّد أبي الحُسين يسألُهُ بيتاً ليُجيزَ، فتبِعْنا رأيَهُ فيما رآه، ولم نَرْضَ إلّا رِضاه، وأعملَ كُلٌّ مِنّا لِسانَهُ وفَمَه، وأخذَ دَواتَهُ وقَلَمَه، فأجَزْنا البيتَ الذي قاله، وكلّما أجَزْناهُ إجازةً، جارَى القلمُ فيها الطّبْع، وبارى[2] اللِّسانُ بها السَّمْع، وسارَقَ الخاطرُ بها النّاظر، وسابَقَ الجَنانُ فيها البنان؛ إذ[3] قُلنا:

هذا الأديبُ على تَعسُّفِ فَتكِهِ ... وبُروكِهِ عِندَ القَريضِ بِبَرْكِهِ[4]

مُتَسَرِّعٌ في كُلِّ ما يَعتادُهُ ... مِن نَظمِهِ مُتَباطِئٌ[5] عن تَرْكِهِ

والشِّعْرُ أبْعدُ مَذْهَباً ومَصاعِداً ... مِن أنْ يكونَ مُطيعَهُ في فَكِّهِ

والنَّظْمُ بَحْرٌ والخواطرُ مَعْبَرٌ ... فانْظُرْ إلى بَحْرِ القَريضِ وفُلْكِهِ

فمتى تَوانَى في القَريضِ مُقصِّرٌ ... عَرَّضتُ أُذْنَ الامتحانِ بِعَرْكِهِ

هذا الشّريفُ على تَقَدُّمِ بَيتِهِ ... في المكرُماتِ[6] ورَفْعِهِ في سَمْكِهِ

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الزرق: العمى، وأراد به الباطل». وزاد الأحدب في (كشف المعاني) ص٤٢: «جمع: أزرق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي: عمياً». وفي ي: الرزق، بتقديم الراء على الزاي، وهي لا شيء.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المباراة: المعارضة، يقال: هو يباريك، أي: يعارضك ويفعل مثل فعلك».

(٣) ي: أنْ، وكلاهما بمعنىً.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «البرك: للصدر والإبل». والأبيات لبديع الزمان، ديوانه، ص١١٧.

(٥) ي: متباطنٌ.

(٦) بعد هذا بياض في ي طمس باقي البيت.

قَــد رامَ منّــي أنْ أُقــارِنَ مِثلَــهُ وأنــا القَــرينُ السَّــوءُ إنْ لم أنْكِــهِ[1]

وإذا نظَمــتُ[2] وجــدتُ مــا قــد قُلتــهُ وحطَمــتُ جارِحــةَ القَــرينِ بدَكِّــهِ

ودَبَغْــتُ منــهُ أديمَــهُ وتَركْتُــهُ نَهِــجَ الأديــم[3] بِدَبْغِــهِ وبِدَلْكِــهِ

أصــغُو[4] إلى الشِّــعْر الــذي نظَّمتُــهُ كالــدُّرِّ رُصِّــعَ في مجَــرَّةِ سِــلْكِهِ

فمتــى عَجَــزتُ عــن القَــرين بديهــةً فَــدَمي الحــرامُ لــهُ[5] إراقــةُ سَــفْكِهِ

وقال أبو بكر أبياتاً جَهَدْنا به أنْ يُخرِجَها عن الغلاف، ويُبْرِزَها من اللِّحاف، فلم يفعلْ دونَ أنْ طَواها، وجَعَل يَعرُكُها[6] ويَفرُكُها[7]، فقُلْتُ: إنّ البيتَ لقائله، كالولَد لِناجلِهِ[8]، فما لك تعُقُّ ابنَكَ و[9] تضيمه؟ أبْرِزْها للعيون، وخلِّصْها من الظُّنون، فَكَرِهَ أبو بكر - أيّده اللهُ - أنْ تكونَ الهِرَّةُ أعقلَ منهُ ؛ لأنّها تُحْدِثُ فتغطّي، فلم يستجرِئْ[10] أنْ يُظهِرَ، ثم مَسَحَ جَبينَهُ، وبسَطَ يمينَهُ للبَديهةِ نَفَساً، دونَ أنْ يَكتُبَ، فقُلنا: أنتَ وذاكَ.

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «نكى العدوّ ينكي نكاية – وبابه: حمى -: قتل فيهم وجرح». وانظر: المخصّص لابن سيده، كتاب الأفعال والمصادر، ج٤، ص٢٨٢.

(٢) بعده في ص: قصمت ظهر مناظري. وصدر البيت في ي: وإذا نظرت وجدت ممّا قد قلته متعسّفاً (كذا).

(٣) قيّد ناسخ س في الحاشية: «نهج الأديم، من قولهم: نهِج الثوبُ، بالكسر، ينهج: أخذ في البلى، فهو نهِج».

(٤) ي: أصفو.

(٥) ساقطة في ي.

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يعركها: من العرك، وهو الدلك».

(٧) ي: ونعركها.

(٨) النَّجْل: النَّسْل، والنّاجل. الوالد. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٦٤٦ (نجل).

(٩) ص: أو.

(١٠) س: يستجر.

واقتُرِحَ علينا أنْ نقولَ على وزنِ قول أبي الطَّيِّب المتنبيّ[1] حيثُ يقول:

أرَقٌ عـلى أرَقٍ ومِـثْلِيَ يَـأْرَقُ   وجَـوًى يَزيـدُ وعَـبْرَةٌ تَتَرَقْـرَقُ

وابتَدَرَ أبو بكرٍ - أيَّده اللهُ - إلى الإجازةِ، ولم يَزَلْ إلى الغاياتِ سَبّاقاً، فقال:

وإذا ابتَـدَهْتُ بَدِيهَـةً يـا سـيِّدي   فـأراكَ عنـدَ بَـدِيهتي تَتَقَلَّـقُ

وإذا قَرَضْـتُ الشِّـعْرَ في مَيدانِـهِ   لا شـكَّ أنَّـكَ يـا أخِـي تَتَشَـقَّقُ

إنّي إذا قُلـتُ البَدِيهـةَ قُلتُهـا   عَجِلاً وطَبْعُكَ عِندَ طَبْعِي يَرفُقُ

مـا لي أراكَ ولسـتَ مِـثلي عِنـدَها   مُتموِّهـاً[2] بالتُّرَّهـاتِ تُمخـرِقُ

إنّي أُجيـزُ عـلى البَدِيهـةِ مِثْـلَ مـا   تَريانِـهِ وإذا نَطَقْـتُ أُصَـدَّقُ

لـو كُنْـتَ مـن صَـخْرٍ أصَـمَّ لهالَـهُ   مِنِّـي البَدِيهـةُ واغتَـدَى يَتَفَلَّـقُ

أو[3] كنـتَ لَيْثـاً في البَدِيهـةِ خـادِراً[4]   لَرُئِيتَ يـا مسـكينُ مِنّـي تَفـرُقُ[5]

وبَدِيهَـةٍ قـد قُلتُهـا مُتَنَفِّسـاً   فِعل الذي قـد قُلتَ يـا ذا الأخـرَقُ

ثم وقَفَ يَعتذِرُ ويقول: إنّ هذا كما يجيء، لا كما يجِبُ، فقُلتُ: قَبِلَ اللهُ عُذرَك، لكنّي أراكَ بينَ قَوافٍ مَكْروهةٍ، وقافاتٍ خَشنة، كُلُّ قافٍ كجَبَلِ قاف[6]، منها: تتقَلَّقُ، وتَتَشَقَّقُ، ويتفلَّقُ، وتُمَخْرِقُ[7]، وتُحرِّقُ، وتُطلِّقُ، وتُعلِّقُ، وتُبْرِقُ، وتُشرِقُ، وأحمَقُ،

---

(١) (المتنبي) من ص. والبيت في ديوانه، ج٢، ص٣٣٢.

(٢) ي: تسمّوهاً، تحريف.

(٣) ص، ي: لو.

(٤) ي: قادراً. وقيّد ناسخ س في الحاشية ها هنا: «ليث خادر، أي: داخل الخدر، وهو أجمته».

(٥) ي: دوني تشرقُ، بدل قوله: مني تفرق.

(٦) جبلٌ في الجغرافية الأسطورية، وكانوا يعتقدون أن هذا الجبل يحيط بالأرض، وهو أصل كل الجبال فيها. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٨؛ الزبيدي، تاج العروس (حجب).

(٧) في ص بعد هذه: وتتقلّق، وهو تكرار.

وأخْرَقُ، إلى أشياءَ لا أكْثِرُ بها العَدَد، فخُذِ الآنَ جَزاءً عن قَرْضِك، وأداءً لفَرْضِك.

وقلتُ:

مَهْـلاً أبـا بكـرٍ فزَنْـدُك أضـيَقُ ... فـاخرَسْ فـإنّ أخـاك حَـيٌّ يُـرْزَقُ

دَعْنـي أُعِـرْك إذا سـكتَّ سَـلامةً ... فـالقولُ يُنْجِـدُ في ذَوِيـك ويُعـرِقُ[1]

ولِفاتِـكٍ فتكـاتُ سُـوءٍ فـيكُمُ ... فَـدَعِ السُّتورَ وراءَهـا لا تُخـرَقُ

وانظُـرْ لأشـنَعِ مـا أقُـولُ وأدَّعـي ... ألَـهُ إلى أعراضِـكُمْ مُتسـلَّقُ

يـا أحْمقـاً وكَفـاكَ ذلـك خِزْيَـةً ... جرَّبـتَ نـارَ مَعـرَّتي هـل تَـحرِقُ[2]

فلمّا أصابَهُ حَرُّ الكلام، ومَسَّهُ لَفْحُ هذا النّظام، قطَعَ علينا فقال: يا أحمَقاً لا يجوزُ، فإنّ أحمَقَ لا ينصرِف، فقُلْنا:يا هذا، لا تَقْطَع، فإنّ شِعْرك إنْ لم يكُنْ عَيْبَةَ[3] عَيْبٍ، فليس بظَرْفِ ظَرْف[4]، ولو شِئنا لَقَطَعْنا عليك، ولوَجَدَ الطّعنُ سبيلاً إليك. وأمّا أحمقُ فلا يَزالُ[5] يَصْفَعُكَ لِتَصفَعَهُ حتى ينصرِفَ وتَنصرِفَ معه. وعرَّفناهُ أنّ للشّاعر أنْ يَرُدَّ ما لا ينصَرِفُ إلى الصَّرْف، كما أنّ له رأيَهُ في القَصْرِ والحذْف، وأنشَدْناهُ حاضِرَ الوَقتِ من أشعارِ العَرب، فقال: يَجوزُ للعَربِ ما لا يَجوزُ لك. فلم يَدرِ كيفَ يُجيبُ عن هذا المَوْقِفِ وهذه المُواقَفة[6]، وكيفَ يَسلَمُ من هذه المُصارَفَة[7]، لكنّا قُلنا:

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «ينجد، من أنجد: أخذ في بلاد نجد، ويعرق، من أعرق: أخذ في بلاد العراق».

(٢) ديوان بديع الزمان، ص١٠٦.

(٣) العيبة: وعاء من أدم تجعل فيه الثياب والمتاع والزرع المحصود. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٣٤ (عيب).

(٤) الظرف الأول: وعاء، والظرف الثاني: الكياسة والذكاء وحُسْن الهيئة. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٢٨، ص٢٢٩ (ظرف).

(٥) ص: زال.

(٦) ي: الموافقة.

(٧) ي: المعارفة.

أخبِرْنا عن بَيتِك الأوَّل، أمدَحْتَ أم قدَحْتَ؟ وزكَّيْتَ أم جَرَحْتَ؟ ففيه شيئان مُتفاوتان، ومَعْنَيان مُتَباينان، منها: أنّك بَدأْت فخاطبتَ بيا سيِّدي، والثانيةُ: أنّك عطفتَ فقُلتَ: تَتَقَلَّقُ[1]، وهما لا يركُضان في حَلْبة، ولا يَخُطّان في خِطّة.

ثم قلتُ له: خُذْ وَزْناً من الشِّعر حتى أسكُتَ عليك فتَسْتَوْفيَ من القول حَظَّك، واسكُتْ علينا حتى نَستوفيَ حَظَّنا. ثم إنّي أحفَظُ عليك أنفاسَك وأوافِقُك عليها، واحفَظْ عليَّ أنفاسي ووافِقْني[2] عليها، فإنْ عجَزْتَ عن اختلافِها حَفِظتُها لك، فسَلْني عنها بعدَ ذلك[3]. وأخَذْنا بيتَ أبي الطَّيِّب المتنبّي:

أهلاً بدارٍ سَباكَ أغْيَدُها ... أبْعَدَ ما بانَ عنك خُرَّدُها[4]

فقُلتُ:

يا نِعْمةً لا تَزالُ[5] تجْحَدُها ... ومِنَّةً لا تَزالُ تَكْنُدُها

فأخذ بمُخنَّقِ[6] البيتِ قَبلَ تَمامِه، ومَضِيق الشِّعر قبلَ نِظامِه، فقال: ما معنى (تَكْنُدُها)؟ فقُلتُ: يا هذا، كَنَدَ النِّعْمة: كَفَرَها، فرفَعَ يَدَيْه ورأسَهُ وقال[7]: مَعاذَ الله أنْ يكون (كَنَد) بمعنى جَحَد، وإنّما الكَنُودُ: القليلُ الخير[8]، فأقبَلَتِ الجماعة عليه

(١) ي: تتعلّق.

(٢) ي: ودافعني.

(٣) لقوة حافظته وحسن مذاكرته كلمات الخوارِزْميّ، حَفِظَها فلا يخلّ منها بحرف. كشف المعاني، ص٤٧ (بتصرف).

(٤) ديوانه، ج١، ص٢٩٤.

(٥) ص: زال.

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «مخنّق، كمعظَّم: موضع الخنق من العنق، يقال: بلغ منه المخنَّق، وأخذت بمخنَّقه».

(٧) ي: فقال.

(٨) ناقش هذا المعنى الزبيدي في تاج العروس (كند).

يُوسِعونَهُ بَرْياً وفَرْياً، ويَتْلونَ له قول الله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[1]. وقُلتُ له: أليس الشَّرْطُ أمْلَكَ[2]؟ والعهدُ بينَنا أنْ تَسكُتَ ونسكُت كي تُتِمَّ ونُتمَّ ثم نبحث ونفحَصَ؟ فنبَذَ الأدبَ وَراءَ ظهرِه، وصار إلى السُّخْفِ يَكيلنا بصاعِه ومُدِّه، ويَنفُضُ فيه حُمَةَ[3] جَهدِه، وأفضى إلى السَّفَهِ يَغْرفُ علينا غَرْفاً، ويَسْتَقي[4] من جُرْفِه[5] جَرْفاً. فقُلتُ: يا هذا، إنّ الأدبَ غيرُ سُوءِ الأدب، وللمُناظرةِ حَضَرْنا لا للمنافَرة، فإنْ نفَضْتَ عن هذا السُّخْف يدَك، وثنَيْت عن هذا السَّفَهِ قَصدَكَ وإلّا تركتُ مُكالمتك، ولو كان في بابِ الاستخفاف شيءٌ أعظمَ من الاحتقار، وإنكارٌ أبلغَ من تَرْكِ الإنكار، لبلَغْتُه منك، فأخَذَ يمضي[6] على غُلوائِه، ويُمعِنُ في هُرائه وهُذائه[7]، فاستَنَدْتُ إلى المَسْنَد[8]، ووضَعْتُ اليدَ[9] على اليد، وقلتُ: أستغفرُ الله من مَقالتِك، ونفضتُّها قائمةً معه، وسَكتُّ حتى عَرَفَ النّاس، وأيقنَ الجُلّاس، أنّي أملِكُ من نَفْسي ما لا يملكُه، وأسْلُكُ من طريقِ الحِلْم ما لا يسلُكُه. ثم عطَفْتُ عليه وقلتُ[10]: يا أبا بكر، إنّ

---

(١) سورة العاديات، الآية ٦.

(٢) هذه العبارة من مثلٍ يُضرب في حفظ الشرط بين الإخوان. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٦٧.

(٣) قيّد ناسخ س في الحاشية: «حمة العقرب، بالتخفيف: سمُّه».

(٤) ي: ويسقي.

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الجرف بالضم: تجرّفته السيول وأكلته من الأرض، وبالفتح: الأخذ الكثير، ومنه الجارف: للموت العامّ».

(٦) ي: بمعنى، تحريف.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الهراء والهذاء: الهذيان».

(٨) ي: المستند.

(٩) ي: إليه، تحريف.

(١٠) ي: فقلت.

الحاضِرينَ قد عَجِبُوا[1] من حِلْمي، أضعافَ ما عجِبُوا من عِلْمي، وتعجَّبُوا من عَقْلي، أكْثَرَ ممّا تعجَّبوا من فَضْلي، وبقِيَ الآنَ[2] أنْ يَعْلَموا أنّ هذا السُّكوتَ ليس عن عِيّ، وأنّ تَكَلُّفي للسَّفَهِ أشدُّ استمراراً من طَبْعك، وغَرَبي في السُّخْفِ أمْتَنُ عُوداً من نَبْعِك[3]، وسنَقْرَعُ بابَ السُّخْفِ معك، ونَفْترِعُ[4] من ظَهْرِ السَّفَهِ مُفْتَرَعك. فتكلَّمِ الآنَ[5]. فقال لي: أنا قد كَسَبْتُ بهذا العَقْل دِيَةَ أهل هَمَذان مع قِلَّتِه، فما الذي أفدتَ أنت أنت بِعَقْلِك مع غَزارتِه[6]؟ فقُلْتُ: أمّا قولُك: دِيَةَ أهلِ هَمَذان، فما أوْلاني أنْ لا[7] أُجيبَ عنه، لكنّ هذا الذي تتمدَّحُ به وتتبَحْبَح[8]، وتَتَشرَّفُ وتَتَصلَّف، من أنّك شحَذْتَ فأخَذْت، وسألتَ فحصَلْت، واجتَدَيْتَ[9] فاقْتنَيْت، فهذا عِندَنا صِفةُ ذَمّ يا[10] عافاكَ الله. ولأنْ يُقالَ للرَّجُل: يا فاعلُ يا صانِعُ أحَبُّ إليه من أنْ يُقالَ: يا

---

(١) ي: أعجبوا، هنا وفي الموضع الآتي.

(٢) عبارة ي: وبقي إلا أن يعلموا سوء نسخ منه.

(٣) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الغرب: نوع من الشجر. والنبع: شجر يتّخذ منه القسيّ».
ولأبي تمام في قصيدته المشهورة:

تخرّصاً وأحاديثاً ملفّقةً ... ليست بنبعٍ إذا عُدّت ولا غَرَبِ

ديوانه، ج١، ص٤٢.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «تفترع، من الافتراع، وهو الصعود، يقال: فرع الجبل وافترعه، أي: صعده، ويقال: أفرع فيه وفرّع فيه، أي: انحدر».

(٥) كلمة (الآن) كتبها ناسخ ي غير مرّة: (إلا أن) وهنا شدّد اللام.

(٦) ي: غوارته. وغور كلّ شيء: بعد قعره، (العين: غور)، والمراد العمق، فهو على هذا معنى مستحسن.

(٧) ي: بألّا.

(٨) ي: الذي تتمدّح تتبجّح.

(٩) س، ي: وتجدّيت، والمثبت من ص، ويؤيده ما قيّدهُ ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: اجتديتَ، يقال: اجتدى واستجدى، أي: ....، وهي العطيّة».

(١٠) حرف النداء ليس في ي.

شَحّاذُ[1] ويا مُكْدي. وقد صَدَقْتَ، أنت في هذه الحلْبةِ[2] أسْبق، وفي هذه الحِرْفةِ أعْرَق. ولعَمْرُكَ، إنّك أشحَذ، وإنّك في الكُدْية أنفذ[3]، وأنا قريبُ العَهْد بهذه الصَّنْعة، حديثُ الوِرْدِ لهذه الشِّرْعَة، مُرْمِدُ[4] اليد في هذه الرُّقْعة.

فأمّا مالُك فعندَنا يهوديٌّ يُماثِلُك في مَذْهبه، ويَزيدُكَ بذَهبِه[5]، ومع ذلك لا يَطْرُفُني إلّا بعين الرَّهبة، ولا يمُدُّ إليّ إلّا يَدَ الرَّغبة، ولو كان الغِنَى[6] حظّاً لأخطأهُ مثلُ هذا العقل، ولو كان المالُ غُنْماً لما أدرك بهذا السَّعْي، ولكنْ عَرِّفْني: هل كنتَ فيما سَلَف من زمانِك، ونَبَتَ من أسنانِك، إلّا هارباً بذَمائك[7]، مُضرَّجاً بدِمائك، مُرتَهِناً[8] بقولِك بينَ وَجْنةٍ مَوْشومة، وجوارِحَ مَهْشومة، ودارٍ مَهْدومة، وخُدودٍ مَلْطومة، ومتى صَفَتْ مَشارِعُك، و[9]أخْصَبَت مَرابعُك، إلّا في هذه الأيّام القَذِرة؟ وستعرِفُ غَدَكَ من بَعد، وتُنكِرُ أمسَك، وتَعْلَمُ قدْرَكَ في غد، وتَعرِفُ نفسَك، وما أضْيعَ وقتاً أنطَقْتُهُ[10] بذِكْرِك، ولِساناً دنَّسْتُهُ باسمِك، وملتُ إلى القَوّال[11] فقُلتُ:

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الشحّاذ: الملحّ في المسألة».

(٢) ي: الحيلة.

(٣) س: أنقل، خطأ.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «مرمد اليد، يقال: أرمد الرجل، أي: افتقر»، وتحرّفت الكلمة في ي: من مدّ.

(٥) عبارة ي: ويريك مذهبه.

(٦) لفظة (الغنى) ساقطة في ص.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الذماء: بقية الروح في المذبوح، وقد ذمى يذمي: إذا تحرّك».

(٨) كذا ضبطه ناسخ س، بكسر الهاء اسم فاعل.

(٩) ص، ي: أو.

(١٠) ي: قطعته.

(١١) قال الشيخ الأحدب: هو المغنيّ، يعني أنه بعد أن قرّعه بما تقدّم من الحطّ من شأنه، مال إلى استماع الغناء. كشف المعاني، ص٥٠.

أَسْمِعْنا خيراً، فدفع القَوّالُ وغنَّى أبياتاً، منها[1]:

وشَبَّهْنا بَنَفْسَجَ عارضَيْهِ   بَقايا اللَّطْمِ في الخَدِّ الرَّقيقِ[2]

فقال أبو بكر: أحسَنُ ما في الأمر أنّي أحفَظُ هذه القصيدة، وهو لا يَعرِفُها، فقُلْتُ: يا عافاكَ الله، أعرِفُها[3] وإنْ أنشَدتُكها ساءكَ مَسْموعُها، ولم يسُرَّكَ مَصْنوعُها، فقال: أنْشِدْ، فقلتُ: أُنشدُ، ولكنّ روايتي تُخالف هذه الروايةَ، وأنشَدتُ:

وشَبَّهْنا بَنَفْسَجَ عارِضَيْهِ   بَقايا الوَشْمِ في الوجْهِ الصَّفيقِ

فأتَتْهُ السَّكتة، وأضجَرَتْهُ[4] النُّكْتة، وانطفأت تلك الوَقْدةُ، وانحلَّت تلك العُقْدة، وأطْرَقَ مَلِيّاً وقال: والله لأضرِبنَّك[5] وإنْ ضَرَبْت، ولأشْتُمنَّك وإنْ شَتَمْت ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[6]، ولتعلَمَنَّ أيُّنا الضّاربُ وأيُّنا المضروب. وقلتُ: يا أبا بكر مَهْلاً، فإنّك بينَ ثلاثةِ فُصُول لم تتَخطَّها من عُمْرِك، وثلاثةِ[7] أحوالٍ لم تَتعَدَّها في أمرِك، وأنت في جميع الثلاثة ظالمٌ في وَعيدك، مُتَعَدٍّ في تهديدِك؛ لأنّك كَهْلٌ وأنتَ شاعر، وكُنتَ شابّاً وأنت مُقامر، وكُنتَ صبيّاً وأنتَ

---

(١) ي: فيها.

(٢) لأبي الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم (ت٣٦٠هـ). ديوانه، ص٣٧٣ (مع بعض الفروق).

(٣) ي: أعرفنا.

(٤) ي: والضَجرة.

(٥) بعد هذا في ي: وأضجرته، ولا معنى لها هنا.

(٦) سورة ص، الآية ٨٨.

(٧) ي: وثلاث.

مُؤاجر[1]؛ فنطاق القُدْرة[2] في الفُصولِ الثَّلاثـة[3] ضـيِّقٌ عـن هـذا الوعيـد، لكنّـا نصفَعُك[4] الآنَ وتَضربُنا فيها بعد، فقد قيلَ: اليوم قَصْف وغـداً خَسْـف، وقيـل: اليومَ خمر وغداً أمر[5]. فقال أبو بكر: والله لو دخَلْـتَ الجنَّـة، واتَّخـذتَ السُّـندُسَ والإسْتبرَقَ جُنّة، لصُفِعْت[6]. فقلتُ: والله، لو أنّ قفـاكَ غـدًا في دَرْج[7] في خُـرْج في بُرج لأخَذَكَ[8] من النِّعالِ ما قَدُمَ وما حَدُثَ، وشَـمِلَك مـن الصَّـفْع مـا طـابَ وخبُث. وأنشَدْتُ قولَ ابنِ الرُّوميّ:

إنْ كـان شـيخاً سَـفيهاً ... يَفُـوقُ كـلَّ سَـفيهِ
فقـد أصـابَ شـبيهاً ... لـهُ وفـوقَ الشَّـبيهِ[9]

ثم لمّا آبَتْ نفْسُ العَقْل، وزالَ سُكرُ الغيظِ، تمثّلْتُ بقول القائل:

وأنْزَلَنـي طـولُ النَّـوى دارَ غُربـةٍ ... إذا شئتُ لاقَيْتُ أمـرأً لا أشـاكلُهْ

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «وأنت مؤاجر: كناية عما يستهجن ويستقبح». والمؤاجَرة: أن يبيح الإنسان نفسه – جنسياً – مقابل أجر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٠ (أجر).

(٢) ي: القدوة.

(٣) ي: الثلاثة الفصول.

(٤) ي: نضعفك.

(٥) أي: يشغلنا اليوم خمر، وغداً يشغلنا أمر، يعني أمر الحرب. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤١٧؛ الزمخشري، المستقصى، ج١، ص٣٥٨.

(٦) ي: ولضعفت.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الدرج، بالتحريك والسكون: الذي يكتب فيه».

(٨) ي: لأحذر.

(٩) ديوانه، ج٣، ص٥١٨ (مع اختلاف في بعض الألفاظ).

أُحامقُـهُ[١] حتـى يقـالَ سَـجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنـتُ أُعاقلُـهُ[٢]

ودُفِع[٣] القَوّالُ فبدَأ بأبيات، ولَـحَّن بأصوات، وجَعَل النُّعاسُ يَثني الرُّؤوس، ويمنَعُ الجُلوس، فقُمنا عن اللَّيلِ وهو يَجُرُّهُ[٤] مائل الذَّقن إلى ما وُطِّيءَ من مَضْجَع، ومُهِّدَ من مَهْجَع، ولم يكن النّومُ ملأ الجفون، ولا شَغَلَ العيون، حتى أقبلَ وفدُ الصّباح، وحَيْعَلَ المؤذِّنُ بالفَلاح، وندَبَ إلى النُّهوضِ المفروض ؛ فأجَبْنا. فلمّا قَضَينا الفَرْض، فارَقْنا الأرض، فأوى إلى أمّ مَثْواه[٥]، وأوَيتُ[٦] إلى الحُجرة، وظَنّي أنّ هذا الفاضلَ يأكُلُ يَدَهُ نَدماً، ويبكي على ما جَرى دَمْعاً ودَماً، فإنّه إذا سَمِعَ بحديثِ هَمَذان قال: الهاء: هَمٌّ، والميمُ: مَوْتٌ، والذَّالُ: ذُلٌّ، والألِفُ: آفةٌ، والنُّونُ: نَدامةٌ. وإنّه إذا نامَ هالَهُ منّا طَيْف، وإذا انتبَهَ راعَهُ منّا سَيْف.

وأخذ النّاس يَترامَزونَ بما جَرى ويَتغامزون، ورابَ هذا الفاضلَ غَمَـزاتُهم مِثْـلَ ما رابَ المريضَ تَغامُزُ العُوّاد، فجعَلَ يَحلِفُ للنّاس[٧] بالعِتْقِ، وتَحريرِ الـرِّقّ، والمكتـوبِ في الرَّقِّ، أنّه أخَذَ قَصَبَ السَّبْق، وأنّه يَنطِقُ عن[٨] الحقِّ[٩]. والنّـاسُ أكيـاسٌ لا يُقـنعُهم عن المدَّعي يمينٌ دونَ شـاهدَيْن، وسَـعَوْا بينَنـا بالصُّـلح يُحكمـونَ قواعِـدَهُ ومَعاقِـدَه.

---

(١) ي: أجامعه.

(٢) أورد الجاحظ هذين البيتين وثالثاً، دون أن يعزوها لقائل، مكتفياً بقوله: «قال آخر». البيان والتبيين، ج١، ص٢٤٥، ج٢، ص٢٣٥؛ ج٤، ص٢١. كما أوردهما ابن قتيبة بعد أن صدّرهما بقوله: «وقال آخر في مداراة الناس». عيون الأخبار، ج٣، ص٣٠. ونسبهما ابن الجراح إلى أبي دهمان الغلابي البصري، وهو شاعر مقلّ. الورقة، ص٦٩

(٣) ي: ورفع، الراء مجوّدة.

(٤) ي: يُجَرّ.

(٥) يعني أبا بكر، وأم مثواه: محلّ إقامته.

(٦) ي: وألويت.

(٧) ي: يحلّف الناس.

(٨) س، ص: على.

(٩) ي: الجنّ.

وعَرَفْنا له فضلَ السِّنِّ فقصَدناه مُعتَذِرينَ إليه، فأومى إيماءةً مَهِيضَـةً[١]، واهتَـزَّ اهتـزازةً مَغِيضة، وأشار إشارَةً مَريضة، بكفٍّ سَحَبَها على الهـواءِ[٢] سَـحْباً، وبسَـطَها في الجَـوِّ بَسْـطاً، وعَلِمنا أنّ للمَقْمورِ[٣] أنْ يَستخِفَّ ويستهين، وللقامِرِ أنْ يحتملَ ويَلين، فقلنـا: إنّ بعـدَ الكَدَر صَفْواً، كما أنّ عَقِبَ المطَر صَحْواً، فهـل لـكَ في خُلُـقٍ[٤] في العِشْـرةِ نَسـتأْنِفُها، وطُرُقٍ في الخُلْطةِ نسلُكُها؟ فإنّ ثمرَةَ الخِلافِ ما قد بَلَوْتَها، فقال: ظَهَرَ الوِفاقُ لفظاً كـما ذكَرْت، والجميلُ أجملُ كما عَلِمت، وسَنَشتركُ[٥] هـذا العِنـان، وعـرَضَ علينـا الإقامـةَ عندَهُ سَحابةَ ذلك اليوم، فاعتلَلْنا بالصّوم، فلم يَقْبَل العُذْرَ وألَحَّ، فقلـتُ: أنـتَ وذاك؛ فطَعِمْنا عندَه، وأخَذْنا دِنْدانَ مُزْدَه[٦]، وخرَجْنا والنيَّةُ على الجميل موفورة، وبُقعـةُ الـوُدِّ معمورةٌ، وصِرْنا[٧] لا نتعلَّلُ إلّا بمَدْحِه، ولا نتنقَّـل إلّا بـذِكْرِه، ولا نَعتـدُّ إلّا بـوُدِّه، لا بل ملأنا البَلَد شُكراً، والأسماعَ[٨] نَشراً.

وبِتنا نحنُ من الحال في أعذبِها شِرْعة، ومن الثِّقةِ في أطيبِها جُرْعة، ومن الظُّنون

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «مهيضة: من الهيض، وهو الكسر، يقال: هاض العظمُ هيضاً، وإسنادها إلى الإيماء مجاز، كعيشة راضية».

(٢) كتب ناسخا س، ص هذه الكلمة كذا: الهوى.

(٣) ي: للمقهور. والمقمور: المغلوب في لعب القمار.

(٤) كذا في الأصول، والأَوْلى الجمع، لعَوْد الضمير في قوله: (نستأنفها) إلى جمع، وله في مراعاة المزاوجة بين (خُلُق) و(طُرُق) مندوحة.

(٥) كذا في الأصول.

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «وأخذنا دندان مزده، هكذا في أصله، ولا أدري هل هي محرَّفة من كلمة أخرى أو فارسية معناها: كراء الأذان». وقال الشيخ الأحدب ما نصُّه: «المزد هو: البرد، والدّندان كالدِّندِن بكسر الأول والثالث: هينمة الكلام، والمعنى: أخذتنا رعدة البرد حتى كأننا نهينم». كشف المعاني، ص٥٤. والذي أراه أن الكلمة فارسيّة معناها: الصدقة، سواء كانت نقداً أو طعاماً، وعادة ما تقدّم بعد العشاء.

(٧) ي: وبهرنا.

(٨) ي: والاستماع.

في أملحِها فَرْعة[1]، ومن المودَّةِ في أعزِّها بُقعة، وأوْسعِها رُقْعة، حتى طَرأ علينا رسولانِ متحمِّلانِ لمقالتِه، مؤدِّيانِ لرسالتِه، ذاكرانِ أنّ أبا بكر يقولُ: قد تواترتِ الأخبار، وتظاهرتِ الآثار، في أنّك قَهرْتَ وأنّي قُهرت، ولا أشُكّ أنّ ذلك[2] التّواتَرَ عنك صَدَرَتْ أوائلُهُ، والخبَرُ إذا تواترَ به[3] النَّقْل، قبلَهُ العقل، ولا بُدَّ أنْ نجتمعَ في مجلس بعض الرؤساء، فتتناظرَ بمشهدِ الخاصَّةِ والعامَّة، فإنّك متى لم تفعَلْ ذلك لم آمَنْ عليك تلامذتي، أو تُقِرَّ بعَجْزِك وقُصورِك عن بُلوغِك[4] أمَدي ومنالَ يدي[5].
فعَجِبتُ كُلَّ العَجَب ممّا سَمِعت، وأجبتُهُ فقلتُ: أمّا قولُك: قد تواتَرَ الخبَرُ بأنّك قُهِرتَ، وأنّ ذلك عن جِهَتي صَدَر ومن لِساني سُمِع، فبالله، ما أتمدَّحُ بقَهرِك، ولا أتبجَّحُ بقَصرِك، وإنّ لنفسِك عندَك لَشأناً[6] إنْ ظنَنْتَني أقِفُ هذا الموقِف. أنا إنْ شاءَ اللهُ تَعالى أبعَدُ مُرتقَى هِمَّةٍ ومَصعَدِ نَفْس، أسألُ اللهَ سِتراً يمتَدُّ، ووَجْهاً لا يسوَدُّ.

فأمّا التَّواتُرُ من النّاس والتَّظاهُرُ على أنّي قَهرتُكَ، فلو قدَرْتُ على النّاس لَخِطتُ أفواهَهم، ولقَبَضتُ شِفاهَهم، فما الحيلةُ؟ وهل إلى ذلك[7] سبيلٌ فأتوسَّل، أم ذريعةٌ فأتوصَّل؟ ثم هذا التَّواتُر، ثمرةُ ذلك التَّناظُر، مع ذلك التَّساتُر. فإنْ كان قد ساءَكَ فأحرى أنْ يسوءَكَ[8] عندَ مُجتَمَعِ النّاس ومُحتَفَل أولي الفَضْل، ولأنْ يُترَكَ

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الفرعة: مكان مرتفع في الجبل، يقال: نزلنا فرعة من فراع الجبل».
والكلمة في ي: قرعة. وهو وجه.
(٢) ص، ي: ذاك.
(٣) ساقطة في ي.
(٤) س، ص: بلوغ.
(٥) س، ص: وما أبدي.
(٦) ي: لساناً.
(٧) ي: ذاك.
(٨) ي: سيوك.

الأمرُ[1] مُختلفاً فيه خيرٌ لك من أنْ يُتَّفَقَ[2] عليه، وإنْ أحبَبْتَ أنْ تُطِيرَ هذا الواقِع، وتُهيجَ هذا السّاكنَ، فرأيُكَ مُوفَّقاً.

فأمّا هذا الوَعيدُ فقد عرَضتُهُ على جَوانحي أجْمع، وجَوارحي كلِّها، فلم تُنشِدْ إلّا بيتَ القائل:

وَعيدٌ تَخْدِجُ[3] الآرامُ منهُ   وتَكْرَهُ بَنَّةَ[4] الغَنَمِ الذِّئابُ

فكم تتكوكبُ تلامِذتُكَ[5] ويتعسكرون، ويتجيَّشُ[6] أصحابُك ويتجمّعون[7]! ولستُ أراك إلّا بينَ ثِنتَين[8]، إحداهُما:

تَرُوحُ إلى أُنثَى وتَغْدو إلى طفلِ[9]

والأخرى: تُجيبُ[10] دعوةَ المُضطرِّ إذا دعاك بمُسَلَّفات[11]، فإنْ كان اللهُ قد قضى

---

(1) ي: الأمور. تحريف واضح.

(2) ي: تنفق.

(3) في الأصول: تخرج، خطأ صوّبه ناسخ س، وقيّد في الحاشية: «خدجت الناقة تخدج بالكسر خدجاً وخداجاً فهي خادج والولد خديج: إذا ألقت ولدها قبل تمام الأيام وإن كان تامّ الخَلْق. والآرام: الظباء البيض الخالصة، الواحد: ريم».

(4) في الأصول: نية، والأصح ما أثبتناه، فالبَنّة: الرائحة الطيّبة، وضدّها. وهي رائحة موضع مرابض الغنم، والبيت لبعض بني سعد بن لؤي. ابن دريد، الاشتقاق، ص١٠٧.

(5) ي: بلاضتك!

(6) ي: وتتجعّش.

(7) ص: ويتعجرفون، ي: ويتباجعفرون.

(8) عبارة ي: إلّا نين ميمن.

(9) أي: تروح إلى امرأة ونحوها وتغدو إلى تعليم الصبيان، يريد أنه بين الثنتين يكون قليل العقل. كشف المعاني، ص٥٦.

(10) ي: والآخر يجيب.

(11) ي: إذا دعاه عشلقات.

أنّ القتلَ بأخسِّ السّلاح، فلا مَفَرَّ من القَدَرِ المُتاح، رزَقَنا اللهُ عقلاً به نَعيش، ونعوذُ بالله من رأيٍ بنا يطيش.

وقُلنا من بَعدُ: إنّ رِسالتَك هذه ورَدَتْ مَوْرِداً لم نحتَسبه، ووَصَلَت مَوْقِفاً لم نرتقبْهُ، فلذلك خرج الجوابُ عن البصَل ثُوماً، وعن البخل[1] لُؤماً.

فلمّا ورَدَ الجوابُ عليه وَسِعَ من الغيظِ فوقَ مِلْئه[2]، وحَمَلَ من الحِقْد فوقَ عِبْئه[3]، وقال: قد بلَغَ السّيلُ الزُّبَى، وعَلتِ الوِهادُ الرُّبى، في أمْرك، وستُرى في يومِك، وتُعرَفُ في[4] قومِك.

ثم مَضَت على ذلك أيّامٌ، ونحنُ مُتَطَرون لِفاضلٍ يَنْشَطُ لهذا الفَصْل، وينظُرُ بينَنا بالعَدْل، فاتّفقَتِ الآراءُ على أنْ يُعقد هذا المجلسُ في دار الشّيخ أبي القاسم الوزير، واستُدعِيتُ فسرَّحتُ[5] الطَّرفَ من ذلك السَّيِّد في عالَـمٍ أُفرِغَ في عالِـم، ومَلَكٍ[6] في دِرع مَلِك، ورَجُلٍ نظَمَ[7] إلى التَّنبُّلِ[8] تَبذُّلًا، وإلى الترفُّع تواضعاً. ونطَقَ، فوَدَّت الأعضاءُ لو أنّها أسماعٌ مُصغِية، واستمع فتمنَّتِ الجوارحُ لو أنّها ألسُنٌ[9] ناطقة، فقلتُ: الحمدُ لله أنْ عُقِدَ هذا المجلِسُ في دارِ مَن يُفرِّقُ بينَ مَن يُحِقُّ ومَن[10] يَزْرِق[11].

---

(١) ي: النخل، مجوّدة.

(٢) رسم ناسخ س هذه الكلمة كذا: ملأه، وفي ي: مليئه.

(٣) ي: عديه.

(٤) سقط حرف الجرّ في ي.

(٥) ي: فتسرّحت.

(٦) ي: أو ملك.

(٧) ي: نظمه.

(٨) لفظة (التنبّل) هذه مطموسة في ي.

(٩) ي: ألسنة.

(١٠) ي: وبين من.

(١١) زرقت عينه: إذا انقلبت وظهر بياضها، يحق، أي: يثبت أو يصير ذا حقّ. كشف المعاني، ص٥٧.

وكنتُ أوّلَ مَن حضَرَ، وانتظرتُ مَليّاً حضورَ مَن يَنظُرُ وقدومَ مَن يُناظر.

وطَلَعَ الإمامُ أبو الطَّيِّب[1] وأخَذَ من المجلس موضِعَه، والإمام أبو الطَّيِّب بنفسِه أُمّةٌ، ووحدَه عالَم.

ثم حضَرَ السَّيِّد أبو الحسين وهو ابنُ الرِّسـالةِ والإمامـة، وعـامِرُ أرض الـوَحي، والمُجتبَـى بفِنـاءِ النُّبـوّة، والضّـاربُ في الأدب بعِرْقِـه، وفي المَنْطِـق[2] بحذْقِـه، وفي الإنصاف بحُسن خُلُقِه، فجَشِمَ إلى المجلس قَدَمُ سَبْقِه، وجَعَلَ يَضرِبُ عن هذا الفاضِل بسيفَين لأمرٍ كان قد مُوِّهَ عليه، وحديثٍ كانَ شُبِّهَ لديـه. وفَطِنْتُ لـذلك فقلـتُ: أيُّهـا السَّيِّد، أنا إذا سارَ غيري في التَّشَيُّع برِجْلَين، طِرْتُ بجَناحَيْن، وإذا مَتَّ سِوايَ في مُوالاةِ أهل البيتِ بلمحةٍ دالّة، توسَّلتُ[3] بغُرّةٍ لائحة، فإنْ كُنـتَ أُبلغْـتَ غـيرَ الواجـب، فـلا يحمِلَنَّك على تَرْكِ الواجب. ثم إنّ لي في آلِ الرَّسُولِ صـلّى اللهُ عليـه وسـلَّم قصـائدَ قـد نَظَمَتْ حاشيَتَي البَرِّ والبحـر، ورَكِبـتِ الأفـواه، ووَرَدَتِ[4] الميـاه، وسـارت في الـبِلاد ولم تَسِرْ بزاد، وطارتْ في الآفاق ولم تَسِرْ على سـاق. ولكنّـي أتسـوَّقُ بهـا لـديكم، ولا أتنفَّقُ بها عليكم، وللآخرةِ قُلتُها لا للحاضِرة، وللدِّين ادَّخرتُها لا للدُّنيا. فقال: أنْشِدْني بَعْضَها، فقُلتُ[5]:

يـــا لُـــمَّةً ضَرَب الزَّمـــا	نُ عـــلى مُعرَّسِـــها خِيامَـــهْ
للهِ دَرُّكِ مِـــــن خُـــــزا	مَـى روضـةٍ عـــادَت ثُغامَـــهْ
لِرَزِيَّـــــةٍ قامـــــت بهـــا	للـــــدِّينِ أشراطُ القيامـــــهْ

---

(١) سَهْل بن مُحمّد الصُّعْلوكي، وقد مرّ التعريف به، ص٤٤، هامش (٢).

(٢) ي: النطق.

(٣) ي: ترسّلت.

(٤) ي: وقدوت. (كذا).

(٥) ديوان بديع الزمان، ص١٣٠.

لمضـــــرَّجٍ بـــــدَمِ النُّبـــــوَّةِ ضـــــاربٍ بيـــــدِ الإمامَـــــهْ

مُتقسَّـــمٍ بظُبَـــا السُّـــيو ... فِ[1] مُجـــرَّعٍ منهـــا حِمامَـــهْ

مُنِـــعَ الـــوُرُودَ ومـــاؤُهُ ... منـــهُ عـــلى طـــرَفِ الثُّمامَـــهْ

نصَـــبَ ابـــنُ هنـــدٍ رأسَـــهُ ... فـــوقَ الـــوَرى نَصْـــبَ العلامَـــهْ

ومُقبَّـــلٍ كـــانَ النبـــيُّ بلَثْمِـــهِ يَشـــفي غَرامَـــهْ[2]

قـــرَعَ ابـــنُ هِنـــدٍ بالقضيـــ ... ـــبِ غـــذاءَه[3] فَـــرطَ استضـــامَهْ[4]

وشَـــدَا بنَغْمتِـــهِ[5] عَليـــ ... ـــهِ وصَـــبَّ بالفَضَـــلاتِ جامَـــهْ

والـــدِّينُ أبلَـــجُ ســـاطِعٌ ... والعـــدلُ ذو[6] خـــالٍ وشـــامَهْ

يـــا وَيْـــحَ مَـــن وَلَّى الكِتـــا ... بَ قَفـــاهُ والـــدُّنيا أمامَـــهْ

لَيُضَرِّسَـــنَّ يـــدَ النَّـــدا ... مـــةِ حـــينَ لا تُغنـــي النَّدامَـــه

وليـــدرِكَنَّ عـــلى الغَـــرا ... مـــةِ سُـــوءَ عاقبـــةِ الغَرامَـــهْ

وحِمـــىً أبـــاحَ بَنـــو أُميَّـــةَ عـــن طَـــوائِلِهم[7] حَرامَـــهْ[8]

حتَّـــى اشـــتَفَوْا مـــن يَـــوْم بَـــدْ ... رٍ واســـتَبَدُّوا بالزَّعامَـــهْ

لَعَنـــوا أمـــيرَ المؤمنيـــ ... ـــن بمثـــلِ إعْـــلانِ الإقامَـــهْ

---

(١) ي: للسيوف.

(٢) هذا البيت كتبه ناسخ ي في الحاشية، وصحّح عليه.

(٣) س، ص: عذابه، وفي ي رسم الناسخ هذه الكلمة: عدائه. وكلّه تحريف فاسد.

(٤) ي: استقامة.

(٥) ي: ذر.

(٦) ي: ولتكن.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الطوائل: جمع طائلة، وهي العداوة».

(٨) ي: جرامه.

لِمْ لا تَخُـــرِّي[1] يـــا ســـما[2] ءُ ولَمْ تَصُـــبّي يـــا غَمامَـــهْ

لِمْ لا تَـــزولي[3] يـــا جِبـــا لُ ولَمْ تَشُـــولي[4] يـــا نَعامَـــهْ

يـــا لعنـــةً صـــارت عـــلى أعنـــاقِهِمْ طـــوقَ الحَمامَـــهْ

إنّ العمامـــــةَ لم تكـــــنْ للئـــيمِ مـــا تحـــتَ العمامَـــهْ[5]

مـــن سِـــبْطِ[6] هنـــدٍ وابنهـــا دونَ البتـــــولِ ولا كَرامَـــــهْ

يـــا عـــينُ جُـــودي للبقيـــــع وذرِّعـــي[7] بـــدَمٍ رَغامَـــهْ[8]

جُـــودي بمـــذخُورِ الـــدُّمو ع وأرسِـــلي بَـــدَداً نظامَـــهْ

جُـــودي بمشـــهَدِ كَـــرْبلا ءَ فـــوفِّري منّـــي ذِمامَـــهْ

جُـــودِي بمكنـــونِ الـــدُّمُو ع أجُـــدْ بـــما جـــادَ ابـــنُ مامَـــهْ[9]

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «إسقاط النون من تخرّين وتصبّين وكذا تزولين وتشولين، مع عدم المقتضي لذلك، لغة لبعض العرب نحو قوله:

أبيـــتُ أَسرِي وتبيتـــي تـــدلكي وجهَكِ بالعنبر والمسك الزَّكـي

وهي لغة فصيحة».

(٢) ي: باسماً !

(٣) ي: يزولي.

(٤) ي: يستولي.

(٥) ص: الغمامة.

(٦) قيّد ناسخ س ها هنا في الحاشية: «من سبط، يحتمل أن تكون من: استفهامية للتحقير والاستخفاف، وأن تكون جارّة».

(٧) ص، ي: فذرّعي. وقيّد ناسخ س في الحاشية: «ذرّعي بالذال [مأخوذ من] قولهم: مطر مـذرِّع بكسر الراء [مشدَّدة: الذي] يرسخ في الأرض قدر ذراع، ويحتمل أن يكون بالدال المهملة، من: درّعته: ألبسته الدرع، وهو القميص».

(٨) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الرغام بالفتح: التراب».

(٩) هو كعب بن مامة الإيادي، من أجواد العرب المشهورين. ذكر بعض أخباره المبرد في الكامل، ج١، ص١٨٦.

فلمّا أنشَدتُّ ما أنشدت، وسَرَدتُّ ما سَرَدت، وكُشف له الحالُ[1] فيما اعتقدت، انحلَّتْ له العُقْدة، وصار سِلماً ؛ يُوسِعُنا حِلماً.

وحضَرَ بعدَ ذلك الشّيخ أبو عُمَرَ البَسْطاميّ[2]، وناهيكَ[3] من حاكمٍ يفصِل، وناظرٍ يَعدِل، يَسْمعُ[4] فيفهَم، ويقول فيعلَم.

ثم حضَرَ بعدَ ذلك القاضي أبو نَصْرٍ[5]، والأدَبُ أدنَى[6] فَضائلِه، وأيْسَرُ فَواضِله، والعَدْلُ شِيمةٌ من شِيَمِه، والصِّدْقُ مُقتَضى هِمَمِه.

وحضَرَ بعدَهُ الشّيخ أبو سَعْد[7] مُحمّد بنُ أرمَكَ - أيّده الله - وهو الرجلُ الذي يَحميهِ لألاؤه[8] ولَوْذَعِيَّتُهُ مِن أنْ يُدالَ بمَن ومِمَّن[9] الرجُل؟ وهو الفاضِلُ الذي يَخْطِبُ

---

(١) عبارة ي: وكشفتُ له الحالَ.

(٢) مُحمّد بن الحسين بن مُحمّد، شيخ الشافعية في وقته، وقاضي نَيْسابُور، توفي سنة ٤٠٨هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٢١. وعند الحاكم النيسابوري: أبو عمرو. تاريخ نيسابور، ص١٨١.

(٣) ي: وناهياً.

(٤) ي: ويسمع.

(٥) ستَرِد بعض رسائل بديع الزَّمان إليه.

(٦) ي: أرى.

(٧) في الأصول: سعيد، والأصح ما أثبتناه من الثعالبي، تتمة يتيمة الدهر، ص٣١٠، وقد أورد بيتين لأبي صالح سهل بن أحمد النيسابوري المستوفي فيه، وفي البيت الثاني ما يؤكد صحة (سعد)، وهما:

سَلَكَ ابنُ أرمكَ للسماحِ مسالكاً ... لو مرّ فيها حاتم لم يهتدِ
وسما بهمّته التي قد ذللت ... هام السماك وقرن سعد الأسعدِ

(٨) قيّد ناسخ س في الحاشية يشرح أربع كلمات آتية: «اللألاء: التوقد، وأراد به هنا حدّة الذهن والذكاء. واللوذعي: الظريف الحديد الفؤاد، ويُدال بالمهملة: من الدالة، وهي الشهرة، وقد دال يدول دولاً ودالة: صار ذا شهرة. وفراره بالفاء، وأصله المثل المشهور: إنّ الجواد عينه فراره، يعني: يغنيك منظره وشخصه عن اختباره، وفرُّ أسنانِه، أي: النظر إليها». وقال الميداني: «وهذا مثل يُضرب لمن يدلّ ظاهره على باطنه فيغني عن اختباره، حتى لقد يقال: إن الخبيث عينه فُراره». مجمع الأمثال، ج١، ص٩. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٥٦ (فرر).

(٩) ي: أو ممّن.

في حَبْلِ الكتابةِ ما شاءَ، ويركُضُ في حَلْبَةِ العِلمِ ما أرادَ.

وحضَر بعدَهُ أبو القاسم ابنُ حبيب[1]، وله في الأدب عينُهُ وفُرارُهُ، وفي العِلْم شُعْلَتُهُ ونارُه.

وحضَرَ بعدَهُ الفقيهُ أبو الهيثم ورائدُ[2] الفضْل يَقْدَمُه، وقائدُ العَقْل يخدُمُه.

وحضَرَ بعدَهُ الشّيخ أبو نَصْرٍ ابنُ المَرْزُبان[3]، والفَضْلُ مِنْهُ بَدأ وإليه يَعُود.

وحضَرَ بعدَهُ أصحابُ الإمام أبي الطَّيِّب الأُستاذ،

وما مِنْهمُ إلّا أغَرُّ نَجِيبُ

وحضَرَ بعدَهم أصحابُ الأُستاذِ الفاضل أبي الحسَن الماسَرْجِسي[4]،

وكلٌّ إذا عُدَّ الرّجالُ مُقَدَّمُ

وحضَرَ بعدَهم أصحابُ الأُستاذِ أبي عُمرَ البَسْطامي، وهم في الفَضْل كأسْنانِ المُشْط[5]، ومنه بأعْلَى مناطِ[6] العِقْد.

---

(١) لعلّه الحسن بن مُحمّد بن حبيب النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٦هـ، صاحب (عقلاء المجانين). وهو مفسّر واعظ. انظر ترجمته عند: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٣٧.

(٢) ي: وزائد.

(٣) سَهْل بن المرْزُبان الأصْبهاني، أديبٌ مستقرُّه نيسابور، مكثرٌ من جمع نفائس الكتب، وله تصانيف أدبية، (ت٤٢٠هـ). معاصر للثعالبي وصاحبه. عنه، انظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٥٢ (أخباره مبثوثةٌ في كثير من صفحات الكتاب)؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج٣، ص١٩٠٨؛ الصفدي، الوافي، ج١٦، ص١٤. وسترد بعض رسائل بَديع الزَّمان له.

(٤) مُحمّد بن علي بن سهل بن مصلح النَّيسابُوري الشافعي، أحد كبار الفقهاء والمحدّثين في زمانه. توفي سنة ٣٨٤هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٤٦.

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المشط بالضم: واحد الأمشاط، وهو الذي يمشط بها (كذا)، وبالفتح: مصدر مشطتها الماشطة مشطاً».

(٦) عبارة ي: ومنه بأعلى منّا كالعقد (كذا).

وحضَرَ بعدَهُم الشّيخ أبو سعيدٍ الهَمَذاني[1]، وله في الفَضْل قِدْحُهُ المُعَلّى، وفي الأدب حَظُّهُ الأعلَى.

وحضَرَ بعدَ الجماعةِ أصحابُ الأسْبِلَةِ[2] المُسْبَلة، والأسْوِكةِ[3] المُرْسَلة، ورِجالٌ يَلْعَنُ بعضُهم بعضاً، فصاروا إلى قَلْب المجلس وصَدْرِه، حتى رُدَّ كَيْدُهُم في نحْرِهم، وأقيمُوا بالنِّعال إلى صفِّ النِّعال. فقلتُ لمن حضَر: مَن هؤلاء؟ فقالوا: أصحابُ الخوارِزْميّ.

فلمّا أخَذَ المجْلسُ زُخْرُفَه مِمَّن حضَر، وانتُظر أبو بكْر فتأخَّر، اقترَحوا عليَّ قَوافيَ أثبَتُوها، واقتراحاتٍ[4] كانوا بَيَّتُوها، فما ظَنُّك بالحَلْفاء[5] أُدْنِيَتْ لها النّار، من لَفْظٍ إلى معنى نسَقْتُه[6]، وبَيتٍ إلى القافية سقتُهُ، على رِيقٍ لم أَبْلعْه، ونَفَسٍ لم أقْطَعْه.

وصار الحاضرون بين إعجابٍ بما أوْردَتُّ، وتعجُّبٍ ممّا[7] أنشدتُّ، وقال أحدُهم بل أوْحَدُهم، وهو الإمامُ أبو الطَّيِّب: لن نُؤْمنَ لك حتى نَقْتَرِح القوافِيَ، ونُعَيِّنَ المَعاني، ونَنُصَّ على بَحْر، فإنْ قُلتَ حِينَئذٍ على الرَّوِيّ الذي أسُومُه، وذكَرْتَ المَعْنى الذي أرُومُه، فأنتَ حيُّ القَلْبِ كما عَهِدْناك، مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ كما شاهَدْناك، شُجاعُ الطَّبْع كما وَجَدْناك، وشَهِدْنا[8] أنّك قد أحْسَنْتَ، وأنْ لا[9] فتًى إلّا أنت. فلما خَرَجتُ من

---

(١) للهمذاني رسالةٌ إليه، ص٥٠٢.

(٢) ي: الأنسبلة.

(٣) ي: والأسولة.

(٤) ي: وإقراحات.

(٥) الحَلْفاء: نباتٌ سريع الاشتعال.

(٦) عبارة ي: أمن لفظ إلى المعنى فسقيته.

(٧) ي: بما.

(٨) ي: شهدنا، أسقط الناسخ الواو.

(٩) ي: وألّا.

عُهْدَةِ هذا التكليفِ حتى ارتَفَعَتِ الأصواتُ بالـهَيْلَلةِ[1] مـن جانـب، والحَوْقَلـةِ[2] مـن آخَر، وتعجَّبُوا إذْ أرَتْهُمُ الأيام، ما لم تُرِهِم الأحلام، وجادَهُم العيانُ بما بَخُلَ به السَّماع، وأنجزَهُم الفَهْم، ما أخْلَفَهُمُ الوَهْم.

ثم التفتُّ فوجَدتُّ الأعناقَ تلتفت، وما شَعرتُ إلّا بهذا الفاضِـل وقـد طَلَـع في شَمْلَتِه، وهَبَّ بجُملتـه، بـأوْداجٍ[3] مـا يَسَـعُها الـزِّرّانُ[4]، وعَيْنَـيْن في رأسِـه تَـزَرّان[5]، ومَشَى إليّ فوقَ أعناق النّاس، وجعَلَ يَدُسُّ نَفْسَه[6] بَـيْنَ الصُّـدورِ يُريـدُ الصَّـدْرَ، وقـد أخذ المجلِسَ أهلُه، فقُلْتُ: يا أبا بكرٍ، تَزَحْزَحْ عن الصَّدْرِ قليلاً إلى مُقابَلةِ أخي، فقـال: لستَ بِرَبِّ الدّار، فتأمُرَ على الزُّوّار، فقُلْتُ: يا عافاك الله، حَضَـرْتَ لتُناظِرَني، والمُناظَرةُ اشتُقَّتْ إمّا من النَّظَر أو من[7] النَّظير، فإنْ كان اشتقاقُها من النَّظَـر فمِـن حُسْـن النَّظـر أنْ يكونَ مقْعَدُنا واحِداً حتى يَتَبَيَّنَ الفاضلُ من المَفْضُول، ثم يَتطَاوَلَ السّابقُ ويتقـاصَرَ المسبوق، فقَضَتِ الجماعةُ بما قَضَيْتُ، وغُصَّ هذا الفاضِلُ من تلك الحكمة، وانْحطَّ عن تلك العَظمة. وقابَلَني بوَجهه، فقُلْتُ: أراك أيُّها الفاضِلُ حريصاً على اللِّقاء، سريعـاً إلى الهَيْجاء،

---

(١) الهيللة: قول: لا إله إلا الله.

(٢) الحوقلة: قول: لا حول ولا قوة إلّا بالله.

(٣) ي: بأدراج.

(٤) في الأصول: الرزان، بالراء قبل الزاي، مع ضمّ النون. ولعلّها: الزّرّان، والزّرّ معروف. وقوله: (بأوداج ما يسعها الزّرّان) كناية عن غلظ عنقه غلظاً كبيراً.

(٥) يقال: زرّت عينه تزَرّ، بفتح الزاي من باب علم: إذا توقّدت وتنوّرت. كشف المعاني (بتصرّف)، ص٦٤.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) ي: وإمّا من.

ولو زَبَنَتْكَ[1] الحربُ لم تَتَرَمْرَم[2]

ففي أيِّ عِلْمٍ تُرِيدُ أنْ نَتَناظَرَ؟ فأومى إلى النَّحْو، فقُلْتُ: يا هـذا، إنّ اليـومَ[3] قـد مَتَعَ[4]، والنّهارَ قد ارتَفَع، والظُّهْرَ قد أزِف، ولَئِن قَرَعْنا[5] بـابَ النَّحْـو أَضَـعْنا اليـومَ فيـه، فبماذا يَخْرُجُ[6] النّاس؟ فعلا هُتافُ النّاس أيُّها ردَّ الجوابَ هُناك ما يُدرَى المُجيـب، فـإنْ شِئتَ أنْ أُناظِرَك في النَّحْو فَسَلِّم الآنَ لي ما كُنتَ تَدَّعيهِ من سُرعةٍ في البَدِيهة، وجوْدةٍ في الرَّوِيَّة، وقُدْرةٍ على الحِفْظِ، ونَفاذٍ[7] في التَّرَسُّل، ثم أنا أُجارِيك في هذا. فقـال: لا أُسَـلِّمُ ذلك ولا أُناظِرُ في غير هـذا. وارتَفَعـت المُضـاجَّةُ واسـتَمَرَّت المُلاحـاةُ[8]، حتـى أبلَـغَ الأُستاذُ الفاضِلُ أبو عُمَر إليه وقال: أيُّها الأُسـتاذُ، أنـت أدِيـبُ خُراسـان وشـيخُ هـذه الدِّيار، وبهذه الأبواب التي قد عدَّها هـذا الشـابُّ، كُنّـا نعتقـدُ لـك السَّـبْقَ والحِـذْق. وتَثاقُلُك عن مُجاراتِه فيه ممّا يَتَّهِمُ ويُوهِم. واضطَرَّهُ إلى مُنازَلةٍ أو نُزولٍ عنها ومُقـارَّةٍ فيهـا أو إقرارٍ بها، فقال: سَلَّمْتُ الحِفظَ، فأنشدتُّ قولَ القائل:

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الزبن: الركض بالرجل والخبط باليد، وناقة زبون: تضرب حالبها، وحرب زبون: تزبن الناس، أي: تصدّهم».

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «لم تترمرم، يقال: ترمرم، أي: حرّك فاه بالكلام». والكلمة في ي: تتزمزم. وهو من بيت لأوس بن حجر:

ومستعجبٍ ممّا يرى من أناتنا   ولو زبنته الحرب لم يترمرم

ديوانه، ص١٢١.

(٣) ي: النهار.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يقال: متع النهار يمتع، أي: ارتفع وطال». وبابه (منع)، وجعلها ناسخ ي: منع، بالنون.

(٥) ي: فزعنا.

(٦) ي: خرج.

(٧) ي: ويفاد (كذا).

(٨) ي: الملاحّة.

ومُسْتَلْئِمٍ[1] كَشَّفْتُ بالرُّمْحِ[2] ذَيْلَهُ   أقمتُ بِعَضْبٍ ذي شَقَاشِقَ مَيْلَهُ
فَجَعْتُ بِهِ في مُلتَقى الحيِّ خَيلَهُ   تَرَكْتُ عِتاقَ الطَّيرِ تَحْجُلُ حولَهُ[3]

وقلتُ: يا أبا بكر، خَفَّفَ اللهُ عَنْك كما خَفَّفْتَ عَنّا في الحِفْظِ، فقدْ كَفَيْتَنا مؤْنَةَ الامتحان، ولم تُضِعْ وقتاً من الزَّمان، فلو تفَضَّلْتَ وسلَّمتَ البديهةَ أيضاً مع التَّرَسُّل حتى تفرُغَ للنَّحو الذي أنتَ عليه أكْبَر، واللُّغةِ التي أنت بها أعْرف، والعَروضِ الذي أنت عليه أجْرى، والأمثال التي لكَ فيها السَّبْقُ والقدَم، والأشْعارِ التي أنتَ فيها تُقَدَّم. فقال: ما كنتُ لأسَلِّمَ التَّرَسُّل ولا سَلَّمتُ الحِفظ. فقلت: الرّاجِعُ في شَيئه، كالرّاجع في قَيئه، لكنّا نُقيلُك عن ذلك السَّماحَ، فهاتِ[4] أنشِدْنا خمسينَ بيتاً من قِبَلِك مرَّتينِ حتى أُنشِدَكَ عِشرينَ بيتاً من قِبَلي عشرينَ مرَّةً، فعَلِمَ أنّ دونَ[5] ذلك خَرْطَ القَتاد، تَهابُ شَوكَتَها[6] اليدُ، فسَلَّمهُ ثانياً، كما سَلَّمَهُ بادياً، وصِرْنا إلى البديهة، فقال أحَدُ الحاضرين: هاتُوا على شِعْرِ أبي الشِّيص[7] في قولِه:

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «ومستلئم، أي: لابس اللامة، وهي الدرع، والشقائق: جمع شقشقة بالكسر، وهي شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج، ومنه: خطيب ذو شقشقة. وعتاق الطير: جوارحها».

(٢) ي: بالرّيح.

(٣) أوردهما الإستراباذي غير معزوين. شرح شافية ابن الحاجب، ج٢، ص٣١٧.

(٤) ص، ي: فهذه.

(٥) ص: من دون.

(٦) كذا، بالتأنيث، والصواب أن يقول: (شوكته)، فالقتاد مذكّر.

(٧) محمّد بن علي بن عبد الله بن رَزين الخزاعي، توفي سنة ١٩٦هـ. وهو ابن عم الشاعر دعبل الخزاعي. انقطع إلى عقبة بن جعفر الخزاعي أمير الرَّقّة. والبيت له في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص٥٧٨.

أبقى الزَّمانُ به نُدُوبَ عِضاضِ[1] ورَمى سَوادَ قُرونِهِ بِبَياضِ

فأخذَ أبو بكرٍ يَخضِدُ[2] ويَحصُد، مُقدِّراً أنّا نَغفُلُ عن أنفاسِه، أو نُوليهِ جانبَ وَسْواسِه، ولم يَعلَمْ أنّا نحفَظُ عليه الكلِمَ ثم نُواقِفُهُ عليها؛ فقال:

يا قاضياً ما مثلُهُ من قاضِ أنا بالذي تَقضي علينا راضِ

فلقد لَبِستُ ضَفيَّةً مَلْمومَةً من نَسْجِ ذاكَ البارقِ الفَضْفاضِ

لا تَغضَبَنَّ إذا نَظمتُ تَنَفُّساً إنّ الغَضا في مِثلِ ذاك تَغاضِ

ولقد[3] بُليتُ بشاعرٍ مُتَقادرٍ ولقد بُليتُ[4] بنابِ ذئبٍ غاضِ

ولقد قَرَضتُ الشِّعرَ فاسمَعْ واستَمِعْ لنَشيدِ[5] شِعْرٍ طائعاً وقِراضِ[6]

فلأَغْلِبنَّ بديهَهُ ببَديهَتي ولأَرْمِيَنَّ سَوادَهُ ببياضِ

فقلتُ: يا أبا بكر، ما معنى قولِك: ضَفيَّةً ملمومةً؟ وما الذي أردتَّ بالبارقِ الفَضفاضِ؟ فأنكر أنْ يكونَ قالهُ قافيةً، فواقَفَه[7] على ذلك أهلُ المجلس وقالوا: قد قُلتَ. ثم قُلتُ: فما معنَى قولِك: ذئبٍ غاضٍ؟ فقال: هو الذي يأكُلُ الغَضا، فقُلتُ:

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «ندوب: جمع ندب، وهو أثر الجرح. وعضاض بالكسر: شدة العيش».

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يخضد بالمعجمتين: من الخضد، وهو القطع، يقال: خضدت الشجر أخضده بالكسر، أي: قطعت شوكه».

(٣) ي: فلقد.

(٤) ي: مكيت. (كذا).

(٥) ي: لينشد.

(٦) ي: وتراضِ.

(٧) ي: فوافقه، خطأ، وما هنا من س، ص، قال الأستاذ الأحدب: أي: أوقفوه عليه، يعني الجماعة أوقفوه على أنْ قال ذلك قافية. كشف المعاني، ص٦٨.

استَنْوَقَ الجَمَلُ[1] يا أبـا بكـر، وانقَلَبَـتِ القـوسُ رَكْـوَةً[2]، وصـارَ الـذِّئبُ جَمَـلاً يأكُـلُ الغَضا. فما معنى قولِك: إنّ الغَضا في مِثلِ ذاك تغـاضٍ؟ فـإنّ الغَضـا لا أعْرِفُـهُ بمعنـى الإغضاء، فقال: لمْ أقُل: الغَضا، فقُلتُ: ما قُلتَ؟ فأنكَرَ البيتَ جُملةً، فقُلتُ: يا وَيْحَكَ ما أغناكَ[3] عن بيتٍ تهرُبُ منه وهو يتبَعُك، وتَتَبرَّأُ منه وهو يَلحَقُ بكَ! فقُلْ لي: ما معنى قِراضٍ[4]؟ فلم أسمَعْهُ مَصدَراً من قَرَضْتُ الشِّعرَ، ولكن هلّا قُلـتَ كـما قُلـتُ وسُـقتَ الحَشْوَ إلى القافيةِ كما سُقْتُه؟ فقال: هذه طريقةٌ[5] لم تَسلُكْها العرَبُ فلا أسلُكُها.

ثم دَخَلَ الرّئيسُ أبو جَعْفَرٍ[6]، والقاضي أبو بكر الحربيّ[7]، والشّيخ أبو زكريا

---

(١) أي: صار الجمل ناقة، وأصلهُ أن المسيب بن المغلس كان يصف جملاً فذكر في وصفِه ما هو من صفات الناقة، وكان ذلك بحضور طرفة بن العبد وهو غلام فقال: استنوق الجمل، وصار مَثلاً يُضرب للرجل يكون في حديث ثم يخلطهُ بغيره وينتقل إليه بلا مناسبة. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٣.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الرّكوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، وهذا مثل يضرب في الإدبار وانقلاب الأمور».

(٣) ي: أعتاك.

(٤) ي: تراض.

(٥) علّق الأستاذ الأحدب على ذلك بقوله: يريد أن التوطئة للقافية بحيث تعلم ممّا قبلها طريقة صعبة لم تسلكها العرب. ثم قال: وهو دعوى باطلة؛ لأن قوافي أشعار العرب متمكنة يعلم أكثرها من حشو البيت، بل من الصدر. كشف المعاني، ص٦٩.

(٦) لعلّه أبو جعفر الميكالي. وهو مُحمّد بن عبد الله بن إسماعيل بن مُحمّد بن ميكال، من الأسرة الميكالية رؤساء نيسابور، وهي أسرة خُراسانية عريقة. وأبو جعفر هذا أديب شاعر ولغوي، تفقّه على قاضي الحرمين أبي الحسين أحمد بن علي النيسابوري. وسمع منه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري صاحب (المستدرك على الصحيحين). توفي سنة ٣٨٨هـ. السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤٣٥.

(٧) كذا في الأصول. ولعلّه أبو بكر الحيري الذي سيذكره الهمذاني لاحقاً في أربعة مواضع من رسالةٍ لاحقة: ص١٦٣، ص١٦٧، ص١٦٩، ص١٧١. وهو أحمد بن الحسن بن أحمد، مُسْند خُراسان، وقاضي نيسابور، (ت٤٢١هـ). أخذ عن ابن حبيب النيسابوري الذي تقدّم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٥٦؛ الصفدي، الوافي، ج٦ ص١٨٩.

الحِيريّ، وطبقةٌ من الأفاضل، مع عِدَّةٍ من الأراذِلِ فيهم: أبو رَشِيدة ، فقُلتُ: ما أحوَجَ هذه الجماعةَ إلى واحدٍ يَصرِفُ عنهم عَيْنَ الكَمال[1].

وأخَذَ الرّئيسُ مَكانَهُ من الصَّدْر والدَّسْت[2]، ولـه في الفَضْـلِ قَـدَمٌ وقِـدَم، وفي الأدَبِ هَمٌّ وهِمَم، وفي العِلْمِ قَديمٌ وحديث ؛ فتمَّ المجلِسُ وظهرَ الحقُّ بنَظَرِه، وقال: قد ادَّعَيْتَ عليه أبياتاً أنكرَها، فدعوني مـن البديهـة عـلى الـنَّفْس، واكتُبـوا مـا تَقولـون[3]، وقولوا على هذا ؛ فقُلتُ[4]:

بَـرزَ[5] الرَّبيـعُ لنـا بِرَوْنـقِ مائـهِ ... فـانظُرْ لِرَوعـةِ أرضِـهِ وسَـمائهِ

فـالتُّرْبُ بَـيْنَ مُمَسَّـكٍ ومُعنـبَرٍ ... مـن نَـوْرِه بـل مائـهِ ورُوائـهِ[6]

والمـاءُ بـينَ مُصَـنْدَلٍ ومُكفَّـرٍ[7] ... في حُسـنِ كُدْرَتِـهِ ولـونِ صَـفائهِ

والطَّيرُ مِثْلَ المحصَـنات صَـوادِحٌ ... مِثْـلَ الْمُغنِّـي شـادياً بغِنائـهِ[8]

والوَرْدُ لـيسَ بمُمْسِـكٍ رَيّـاهُ إذْ[9] ... يُهْـدِي لنـا نفَحاتِـهِ مـن مائـهِ

زَمَـنَ الرَّبيـعِ جَلَبْـتَ أزكـى مَتْجَـرٍ ... وجَلَـوْتَ للـرّائينَ خـيرَ جلائـهِ

---

(١) للأستاذ الأحدب عبارة لطيفة في شرح هذه الكلمة، وهي ما نصُّه: «أي أن الجماعة الذين ضمّهم ذلك النادي جماعة كمّل فضلاء، فهو يخشى عليهم من إصابة عين، فجعل وجود أبي رشيدة ومن على شاكلته وقاية لهم؛ لأنهم جماعة من النقص بمكان، فحينئذٍ يأمن الجميع من تأثير إصابة العين». كشف المعاني، ص٦٩.

(٢) ي: الرّست.

(٣) عبارة ي: فاكتبوا ما يقولون.

(٤) هذه الأبيات لبديع الزّمان، وهي في ديوانه، ص٣٠.

(٥) في الديوان: (برق) بدل (برز).

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الرواء بالضمّ: المنظر الحَسَن».

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الصندل والكافور: معروفان».

(٨) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الغناء بالكسر والمدّ: من السماع، جمعه: أغاني، وبالفتح: اليسار». وقد تحرّفت هذه العبارة في ي: «مثل المغنّى شارباً بعنائه»!

(٩) ساقطة في ي، فاختلّ الوزن.

فكأنّـــهُ هـــذا الـــرّئيسُ إذا بـــدا ... في خُلْقِـــهِ وصَـــفائهِ وعَطائـــهِ

بحمـــىً أعـــزَّ مُحجَّـــرٍ[1] ونَـــدَىً أغـــرَّ[2] محجَّـــلٍ في خَلْقِـــهِ[3] ووفائـــهِ

يَعْشـــو[4] إليـــه المختَـــوي والمُجتـــدِي ... والمُجتَـــوي[5] هُـــو هـــاربٌ بذَمائـــهِ

مـــا البحـــرُ في تَزْخـــارِهِ والغيـــثُ في ... أمطـــارِهِ والجـــوُّ في أنوائـــهِ

بأجَـــلَّ مِنـــهُ مَواهبـــاً ورَغائبـــاً ... لا زالَ هذا المجـدُ حِلْـفَ فِنائـهِ[6]

والسّادةُ الباقونَ ســادَةُ عَصْـرِهِمْ ... مُتَمَـــدَّحونَ[7] بمدْحِـــهِ وثنائـــهِ

فقال أبو بكرٍ تسعةَ[8] أبياتٍ قد غابَتْ عـن حِفظنـا، لكنّـه جَمَـعَ فيهـا بـينَ إقْـواءٍ وإكْفاءٍ، وإخْطاءٍ وإيطاءٍ[9]، فرَدَدْنا عليهِ بعدَ ذلك عِشرينَ رَدّاً، ونَقَـدْنا عليـه فيهـا كـذا نَقْداً. ثم قُلتُ لمن حَضَرَ من وزيرٍ ورئيس، وفقيهٍ[10] وأديب: أرأيتُم لو أنّ رجُلاً حَلَـفَ بالطَّلاق الثّلاثِ لا أُنشِدُ شِعراً قطُّ، ثم أنشَد هـذه الأبيـاتَ فقـطْ، هـل كنـتُم تُطلِّقـونَ امرأتهُ عليه؟ فقالت الجماعة: لا يَقَعُ بهذا طلاق. ثم قُلـتُ: انقُـدْ[11] عـليَّ فـيما نَظَمـتُ،

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «محجّر أي: محرّم، صفة لحمى، ومنه: حجر محجور، أي: حرام محرم».

(٢) ي: أعز، مجوّدة.

(٣) الضبط هنا، وفي (خلقه) في البيت السابق كلّه من س.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يعشو إليه، أي: يقصده ليلاً، ثم سمّي كل قاصد عاشياً. والمختوي، بالخاء المعجمة: من أصابه خوى أي: جوع، والمجتدي: طالب العطاء، والمجتوي بالجيم: من اجتويت البلد، أي: كرهت المقام فيه، وأراد هنا العدوّ المبغض».

(٥) في الديوان: المجتدي والمجتني.

(٦) ي: قبانه.

(٧) ي: مترخون.

(٨) ي: فتسعة.

(٩) هذه مصطلحات لعيوب القوافي والرّويّ.

(١٠) ي: ومُفتية.

(١١) ي: انعد.

واحكُمْ عليه كما حَكمتُ. فأخَذَ الأبياتَ وقال: لا يُقالُ: نَظَرْتُ لكذا وإنَّما يُقالُ: نَظَرتُ إليه، فكفَتْني الجماعةُ إجابتَه. ثم قال: شَبَّهتَ الطَّيْرَ بالمُحْصَنات، وأيُّ شِبْهٍ بينَهما؟ فقُلتُ: يا رَقيع، إذا جاء الرّبيع، كانت شَوادي[1] الأطيار، تحتَ وَرَقِ[2] الأشجار، فيكُنَّ كأنَّهُنَّ[3] المخدَّراتُ تحتَ الأستار. ثم قال لي: لِمَ قلتَ: مثلَ المُحْصَناتِ، مثلَ المُغنّي[4]؟ فقلتُ: هنَّ في الخِدْر كالمُحْصَنات[5]، وكالمُغنّي في تَرجيع الأصوات. ثم قال: لِمَ قلتَ: زمَنَ الربيعِ جلبتَ أزكى[6] مَتجَرٍ، وهلّا قلت: أربَحَ مَتجر؟ فقلتُ: ليس الرَّبيعُ بتاجرٍ[7] يجلُبُ البضائعَ المُربحة. ثم قال: ما مَعنى قولِك: الغيثُ في أمطارِه، والغيثُ هو المطرُ نفسُهُ، فكيف يكونُ له مطر؟ فقلتُ: لا سقَى اللهُ الغيثَ أديباً لا يعرِفُ الغيثَ! وقلتُ له: إنّ الغيثَ هو المطرُ، وهو السَّحابُ، كما أنّ السَّماء هو المطرُ وهو السَّحاب.

وقال الجماعة: قد علِمْنا أيّ الرجلَيْنِ أشعَر، وأيّ الخَصْمَيْنِ أقدَر، وأيّ البَديهَتَيْنِ[8] أسرَع، وأيّ الرَّوِيَّتين أصْنَع، فقال أبو بكر: فاسقُوني على الظفَر، فقالوا[9]: كفاكَ ما سَقاك.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «شوادي: جمع شادي، وهو المغنّي، وشدا يشدو شدواً». وفي ي: شواذ.

(٢) س: رونق.

(٣) حرف التشبيه سقط في ي.

(٤) ي: المعنّى.

(٥) ص: مثل المحصنات.

(٦) ي: أذعى (كذا).

(٧) ي: بتاجم.

(٨) ي: البديهين.

(٩) س: فقال، خطأ.

ثم مِلْنا إلى التَّرَسُّل، فقُلتُ: اقترحْ عليَّ غايةَ ما في طَوْقِك، ونهايةَ ما في وُسْعِك، واختَرْ ما تَبلُغُهُ بذَرْعِك، حتى أقترِحَ عليك أربعمائة صِنْفٍ في التَّرَسُّل، فإنْ سِرتَ فيها برِجْلَيْن، ولم أطِرْ بجناحَيْن، بل إنْ أحسَنْتَ القيامَ بواحدٍ من هذه الأصناف، ولم تُخلِف كُلَّ الإخلاف، فلك يدُ السَّبْق وقَصَبُه[1].

ومِثالُ ذلك أنْ أقولَ لك: اكْتُبْ كِتاباً يُقرَأُ منهُ جوابُه، هل يُمكِنُك أنْ تكْتُب؟ أو أقولَ لك:[2] اكْتُبْ كِتاباً على المعنى الذي أقترح لك، وانْظُمْ شِعراً في المعنى الذي أقترِحُ[3]، وافرُغْ فيه[4] فراغاً واحداً، هل كنتَ تمدُّ له ساعداً؟ أو أقولَ لك: اكتبْ كتاباً في المعنى الذي أقولُ وأنُصُّ[5] عليه، وانشدْ من القصائدِ ما أريدُهُ، من غيرِ تَثاقل ولا تَغافُل، حتى إذا كَتَبْتَ ذلك قُرِىء من آخِرِهِ إلى أوَّلِه، وانتَظَمَتْ معانيهِ إذا قُرِىءَ من أسْفلِه، هل كُنتَ تُفَوِّقُ[6] لهذا الغرَض سَهْماً[7]؟ أو تُجيلُ[8] قِدْحاً؟ أو تُصيبُ نُجْحاً[9]؟ أو قُلتُ لك: اكْتُبْ كتاباً إذا قُرِىءَ من أوَّلِهِ إلى آخرِه كان كتاباً[10]، فإنْ[11] عكَسْتَ سُطورَهُ مُخالَفةً كان جَواباً، هل كُنتَ في هذا العمل وارِيَ[12] الزَّنْد، قاصِدَ

---

(١) ي: وقصبته.

(٢) (اكتب كتاباً... أقول لك) ساقط في ي.

(٣) س، ص: أقترح، وما هنا من ي.

(٤) ي: منهما.

(٥) ي: وانصر. (كذا).

(٦) ي: يفوّق.

(٧) ي: سيما. تحريف.

(٨) ي: نخيل. تصحيف.

(٩) ص: نجعاً.

(١٠) (إذا قرىء... كتاباً) ساقط في ص.

(١١) س: فإذا.

(١٢) ي: ولدى. تحريف.

القَصْد؟ أو قُلتُ لك: اكْتُبْ كتاباً في المعنى الذي يُقتَرَحُ ولا يُوجَدُ فيه حَرْفٌ مُنفصِل، من راءٍ تَتَقدَّمُ الكلمة[1]، أو دالٍ تَنفصِلُ عن الكلمة بديهةً، ولا يَـجِمُ[2] فيها قَلَمُك هل كنتَ تفعَل؟ أو قُلتُ لك: اكتُبْ كتاباً خالياً من الألِف واللّام، تَصُبُّ[3] مَعانِيَهُ على قالَب ألفاظِه، ولا تُخرِجُهُ عن جهةِ أغراضِه، هل كُنتَ تَقِفُ من ذلك مَوْقفاً ممْدوحاً، أو يَبْعثُك ربُّك مقاماً محموداً[4]؟ أو قُلتُ لك: اكْتُبْ كتاباً يَخلُو من الحُروف العَواطِل، هل كُنتَ تَحظَى منهُ بطائل، أو تَبُلُّ لَهاتَك بناطِل[5]؟ أو قُلتُ لك: اكتُبْ كتاباً أوائلُ سُطورِهِ كُلُّها ميم، وآخِرُها جيم، على المعنى الذي يُقتَرَح، هل كُنتَ تَغلو في قَوْسِهِ غَلْوَة، أو تَخْطُو في أرضِهِ خُطْوة؟ أو أقولَ لك: اكْتُبْ كتاباً إذا قُرِيءَ مُعرَّجاً، وسُرِدَ مُعوَّجاً، كان شِعْراً، هل كنتَ تُقَطِّع في ذلك شَعْراً؟ بَلَى والله، تُصيبُ ولكنْ من بَدَنِك، وتُقَطِّعُ ولكن من ذَقْنِك. أو أقول[6] لك: اكتُبْ كتاباً إذا فُسِّرَ على وَجهٍ كان مَدْحاً، وإذا فُسِّرَ على وَجْهٍ آخَرَ[7] كان قَدْحاً، هل كُنتَ تَخرُجُ عن هذه العُهدَة؟ أو قلتُ لك: اكتُبْ كتاباً إذا كتَبْتَهُ، تكونُ قد حفِظْتَه، من دون أنْ لحظْتَه، هل كُنتَ تَثِقُ من نفسِك به إلى ما لا أُطاوِلُك بعدَه[8]؟ بل اسْتُ البائن أعْلَم[9].

---

(١) ي: الحكمة.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يجم من الوجوم، وهو الإمساك عن الكلام لهمّ وفزع، يقال: وجم من الأمر يَـجِمُ وجوماً فهو واجم، ويقال: لم أجم عنه، أي: لم أسكت فزعاً».

(٣) عبارة ي: لا تصبّ. خطأ.

(٤) من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾، سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الناطل: كوز يكال به الخمر».

(٦) ي: وأقول.

(٧) من ي.

(٨) ي: بعدل.

(٩) البائن: مَن يأتي الناقة عند حلبها من شمالها، وهو مثلٌ يضرب لمن كان أدرى بالشيء، قاله الحارث بن ظالم. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٣٢.

فقال أبو بكر: هذه الأبوابُ شَعْبَذة، فقلتُ: وهذا القولُ طَرْمَذَة[1]، فما الذي تُحسِنُ أنتَ من الكتابةِ وفُنونِها، حتى أُباحثَك على مَكنونِها، وأُكاثِرَك بمَخزونِها، وأشبُرَ فيها قلمَك، وأبشُرَ[2] فيها لِسانَك وفَمك؟ فقال: الكتابة التي يَتعاطاها أهلُ الزَّمان المُتعارَفَةُ بين النّاس، فقلتُ: أليسَ لا تحسِنُ من الكتابةِ إلّا هذه الطَّريقةَ السّاذجة، وهذا النّوعَ الواحدَ المُتداوَل بكلِّ[3] قلم، المتناوَلَ بكلِّ يدٍ وفم، ولا تحسِنُ هذه الشَّعْبَذة؟ فقال: نَعَمْ، فقُلتُ: هاتِ الآنَ حتى أُطاوِلَك بهذا الحَبْل، وأُناضِلَك بهذا النَّبْل. ثم تُقاسُ ألفاظي بألفاظِك، ويُعارَضُ إنشائي بإنشائك. واقترحَ كتاباً[4] يُكتَبُ في النُّقودِ وفَسادِها، والتّجارات ووُقوفِها، والبِضاعاتِ وانقطاعِها، والأسعارِ وغلائها.

فكَتَبَ أبو بكرٍ بها نسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الدِّرْهَم والدِّينار ثمنُ الدُّنيا والآخرة، بهما يُتوصَّلُ إلى جَنّاتِ النَّعيم، ويُخلَّدُ في نارِ الجحيم، قال اللهُ تبارك وتَعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾[5]. وقد بلَغَنا من فَساد النُّقودِ ما أكبرْناهُ أشدَّ الإكبار، وأنكرْناهُ أعظمَ الإنكار، لما نَراهُ من الصَّلاحِ للعباد، ونَنويهِ من الخيرِ للبلاد. وتَعَرَّفْنا[6] في

---

(١) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الشعبذة معلومة، ويقال فيها: شعوذة. والطرمذة: مصدر طرمذ يطرمذ فهو مطرمذ، وهو الذي يقول ولا فعل عنده». والشعبذة أو الشعوذة ليست عربية، وإنما من كلام المولَّدين، وتعني خفّة في اليد، كالسِّحْر، تُري الشيء بغير ما عليه في الحقيقة. انظر: لسان العرب، ج٣، ص٤٩٥ (شعذ)؛ المحبي، قصد السبيل، ج٢، ص١٩٩.

(٢) في س، ص: وأشبِر.

(٣) ص: بقلم، سبق قلم.

(٤) تكرّر الكتاب في ي.

(٥) سورة التوبة، من الآية ١٠٣.

(٦) قيّد ناسخ س في الحاشية: «تعرفنا، أي: تطلّبنا، يقال: تعرّفتَ ما عندنا أي: إذا تطلّبته حتى عرفته».

ذلك ما يُرْبَحُ للنّاسِ في الزَّرْعِ والضَّرْعِ، ويعودُ[١] إليه أمرُ الضُّرِّ والنَّفعِ...، إلى كلماتٍ لم تَعلَقْ بحِفْظنا.

فقلتُ: إنّ الإكبارَ والإنكار، والعِبادَ والبلاد، وجَنّاتِ النّعيم ونارَ الجحيم، والزَّرْعَ والضَّرْعِ، أسجاعٌ قد نَبَتَتْ[٢] في المِعَد، ولم تَزَلْ في اليد، وقد كتبتَ وكتبتُ، ولا أطالِبُك بمثْلِ ما أنشأْتُ، فاقْرأْ ولكَ اليدُ.

وناولتُهُ الرُّقْعة، فبقيَ وبقِيَت الجماعةُ، وبُهِتَ وبُهِتَت الكافَّةُ، وقالوا لي: اقرأْهُ[٣]، فجعَلْتُ أقرأُهُ منكوساً، وأسرُدُهُ معكوساً، والعيونُ تزرَقُ[٤] وتَحارُ. وكانت نسخةُ ما أنشأناه:

بسم الله الرحمن الرحيم[٥]

اللهُ شاءَ إن المحاضِر صُدُور بها، وتُملأُ المنابر ظُهور لها، وتُقرَعُ[٦] الدَّفاتر وُجوه بها، وتُمشَقُ المَحابِر بُطونُ لها، تُرشَقُ آثاراً كانت فيه آمالنا مُقتضَى على أياديه في تأييده الله أدامَ الأميرُ جرى فإذا المُسلمين ظهور عن الثِّقل[٧] هذا ويَرفَع الدَّيْن أهل عن الكَلّ هذا

---

(١) في ي موضع هذه الكلمة: ويقدم من.

(٢) ص: ثبتت.

(٣) ص: اقرأ.

(٤) في ي مكان هذه الكلمة: من رق. تحريف واضح.

(٥) يرى الأستاذ الأحدب أن هذه الرسالة لا يستقيم لها معنى إلّا إذا قرئت منكوسة من آخر كلمة فيها إلى أول كلمة، بأن يقال: «إنْ رأى الأمير الجليل أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه أن يتداركنا بجَميل نظره، فقد بعثنا إليه وفود آمالنا»... إلخ. كشف المعاني، ص٧٨. وهو نظرٌ صحيح.

(٦) ي: وتفرع.

(٧) العبارة في ي: طهور عن العقل.

يَحُطّ أنْ في إليه نتضرَّعُ ونحنُ واقِفة والتجاراتُ زائفة والنقودُ صيارفة[1] أجمعَ النّاسُ صار[2] فقد كريماً نظراً[3] لينظرُ شِيَمِه مُصابَ وانتجَعْنا كَرَمه بارقة وشِمْنا هِمَمِه على آمالِنا رِقاب[4] وعَلَّقنا أحوالنا وُجوه له وكشَفْنا آمالنا وفود إليه بَعَثْنا فقد نظره بجميل يَتداركنا أنْ ونَعْماءَه تأييدَهُ وأدام بقاءَه اللهُ أطال الجليلُ الأميرُ رأى إنْ.

وصلّى اللهُ على مُحمّد وآلِه الأخيار.

فلمّا فرَغْتُ من قِراءتِها، انقطعَ ظَهرُ أحدِ الخصْمَيْن[5]، وقال النّاسُ: قد عرَفْنا التَّرَسُّل أيضاً، فمِلْنا إلى اللّغة، فقلتُ: يا أبا بكر، هذه اللّغةُ التي هدَّدتَنا بها، وحدَّثتَنا عنها، وهذي كُتُبُها وتلك مُؤلَّفاتُها[6]، فخُذْ (غريب المصنَّف)[7] إنْ شئتَ، و(إصلاح المنطِق)[8] إنْ أردتَّ، و(ألفاظ ابنِ السِّكّيت)[9] إنْ نَشِطتَّ، و(مُجمَل اللّغة)[10] إن اختَرْتَ، فهو ألفُ ورقة، و(أدب الكاتب)[11] إنْ أردتَّ، واقترِحْ عليَّ أيَّ بابٍ شئتَ من هذه الكُتُب حتى أجعَلَهُ لك نَقْداً، وأسرُدَهُ عليك سَرْداً، فقال: اقرأْ[12]

---

(١) ي: صارفة.

(٢) ي: فصار.

(٣) ي: لنظر.

(٤) ي: أرقاب.

(٥) يعني نفسه وأبا بكر الخوارِزْميّ.

(٦) بعد هذا في ي: وهي مؤلّفة.

(٧) لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت٢٢٤هـ).

(٨) لابن السِّكّيت (ت٢٤٤هـ).

(٩) لابن السِّكّيت أيضاً. ويُعدّ أقدم معجم عربي في المعاني.

(١٠) لابن فارس (ت٣٩٥هـ).

(١١) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

(١٢) ص: قرأ.

من (غريب المصنَّف): رجُلٌ ماسٌ[1]: خفيفٌ – على مثال مالٍ – وما أمساه[2]! فاندفعتُ[3] في البابِ حتى قرأتُه، فلم أتردَّدْ فيه، وأتيتُ على البابِ الذي يليه، ثم قلتُ: اقترِحْ غيرَه، فقالوا: كفى ذلك. فقلتُ له: اقرَأ الآنَ بابَ المصادر من أخبار (فصيح الكلام)[4]، و[5]لا أُطالِبُك بسواه، ولا أسأُلك عمّا عَداه، فوقَف حِمارُه[6]، وخَمدَتْ نارُه، وقال النّاس: اللُّغَةُ مُسلَّمةٌ لك أيضاً، فهاتُوا غيرَه[7].

فقلتُ: يا أبا بكر، هاتِ العَروض، فهو أحدُ أبوابِ الأدب، وسَردتُّ منهُ خمسةَ أبحُر بألقابِها وأبياتها وعِلَلِها وزِحافِها، فقلتُ: هاتِ الآنَ، فاسرُدْه كما سردتُّه. فلمّا بردَ ضجِرَ النّاس، وقاموا عن المجلس يُفدُّونَني بالأُمَّهاتِ والأب، ويُشيِّعُونَهُ باللَّعْن والسَّبّ، وقام أبو بكر فغُشِيَ عليه، وقمتُ إليه، فقلتُ:

يَعِزُّ عليَّ في المَيدان[8] أنّي ... قَتلتُ مُناسبي جَلَداً وقَهْرا
ولكنْ رُمتَ شيئاً لم يَرُمْهُ ... سِواك[9] فلمْ أُطِقْ يا ليثُ صَبْرا[10]

---

(١) تحرّفت هذه الكلمة في ي: ما يين. وما هنا من س، ص. وكتب ناسخ س في الحاشية: «...، في مادة موس: رجل ماس، أي: خفيف طَيّاش». وفي (كشف المعاني)، ص٧٩: رجل ماس – كمال –: لا ينفع فيه العتاب، أو: خفيف طيّاش، و«ما أمساه»: تعجّب من ذلك الرجل.

(٢) (رجل ..... أمساه) نصٌّ من كتاب (الغريب المصنف). انظر المسألة في ج١، ص٣٦٦.

(٣) ي: فدفعت.

(٤) لأبي العَبّاس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ).

(٥) الواو سقطت في ي.

(٦) ي: بحماره.

(٧) ي: عثيره.

(٨) (في الميدان) ساقط في ي.

(٩) قوله: (لم يرمه سواك) تحرف في ي: لم ير مسواك.

(١٠) هذان البيتان من قصيدة بشر بن عوانة المتقدم ذكرها ص٤٧.

وقَبّلتُ عينَيه[1]، ومسَحتُ وَجْهَهُ، وقلتُ: أشهَدُ أنّ الغَلَبَة له، فهلّا يا أبا بكر جِئتَنا من[2] بابِ الخُلطة، وفي بابِ العِشرة.

وتَفرّقَ النّاس، وحُبِسْنا للطَّعام، مع أفاضلِ ذلك المقام. ولما حَلَّقْنا على الخِوان، كرَعتُ في الجِفان، وأسْرعتُ إلى الرُّغْفان، وأمْعنتُ في الألوان، وجعَل هذا الفاضلُ يتناوَلُ الطّعامَ بأطرافِ الأظفار، فلا يأكُل إلّا قَضْماً، ولا يَنالُ إلّا شَمّاً، وهو مع ذلك يَنطِقُ عن كَبِدٍ حَرَّى، ويُفيضُ[3] عن نَفْسٍ مَلأَى. فقلتُ: يا أبا بكر، بَقِيَتْ لك مُنّةٌ[4]، وفيك مُسْكَةٌ!

يا قومُ إنّي أرَى الأمواتَ[5] قد نُشِروا والأرضَ تَلفِظُ مَوتاكمْ إذا قُبِرُوا

فأخبِرْني يا أبا بكر، لِمَ غُشِيَ عليك؟ فقال: لِحُمَّى الطَّبْع وحُمَّى الفَرْو[6]. فقُلتُ: أينَ أنت عن السَّجْع؟ هلّا قلتَ: حُمَّى الطَّبْع وحُمَّى الصَّفْع؟

وقال السَّيِّد أبو القاسم: أيُّها الأُستاذ، أنت مع الجِدِّ والهزْلِ تغلبُه[7]، فقلتُ: لا تَظلموهُ ولا تُطعِموهُ طعاماً يَصيرُ في بَطْنِه مَغَصاً، وفي عينِه رَمَصاً، وفي جِلْدِه بَرَصاً، وفي حَلْقِه غَصَصاً. فقال أبو بكر: هذه أسجاعٌ كُنتَ حفِظتَها، فقُل كما أقولُهُ: يَصيرُ في عينِك قَذىً، وفي حَلقِك أذىً، وفي صَدْرِك شَجىً. فقلتُ: يا أبا بكر، على الألِف تُريد؟ خُذِ

---

(١) ي: عينه.

(٢) ي: عن.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «يفيض، يقال: أفاض في الحديث: اندفع فيه».

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «المُنّة بالضمّ: القوة، يقال: فُلان ضعيف المُنّة. والمسكة بالضم: البقيّة».

(٥) في ي: يا قوم أرى إلا مؤلّف.

(٦) ي: العرو.

(٧) في ي مكان ما بين الفاصلتين: مع الحديث فاعزل بعينه.

الآنَ: بِفِيك البَرَا[١]، وعلى هامتِك الثرى، ولا أُطعِمُك الخَرا إلّا مِن وَرا، كما تَرى. فقال: أيُّها الأُستاذ، السُّكوتُ أولَى بك.

ومالوا إليَّ وقالوا: ملَكْتَ فاسْجَح، فأبى أبو بكر أنْ يُبقيَ لنفسِهِ حُمَةً[٢] لم يَنقُضْها، أو يَدَّخرَ علينا كَلمةً لم يَعرِضْها، فقال: والله لأترُكنَّك بينَ الميمات، فقلتُ: ما معنى الميمات؟ فقال: بينَ مهزوم، ومهذوم، ومهشوم، ومغموم[٣]، ومحموم، ومرجوم. فقُلتُ: وأتركُك بينَ الميماتِ أيضاً: بينَ الهُيام[٤]، والصُّدام، والجُذام، والحُمام، والزُّكام، والسّام، والبِرْسام، والهام[٥]، والسَّقام. وبينَ السِّينات[٦]، فقد علَّمتنا[٧] طريقةً بينَ مَنحوس[٨]، مَنجوس، مَنكوس، مَعكوس، مَتعوس[٩]، مَحسوس[١٠]، مَعروس. وبين الخاءات: فقد فتحت علينا باباً بين مَطبوخ، مَشدوخ، مَنسوخ، مَمسوخ، مَفسوخ. وبين الباءات: فقد علَّمتني[١١] الطَّعْنَ وكنتُ

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «البرا: تراب وجه الأرض».

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «حمة العقرب، بالتخفيف: سمُّها، والهاء عوض».

(٣) عبارة ي بعده: محموم، مرحوم، مرجوم.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الهيام بالضمّ: أشدّ العطش، وجنون من العشق، وداء للإبل».

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الهام: يحتمل أن يكون جمع هامة، وهو الصدى، أي: ذكر البوم، وأن يكون جمع هائم، وهو المتحيِّر».

(٦) ي: السيات.

(٧) ص: علمنا.

(٨) ص: منخوس.

(٩) ي: منقوس.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية: «محسوس هو مِن: حسّ المبرِدُ الكلأ يحسُّه حسّاً: أهلكه، وحسّهم: استأصلهم قتلاً. ومعروس بالعين المهملة، من: عرست البعير أعرُسُه، بالضمّ، عرساً: إذا شددتَ عنقه إلى ذراعه: باركٌ».

(١١) ي: علّمني

ناسياً[1] بينَ[2] مَغلوب[3]، ومَسلوب، ومَرعـوب، ومَصـلوب، ومَركـوب، ومَنكـوب، ومَنهوب، ومَغصوب. وإنْ شِئنا كِلْنا بهذا الصّاع، وطاوَلْنـا بهـذا الـذِّراع، وعَرَضْـنا[4] عليك من هذا المتاع، وكاثَرْناك بهذه الأنواع.

ثم خرَجـتُ واحتَجَـر[5]، فقـد كـان اجتمـع النّـاسُ وغُلـتُ الكُـروش[6]. ولمـا خرَجتُ لم يَلْقَوني إلّا بالشّفاهِ تَقبيلاً، وبالأفواهِ تَبجيلاً، وانتظـروا خُروجَـهُ إلى أنْ آبَـت الشّمسُ، ولم يَظهَرْ أبو بكر حتى خَفَرهُ[7] اللّيلُ بجُنودِه، وخَلَع الظّلامُ عليه فَرْوَتَه.

فهذا ما عَلَّقناهُ، عن المجلِس وأدَّيْناه[8]، والسَّيِّد - أطال اللهُ بقاءَهُ - يقِفُ عليه إنْ شاء اللهُ تَعالى.

تمّ ما أملاهُ[9] أبو الفَضْل في مناظرةِ[10] أبي بكرِ الخوارِزْميّ

---

(١) هو مثل لفظه: «ذكّرتني الطعن وكنت ناسياً»، ويُضرب في تذكّر الشيء بغيره، قائله يزيد بن الصّعق، وقيل غير ذلك. انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٧٩.

(٢) ي: من.

(٣) في ي بعده: مسلوب، مرغوب، مصلوب، مركوب، منكوب، منهوب، مغضوب.

(٤) ي: وعرضا.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «احتجر هو من قولهم: احتجر فُلان حجرة: اتّخذها، وأراد به هنا أنه منع نفسه من الخروج حياءً من الناس». وقد تصحفت في ي: واحتجز.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الغلث بالغين المعجمة والمثلّثة: الخلط. والكروش: جمع كرش وهو المجلس من النّاس، يعني: اجتمع أخلاط الناس».

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «خفره الليل بالخاء والفاء المعجمتين: أجاره، يقال: خفره يخفِره بالكسر: أجاره ومنعه، والخفير: المجير». وفي ص: حتى حضره.

(٨) ي: وأدبياه.

(٩) ي: ثم إنما أملاه.

(١٠) ي: من مناظرته مع.

وكَتَب إليه بعضُ مَن عُزِل عن ولايةٍ حَسَنة يستمدُّ ودادَه ويستميلُ فؤادَه فأجابهُ بها نسختُه:

ورَدَتْ رُقعتُك - أطال اللهُ بَقاءَك[1] - فأعرْتُها طَرْفَ التَّعزُّز، ومدَدتُ إليها يدَ التقزُّز[2]، وجَمعتُ عنها ذَيلَ التحرُّز، فلم تُنْدِ[3] على كَبِدي، ولم تَحْظَ بناظري ويَدي.

وخطبْتَ من مَودَّتي ما لم أجِدْك لها كُفؤاً، وطلَبْتَ من عِشرتي ما لم أرَكَ لها رِضاً، وقُلتُ: هذا الذي رفَعَ عنّا أجفانَ طَرْفِه، وشال[4] بشَعَرات أنفِه، وتاه بحُسن قَدِّه، وزَها بوَرْدِ خَدِّه، ولم يُسْقِنا من نَوْئه[5]، ولم نَسِرْ بضَوْئه. والآنَ، إذ[6] نَسَخَ الدّهرُ آيةَ[7] حُسنِه، وأقام مائلَ[8] غُصْنِه[9]، وفَثأَ[10] غَرْبَ عُجْبِه، وكفَّ زَهوَ زَهْرِه،

(١) الدعاء بين الشرطتين ساقط في ص.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «التقزّز... التباعد والتنزّه عن الدنس، ورجل قزّ بالحركات الثلاث».

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «فلم تُند، يقال: أندى علينا، أي: أنعم وأفضل».

(٤) شال: شمخ. كناية عن التكبّر.

(٥) ي: نوره.

(٦) ي: إن.

(٧) ص: راية.

(٨) ص: مائد.

(٩) عبارة ي مكان الكلمتين: ببابك غضبه.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية: «فثأ بالفاء والثاء المثلثة: هو من قولهم: فثأت القِدرَ فَثْأً: إذا سكّنت غليانها، وفثأت الرجل: إذا كسرته عنك بقول أو فعل وسكنت غضبه. والغرب هنا: الحدّ».

وانتَصَر لنا منه بشَعَراتٍ كَسَفَتْ هِلالَهُ، وأكْسفَتْ بالَه، ومَسَخَتْ جمالَه، وغيَّرت حالَه، وكدَّرت شِرعَتَه، جاءَ يستقي من جُرفِنا جَرْفاً، ويَغرِفُ من طِينِنا[1] غَرْفاً.

فمَهْلاً يا أبا الفَضْلِ مَهْلاً،

أرغِبْتَ فينا إذ علا	كَ الشَّعْرُ في خَدٍّ قَحِلْ[2]
وخرَجتَ عن حَدِّ الظِّبا	ءِ وصِرتَ في حَدِّ الإبِلْ
الآن تَطلُبُ عِشرتي	عُدْ للعَداوةِ يا خَجِلْ

وتَناسيتَ[3] أيّامَك، إذ تُكلِّمُنا نَزْراً، ونَلْحَظُك[4] شَزْراً، وتجالِسُ مَن حضَر، ونَستَرِقُ إليك النَظر، ونهتزُّ لكلامِك، ونَهُشُّ لسلامِك،

ومَن لك بالعَيْنِ[5] التي كان مدّةً[6]	إليكَ بها في سالف الدّهرِ يَنظُرُ

أيّامَ كُنتَ تتمايلُ والأعضاءُ[7] تتزايل، وتتغانج والأجسادُ تتفالج، وتتلفَّت[8] والأكبادُ تَتفتَّت، وتخطُرُ[9] وتَرفُلُ والوَجْدُ يَعلو بنا ويَسفُلُ، وتُدبِر[10] وتُقبِلُ، فتُمْني

---

(١) ي: طيننا.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «قحِل الشيء بالكسر: تقحّل قَحْلاً، كفرح، فهو قَحِل بكسر الحاء، أي: يبس».

(٣) ي: وتناس.

(٤) ص: وتلحظنا.

(٥) ي: بالغير.

(٦) ي: مرّة.

(٧) ي: والأعظ. تحريف قبيح.

(٨) ي: وتلفت.

(٩) من ص.

(١٠) من ص.

وتَخبُل، وتصدُّ[1] وتُعرِض، فتُضنِي وتُمرِض،

وتَبْسِمُ عن أَلْمى كأنَّ مُنوَّراً　　　تخلَّل[2] حُرَّ الرَّمْل دِعْصٌ له نَدِي[3]

فأقصِرِ الآن، فإنّه سوقٌ كَسَد، ومَتاعٌ فَسَد، ودَولةٌ عَرضت، وأيّامٌ انْقَضَت،

وعَهْدُ نَفاقٍ مضَى　　　وخَطْبُ كَسادٍ نَزَلْ

وخَدٌّ كأنْ لم يَكُنْ　　　وخَطٌّ كأنْ لم يَزَلْ

ويومٌ صار أمس، وحَسْرةٌ بقيتْ في النَّفس، وثَغْرٌ غاضَ ماؤهُ فلا يُرشَف، وريقٌ خَدَعَ[4] فلا يُنشَف، وتَمايلٌ لا يُعجِب، وتَثَنٍّ لا يُشغِف[5]، ومُقلةٌ لا تَجرَحُ ألحاظُها، وشَفَةٌ لا تَفْتِنُ[6] ألْفاظُها. فحتّام تَدِلُّ[7] وإلام؟ ولِمَ نحتمِلُ وعَلامَ؟ وآنَ أنْ تُذْعِنَ الآن.

وقد بَلَغني الآنَ ما أنت مُتعاطيه من تَمْويهٍ يجوزُ بعدَ العِشاء في الغَسَق، وتَشبيهٍ[8] يَفتضحُ عندَ ذوي البَصَر، وإفنائك لتلك الشَّعَرات حَرْفاً[9] وحَصّاً[10]،

---

(١) من ص.

(٢) ي: ملّل.

(٣) لطرفة بن العبد من معلّقته. ديوانه، ص٢٦.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «خدَع الريق، بالخاء المعجمة والدال والعين المهملة: يلبس [غير مقروء]».

(٥) ص: يطرب.

(٦) ي: يفتر.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «تدل، من الدّل، وهو الغنج، وقد دلّ يدِلّ وبابه ضرب، ويقال أيضاً: تدلّل».

(٨) ي: ويشبه.

(٩) ص: حفاً.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية: «حصّ، بالمهملتين، يقال: حصّ شعره يحصُّه حصّاً: نثره وأذهبه. والإسياع: الإضاعة، يقال: أساعه، أي: أضاعه».

واتّساعِك[1] لها نَتْفاً وقَصّاً، وسيكفينا الدّهْرُ مُؤْنَةَ الإنكارِ عليك، بما يَـزُفُّ إليـك مـن بَنات الشِّعَر وأمَّهاتِه.

فأمّا ما استأذَنْتَ رأيي فيه من الاختلافِ إلى مجلسي، فما أقلَّ نشاطي لك، وأضيَقَ بِساطي عنك، وأشبَعَ قلبي منك، وأشدَّ استغنائي[2] عن[3] حُضـورك، فـإنْ حضَـرتَ فأنت كغاشٍّ نروضُ[4] عليه الحِلْم، ونتعلَّمُ به الصَّبْر، ونتكلَّفُ فيه الاحتمال، ونُغضِـي منه الجَفْنَ عـلى قَـذىً، ونَطـوِي منـهُ الصَّـدْرَ عـلى أذىً، ونجعَلُـهُ للعُيـونِ[5] تأديـاً[6]، وللقُلوبِ تأنيباً[7].

ما لك يا أبا الفَضْل تَعتاضُ[8] من الرّغبةِ عنّا رَغْبَةً فينا، ومن ذلك التّـدلُّل علينـا تَذلُّلاً لنا، ومن ذلك التّعالي تَبصبُصاً، ومن ذلك التّغـالي[9] ترخُّصـاً؟ ومـا بـالُ الـدّهر أبْدَلَك[10] من التّزايُد تَنقُّصاً، ومن التّسحُّب على الإخوان تَقمُّصاً؟ ولئن اعتَضـتَ عـن ذلك الذّهاب رُجوعاً، لقد اعتَضْنا عن هذا النِّزاع نُزوعاً. فأنّاً برَحْلِك وجانِبك، مُلقـىً

---

(١) س، ص: اسياعك.

(٢) ي: استعفائي.

(٣) س: من.

(٤) ي: يروض.

(٥) عبارة ي: ويجعله العيون.

(٦) س: تأوياً، خطأ.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «التأنيب: اللؤم والعنف».

(٨) ي: تعتكض.

(٩) (تبصبصاً ... التغالي) ساقط في ي.

(١٠) ساقطة في ي.

حَبْلُك على غاربِك[1]، لا أوثِرُ قُربَك، ولا أندَهُ سَرْبَك[2]. ولو أحببتُ أنْ أوجِعَك لَقلتُ:

مـا يَفْعَـلُ اللهُ بـاليهودِ ولا بِعـادٍ ولا ثمـودِ

ولا بِفِرْعَـونَ إذ عَصـاهُ مـا يفعـل الشَّـعْرُ بالخُـدودِ

---

(١) الغارب: أعلى سنام الجمل، ويُقال في المثل: حبلكِ على غاربك، كنايةً عن الطلاق، أي: اذهبي حيث شئتِ. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩٦.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «السّرب بالفتح: الإبل، وما رُعي من المال. وندهت الإبل: سقتها مجتمعة، وكان طلاق الجاهلية: اذهبي فلا أنده سربك، أي: لا أردّ إبلك لتذهب حيث شاءت، يعني: لا حاجة لي فيك».

وله أيضاً[1]

إلى الشّيخ أبي جعفرٍ الـمِيكالي[2]

الأميرُ الفاضلُ الرّئيس، رفيعُ مَناطِ الهمَّة، بعيدُ مَنال الخِدْمة، فسيحُ مجَالِ الفَضْل، رحيبُ مُختَرَقِ الجود، طيِّبُ معجَم[3] العُود،

فلـــو نَظَمــــتُ الثُّرَيَّـــا والشِّــــعريَينِ قَريضـــا

وكامـــلَ[4] الأرضِ ضَرْبـــاً وشِـعبَ[5] رَضْـوَى عَروضـا

وصُـــغْتُ للـــدُّرِّ ضِـــدّاً أو للهـــــواءِ نَقيضـــــا

بـــل لـــو جلَـــوْتُ عليـــهِ سُـــودَ النّوائـــبِ بِيضـــا

أو ادَّعَيْــــتُ الثُّرَيّـــا لأخْمَصَـــيْهِ حَضِيضـــا

والبحـــرَ عبـــدَ لُهَـــاهُ[6] عنـــدَ العَطـــاءِ مَغِيضـــا[7]

لما كنتُ إلّا في ذِمَّةِ القُصور وجانب التقصير، فكيفَ وأنا قاعدُ الحالـةِ في المـدح، قاصرُ الآلةِ عن الشَرْح؟ ولكنّي أقول: الثناءُ مُـنجِحٌ أنّـى سلَك، والسَّـخيُّ جُـودُهُ بـما

---

(١) من ص.

(٢) تقدّم التعريف به في ص ٧٧.

(٣) س، ي: مكسر. اخترنا ما في ص.

(٤) ي: وكاهل.

(٥) ي: وسعته.

(٦) اللهى بضم اللام: هي العطايا، وهي جمع لهوة بمعنى العطية أو أفضل العطايا وأجزلها. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٢٦١ (لها).

(٧) هذه الأبيات لبديع الزمان. ديوانه، ص٩٣.

مَلَك، وإنْ لم تكنْ غُرَّةٌ[1] لائحةٌ فلمْحةٌ دالّـة، وإنْ لم يكـنْ صَـدَرٌ فـماء، أو لم تكـنْ خمرٌ فخَلّ، أو لم يُصِبْ وابـلٌ فطَـلّ، وبَـذْلُ الموجـود غايـة الجُـود، وبعـضُ الحميّـة[2] آخِـرُ المجهود، وماش خيرٌ من لاش[3]، ووجودُ ما قـلَّ خـيرٌ مـن عُـدْم مـا جَـلَّ، وقليـلٌ في الجيب خيرٌ من كثيرٍ في الغَيب، وجهدُ[4] المُقِلّ أحسنُ من عُذْرِ المُخِلّ، وحِمـارٌ هـو خـيرٌ من فرسٍ ليسَ[5]، وكـوْخٌ[6] في العِيـان خـيرٌ مـن قَصْـرٍ في الـوَهْم، وزَيْـتٌ خـيرٌ مـن لَيْت[7]، و(ما كان) أجودُ من[8] (لـو كـان)، وقـد قيـل: عُصـفورٌ في الكـفّ خـيرٌ مـن كُرْكيٍّ في الجوّ[9]، ولأنْ تَقطِف خيرٌ من أنْ تَقِـف، ومَـن لم يجـد الجَـميم رَعـى الهشـيم، ومَن لم يمشِ صَهيلاً نَهق، ومَن لم يجد ماءً تيمَّم.

والأميرُ لا يَنظر من قوافي صَنيعِهِ إلى رِكّـةِ ألفاظِهـا وبُعـد أغراضِـها، ولكـنْ إلى وُفور جَذْرِها[10]، وثِقَل مَهرِها، وقِلّة كُفُوِها، فإنّي مُنذُ فارقتُ قَصَبةَ جُرْجان، ووَطِئـتُ

(١) ي: عدة.

(٢) ي: الحمة.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «الماش: قماش البيت، وهو رديء متاعِه وسَقطه، ولاش مخفَّفٌ من: لا شيء، وهو عبارة عن العدم». أي ما كان في البيت من قُماش لا قيمة له خيرٌ من خُلوّه». الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١، ص٦٠٦.

(٤) ي: وحميد.

(٥) أي: ليس موجوداً.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الكوخ بالضم: بيت من قصب، والجمع أكواخ». وقد تحرّف في ي: وكرخ.

(٧) أي: خير من التمنّي، فعبّر عن المعنى، بأداته، وهي ليت.

(٨) ي: ممّا.

(٩) ي: جوّ.

(١٠) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الجذر بالفتح والكسر: الأصل».

عَتَبَةَ خُراسان، ما زَفَفتُها إلّا [إلى ذا][1]، ولا زوَّجتُها سِوى هذا، على تمرُّغي في أعطان[2] المِحَن، وضرورتي إلى أبناء الزّمن. وإنْ كان الأمير الرّئيس يرفَع لكلِّ لَفْظٍ حِجابَ سَمْعِه، ويُفسِحُ لكلِّ شِعْرٍ فِناءَ طَبعِه، فهاكَ من الشِّعْر ما يُقرا، ومن النَّظم ما تَرَى:

أذْهِبِ الكأْسَ فعَرْفُ الـ ـــفَجرِ قد كادَ يلوحُ

وهْو للنّاسِ صباحٌ ولذي الرأي صَبوحُ

والذي يَمرَحُ بي في حَلْبةِ اللّهوِ جَموحُ

واسقنيها[3] والأمانيُّ لها عَرْفٌ يَفوحُ

إنّ في الأيّام أسرا رًا بها سوف نَبوحُ

لا يَغُرَّنَّكَ جسمٌ صادقُ الحِسِّ ورُوحُ

إنّما نحنُ إلى الآ جالِ نغدو ونروحُ[4]

وَيْكَ هذا العُمْرُ تفريـ ـحٌ وهذا الرُّوحُ ريحُ

بينما أنتَ صحيحُ الـ ـجسمِ إذْ أنت طَريحُ

فاسقِنيها[5] مثلَ ما يلـ ـفِظُهُ الدِّيكُ الذَّبيحُ

قبلَ أنْ يُضرَبَ في العُمْـ ـرِ لِيَ القِدْحُ السَّفيحُ[6]

---

(١) س، ي: إلآ، ص: أذى، ولعل الأرجح ما أثبتناه.

(٢) ي: أعطاف.

(٣) ي: اسقيها.

(٤) ي: نعدو ومروح.

(٥) ي: فاسقيها.

(٦) القدح السفيح: أحد أقداح الميسر، وهو ما لا نصيب له. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٨٦ (سفح). وتحرّف في ي: السبيح.

هـــاكُمُ الـــدُّنيا فسِـــيحُوا ووَقَعْنـــــا لا نَصــــيحُ
إنَّـــــما الـــدّهْرُ عَـــدوٌّ ولِـــمَن أصـــغَى نَصــيحُ
ولســـانُ الـــدّهرِ بالوعـــــ ــــظِ لِواعيــــهِ فَصــيحُ
نســــــتميحُ الـــــدّهْرَ والأيّـــــامُ مِنّــــا تســــتميحُ
نحــــنُ لاهُـــونَ وآجـــا لُ الـــمُنى لا تَســـتريحُ
ضـاعَ مـا نَحميـهِ مـن[1] أنْـــ ــــفُسِنا وهْـــو يَبُـــوحُ
يـــا غُـــلامُ الكـــأسَ فاليـــأ سُ مـــن النّـــاس مُـــريحُ
وقُنوعـــــاً فمُقـــــامُ الـــــذُّلِّ بـــــالحُرِّ قَبـــيحُ
أنـــا يـــا دَهْــرُ بأبنـــا ئِـــكَ شِـــقٌّ وسَـــطيحُ[2]
وبأبكـــــارِ القَـــــوافِي لا عـــلى كُفْـــوٍ شَـــحيحُ
يـــا بَنِـــي مِيكـــالَ والجُـــو دُ لعِـــــلّاتِي مُـــــزيحُ
شَرَفـــاً إنّ مجـــالَ الـــــ ــــفَضْلِ فِـــيكُمْ لَفَسِـــيحُ
وعـــلى قَـــدْرِ سَـــنا المَمْـــ ــــدوحِ يأتيـــكَ المَـــدِيحُ
فهُنـــاكَ الشَّـــرَفُ الأر فَـــعُ والطَّـــرْفُ الطَّمُـــوحُ
والنّـــدَى والخُلُـــقُ الطّـــا هـــرُ والوَجْـــهُ الصَّـــبيحُ

(١) العبارة من هنا إلى آخر البيت في ي: الفساد وهو يبيحُ.

(٢) أما شِقّ فهو شق بن صعب بن يشكر، كاهن جاهلي عاش إلى ما بعد ولادة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد عُمّر طويلاً، وكان يقال: إنه نصف إنسان. وأما سطيح فهو ربيع بن ربيعة من بني مازن من الأزد، كاهن جاهلي غساني، وكان يُقال: إنه يُطوى كما تُطوى الحصير. عنهما، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥-١٨، ص٤١، ص٧٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٣٠. وأبو الفضل يعني بهذا البيت أنه خبير بأبناء دهره، متكهّن بما يصدر عنهم.

مُرْتَقَى مَجْدٍ يَحَارُ الطَّرْفُ[1] فيهِ ويَطِيحُ

ما لكمْ فيهِ مَغِيضُ الـ ـماءِ والعِرْضُ صَحيحُ

أَيُّهذا الكَرَمُ المَا ثِلُ والخُلْقُ السَّجيحُ[2]

كانَ هذا المجدُ مَيْتاً عادَهُ منكَ المسيحُ[3]

هذه - أطال اللهُ بَقاءَ الأمير - هَدِيَّةُ الوقت، وعَفْوُ السّاعة، وفيضُ البَديهة، ومُساوَقةُ القَلم، ومُسابَقةُ اليدِ للفم، وجَمَراتُ[4] الحِدَّة، وثَمَراتُ المُدَّة، ومُجاراةُ الخاطِرِ للناظر، ومُباراةُ الطَّبْع للسَّمْع، ومُجاوَبةُ الجَنانِ للبَنان، والشِّعْرُ إذا لم تَتَقَدَّمْهُ[5] نيَّة، ولم تُنضِجْهُ[6] رَوِيَّة، لم[7] يَفتَحْ له السَّمْعُ حِجابَه. وإذا لَبِس الأميرُ هذه على عِلّاتِها، رجوتُ أنْ يكونَ ما بعدُ أمتَن، وأحسَنَ وأرصَن، ورأْيُهُ في الوقوفِ عليهِ مُوفَّقٌ إنْ شاء الله.

---

(١) ي: المجد.

(٢) السجيح: السهل الحَسَن. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٧٥ (سجح).

(٣) هذه الأبيات لبديع الزمان، ديوانه، ص٥٨. وسقط البيتان الأخيران في ي.

(٤) ي: وحجرات.

(٥) ي: تقدمه.

(٦) ي: تنظمه.

(٧) في النسخ ولم، والأصح ما أثبتناه.

وله إليه أيضاً[1] رَحِمه اللهُ تَعالى

لـئنْ ســاءَني أنْ نِلْتِنــي بمَســاءَةٍ ... لقــد سرَّني أنِّي خَطَـرْتُ ببالِـكِ[2]

الأميرُ - أطال اللهُ بقاءَه، إلى آخر الدُّعاءِ - في حالَيْ برِّهِ وجفائه مُتَفَضِّل، وفي يَومي إدنائه وإبعادِه مُحسِن، وهنيئاً له من حمانا ما يَحُلُّه، ومن عُرانا[3] ما يُحِلُّه[4]، ومن أعراضِنا ما يَستَحِلُّه.

بَلَغني أنّه - أدام اللهُ عِزَّهُ - استَزْأَدَ[5] صَنيعَه، فكنـتُ أظُنُّنِـي مُجنيّـاً عليـه، مُسـاءً إليه، فإذا أنا في قَـرارةِ الـذَّنْب، ومُضـارّة[6] العَتْـب. وليـت شِـعري ! أيُّ[7] محظـورٍ في العِشْرة حضَرْتُه، أو مفروضٍ من الخِدْمةِ رفَضْتُه، أو واجـب في الزِّيـارةِ أهملتُـه، وهـل كنتُ إلّا ضَيفاً[8] أهداهُ مَنْزِعٌ شاسع، وأدّاهُ أمَلٌ واسِع، وحَداهُ فَضْـلٌ وإنْ قـلَّ، وهـداه

---

(١) الأيض من: ص، ي، وسقط فيهما ما بعدها.

(٢) لعبد الله بن الدُّمَيْنة (ت١٣٠هـ). البصري، الحماسة البصرية، ج٢، ص١٠٧.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «العرى والعراة، بالقصر: الفِناء والساحة، وبالمدّ: الفضاء لا ستر به». كذا كتب، فمعناه بمعنى الحمى ولا فرق.

(٤) الضبط من س، ولو فتح الياء وكسر الحاء لأصاب معنى أقرب مناسباً لقوله: (عرانا)، ولكان بمعنى النزول أيضاً مثل يَحُلّ بضم الحاء، قال الزبيدي: «حلّ المكانَ، يَحُلّ ويَحِلّ، من حدّي: نَصَر، وضَرَب، وهو ممّا جاء بالوجهين، أي: نزل به». تاج العروس، ج٢٨، ص٣١٨ (ح ل ل). وهو المختار عندي، في الأول ضممت الحاء، وفي الثاني بعد قوله: (عرانا) كسرتها. والمعنى واحد، لكن كسر الحاء موافق لقوله الآتي: (يستحلّه).

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «استزأد صنيعه، هو من: زأده يزأده زأداً: أفزعه وذعره، وزئد فهو مزؤود، أي: مذعور، والزُّؤد بالضم وبضمتين: الفزع».

(٦) ي: ومثابة.

(٧) ي: إنّي.

(٨) ي: للاصفاً.

رأيٌ وإنْ ضَلّ؟ ثم لم يُلْقِ إلّا في آلِ مِيكالَ رَحْلَه، ولم يَصِلْ إلّا بهم حبلَـه، ولم يـنظِمْ إلّا فِيهم شِعرَه، ولم يقفْ إلّا عليهم شُكرَه! ثم مـا بعُـدت صـحبةٌ إلّا دنَـتْ مَهانـة[1]، ولا زادَت حُرمـة إلّا نقَصَـت صِـيانة، ولا تضـاعفَتْ مُنّـة إلّا تَراجَعـت منزلـة. ولم تـزَل الصِّفةُ بنا[2] حتى صار وابلُ الإعظام قَطْرة، وعاد قميصُ القيام صُدْرة[3].

ودخلتُ مجلسَه وحولَه من الأعداء كتيبة، فصار ذلك التقرُّبُ[4] ازوراراً، وذلك السَّلامُ اختصاراً، والاهتزازُ إيماءً، والعبادةُ إشارة. وحين عاتبتُه آمُلُ إعتابَه، وكاتبتُه أنتظرُ جوابَه، وسألتُه أرجو إيجابَه؛ أجاب بالسّكوت، فما ازددتُ إلّا له ولاء، وعليه ثناء. لا[5] جَرَمَ أنّي اليومَ أبيضُ وَجْه العَهْد، واضحُ حجّة الودّ، طويلُ لسان القول، رفيعُ حُكم[6] العُذر، وقد حمَّلتُ فُلاناً من الرّسالة ما تجافى القلمُ عنه، والأميرُ يُنعم بالإصْغاء لما يوردُه موفّقاً إنْ شاء الله عزّ وجلّ.

---

(١) ي: مهابة.

(٢) ساقطة في ص.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «الصُّدرة بالضمّ – من الإنسان -: ما أشرف من أعلى صدره، ومنه: الصدرة التي تلبس».

(٤) ص: التقريب، ي: للتقريب.

(٥) ي: إلّا.

(٦) ي: حكمة.

وله - رَحِمه الله تَعالى[1] - إليه أيضاً

أنا في خدمة الأمير مرجِّحٌ بينَ أنْ أشربَها رَنِقةً[2] لا أسيغُها، وأُلَجْلِجُ مُضغَةً[3] لا أجيزُها، وبينَ أنْ أطويَها على غَرِّها، ولا أرتضعُ أخْلافَ دَرِّها،

فلا نفسي تُطاوعُني لرفضٍ ولا هِمَمي توطِّنُني لخَفْضِ

وبقي أنْ أقرُصَه[4] بأنامِلِ العَتْب، وأجمُشَه[5] بألحاظ العَذْل، وأعرِّفه أنّي ما أطوي مسافةَ مَزارٍ[6] إلّا متجشِّماً، ولا أطأُ عتبةَ دارٍ إلّا متبرِّماً[7]، ولستُ كمَن يبسُطُ يدَه مُستجدياً، أو ينقلُ قدمَه مُستغذياً[8]، فإنْ كان الأميرُ يسرِّحُ طَرْفَه منّي[9] في طامحٍ أو طامع فلْيُعِدْ[10] للفراسة نظراً،

---

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٢) ي: ريقة. تصحيف. وكتب ناسخ س في الحاشية: «رَنِق الماءُ بالكسر رَنَقاً: كدر فهو رَنِق، أي: كدِر». وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص٢٦٧ (رنق).

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لجلج المضغة في فيه، أي: ردّدها للمضغ». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٥٦ (لجج).

(٤) ي: أقرضه.

(٥) في الأصول: أجمسه، بالسين. والأصح ما أثبتناه. والجمش: المغازلة، وهو يجمشها أي: يقرصها ويلاعبها. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٧٥ (جمش).

(٦) من ي.

(٧) ي: متقرباً.

(٨) ي: مستعدياً.

(٩) من ي.

(١٠) ي: ولنعد.

فما الفقرُ مـن أرض العشـيرةِ سـاقَنا إليـك ولكنّـا بقُرْبـاك نَـبْجَحُ[1]

وأجذُني كلَّما استفزَّني الشوقُ إلى تلك المحاسن، أطيرُ إليها بجَناحَيْنِ عجِلاً، وأرجِعُ بِعَرْجاوَيْنِ خَجِلاً.

ولوْلا أنّ الرِّضا بذلك ضَرْبٌ من سُقوطِ الهِمَّة، وأنّ العَتْبَ نوعٌ من أنواع الخِدْمة، لَصُنتُ مَـجْلسَهُ عن قَلَمي، كما أصونُهُ عن قَدَمي، ولِمَلْتُ إلى أرض الدُّعاءِ فهو أنفَع، وإلى جانب الثَّناءِ فهو أوقَع، وسأفعَلُ ذلك لتخفَّ مُؤْنَتي، ولا تثقُل وَطْأَتي.

إذا مـــا عَتَبْـــتُ فلـــم تُعْتِـــبِ وهُنْـــتُ عليـــكَ فلـــم تُعْـــنَ بي

سَـــلَوْتُ ولـــو كـــان مـــاءُ الحيـــاةِ لعِفـــــتُ الـــــوُرودَ ولم أشْرَبِ

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «نبجح، كنفرح، وزناً ومعنى». البَجَح: الفَرَح. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٠٥ (بجح).

وكَتَب إلى القاسم الكَرَجي

أنا - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ سيّدي ومَوْلاي[١] - وإنْ لم ألْقَ تطاوُلَ الإخوان إلّا بالتطوُّل، وتَحامُلَ الأحرار إلّا بالتَحمُّل، أُحاسِبُ[٢] الشّيخ - أيّده اللهُ[٣] - على أخلاقِهِ ضَنّاً بما عَقَدتُ يدِي عليه من الظَّنّ، والتقدير في مَذْهَبه، ولولا ذلك لَقلتُ: في الأرض مَجالٌ إنْ ضاقَتْ ظلالُك، وفي النّاس واصلٌ إنْ رَثَّتْ حِبالُك[٤]. وأُؤاخِذُهُ بأفعالِه، فإنْ أعارَني أُذُناً واعِيَة، ونَفْساً مُراعِيَة، وقَلباً متَّعِظاً، ورُجوعاً عن ذَهابِه، ونُزوعاً عن هذا الباب الذي يَقْرَعُهُ، ونُزولاً عن الصُّعودِ الذي يَفْرَعُه، فرَشْتُ لمودَّتِه خِوانَ صَدْري[٥]، وعقَدتُ عليه جوامعَ خَصْري[٦]، ومجامعَ عُمْري. وإنْ رَكِب من التَّعالي غيرَ مركَبِه[٧]، وذهَب من التَّغالي في غير مذهبِه[٨]، أقطَعتُهُ خِطّةَ[٩] أخلاقِه، ووَلَّيتُهُ[١٠] جانبَ إعراضِه،

---

(١) الدعاء الذي بين شرطتين من ص فقط.

(٢) ص: أحسست.

(٣) الدعاء الذي بين شرطتين من ص فقط.

(٤) قوله: «والناس واصل إن رثت حبالك» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، سورة آل عمران، من الآية ١١٢ كما هو ظاهر.

(٥) الخوان بضم الخاء وكسرها: ما يؤكل عليه الطعام، وإضافته إلى الصدر من إضافة المشبه به للمشبه. والمعنى: مكنت مودته من صدري. كشف المعاني، ص١٠١.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الخصر من بيوت الأعراب: موضع لطيف، والخصر: وسط الإنسان». والكلمة في ي: حَضْري.

(٧) ي: مركب.

(٨) ي: مذهب.

(٩) كسر الخاء من س.

(١٠) ي: وولّيت.

لم أرُدَّ[1] الطّـيرَ عـن شَـجَرٍ   قـد بَلَـوْتُ المُـرَّ مِـن ثَمـرِهْ

فإنّي وإنْ كنتُ في مُقتبَلِ السِّنِّ والعُمر[2]، قد حَلبْتُ شَطْرَي الدَّهر[3]، وركِبتُ ظَهْرَي البرِّ والبَحْر، ولَقِيتُ وَفْدَي الخير والشَّر، وصافحتُ يَدَي النَّفْع والضُّرّ، وضرَبتُ إبْطَي العُسْر واليُسْر، وبلَوْتُ طَعْمَي الحُلْو والمُرّ، ورَضَعتُ ضَرْعَي العُرْفِ والنُّكْر؛ فما تَكادُ الأيّامُ تُريني من أفعالِها غَريباً، وتُسمِعني[4] من أحوالِها عَجيباً.

ولقيتُ الأفرادَ، وطرَحتُ الآحادَ، فما رأيتُ أحداً إلّا مَلأتُ حافَتيْ سَمْعِه وبَصْره، وشغَلتُ حيِّزيْ فِكرِه ونَظره، وأثقلتُ كَتِفَهُ[5] في الحُزن، وكِفَّتَهُ في الوَزْن. ووَدَّ لو بادرَ القرْنُ صَحيفتي أو لَقي صَفيحتي.

فما لي صَغُرتُ هذا الصِّغر في عَينِه ؟ وما الذي أزرَى بي عندَه حتى احتَجب وقد قَصدتُهُ، ولزِمَ أرضَهُ وقد حضَرتُه؟ أنا أُحاشيهِ أنْ يَجهَلَ قدْرَ الفَضْل، أو يجحَدَ فَضْلَ العِلْم، أو يمتطيَ ظَهْرَ التِّيه على أهليه، وأسألُهُ أنْ يَخْتصّني من بينهم بفَضْل إعظامٍ إنْ زلَّتْ بي مرَّةً قَدَمٌ في قَصدِه. وكأنّي به وقد غَضِب لهذه المُخاطَبة المُجحفة، والرُّتبةِ المُتحيِّفة[6]، وهو في جَنْب جَفائه كثير[7]، فإنْ أقلَع عن عادتِه، ونَزَع عن شيمتِه في الجَفاء، فأطال اللهُ بقاءَ الأُستاذِ الفاضل، وأدام عزَّهُ وتأييدَه.

---

(١) س، ي: ولم أذد، ولا ينجبر بها البيت. والبيت لأبي نؤاس. ديوانه، ص١٠، وفيه: لا أذودُ.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «مقتبل السنّ: ما لم يظهر فيه أثر الكبر».

(٣) يقال في المثل: حلب فُلان الدهر شطريه وأشطره، أي: مرّ به خيره وشره، وعانى نفعه وضرّه. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩٥.

(٤) ي: وسمعني.

(٥) ي: وأنفلت كفّه.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «تحيّنه: تنقّصه، من الحيف، وهو الجور، وقد حاف عليه يحيف وتحيّنه».

(٧) ص: يسير.

وله - رَحِمه اللهُ تَعالى[1] - إليه[2] أيضاً

يَعِزُّ عليّ - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - أنْ يَنوبَ في خِدْمته قَلَمي عن قَدَمي، ويسعَدَ برُؤْيتِه رَسولي دونَ وُصولي، ويرِدَ مَشرَعةَ الأنس به كتابي قبلَ رِكابي، ولكنْ ما الحِيلة والعوائقُ جَمَّة ؟

وعــــليَّ أنْ أسْــــعى وليــــــ ـــــس عــليَّ إدراكُ النجــاحِ[3]

وقد حضَرتُ دارَه[4]، وقبَّلتُ جِدارَه، وما بي حُبُّ الحِيطان، ولكن شغَفاً بالقُطّان، ولا عِشْقُ الجُدران[5]، ولكنْ شوقاً إلى السُّكّان.

وحِينَ عَدَتِ العَوادي عنهُ، أمليَتُ ضميرَ الشّوقِ على لِسان القَلَم، معتذِراً - إلى الشّيخ - على الحقيقة عن تقصيرٍ وَقَع، وفُتورٍ في الخِدْمة عَرَض، ولكنّي أقول :

إنْ يكــنْ تَرْكــي لقصــدِكَ ذَنْبــاً فكفـــــى أنْ لا أراكَ عِقابـــا

---

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) لأبي الفتح كشاجم. ديوانه، ص١٢٢.

(٤) س: بابه، والعبارة في ي: وقد حضرت بابه وقبّلت ركابه جداره. وهو فاسد أيضاً. اخترنا ما في ص، لأنه أوفق للسجع.

(٥) ي: ولا عشقاً للجدران.

وله أيضاً

وقد قَطَع عليه العربُ

إلى سعيدٍ الإسماعيليِّ[1] رسالةٌ كتبها ببِيكَنْد[2]

كتابي - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الفاضل - بل رُقعتي، وقد بَكَرَتْ[3] عليَّ مُغِيرةُ الأعراب، ككَهْمَس[4]، وربيعةَ بن مكدِّم[5]، وعتبة[6] بن الحارث بن شهاب. وأنا أحمَدُ الله إلى الشّيخ، وأذُمُّ الدَّهر، فما ترَكَ لي فِضّةً إلّا فضَّها، ولا ذَهَباً إلّا ذَهَب به، ولا عِلْقاً إلّا عَلِقَهُ، ولا عَقاراً إلّا عَقَرهُ، ولا ضَيعةً إلّا أضاعَها، ولا مالاً إلّا مالَ إليه، ولا حالاً إلّا حالَ عليه، ولا فَرَساً إلّا افترَسَهُ، ولا سَبَداً[7] إلّا استبَدَّ به، ولا لَبَداً إلّا لَبَدَ فيه، ولا بَزَّةً إلّا بزَّها، ولا عاريةً إلّا ارتجعَها، ولا وَديعةً[8] إلّا انتزعَها، ولا خِلعةً إلّا خَلَعها. وأنا داخلٌ نَيْسابُور ولا حِلْيَةَ إلّا الجِلدة، ولا بُرْدةَ إلّا القِشرة، واللهُ تَعالى وَليُّ الخَلَف يُعجِّلُه، والفَرَجِ يُيَسِّرُه، وهو حَسْبي ونِعْمَ الوَكيل.

---

(١) العنوان في س: وله إلى سعيد الإسماعيلي كتبها إليه ببيكند، أثبتنا ما في: ص، ي لأنه أتمّ وأوضح، على أنّ في ي تقديم «رسالة كتبها بيكند» على «وقد قطع... الإسماعيليّ».

(٢) س: ببيشكند، وبِيكَنْد: بلدةٌ من بلدان بُخارى في بلاد ما وراء النهر، بينها وبين جيحون. السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٣٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٣.

(٣) ي: تكون. تحريف واضح.

(٤) س: بحكمكنس، ي: بحكمس.

(٥) ي: مكرّم. والضبط من س.

(٦) س: عتيبة.

(٧) ي: سيّداً. وما هنا من س، ص. وعلّق ناسخ س: «يقال: ما له سبد ولا لبد، أي: لا قليل ولا كثير، والسبد من الشعر، واللبد من القوة». والسَّبَد أيضاً: ما يطلع من رؤوس النبات قبل أن ينتشر. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٠١ (سبد).

(٨) ي: دريعة، وهو وجهٌ.

وله إلى الشّيخ الإمام أبي الطَّيِّب[1] رحمةُ الله عليه[2]

أنا - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ الإمام - بَصيرٌ بأبناء الذُّنُوب، وأولادِ الدُّرُوب[3]، أعرِفُهُم بشامة، وأُثبِتُهُم بعلامة، والعَلامةُ بيني وبينَهم أنْ يُفسدوا الصَّنيعَ[4] على صانعه، ويُحرِّفوا الكَلِمَ عن مَواضِعِه، ويَرمُوا في الحكاية سَهْمَ الشِّكاية[5]، ويُجيلُوا في الشِّكاية قِدْحَ النِّكاية، ثم لا يَرَونَ النِّكاية إلّا السِّعاية، وإنْ أعْوزَهُم الصِّدْقُ مالوا إلى الكَذِب، وإنْ حلُم لهم الجِدُّ[6] عُوِّضوا[7] باللَّعِب.

ومن عَلاماتهم: قُبْحُ مَقاماتهم، وإيرادُ ظُلاماتهم، مَواردَ النَّصيحةِ لكُبَرائهم. ومن آياتهم: كثرةُ جِناياتِهم على الفُضَلاء، وشِدَّةُ حَنَقِهم على مَنْ لم يُخْطِرْهم ببالِه، ولا يحتطبُهم في حبالِه[8]. فإذا انضافَ إلى ضيقِ أكْنافِهم سَعَةُ آنافِهم، وإلى قُبْح مَقاماتِهم قِصَرُ قاماتهم، وإلى خُبْث مَحضَرِهم خُبْثُ مَنظَرِهم، وإلى صَعَرِ[9] خُدودِهم غِلَظُ جُلودِهم، وإلى سُوءِ بالِهم خُشونةُ سِبالِهم، وإلى مَرَض فُؤادهم صُفرةُ[10] أجسادِهم،

---

(١) الكنية سقطت في ي.

(٢) الترحُّم ساقط في ص، ي. وأبو الطيّب هو سهل بن مُحمّد الصُّعْلوكي، وقد تقدّم التعريف به في ص٤٤.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «كنى بأبناء الذّنوب وأولاد الدروب عن أولاد الزّنا».

(٤) س، ي: الصنيعة، ويمنعه قوله: صانعه باتفاق النسخ.

(٥) المراد بسهم الشكاية: اللفظ الذي يستعمل بإبدائها، وكثيراً ما يشبَّه اللفظ بالسهم لأنه لا يخطىء هدف الأغراض. والشكاية الثانية: لعلها الخريطة التي يوضع فيها قداح الميسر، من الشكوة، وهي وعاء من أدم للماء ونحوه. كشف المعاني، ص١٠٦.

(٦) ي: الجذعة.

(٧) كذا الكلمة في س، ص، وفي ي: عَرَّضوا.

(٨) حطب في حبله: إذا نصره. كشف المعاني، ص١٠٦.

(٩) كتب ناسخ س إزاءها: «الصّعر: الميل في الخدّ خاصّةً».

(١٠) س، ي: صحة.

وإلى لِينِ فِقَاحِهم[1] غِلَظُ ألواحِهم، فذلك من أعلى القوم طبقةً في السِّفال، وأبعَدِهم[2] غايةً في النَّكال.

والذي فاوَضَني القاضي في مَعناه، جَليٌّ في بابِه ما حكاه، يجمَعُ هذه الخِصالَ وقِيادة، ويَنظِمُ هذه الأوصافَ وزيادة، فلمَ يُبعِدُ[3] الشَّيخُ عن[4] مثْلِه أنْ يَكذب؟ ألِطهارةِ أصلِه، أمْ نَجابةِ نَسْلِه[5]، أم حَصانةِ أهلِه، أم رَجاحةِ عَقْلِه، أم مَلاحةِ شكْلِه، أم غَزارةِ فضْلِه؟ ولمَ[6] يُجَوِّزُ عليَّ ما حكاه؟ ألم يُؤوِني[7] طَريداً، ويَلُمَّني[8] حَصيداً، ويُؤنِسْني وَحيداً، ويصطَنِعْني مُبدياً ومُعيداً؟ وكان يعذِرُني[9] أنّه إذا رآني أفعَلُ شنيعاً، أو سمع أنّي ألفِظُ[10] بنُكرٍ، لم يأْلُ في تَحسينِ[11] أمْري[12] فعْلَ الوالدِ بوَلَدِه من جهتِه[13]، ونَظَرُ المَولى لِصَنيعِه أقربُ.

والآنَ، إذ عاد الأمرُ إلى العِتاب، فهَلُمَّ إلى الحِساب. إنْ كنتُ أخْللتُ بِطَرَفٍ من

---

(١) الفقحة: حلقة الدبر. لسان العرب، ج٢، ص٥٤٦ (فقح).

(٢) ي: وأهدّهم.

(٣) ي: تبعد.

(٤) ي: من.

(٥) أخطأ ناسخ ي، فكتب: نجابة أصله نسله.

(٦) ي: فلمَ.

(٧) ي: تزي.

(٨) س: وينبتني، ي: وتليني. وكلاهما لا معنى له.

(٩) س، ص: بقدري، وما هنا من ي، وهو المعنى.

(١٠) ي: يسمع ألفظ.

(١١) س، ي: لم يأله تحسين، والمثبت من ص، ويعضده أنْ كتب ناسخ س تعقيباً: «لعلّه: لم يألُ في تحسين».

(١٢) ي: أمر.

(١٣) ي: من جهة.

طاعتي من جهةٍ[١] فقد نقَصَني ما عوَّدني من وُجوه، وذلك[٢] أنّه كان لا يَتَجاسرُ أحدٌ على أنْ يَفريَني[٣]، فقد صار يفريني عنده، ويبري جِلْدي[٤]، وكان يُقيمُ[٥] قناتي، فقد صار[٦] يُحبِطُ حَسَناتي، وكان يُثمِرُ مالي، فقد صار يُبطلُ آمالي، وكان يحشدُ لأمري احتشادَهُ لأمرِه، فقد نُبِذْتُ وَراءَ ظَهْرِه، وقد[٧] كان يُحمِلُ، فقد[٨] صار يَتحامَلُ، وكان لا يُضايقُني في الألُوف من الدَّراهم والدّنانير، فقد ضَايَقَني في الشَّعيرِ في حِمْلِ بَعير. وللعُبُوديَّةِ ذُلُّ اليَهُوديَّة، ودَلُّ المُرُودِيَّة[٩]، والإدلالُ مع الإذلال، والطّاعةُ مع الإفضال[١٠].

فلْيستأنفِ الشّيخ حالَ المَولى ليستأنفَ حالَ العَبْد، واللهُ من وَراء التّسديد ونِعْمَ الوَكيل.

---

(١) (من جهة) ساقط في ي.

(٢) ي: وذاك.

(٣) بعدها في ص: عنده، زائدة. فرى الشيء يفريه: شقّهُ، فاسداً، أو صالحاً، كفرّاه بالتشديد وأفراه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٥٢ (فرا).

(٤) في الأصول: جلده، ولعل الأصح ما أثبتناه.

(٥) ص: يقوّم.

(٦) ي: عاد.

(٧) حرف التحقيق من ي.

(٨) حرف التحقيق من ي.

(٩) المُرودية: هي كون الإنسان أمرد، يقال: مرِدَ كفَرِح مَرْداً ومرودةً: إذا طرّ شاربه ولم تنبت لحيته، والوصف أمْرد. كشف المعاني، ص١٠٨. ولكن لإبراهيم السامرائي توجيهاً آخر لهذه اللفظة، وقد مرّت معه في (التاريخ الغياثي) لعبدالله بن فتح الله البغدادي (عاش في القرن التاسع الهجري)، حيث ورد عنده الحديث عن شخص يُسمّى فضيلاً «خدم في حال مَرْدَويّته...». ففسّره على أنه مصدر عربي من الكلمة الفارسية (مَرْد) بمعنى رجل. المجموع اللفيف، ص٦٤. وبهذا يكون المعنى قد أدّى الغرض نفسه. لكن يجب ملاحظة الفرق بين (المرودية) كما جاءت مجوّدة في أصول هذا الكتاب، و(المردوية) التي جاءت في (التاريخ الغياثي) والتأكد منها.

(١٠) ي: الاتصال.

وله - رَحِمه الله[1] - إليه أيضاً

كتبتُها - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الإمام شمس الإسلام - والحمدُ لله الذي أعادَ إليها الإشراق[2]، وآنَسَ بها[3] الآفاق، بعدَما كادتِ الظُّلْمة[4]، وأمكنتْ راميَها الثُّلْمة، وأسلمتْ صاحِبَها القَعْدة[5]، وحرقت[6] بثَوبِها[7] البِدْعة، ووَهَنَت الجماعةُ والجُمُعة، ومَرِضَ الإسلامُ والسُّنَّة، وبَعْدَما أطلعَ الشيطانُ قَرْنَهُ وأتْلَع[8]، وفَغَر فَمهُ وأدْلَع[9]، ومدَّ يدَهُ إلى الدِّينِ ليَقْلع[10]، وشَحا[11] فاهُ إلى العِلْم ليَبْلع، وكبَّر[12] بالإسلامِ

---

(١) الترحُّم ساقط في ص.

(٢) س، ص: الأشواق، وما هنا من ي، وهو المعنى.

(٣) من ص.

(٤) كاد يحتمل أنه فعل ماض من الكيد والظلمة فاعله، ويحتمل أنه من أفعال المقاربة والظلمة اسمهُ والخبر محذوف، أي: تعم أو نحوه.

(٥) س، ص: العقدة. وهو وجه.

(٦) ص، ي: وخرقت. وهو كلّه تصحيف. وكتب ناسخ س: بإزائها في الحاشية: «لعله: وخَرِيَت». وهو توجّه سديد يوافق المعنى.

(٧) ي: بيوتها.

(٨) ص: وأملح.

(٩) ص: وأولع، ي: وأطلع.

(١٠) ي: لتعلع.

(١١) كتب ناسخ س في الحاشية: «شحا بالشين والحاء المهملة، أي: فتح».

(١٢) ي: وتجبّر. (كذا قرأتها).

الصَّخْرَة[1]، حَيْثُ ملَكَ البَحْرَة. ثم أدالَ[2] اللهُ الهدَى على الضَّلال، وأمال[3] السَّليطَ بالذُّبال[4]، وتصدَّق بالشّيخ الإمام على الأنام، وأبقى جَمالَهُ للإسلام، واللهُ يَقرِنُ هذه النِّعْمةَ بالتَّمام، ثم يَرْبِطُ تمامَها بالدَّوام، من هَراة[5] عن سَلامةٍ بسَلامةِ أيّامِه تُجيبُ، وبنضارةِ إيابِه[6] تطيب، واللهُ عليهما محمود[7]، وصلَّى اللهُ على النبيِّ مُحمّد وآلِه.

ونفتَحُ للإمامِ من الصُّدُور ما ليس في الفؤاد، ومن القُلوبِ ما ليس للأولاد، فكأنّما اشتُقَّ[8] من جميع الأكباد، وكأنّما وُلِد بجميع البلاد، سواءٌ[9] العاكفُ فيه والباد[10]. فلقد رأيتُها كلَّها لِشَكاتِهِ مُتَقسِّمة[11]، ثم رأيتُ الوجوهَ كلَّها لِنجاتِه[12]

---

(١) في ي: الصّخرة، وبعدها: النخرة، بنون فخاء. والصحرة: هي الحفرة والمكان الواطىء، والفجوة من بين البيوت، والبحرة: البلدة، والمنخفض من الأرض، والمستنقع. والمراد بذلك المصيبة لتسلط الشيطان على الأرض وعموم سلطته. كشف المعاني، ص١٠٩.

(٢) ص: أبلّ.

(٣) ص: وأهلّ، بالتشديد، من الناسخ.

(٤) السليط عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دهن السمسم. قال امرؤ القيس:

أمال السليط بالذُّبال المفتَّلِ

والذُّبالة والذُّبّالة: الفتيلة، وجمعها: ذُبال وذُبّال. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٢١ (سلط)، ج١١، ص٢٥٦ (ذبل).

(٥) تكملةٌ لما بدأ به الرسالة: كتبتها من هَراة.

(٦) ي: أيام.

(٧) ي: عليها محمود.

(٨) ي: أسبق.

(٩) ي: وسواء.

(١٠) اقتباسٌ من قوله تَعالى في الآية ٢٥ من سورة الحج: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾.

(١١) عبارة ي: فلقدر انتهاء كلها لبشكاية منقسمة.

(١٢) ي: لنجابة.

مُتبسِّمة[1]»، ولا أعتدُّ عليه، فإنّي[2] منه وإليه، على أنّي نذَرتُ لِسَلامتِه[3] النُّذُور، وسألتُ اللهَ أنْ يَصرِفَ عنهُ المحذور، وأنْ يأخُذَ أحدَنا مكانَه، ولْيكُنْ مَن كانَه. وإنْ أشفَقَ النّاس من فدائه فبي وَحْدِي[4]، ووَلَدي بَعْدي، والحظُّ له بِعَدِّي[5]. هذا ما له عِندي، تنالُهُ يدي، ويَبلُغُهُ جَهْدي، هذا هو الولاء، الذي الباطنُ والظاهرُ فيه سَواء.

كيف يرى الشّيخُ الإمامُ سَماحةَ الضّمير لما يَلي، وودائع الصُّدور[6] فيما يُغلي[7]. وما أُشبِّهُ – في ذلك – صَدْرِي إلّا بنَهرٍ مُنِعَ طريقَه، فابتَلَع رِيقَه، ولم يُبْثَقْ بالسِّكْر[8]، فنهَرَ النَّهر، وغَمَرَ الخَمَر[9]، وغَرَّق الحَجَر، وقلَع الشَّجَر.

كذلك مَوْلاي الشّيخ الإمام، سَكَرْتُ عنه زماناً، ثم عندَ الشَّدائدِ تَذْهبُ الأحقاد، وترِقُّ الأكباد؛ فرَفعْتُ سِكْرَه فحُرِفَ إليه طَرِيفي[10] ومُتْلَدي، ورُوحي

---

(١) ي: مبتسمة.

(٢) ي: بأيّ.

(٣) ص: بسلامته.

(٤) ي: وجدي.

(٥) الضبط من س.

(٦) قيّد ناسخ س على هذه الكلمة: «لعله: الصَّدر».

(٧) ي: يُعلي، بعين مهملة، وما هنا من س، ص، وكلاهما بمعنى مستطاب.

(٨) السِّكر بالكسر: ما سُدّ به النهر. والسَّكْر: سدّ الشِّق ومنفجر الماء. وفي الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم للمستحاضة لمّا شكت إليه كثرة الدم: «اسكريه»، أي: سدّيه بخرقة، تشبيهاً بسَكْر الماء. وبثق السِّكر: أن يخرق شطّ النهر لينشق الماء وينبعث وينفجر. وانبثق عليهم الأمر: هجم من غير أن يشعروا به. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٧٥ (سكر)، ج١٠، ص١٣، (بثق).

(٩) الخَمَر بالتحريك هو: الشجر الملتف الذي يواري من يكون فيه. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٥٦ (خمر).

(١٠) ي: طرعي. تحريف قبيح.

وجَسَدي، ووالدي ووَلَدي، ولم أخْلُ في خلالِ الوَحْشةِ من شكْرٍ لأياديه، وصَفْعِ مَن يُعاديه، وتجهيز السَّلام إلى ناديه، والغَمام لِواديه.

وكُلُّ أفعالِ الشّيخ الإمام، غُرَّةٌ في ناصيةِ[1] الأيام، وزُهَرَةٌ في جُنْح الظّلام، إلّا أنّ ما أوجَبَ لفُلان رَوْضٌ أنا نَسيمُه، وشَجَرٌ أنا ثمرُه[2]، وعُودٌ جَمْرُهُ لساني، وجُودٌ[3] شُكْرُه ضَماني، وسَتُسفِر الأيّامُ واللّيالي، عن وُجوهِ تلك اللآلي، فيَعْلَم أنّه لم يَزْرَع في سَبْخَة[4]، واللهُ على ذلك مُعين.

وَدِدتُ[5] لو يَسْمَعُ الشّيخ في مَجلسي، والفقيهُ أبو سَعيدٍ حاضري، فيرى تَسالُبَ[6] الثَّناءِ بَيْني وبَيْنَه، وتَناهُبَ الدُّعاءِ مِنّي ومنه. ولو كان ذلك[7] لَسَمِعَتْ أُذُناه، ما تَقَرُّ به عَيْناه.

وللشّيْخِ الإمام في الوُقوفِ على ما نيبَ[8] به الرَّأيُ الموفَّقُ إنْ شاءَ الله.

---

(١) ي: ناحية.

(٢) ص: ثمرتُه.

(٣) ي: وجودُه.

(٤) السبخة هي الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: سِباخ، استعارها إلى المحلّ الذي يوضع به المعروف والجميل، فلا يظهر أثره من الشكر والثناء على مُسديه.

(٥) ي: وردت.

(٦) ي: شبالب !

(٧) من ص.

(٨) ص، ي: كتب.

وله - رَحِمه اللهُ تَعالى[1] - إليه أيضاً

كتابي - أطال اللهُ بَقاء الشّيخ - و[2]قليلٌ في الولاءِ أنْ أحتَذِيَ من العَيْن، وأتّخِذَ نَعلَيْن، أنْ يَسُوقَني هذا المساقَ إلّا الشَّوْقُ الهائج، والوَجْدُ اللّاعج. وأنا في هذه الحرْقةِ كثيرُ[3] الشَّوق، ولكنّي وَرَدتُ لغيرِ ما أردت، إنّما ضَرَبْتُ في جَنْب، ما نَسَبُوا إليَّ من الذَّنْب، وطعنْتُ في عَيْن، ما قُذِفتُ[4] به من المَيْن، وفَرِحتُ[5] على مَقامِ يَومَين.

وسأردُ فأدحَضُ[6] المهِمَّة، وأمحَضُ الخِدْمة إنْ شاء الله تَعالى، وأُجدِّدُ عهداً بينَ ذلك، وآخُذُ موثِقاً[7] من أولئك، لئلّا يتّهمني كلّما كذَبَ كاذب، أو استَحلَّ كاتب، أو سَرُعَ[8] حاسدٌ بكُفْرانِ نعمتِه.

قُلْ لي : أيستَحِلُّ[9] أنْ يَستمِعَ[10] فيَّ المِحال[11]، ولم يكشِفْ فيه الحال؟ وما هذا

---

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٢) سقطت الواو في ص.

(٣) ي: بغير.

(٤) ي: قرفت.

(٥) ي: وخرجت.

(٦) ي: فأرفض.

(٧) ي: موبقاً.

(٨) س، ص: شرع، وما هنا من ي، وهو المعنى.

(٩) عبارة ي: فاي التنعّل، أو نحو ذلك ممّا هو واقع في تحريفات الناسخ الغريبة.

(١٠) ص: يسمع.

(١١) المِحال بكسر الميم هو روم الأمر بالحيل والتدبير، وهو المكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب، والعداوة والمعاداة، والقوة والشدة والهلاك، ومحل به: كاده بسعاية إلى السُّلْطان. ويصح إرادة أكثر هذه المعاني هنا. كشف المعاني، ص١١٢، ١١٣.

التَّصديقُ[1] لرجلٍ ليس في المُروءةِ رأساً ولا في الدِّينِ ذَنَباً[2]؟ واللهُ يكفي شاهداً، وإنْ كان واحداً. فأمّا غيرُ الله فلا أقلّ من شاهدَيْن، ولا كلُّ شاهدَيْنِ حتى يكونا عَدْلَين.

وما أرى الشّيخ في دُخوله بينَ ثوبَيْ[3] أبي الحُسين بن مِهْران إلّا داخلاً بينَ العَصا ولِحائها[4]، إنّهُ جِلْدةُ بَيْنَ العَينِ والأنف[5]، وخُدَّةٌ بين الذِّفْرَى والشَّنْف[6]. على أنّ أبا الحسين لو أوْحشَني ما استَوْحَشْت، ولو استَوْحَشْتُ لأوْحَشْتُ، ولو أوْحَشْتُ لأفْحَشت، فمَن وطِىءَ العَقْرَبَ أوْجَعَتْه[7]، ومَن قَرَصَ الحيَّةَ لَسَعَتْه، وإذا قالتِ الحيَّةُ : دَعْنِي فلا تَلسَعْني، فقد نصَحتْك وما سألْتك شَطَطاً.

كيف ألْقاهُ بخُرطُوم فيل، ولم يَلقَني بأنْفٍ طويل؟ ولِمَ أبتاعُهُ[8] بثَمَنٍ نَزْر، ولم يَلْحَظْني[9] بنَظَرٍ شَزْر؟ وهل كان يُعوزُني؟ إنْ كانتْ له حُرْمةُ الخِلافة، فلي حُرْمةُ الضِّيافة، وإنْ توسَّل بما مَضَى، فليَ[10] الوَسيلةُ بما بقِي. وهذا خَطْب، لا يَرفَعُهُ قَلَمٌ

---

(١) ي: التفريق.

(٢) ي: ديناً.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: بيني وبين أبي الحسين». والسياق يوافقه.

(٤) ي: وأنخابها، أو كلمة نحوها.

(٥) هذا قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقد كان يُلام في شدة حبّه لولده سالم، فقال:

يلومونني في سالمٍ وألومهم ... وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٧، ص١٩٥.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الخُدة، بضم الخاء المعجمة: الحفرة، والذفرى: الموضع الذي خلف الأذن. والشنف: القرط».

(٧) ي: أو حقبه.

(٨) ي: أتبعه.

(٩) عبارة ي: ويلحظني، بسقوط حرف الجزم.

(١٠) ي: تاي.

رَطْب[1]، ولكنْ هذا عُنوانُه، حتى يأتيك عِيانُه.

وكنتُ أرِدُ من الشّيخ على شِرْعةٍ من البِرّ، تُروِّي الظِّماءِ العِشْر[2]، وأخافُ أنْ تكونَ هذه التساعيرُ بنَميمٍ، لا بل بكَذِبٍ بَهيم، لا بل ببُهتانٍ عظيم، لا بل بكَشْخانٍ[3] عَقيم. قد كدَّر عليَّ تلك الشِّرْعة، وأنا أنشُدُهُ اللهَ فيها. وسأرِدُ، فإنْ وجَدتُّ الحالَ كما نَزَلتُ فدارُ الشَّمْلِ جامعة، وإنْ تَغيَّرَتْ عمّا عَهِدتُّ فأرْضُ اللهِ واسعة:

إنْ[4] لم تَمُنَّ بإمْساكٍ بمَعْروفٍ[5] فامنُنْ عليَّ بتَسْريحٍ بإحْسانِ

وفي الجملة، إنّ ابنَ[6] الهَمَذاني إذا رَضِي بأنْ يَخدُمَ ولا[7] يُخدَمَ، فإنّ العُبُوديّةَ لا تُعدَم.

---

(١) الرطب: ضد اليابس، يعني أنهُ لا يقوم برفعه قلم ليّن، ويراد به أنهُ لا يؤثر فيه الكلام بالرفق واللين. كشف المعاني، ص١١٤.

(٢) العِشْر: وِرْد الإبل اليوم العاشر. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٧١ (عشر).

(٣) الكَشْخان: الدّيّوث، والقوّاد، وهو ليس من كلام العرب. انظر: التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص١٤٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٩ (كشخ).

(٤) ي: فإنْ.

(٥) س: بمعرفة، وهذا البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ سورة البقرة، من الآية ٢٢٩. واستشهاده بالبيت هنا قبيح، فإن هذين أمران بين المرء وزوجه، لا بين الرجال!

(٦) ي: في.

(٧) ي: إلا.

وله - عفا اللهُ تَعالى عنه[1] - إليه أيضاً

كِتابي - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - والنّاسُ تَذاكَرُوا البُشْرَى يَصِفُونَ قَدْرَها، وفي الوِزارةِ[2] يُعظِّمونَ صَدْرَها، وتَحتَ الرَّغْوةِ صَريحٌ لو عَلِموه، والشّيخُ أوْلَى بأنْ يُعظِّموه.

فوالله، لقد زُفّ منهُ إليها[3] أعظمُ ممّا زُفّ منها إليه، وسيُديرُها على القُطْب، ويَضَعُ الهِناءَ مواضعَ النَّقْب[4]. ومَن صَحِب كفايةَ الشّيخ احتاجَ إليه المِلكُ طَوْعاً، وإلّا من الفَرْط، ورَضِيَ، وإلّا من السُّخْط. ومَن وجَد الرِّشاء استَقَى متى شاء، ومَن ساد لم يَعدَم الرَّشاد. وأُقسِمُ، لو نَطَق ذلك الدَّسْتُ لَقال:

بِأبي أنتَ ما خَلَعتُ حِدادِي ... مُنْذُ فارقْتَ مِسْنَدِي ووِسادِي

فالآنَ رُدَّتِ الدَّوْلة إلى نِصابِها، وجَرَتِ الأُمورِ على أذلالِها، وأُتِيَ الأمرُ من وَجْهِه، واستُنزِلَ النَّصْرُ من بابه، وطُلِب المُرادُ من مَطلَبِه، وأُعطِيَ[5] القوسُ باريها، وعليّ الآن ضَمانُ الدَّرْك، ثم عَوْنَك اللّهُمّ.

تأخَّرتْ كُتُبي عن الشّيخ، وما أخَّرتُها[6] إخلالاً بالخِدْمة، ولا كُفراناً للنِّعْمة،

---

(١) ما بين الشرطتين ساقط في ص.

(٢) ي: الوزرا.

(٣) س، ص: إليه، خطأ.

(٤) النقب بفتح النون وقد يضم هو: الجَرَب، والهِناء بكسر الهاء: القَطِران، وهذا مثلٌ يُضرب لمن يضع الأشياء في مواضعها تماماً. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٩٣.

(٥) أصله أعطِ، أي: استعن على عملك بمن يحسنه، وهو من قول القائل:

يا باري القوس برياً لست تُحكِمُهُ ... لا تظلم القوس أعطِ القوسَ بارِيها

العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٧٦.

(٦) هذه الكلمة محيت في ي.

ولكنْ لتلك الحَضْرةِ رُسوم، وابتناءٌ معلوم، ولا سِيَّما في المخاطَباتِ وصنفها[1]، والجَوادُ لا يَجْزَعُ من الإكاف[2]، جَزَعِي من مُخاطبة الكاف. فإنْ جازَ أنْ أمتاز عن جُملةِ النّاس بهذا المزيد، فَلْتَكُ من الشّيخ[3] المكاتبة، فإنْ لم يَرَهُ الصّواب، فالجوابُ أنْ لا جَواب، والسَّلام.

---

(١) س، ص: وضيقها.

(٢) الإكاف: الرِّحال الذي يوضع على الدابّة. لسان العرب، ج٩، ص٨ (أكف).

(٣) ص: ومن الشّيخ.

وله - رَحِمه الله[1] - إليه أيضاً

كتبتُ، وليست التّجرِبةُ خمسةَ أجرِبة[2]، ولا سبعينَ ذراعاً، إنّما التّجرِبةُ دَفْعة، والتّقدِمةُ لَفْظة. ثم العاقلُ بفِطْنَتِه يَكيسُ ويَقيس، والجاهِلُ بغَفْلَتِه يَخِسُّ[3] ويَخيس.

يا أبا الفَضْل[4]، ليس هذا بزَمانِك، وليست هذه بِدارِك، ولا السُّوقُ سُوقَ مَتاعِك. بئستِ[5] الكتُبُ وما وَسَقَت، والأقلامُ وما نَسَقَت، والمحابرُ وما سَقَتْ، والأسجاعُ إذا اتّسقَتْ، واللُّوم ولا هذه العلوم،

وليتَ لنا[6] مكانَ الملْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثاً حَوْلَ قُبّتِنا تَدُورُ[7]

ولو استقبَلْتُ من أمري ما استَدْبَرْت، لَواجَرْتُ[8] وقامَرْت، لكنّي أصَبْتُ وَجْهَ الرأي والعُودُ يابِسٌ، واللِّحيةُ بَيْضاء، ولقد صَدَقَ الشاعرُ[9] إذ قال:

لا يَصيرُ الغُلامُ جَلْداً ذكيّاً ... ناقداً في الأمور حتّى وحتّى

وعلى الشاعر أنْ يقول، وعلى السّامع القَبول. ولعَمْري، لقد سَمِعتُ هذا البيتَ كما سَمِعهُ فُلان، ولكنّه وُفّق لاعتقادِهِ مِلّةً، واتّخاذِهِ قِبْلةً، واعتمادِهِ حِرْفةً.

---

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٢) جمع جَريب، وهو وحدة قياس للمساحة.

(٣) ي: يخيس.

(٤) يخاطب نفسه.

(٥) كتب ناسخ ي هذه الكلمة: باست.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) لطرفة بن العبد. ديوانه، ص٤٥، والقافية فيه: تخورُ.

(٨) المؤاجَرة: أن يبيع الإنسان نفسه - جنسياً - مقابل أجر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٠ (أجر).

(٩) لم أعرفه.

لا جَرَمَ أنّه اجتنَى ثَمَراتِها، وولّاني حَسَراتِها ؛ فهو يَصِلُ إذا حُجِبْتُ، ويُعطَى إذا حُرِمتُ، وعندَ الله احتَسَبتُ[1] عُمْراً أضَعْناهُ في الأدب، وأتلَفْناهُ في العُلوم، ونسألُهُ خاتمةَ خير[2].

(١) ي: أحتسب.

(٢) بعد هذا في ي: إنِ الفاتحة حرفاً. (كذا).

وله - عفا اللهُ عنه[1] - إليه أيضاً

كتابي - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - عن سَلامةٍ.

لا همَّ إلّا مِرَّةٌ سَوداء. حُبِّبَتْ إليّ الوِحْدة، وزُيِّنَت ليَ[2] العُزْلة، فولَّيتُ النّاس جانبي الوَحْشيَّ، فلا عِشرةَ ولا انبساط، ولا أُلفةَ ولا ابتسام. وأظُنُّ الشّيخ لو رآني لَقَلان[3]، وقال: تحرَّكْ أيُّها الثَّقَلان. وما أنسَ لا أنْسَ الحديثَ أسْمعنيه، وما أقضِ لا أقْضِ العَجَبَ منهُ وفيه.

وحَجَّ البيتَ بعضُ[4] المخانيث، فسُئِلَ عمّا رأى، فقال: رأيتُ الصَّفا والحَجون، وقوماً يَمُوجون، وكعبةً تزِفّ عليها السُّتور، وتُرَفرِفُ حولَها[5] الطُّيور، وبَيتاً كبَيتي، ولكنْ سَلْ عن البَخْت، لا عن البَيت[6]. وابتاعَ بعضُ الهنود هذا الشَّلْجَمَ[7] المشويَّ، فاتّزنَ بدانق أرْطالاً، ثم وَجَد الكُمَّثْرى تُباع فقال: ما أغلاهُ نيّاً وأرْخَصَهُ مَشويّاً.

نَويتُ أنْ أعتزِلَ النّاس حتى يَعرفوا الكُمَّثْرى من الشَّلْجَم، إنْ لم يَعرفوا الدِّينارَ من الدِّرْهَم، وآويَ البُوم، حتى يُنصَفَ المظلوم.

والعاقلُ - أيّد اللهُ الشّيخ - يسكُنُ المكانَ النظيف، ولا يَألَفُ الكَنيف. ما أرى ذلك إلّا لِما يُعافُ من خُبثِ الخَرا، ويُشَمُّ[8] من كَريهِ[9] الرِّيح، فللطَّرْف من اللَّحْظِ ما

---

(١) ساقط في ص.

(٢) ي: إليّ.

(٣) س: لقلاني، والمثبت من ص لأنه يخدم السجع.

(٤) لفظة التبعيض سقطت في ي.

(٥) ص: عليها.

(٦) عبارة ي: عن البيت، لا عن البخت، وما هنا من س، ص، وهو أصوب للمعنى.

(٧) ي: الشجم. خطأ. والشلجم: اللّفت. الفارابي، ديوان الأدب، ج١، ص١٧٨.

(٨) ي: ولا يشم.

(٩) محيت هذه الكلمة في ي ومكانها بياض.

للأنف، وللسَّمْع[1] من الغَمّ ما للشَّم. وما أظُنُّ يُعَرِّضُ العينَ هٰذه الوُجوه، إلّا مُعَرِّضُها للمكْروه، ولا صانَ الأُذُنَ عن هذه الأنفاس، إلّا صائِنُها عن الوَسْواس.

سكن أبو موسى الأشعريُّ المقابر، فقال: أُجاوِرُ قوماً لا يَغدِرون[2]! كلّا أبا موسى، لا يغدِرون ؛ لأنّهم لا يَقدِرون، ولكنّها الأطلالُ الخالية، والرُّسومُ البالية، والأنهارُ الصّافية، والأشجارُ الوافية، والظِّلالُ الضّافية، والغاشيةُ الماشية، والزّاويةُ وفيها العافية. وستَرَى أنْ[3] لا أستنزِلُ عن عَزْمي شَفاعة، ولا أتلبَّثُ[4] عن الشّيخ سَمْعاً ولا طاعة. والسَّلام.

(١) ي: والسمع.

(٢) ورد هذا الخبر عند الأشعري، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب.

(٣) مخفّفة من (أنّ)، يريد: أني... إلخ.

(٤) ي: أتلبس.

وله - رَحِمه اللهُ[1] - إليه يُعزِّيه

ولم تُنسِني[2] أوْفى المصيباتِ بعدَه ... ولكنْ نكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجعُ[3]

وتالله ما يُضرَبُ الكَلْب كما يُضرَبُ هذا القَلْب، ولا يَقْطرُ الشَّمْع كما يَقطُرُ هذا الدَّمْع، والنّار أرفقُ بالزِّنادِ من هذه المُصيبة بالأكْباد، وما للسُّمّ[4] سُلطانُ[5] هذا الغَمّ، ولا للخمْر طُغيانُ هذا الأمر. ونفْسي إلى القَبْر أعجَلُ منها إلى الصَّبْر، وأُذُنايَ بالموت آنَسُ منهما[6] بهذا الصَّوْت. أوَلم يَكْفِنا الجَرْحُ، حتى ذُرَّ عليه المِلْح؟

ألم أكُنْ من أبي القاسم مُثْقَلَ الظَّهْر، فما هذه[7] العِلاوةُ على الحِمْل، ولم هذه الزِّيادةُ على الثِّقْل؟

من هَراة وأنا بينَ القَوْلِ والعَمَل أعملُ في السَّفا[8]، وأقولُ: وا أسَفا،

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي. ولم أهتد إلى المرسل إليه.

(٢) (ولم تنسني) مطموس في س، والإضافة من ي، ويعضدها ما في: عيون الأخبار لابن قتيبة، ج٣، ص٧٧؛ والكامل للمبرد، ج١، ص٢٠٨. والبيت لهشام بن عقبة أخي ذي الرمّة غيلان.

(٣) البيت من: س، ي. فقط، وقد أورد ناسخ س هذا البيت والفقرة الأولى من الرسالة في موضع آخر كرسالة قائمة بذاتها، فأخذنا البيت فقط وحذفنا الباقي.

(٤) ي: السمّ.

(٥) السُّلْطان هنا هو ذو السلطة والتسلط، يقول: وليس للسمّ وإهلاكه تسلط كالسلطة على المصاب بالغمّ لفقد البنين. كشف المعاني، ص١٢٠.

(٦) عبارة ي: وأذني بالموت آنس منها.

(٧) بعد اسم الإشارة في ي: الحمل. سبق قلم.

(٨) قيّد ناسخ ي في الحاشية: «السَّف: شوك البُهمى. صحاح». والبهمى: البسرة. وهو فيه يأتي مقصور، كالزنى. وخالف الأستاذ الأحدب فقال: السِّفاء، ككساء: الدواء. قال: وكأنّ أبا الفضل عنى بالسفاء هذا المعنى، وقصره لازدواج السجع، أي: أخذت أعمل في الدواء من هذا المصاب. كشف المعاني، ص١٢١. وضبط ناسخ س هذه الكلمة بفتح السين لا غير. وكذا في ي.

والحمدُ لله الذي كدَّر وصَفا[1]، وصلواتُهُ على نبيِّه المُصطَفَى، وآلِهِ المجتبى[2].

ولولا أنْ يَتطيَّرَ الشّيخُ عن مَقْدَمي فيقول: لا يأْتيني إلّا عندَ مُصيبة، لَسَقَيْتُ تُرْبَةَ هـذا النَّجْم الآفِلِ من دُموعي، وفدَيْتُ[3] أجداثَهُ بضُلوعي[4]، ولكنّهُ أُلقِيَ في رُوعي[5] أنّ خِدْمتي هذه طِيَرة، وأنّ تأخُّري عنها خِيَرة، فكلَّما استخفَّني[6] إليه الجَزَع[7]، أقعَدَني عنه الفَزَع.

ولو كان أحدٌ من البَرِيَّة فوقَ أنْ يُذكَّرَ بالله لَكانَهُ الشّيخ - أدام اللهُ عزَّه - لما أُوتِي من تَمام النَّفْس، وكمال الفَضْل، والمعرفة بأحوالِ الدَّهْر، والعَضّ على ناجذِ الحِلْم. ولكن لفَقْد الكريمِ لَوْعة، ولفُجاءةِ[8] المُصيبةِ رَوْعة، ليس لها إلّا التدبُّر، والتذكيرُ والتَّذكُّر، فأنا أذكِّرُهُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ الذي أنفَذ في مَشارق الأرض أمرَهُ، وأجْرَى بينَ اللُّحوم والجُلودِ حُكْمَه، وجعَلَ أكْثَرَ هذا العالمِ دُونَه، وصانَ مع ذلك من الشّوائب دِينَه، وأبقَى له من صالح[9] الأولاد مَن يُقِرُّ عينَه، ومن طيِّبِ النَّسْل ما يُقَوِّي ظَهْرَه، ويَغيظُ عدوَّه. ولن يُنسي[10] الكثيرَ من آلائه، القليلُ من بَلائه، واللهُ يجعَلُ هذه المُصيبةَ خاتِمَةَ المصائب، ولا يُريهِ في الأعِزَّةِ سُوءاً أبداً.

---

(١) كتبها ناسخ س: وصفَى، وشدّد الفاء منها.

(٢) (وآله المجتبى) من ص، ي.

(٣) س، ي: وقدّمت، ولا معنى لها.

(٤) العبارة في ي: وقدمت أخواه (كذا) بطلوعي.

(٥) قيّد ناسخ ي في الحاشية: «الروع بالضم: القلب والعقل. صحاح».

(٦) ي: استحفى. وكتب ناسخها في الحاشية: «أي: طلب الحفاية، وهي المشي بلا خفّ ولا نعل».

(٧) قيّد ناسخ ي في الحاشية: «الجزع: نقيض الصبر».

(٨) ي: ولفجأة، وكلاهما بمعنىً.

(٩) ي: مصالح.

(١٠) عبارة ي في هاتين الكلمتين: وإن مسّني.

وله - رَحِمه الله[1] - إليه أيضاً

وفيما يقولُ النّاس في حكاياتهم : أنّ أعرابيّاً نامَ ليلاً عن جَمَلِهِ فَفَقَده، فلمّا طَلَع القَمَرُ وَجَدَه، فرَفَع إلى الله يدَه، فقال: أشهَدُ لقد أعلَيتَه، وجعَلتَ السَّماء بيتَه. ثم نظَر إلى القَمَر، فقال: إنّ اللهَ صَوَّرَك ونَوَّرك، وعلى البُروج دَوَّرَك، فإذا شاءَ قَدَّرَك، وإذا شاءَ كَوَّرَك، فلا أعلمُ مزيداً أسألُهُ لك، ولئنْ أهدَيتَ إلى قَلْبي سُرورَه، لقد أهدَى اللهُ إليكَ نُورَه[2].

فالشّيخُ ذلك القَمَرُ المُضيء[3]، وأنا ذلك الأعرابيّ. لقد أعلَى اللهُ قَدْرَه، وأنفَذَ[4] بينَ الجُلود واللَّحْمِ أمْرَه، ونَظَر إليه وإلى الذينَ يَحْسُدونَه، فجعَلَهُ فوقَهم وجعَلَهم دُونَه، فلا أعلمُ مَزيداً إلّا الدّوام، فاللهُ يُدِيمُ له ظلالَ النِّعْمة، ومَجالَ القُدرة، ومَساقَ الدَّوْلة، ومُرادَ البُغية[5]، إنّه على ما يَشاء قدير.

والمرءُ - أدامَ اللهُ عِزَّ الشّيخ - جَزُوع، ولكنّه حَمول، والإنسانُ[6] في النّوائبِ شَموس، ثم ذَلول. وقد عِشتُ بعدَ فِراق الشّيخ، ولكنْ عِيشَةَ الحُوتِ في البَرّ، وبَقِيتُ ولكنْ بَقاءَ الثَّلج في الحَرّ.

وأخبَرَني الخطيبُ أنّه سَعِدَ بِلِقائك وَليَّ النِّعْمة، فلم نَرَهُ يَتَوجَّعُ لِشكايةِ

---

(١) الترحُّم من س فقط.

(٢) الحقّ أنّ هذا من بديع كلام البديع ورائعه، وأروع منه تشبيهه الآتي، فتأمّل.

(٣) ي: المعنى. وهو تحريف قبيح.

(٤) ي: وأقعد.

(٥) في ي ها هنا: النعمة. تكرار.

(٦) ي: والإيسار. وهو وجه محتمل للمعنى جميل.

العارضة[1]، فسجَدتُ لله شُكراً، وقدَّمتُ صَدَقةً ونَذْراً.

وكانت في نَفْسي حاجاتٌ اعتَمدتُ بها أيّام التّشييع[2]، فلـمّا تَلقّـاني الأمـرُ العـالي بالرُّجوع، بَقِيَتْ حاجاتي في نَفْسي، ولم يَعْطِس بها رأسي، وهـو يَعلـمُ حـالَ الـرّاس، في احتباسِ العُطاس، خاتماً[3] صَدْري على سِرِّي. ولو كنـتُ كُـلِّي صَـدْراً، مـا وَسِـعْتُ إلّا نَزْراً[4]، فلا أسأَلُهُ حاجةً، ولكنّي أصِفُ له حالَ عَبْدِهِ وابـنِ عَبْـدِهِ، والمُتوسِّـل بعبـدِهِ: فُلان، فرُبّما يسـعَدُ مـن وَلِيِّ[5] النِّعْمـة بكـريمِ نَظَـر، فـإنّ قَحْـطَ تِلـك الـدِّيار، وغَـلاءَ الأسعار، والتردُّدَ في الأسفار، استنطَفَ[6] مالَه، واستَنزفَ ماءَه، فـوَردَ هَـراة فقَمـشَ[7] من ههنا مِقداراً، وأعطاهُ فُلان خمسينَ ديناراً، معونةً للطّريق، وليتبلَّـغَ إلى المـاءِ بـالرِّيق. فإذا عَرَف وَلِيُّ النِّعْمة هذه الحالَ، عُني به فيما يراه.

هذه واحدة، والأُخرى: حاجتي التي عرَضتُها مِراراً، وكرَّرتُها ليلاً ونهاراً، وأوردتُّها سِرّاً وجِهاراً، ثم شغَلَ الرّحيلُ الميمونُ والنُّهوضُ المسعودُ عن استنجازِها، فبَقِيَتْ في أكمامِها، وحالَ القدَرُ دونَ تمامِها، وفَضْلُ الله بها[8] زعيم، وكَرَمُ الشّيخ فيها

---

(١) ي: الشكاية العارضة.

(٢) س: التشفّع، ي: الشفع، وما هنا من ص، وهو الموافق لظنّ ناسخ س وقوله في الحاشية: «لعلّه: التشييع».

(٣) ي: فإنما.

(٤) ي: قرراً.

(٥) ي: بولِيّ.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «استنطف ماله، كأنه من النُّطفة، وهي: الماء القليل، وقد نطف ينطف وينطِف نطفاً ونطافاً: إذا قطر قليلاً قليلاً».

(٧) تحرّفت هاتان الكلمتان في ي: هرل فعمش. وقيّد ناسخ س في الحاشية: «القمش والتقميش: جمع الشيء من ها هنا وها هنا، والمجموع: قماش». انظر: الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٠١٦.

(٨) في النسخ: به.

كفيل، وهي الحكومةُ التي طلَبْتُها للفَقيه الذي كان يخلُفُ القاضيَ أبا عَمْرو على عَمَله بنَيسابُور. ثم اللّهمَّ إيّاك أسأل، ومنك أطلُب، وعليك أتوكَّل، إنّ ناصيةَ الشّيخ بِيَدِك، وإنّ التوفيقَ من عِندِك.

وللشّيْخ في تَشْريفِ العبدِ بالجواب، وما يُقيمُ له من الإيجابِ، العَينُ العالية، والرّأيُ السَّديد[1] إنْ شاء الله تَعالى[2].

(١) تحرّفت هاتان الكلمتان في ي: ولا أبي السيّد.

(٢) كلمة المشيئة من ص.

وكَتَب إليه مع الوَفْد

يطلبُ النّظرَ لأهل هَراة[1]

كَتَبْتُ - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - والجَميلُ عُنوانُ نِعَم الله، والشَّيْبةُ في الإسلام ضَمانٌ من أمان الله، فإذا حَسُنَ[2] معهما[3] الخُلُق، أضاءَ بنُورِهما[4] الأفق، وما يكادُ مِثْلي يَفعَلُ وإنْ حَسُنَتْ أخلاقُه، إنّما الخَطَرُ العظيمُ أنْ تَحسُنَ أخلاقُ مَن بيدِه الآفاق، وعن أمرِهِ الأرزاق، وبإذْنِه الحَبْسُ والإطلاق، وبرأيِهِ الغنَى والإملاق، وإليه تنقطعُ الأعناق، ولهُ[5] لِواءُ خُراسان والعراق، وترعُدُ[6] الشّاش والإيلاق[7].

فإذا كانت هذه حالُه، حَسُنَتْ[8] أخلاقُه، وعَظُمَ عندَ الله خَلاقُه. والمَرْء لا تَكْرُمُ خِصالُه، حتى يَكْرُمَ حَمْلُهُ وفِصَالُه، ولا يَسْعَدُ بِهِ جارُه، حتى يَسْعَدَ[9] بالطّهارة نِجارُه، ولا يُنَفِّسُ عن مؤْمن كُرْبة، إلّا مَن طاب ماءً وتُرْبة.

ولو عَلِمَ النّاس ما بينَ أيديهم لتركوا ما خلْفَهم، ولو ذكروا ما أعدَّ اللهُ أمامَهم

---

(١) العنوان في ص، ي: وله إليه مع الوفد طلباً للنظر لأهل هَراة.

(٢) ص، ي: فإذا أحسن.

(٣) ي: معها.

(٤) ي: أصاب بنورها.

(٥) ي: وبه.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: وترمذ». وهو ظَنٌّ ليس بعيداً عن الصواب.

(٧) الشاش هي مدينة طشقند الحالية عاصمة جمهورية أوزبكستان، وإيلاق من نواحيها على عشرة فراسخ منها. السمعاني، الأنساب ج١، ص٢٣٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٩١.

(٨) ي: حسبت.

(٩) عبارة ي: يستعد به جساره حتى يستعد.

لَنَسُوا ما وراءَهم ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[1].

ولا أزيدُ الشّيخَ عِلْماً[2] بهَراة وأهلِها، إنّه قد شاهدَ أحوالَهم، ونَفَضَ[3] أموالَهم، وبزَرَ دِخالَهم[4]، وعرَفَ ما عليهم وما لهم، ولم يغِب عن ثاقبِ فِطنتِهِ إلّا القليل. ولكنّي أخبِرُهُ بما عرَضَ لها ولهم بعدَ فُصولِ أصلِها[5] عنها[6] وعنهم[7]. فَشَت[8] الأمراضُ الحادَّة فخَبَطَتْ عَشْواءَ، وأفْنَتْ[9] رِجالاً ثم جدَّ الغلاء، وفُقِد[10] الطّعام، ووقَعَ الموتُ العامّ، فمِنَ النّاس مَن لم يَطْعَم أُسبوعاً، حتى هلَك جُوعاً، ومنهم مَن لما يُبلَّغْ بالمَنِيَّة[11] إلى يومنا هذا وهو ينتظرُ نَحْبَه، لِيَلحَقَ صَحْبَه، ومنهم مَن لا يجدُ القُوت والدِّرْهَم على كفِّه حتى يموت، والباقونَ أحياءٌ كأنّهم أموات، تَرْعُدُ فَرائِصُهم من هذه البَوائق. و[12] إنّ هوْلَ السُّلْطان أعظمُ وأطمّ، وأمرَ المُطالبات أكبرُ وأهمّ، فنَظَرَ اللهُ لعبدٍ

---

(١) سورة غافر، من الآية ٣٩، وأسقط ناسخ ي اسم الإشارة فيها.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) ي: وبعض.

(٤) عبارة ي: وترر وحالهم. تحريف واضح. وقيّد ناسخ س شارحاً: «وبزر دخالهم، يقال: بزر البقلَ وغيره، أي: جمَعَه. والدخال في الوِرد: أن يشرب البعير ثم يرد من العطن إلى الحوض ويدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب ما عساه لم يكن شرب».

(٥) ي: فضول ظلّها.

(٦) شبه الجملة صحّح عليه ناسخ س.

(٧) شبه الجملة المعطوفة من ي فحسب.

(٨) س، ي: غشيت.

(٩) ي: وأمنت.

(١٠) ي: وقعد. وهو وجهٌ على ضعف.

(١١) (لما يبلغ بالمنية) من ي فقط، وعبارة س، ص: (تبلّغ بالميتة) بالإثبات لا النفي، وهو معنى فاسد.

(١٢) حرف الواو سقط في ي.

من عِبادِهِ تخوَّلهم[1] نظراً، وأحسنَ من أمورِهم محضـراً، وجعَلَ الشّيخ ذلك العَبْد، ووفَّقَهُ لصالح[2] القول والعَمَل.

ولما أهمَّ النّاس ما أهمَّهم من هذا الأمر ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾[3]، ثم أفكرُوا مليّاً، ثم اتَّفق رأيُهم على أنْ يَبعَثُوا وَفْداً، ثم عَمِلوا الخطيبَ[4] أبا عليٍّ لذلك المجلس، فوجَدوهُ إلى إجابتِهم سريعاً ليُدرِكَ حظّاً من سعادةِ نَفْسِه بحضرةِ[5] مَوْسِمِ الخَيْرات، ومَقْسَم الموتِ والحياة[6]، ومَطْلَع البَرَكات: حَضرةِ الشّيخ أدام اللهُ نضارتَها، مُهاجراً إليها، مُتوكِّلاً على الله، مُستعيناً بالله، مُتوجِّهاً إلى الله، وخالِصاً لله. منتجِزاً[7] من الشّيخ جميلَ وَعْدِه في التماس النَّظَر، وسابقَ قولِه في تَصْوير هذه الحال. والخطيبُ يَستظهرُ بصَلاح أبوَيه، ويرجو أنْ يَعطِفَ اللهُ[8] بقلبِ الشّيخ عليه[9]، ويَملأ بهذا النّظرِ يدَيه. وإنْ – والعياذُ بالله – لم يُوافق مُرادُهُ قَدَراً، ولم يُصادِفْ هؤلاءِ الوَفْدُ نظراً[10]، فبطْنُ الأرضِ خَيرٌ للخطيبِ من ظَهْرِها، واللهُ وليُّ الآمال، والكَفيلُ بصلاحِ الحال.

---

(١) تحرّفت هذه الكلمة في ي: يتّجرّ لهم. وكتب ناسخ س في الحاشية: «تخوّلهم، أي: تعهّدهم، ومنه الحديث: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يتخوّلنا بالموعظة».

(٢) ي: لمصالح.

(٣) سورة يوسف، من الآية ٨٠.

(٤) ي: الخطبة. تحريف. وقوله: عملوا الخطيب، أي: عملوا على إرساله لينوب عنهم، واختاروه رسولاً، بتضمين (عمل) معنى: (اختار). كشف المعاني، ص١٢٨.

(٥) ي: فبحضرة.

(٦) قوله: (ومَقْسَم الموت والحياة) مغالاة.

(٧) ي: مسخراً، مجوّدة.

(٨) لم يرد لفظ الجلالة المعظّم في ي.

(٩) ي: إليه.

(١٠) كلمة (نظراً) ممحيّة في ي ومكانها بياض.

وكَتَب إلى أبي[1] بكرٍ الخوارِزْميّ

أنا لِقُربِ دارِ[2] الأُستاذِ، أطالَ اللهُ بقاءَه:

كما طَرِبَ النَّشوانُ مالَتْ بهِ الخَمْرُ

ومنَ الارتياع[3] للقائه:

كما انتفَضَ العُصفورُ بلَّلهُ القَطْرُ[4]

ومنَ الامتزاج بولائه:

كما التَقتِ الصَّهْباءُ والباردُ العَذْبُ

ومنَ الابتهاج بمرآه[5]:

كما اهتَزَّ تَحتَ البارحِ الغُصُنُ الرَّطْبُ[6]

فكيف نشاطُ الأستاذِ لصديقٍ طَوَى إليه ما بينَ قَصَبَتَي العراقِ وخُراسان، بل ما بين[7] عَتَبَتَي نَيْسابُورَ وجُرْجان[8]؟ وكيف اهتزازُهُ لضَيْفٍ في بُرْدةِ جَمّال، وجِلْدةِ حَمّال،

---

(١) (أبي) ساقطة في ي.

(٢) هذه الكلمة أضافها ناسخ س في الحاشية وصحّح عليها.

(٣) ي: الارتياح.

(٤) شطر بيتٍ لقيس ابن الملَوَّح (توفي ٦٨هـ)، وتمامه:

إذا ذُكِرت ليلى أُسَرُّ بذكرها   كما انتفض العصفورُ بلَّلهُ القطرُ

ديوان قيس ابن الملَوَّح، ص٨٥.

(٥) ي: بمزاره.

(٦) عجز بيتٍ للأقرع بن معاذ القشيري، صدرُه: وتأخذه عند المكارم هِزّةٌ. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٤، ص٩٣. ويُنسب لبشار بن برد أيضاً.

(٧) شبه الجملة (ما بين) ساقطة في ي.

(٨) س، ي: الجبل ونيسابور.

رَثِّ الشـــمائلِ مُـــنهَجِ الأثـــوابِ   بكَـرَتْ عليـهِ مُغـيرةُ[1] الأعـرابِ[2]

وهو - أيّده اللهُ - وَليُّ إنعامِه، بإنفاذِ غُلامِه، إلى مُستَقَرِّي، لأفضِيَ إليـه بسِــرّي[3] إنْ شاء الله[4].

(١) ي: معثيرة.

(٢) عجز البيت من مطلع قصيدةٍ للسَّريّ بن أحمد الكندي المعروف بالرّفّاء (ت٣٦٦هـ). الصفدي، الوافي، ج١٥، ص٨٦. وقد كتب ناسخ **س** بهامش هذا البيت: «منهج الأثواب أي: بالي الثياب خلقها. يقال: منهج الثوب ونهج بالكسر: أخذ في البلى».

(٣) **س، ي**: بما عندي.

(٤) كلمة المشيئة من **ص**.

وله - رَحِمه الله[1] - إلى شمس المعالي[2]

لمْ تَزل الآمالُ تَعِدُني هذا اليومَ، والأيّامُ تمطُلُني[3] بألسِنةِ صُرُوفِها، على اختلافِ صُنوفِها، بينَ حُلْوٍ استرفَّني[4]، ومُرٍّ استحفَّني[5]، وشرٍّ صار إليَّ، وخيرٍ ما صرتُ إليه، وأنا في خلالِ هذه الأحوال أتتبَّعُ الآفاقَ، فأكونُ طَوْراً مُغرِّباً للمغربِ الأقصَى، وطَوْراً مُشرِّقاً للمشرِق، ولا مَطمحَ إلّا حَضْرتُهُ الرّفيعة، وسُدَّتُه المَرِيعة، ولا وَسيلةَ إلّا المنزِعُ الشاسع، والأملُ الواسع.

وقد صرتُ - أطال اللهُ بقاءَ الأمير - بينَ أنيابِ النَّوائب، وتَجشَّمْتُ هَوْلَ المَوارد، ورَكِبتُ[6] أكْنافَ[7] المَكاره، ورَضَعتُ أخلافَ العَوائق، ومسَحْتُ أطرافَ المراحل، حتى حضَرتُ الحضرَةَ البهيَّةَ أو كِدتُّ، وبلَغتُ الأُمْنِيَّةَ أو زِدتُّ[8].

---

(١) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٢) شمس المعالي هو الأمير أبو الحَسَن قابوس بن وشمكير الزِّياري، أشهر أمراء الزِّياريين حكام جرجان وطبرستان. كان ذا ملكةٍ أدبية، وله رسائل جمعها عبد الرحمن اليزدادي وجعل لها عنواناً هو (كمال البلاغة). توفي سنة ٤٠٣هـ. عنه، انظر: العتبي، اليميني، فهرس الأعلام؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٦٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٨٧.

(٣) ي: تمهلني.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «... أن يكون بالفاء، من رفّه يرُفُّه، بالضم، يقال: فُلان يرفّنا، أي: يحوطنا ويعطف علينا. أو أن يكون بالقاف، من الاسترقاق، أي: جعلني رقيقاً له».

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «استحفّني بالحاء المهملة والفاء، أي: حفّ بي وأحاط بجانبي، ويحتمل أن يكون بالقاف من الاستحقاق».

(٦) ي: ويكتب.

(٧) بعدها في ي: الموارد و.

(٨) ي: زرت، من الزيارة.

وللأمير في الإصْغاء إلى المجدِ والبَسْطِ من عِنانِ الفَضْل بتمكين خادمِهِ من المجلس، يَتلقَّاهُ بيدِه، والبِساطِ، يُنعشُه[1] بفَمِه، الرأيُ العالي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) س، ص: ينقشه، من النقش، واضحة مجوّدة، وهو غريب، وما هنا من ي، وهو المستساغ المتسق مع الفم.

وله أيضاً، رَحِمه اللهُ وسامَحه[١]

ولو كان للكرَم[٢] عن جَنابِ الشّيخ الإمام مُنصَرَفٌ[٣]، لانصرفتُ، أو للأمَل مُنحرَفٌ إلى سِواهُ لانحرَفْتُ[٤]، أو للنُّجْح بابٌ[٥] غيرُهُ[٦] لَوَلَجتُ، أو للفَضْل خاطبٌ لَزَوَّجتُ، ولكنْ أبى اللهُ، ولا يَزالُ كَذا يَتَّسِمُ المجدُ بسمته، ويُجذبُ العلاءُ بهمَّتِه، ويَسعَدُ الجدُّ[٧] بنظَرِه، والدُّنيا بجَمالِه. وغلامُهُ أنا، لو استعارَ الدّهْرَ لساناً، واتّخذَ الرِّيحَ تَرْجُماناً، ليُشِيعَ إنعامَهُ حَقَّ الإشاعة، لَقصُرَتْ به يدُ الاستطاعة، فليسَ إلّا أنْ يَلبَسَ[٨] مكارمَه ضافيةً[٩] بالغة، ويردَ مشارعَهُ صافيةً سائغة، ويُحِيلَ الجَزاءَ[١٠] على يدٍ قَصُور، والشكرَ على لسانٍ قصير.

ثم[١١] إنّ حاجاتي إذا لم يَعْرَ[١٢] من قَلائدِ الحمْدِ[١٣] نَحْرُها، ولم يَعطَلْ من حُلِيٍّ

---

(١) ساقطة في ص. ولعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى الشيخ أبي الطيب الصُّعْلوكي.

(٢) ي: الكرمُ.

(٣) بعده في ي: به.

(٤) هذه الكلمة سقطت في ي.

(٥) ص: لفتح باب.

(٦) ي: سواه.

(٧) سقطت هذه الكلمة في ي.

(٨) المصدر المؤوّل (أن يلبس) مكانه بياض في ي.

(٩) ي: صافية. تصحيف، فالثوب يكون ضافياً، لا صافياً.

(١٠) ي: ويميل الخراء.

(١١) (قصير ثم) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(١٢) ي: تعد.

(١٣) ي: الحميد.

المجدِ صَدْرُها، كثُرَ[1] مَهرُها، وثقُلَ قَدْرُها، وعَزَّ كفؤها، ولم أرضَ لها إلّا واحداً ،

أخضَرَ[2] الجِلدةِ في بَيتِ العرَبْ

وماجداً[3]،

يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[4]

وهذه حاجةٌ أنا أزُفُّها إلى الشّيخ الإمام، فأسوقُها منظومةَ الصَّدْر إلى العَجُز، كما يُساقُ الماءُ إلى الأرض الجُرُز[5]. وأنا من مُفتَتَح اليوم إلى مُختَتَمِه، ومن قَرْن النَّهارِ إلى قَدَمِه، قاعدٌ كالكُرْكيِّ، أو الدِّيكِ الهِنديّ، في هذا الأُدْحي[6]، يمرُّ بي أُولو الحَلْي والحُلَل، ويجتازُ ذَوُو الخيْلِ والخَوَل[7]، وأربابُ النِّعم والدُّوَل.

---

(١) ي: كبر.

(٢) ي: اختصر.

(٣) ي: أو ماجداً.

(٤) يريد بقوله: (أخضر الجلدة) أنه أسودها، ورث السواد من أمّه. ومعنى كونه من بيت العرب أنه عريق النسب. وقوله: (يملأ الدلو) أي: يأتي بها يقصّر عنه مجاريه. وقوله: (إلى عقد الكربْ) مثلٌ يُضرب لمن يبالغ في ما يلي من الأمر. والشطران للفضل بن العبّاس بن أبي لهب، وتمامهما:

وأنا الأخضرُ مَن يعرفُني ... أخضرَ الجلدة من بيت العربْ

من يُساجلُني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عَقْد الكرَبْ

نسب قريش لمصعب الزبيري، ص٩٠؛ مجمع الأمثال للميداني، ج١، ص٢١٤.

(٥) من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾ سورة السجدة، من الآية ٢٧.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الأدحي - بوزن أفعول - من الرّمل: موضع النعامة الذي تفرخ فيه». ثم كتب بعدها: «والبلدة: من منازل القمر، وأراد به المكان الضيّق». والمقصود هنا المعنى الأول كما هو واضح. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٢٥٢ (دحا).

(٧) ي: الحول، بالحاء المهملة. والخول: جمع خائل، وهم العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية. الزبيدي، تاج العروس، ج٢٨، ص٤٤٤ (خ و ل).

وما أنا والنظرُ إلى ما لا يَليني[1]، والسّؤالُ عمّا لا يَعنيني.

واليومَ، لما افتَضَضْنا غُدوَةَ الصّباح، مَلأتُ أجفاني من مَنظرٍ ما أحْوجَهُ[2] إلى عَيْبٍ يَصرِفُ عَيْنَ كَمالِهِ عن جَمالِه، فقلتُ لمن حضَر: مَن هذا ؟ فأخذوا يُحرِّكونَ الرُّؤوسَ استظرافاً لحالي، ويَتغامَزُونَ تعجُّباً من سُؤالي، وقالوا : هو الشّيخُ الفاضلُ أبو إبراهيمَ إسماعيلُ بن أحمد، فقلتُ: حرَسَ اللهُ مُهجتَه[3]، وأدام غِبطتَه، فكيف الوصولُ إلى خِدْمتِه، وأين مَأْتى معرفتِه[4]؟ فقالوا: إنّ الشّيخَ الإمامَ يضرِبُ في مَودَّتِه بالمعلّى، ويأخُذُ بالحظِّ الأوفَى، فإنْ رأى الشّيخ الإمامُ - أطال اللهُ بقاءَهُ - أنْ يجعَلَ عِنايتَه حرفَ الصِّلة، وتَفضّلَه لامَ[5] المعرفة، فعلَ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: والنظر إلى ما يليني، بسقوط حرف النفي فيها. وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: يُلهيني». وهو محتمل، لكنه ممتنع مع النفي.

(٢) ي: أخرجه، وما هنا من س، ص، وهو أليق، يقول: ما أحوجه إلى عيب يصرف عنه الحسد.

(٣) ي: بهجته.

(٤) قوله: (وأين مأتى معرفته) صحّح عليه ناسخ ي، إذ استدركه وكتبه في الحاشية.

(٥) ي: لأمر.

وكَتَب[1] إلى أبي نَصْرٍ [سَهْل بن][2] المَرْزُبان

الشَّيخ الفاضلُ - أطالَ اللهُ بَقاءَهُ وأدام تأييدَهُ - يُجِلُّ قَدَمَه أنْ يقصِدَ خَدَمَه، ويذهَبَ بنفسِهِ عن مُباسطةِ الأوساط، فكيف عن مُخالَطةِ السُّقّاط؟ وقد رَضِينا منهُ أنْ يَألَفَ صَدْرَ بَيتِه، ويَعمُر بَطْنَ دَسْتِه، ونحنُ على قدَمِ الصِّغَر نأتيه[3]، فلِمَ يَهرُبُ؟ بل كم يُحجَب؟ وقد تردَّدتُ إلى زيارتِه، حتى استحيَيْتُ من[4] جيرانِه، وما كنتُ لأحرِصَ على مَن لا يَشرَهُ إليَّ لولا ما أسمعُ مِن شريف أخلاقِه.

وبلَغَني أنّ خِزانتَه[5] تشتمِلُ[6] - من كُتبِ الأدب - على ما تشتهي الأنفُسُ، وتلَذُّ الأعيُن، فإنْ كان في جُملتها ما يَستغني عنهُ سَحابةَ أسبوع عقَدَ به مِنَّةً لديَّ[7]، وأعارَنيهُ، وله في الفَضْل رأيُه إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) إضافةٌ منّا لازمة. وقد تقدّم التعريف به في ص٧١.

(٣) س: ونحن على قدم الصغر آتيه، سبق قلم استدركه الناسخ نفسه وقيّد الجملة المتعيّنة في الحاشية. وفي ي: أبيّة. تحريف.

(٤) سقط حرف الجرّ من ي، وهو لازم.

(٥) ص: خزانته. وكتب ناسخ س في الحاشية: «من اللطائف أنّ الخزانة لا تفتح».

(٦) ي: تشتمل على.

(٧) ي: أرى.

وله، تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[1] أيضاً[2]

لا أزالُ[3] - أطالَ اللهُ بقاءَ مَوْلاي[4] الشّيخ - لِسُوءِ الانتقاد، وحُسن الاعتقاد، أبسُطُ يمينَ[5] العَجَل، وأمسَحُ جبينَ الخجَل، ولضُعْفِ الحاسَّة في الفِراسة، أحسَبُ الوَرَمَ شَحْماً[6]، والسَّرابَ شَراباً، حتى إذا تجشَّمْتُ مَوارِدَه، لأشرَبَ بارِدَه، لم أجِدْهُ شيئاً.

وما حَسِبْتُ الشّيخ[7] مِمَّن[8] تُجنُّهُ[9] هذه الحملة[10]، وتشمُلُهُ هذه الجُملة، حتى عرَضتُ على النّار عُودَه، وسبَرْتُ بالسُّؤالِ جُودَه، وكاتبتُهُ[11] أستعيرُ حِليةَ كمالٍ[12] سَحابةَ يومٍ أو شَطْرَه، بل مسافةَ مِيلٍ أو قدْرَه، فغاصَ في الفِطْنة غَوْصاً عميقاً، ونظَر في

---

(١) الدعاء كلُّه ساقط في ص، ي.

(٢) الأيض من ص.

(٣) ي: لا زال. تحريف.

(٤) ساقط في ص.

(٥) ي: عين العجب..، حين الخجل. وما هنا من س، ص، ويعضدهما ما في زهر الآداب للحصري، ج٤، ص٩٨٩، وفيه: «أمسح جبين الخجل، وأمدّ يمين العجل».

(٦) (الورم شحماً) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٧) (وما حسبت الشيخ) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٨) ي: من.

(٩) ي: حينه.

(١٠) ي: الجملة.

(١١) كلمة (وكاتبته) ممحيّة في ي، ومكانها بياض.

(١٢) ي: جمال.

الكَيْس نظَراً دقيقاً، وقال: هذا مشحوذُ[١] المُدْية في أبوابِ الكُدْية[٢]، قد جعَلَ الاستعارةَ طريقَ افتراسِها، وسبباً إلى احتباسِها، وقد مَنّى ضِرْسَه، وحدَّثَ بالمُحالِ نفسَه، ولا أضيفُهُ في هذا الباب، أحسنَ من التغافُل عن الجواب، فَضْلاً عن الإيجاب.

وكَلّا، فما في أبوابِ الرَّدِّ أقبحُ ممّا قَرَع، ولا في[٣] شَرائع البُخْلِ أظهرُ ممّا شَرَع. ثم العُذْرُ من جِهَتي مَبْسوطٌ إنْ بسَطهُ الفَضْل، ومَقْبولٌ إنْ قَبِلَهُ المجْد، وإنَّما كاتبتُهُ لأُعيدَ الحالَ القديمةَ، وأشترِطُ له على نَفسي أنْ أريحَهُ من سَوْم الحاجاتِ من بَعْدُ، فمَن لا يَستحِي[٤] من: أعطِني[٥]، لم يُستحَ له من: أعفِني[٦]. وعلى حسَبِ جَوابِهِ أجري المودَّةَ من بعدُ.

فإنْ رأى أنْ يُجيبَ فَعَل إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) عبارة ي: هذا رجل مشحوذ... إلخ، والمشحوذ كتب ناسخ س بهامشها: «شحذ السكين: سنّها وحدّدها. والمُدية بالضم، وتكسر: الشفرة وجمعها مديات ومدىً».

(٢) الكدية: الشحاذة، كأنها أخذت من: الكداء، وهو المنع؛ ويريد بالسكين هنا: اللسان الذي هو آلة الكدية بل هو أقطع منهُ.

(٣) ص: وفي. سقط حرف النفي فيها.

(٤) ي: يستحيي.

(٥) ي: أعطي.

(٦) ص: أغضني، ي: أغضي.

وكَتَبَ[1] إلى سَهْل بن مُحمّد بن سُليمان[2]

أنا إذا طَوَيتُ اليومَ عن خِدْمةِ الشّيخ، والآن لم أرفَعْ له بصَري، ولم أعُدَّهُ مِن عُمْري، وكأنّي[3] بالشّيخ إذا أخلَلْتُ بفُروض خِدْمتِه، من قَصْد حَضرتِه، والمثولِ في جُمْلةِ حاشيتِه، وحَمَلةِ غاشيتِه[4]. يقولُ: إنّ هذا الجائع لما شَبعَ وتضلَّع، واكتسَى وتمشقَّع[5]، وتجلَّل[6] وتَبرقَع، وتربَّع وترفَّع، فما يَطُورُ[7] بهذا الجناب، ولا يَطيرُ بهذا الباب. وأنا الرجُلُ الذي آواهُ من قَفْر[8]، وأغناهُ من فَقْر، وآمنَهُ من خَوْف، إذ لا حُرَّ بوادي عَوْف[9].

---

(١) مكان هذه الكلمة في ص: وله كتبها. بعض جمل هذه الرسالة كرّرها الهمذاني في رسالةٍ أخرى، انظر ص٤١٥.

(٢) الصُّعْلوكيّ النيسابوري، تقدّم التعريف به في ص٤٤.

(٣) ص: فكأني.

(٤) الغاشية: غطاء مزركش يوضع على ظهر الفرس بعد السرج، وتكون عادة للأمراء والكبراء، فإذا ركب أحدهم على فرسه حمل خادمه الغاشية، وخاصة في الأعياد. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٢٦ (غشا)؛ السامرائي، المجموع اللفيف، ص٨٠.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «تمشقع لعلها مأخوذة من قولهم: شقع في الإناء، أي: كرع فيه».

(٦) ساقطة في ص.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «يطور، أي: يقرب، يقال: لا أطور به، أي: لا أقربه، وأصله من الطُّورة بالضم، وهي فناء الدار». كذا كتبها الناسخ وفسّرها. ووردت في طبعة الأحدب: (يطوف)، وهو وجه محتمل، لقوله بعد: بهذا الجناب.

(٨) ي: فقر. سبق قلم.

(٩) عوف هو محلم بن ذهل بن شيبان، وهو الذي طلب منه الملك عمرو بن هند رجلاً كان قد أجاره؛ فمنعه وأبى أن يسلمه، فقال الملك هذا القول، وذهبت مثلاً. انظر: ابن سلام، الأمثال، ص٩٤؛ الميداني، مجمع الأمثال، ج٥، ص٢٣٦.

حتى إذا وَرَدَت عليه رُقعتي هذه، وأعارها طَرْفَ كَرَمِه، وظَرْفَ شِيَمِه، ونظَر من عُنوانِها في اسمي قال: بُعداً وسُحقاً وتَبّاً، وحَتّاً ونَحْتاً، وطَعْناً ولَعْناً، فما أكْذَبَ سَرابَ أخلاقِه، وأكْثَر أسرابَ نِفاقِه[1]. فالآن انحلَّ عن عُقْدتِه، وانتبَه من رَقدتِه، وكاتَبني يَستعيدُني؟

كلّا لا أزوِّجُهُ الرِّضا[2] ولا قُلامة، ولا أمنَحُهُ ولا كَرامة، وأدَعُه يَركَبُ رأسَه، فستأْتيني به اللّيالي، والكِيسُ الخالي. ثم أُريه ميزانَ قَدْرِه، وأُذيقُهُ وَبالَ أمْرِه. وإذا بلَغَ موضِعَ الحاجة من الرُّقْعة قال: مَأْرَبةٌ[3] لا حَفاوة، ووَطَرٌ ساقَه، لا نِزاعٌ شاقَه[4]. فهذا هذا. ولا أُبعد من تلك الهِمَم العالية، والأخلاق السّامية، أنْ يقولَ: مرحباً بالرُّقْعة وكاتبِها[5]، وأهلاً بالمُخاطَبة وصاحبِها، وقضاءُ الحاجةِ بأفحائها[6] وأبزارِها[7]، وهي الرُّقْعة التي سألتُ[8] إلى مَنِ[9] التمستُه، كما اقترحتُهُ بها طالبتُه، فرأْيُهُ فيه مُوفَّقٌ إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «أسراب يحتمل أن يكون جمع سِرب بالكسر، وهو الطريق، أو هو جمع سَرَب بالفتح والتحريك وهو المسلك في خفية».

(٢) عبارة ي: كلّا لا زوجه أزوّجه، كذا، وهو سبق قلم. وتزويجه الرضا، كناية عن معاودة رضاه ببدل. كشف المعاني، ص١٣٧.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «مأربة، بحركات الراء الثلاثة: الحاجة. وهذا مثل مشهور، أي: إنما يكرمك لحاجة له فيك لا لمحبة لك». انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٣١٣.

(٤) (لا نزاع شاقه) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٥) (بالرقعة وكاتبها) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٦) كتب ناسخ س شارحاً: «الأفحاء بالفاء والحاء المهملة: جمع فحاء بالكسر، وهي أبزار القِدْر، يقال: فحّ قدرك تفحيةً. والفحا: البصل».

(٧) الأبزار جمع بِزْر، وهي التوابل. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٦ (بزر).

(٨) (سألت) ممحيّة في ي، ومكانها بياض.

(٩) ي: بين.

وله أيضاً تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[١]

الشّيخ السّيِّد - أطالَ اللهُ بَقاءَهُ - إذا وَصَل بيدي يدَهُ لم ألِس الجوزاءَ إلّا قاعداً، وقد ناطَها مِنّةً في عُنُقِ الدّهْر، وصاغَها إكليلاً لجَبين الشُّكْر. وما أقصَرَ يدي عن المُقابلةِ ولِساني عن الثَّناء!

وهذا الجاهلُ قد عرفَ[٢] نَفْسَه، وقلَع ضِرْسَه، ورأى ميزان قَدْرِه، وذاقَ وَبالَ أمْرِه، وجَهّزَ إليَّ كَتيبةَ عجائزَ عاجزاتٍ؛ فأطْلَقن[٣] العَويلَ والأليلَ[٤]، وبَعثْنَني[٥] شَفيعاً إليّ، واستَعَنَّ بي عليَّ، وتَوسَّلْن بكلمةِ الاستسلام، ولُحْمةِ الإسلام، في مَعنَى هذا الغُلام.

فإنْ أحبَّ الشّيخ أنْ يَجْمَعَ في الطَّوْلِ راءَ الحَوْضِ إلى العَفَر[٦]، ويَنظِمَ في الفِعْل بَيْنَ الرَّوْض والمَطَر، شفَّعَ في إطلاقِه مَكارِمَه، وشَرَّفَ بذلك خادِمَه، وأنجزَنا[٧] بالإفراجِ عنه مُوفَّقاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى[٨].

---

(١) الدعاء بالمجاوزة من **س** فقط.

(٢) **ي**: عرفت.

(٣) **ي**: فأطلق.

(٤) كتب ناسخ **س** في الحاشية: «الأليل، كعويل: الأنين ورفع الصوت بالبكاء والصراخ».

(٥) **ي**: وبعثني.

(٦) كتب ناسخ **س** في الحاشية: «راء الحوض: جمع راءة، وهي الشجر، والعفر بالتحريك: أول سقية سقيها الزرع». **قلت**: وتحرّفت الكلمة في **ي**: أراء.

(٧) **ي**: وأوعزنا.

(٨) كلمة المشيئة من **ص**.

وله عفا اللهُ تَعالى عنه[1] أيضاً[2]

خُلِقتُ - أطالَ اللهُ بَقاءَ السَّيِّد، مَرُوحَ[3] عِنان الصَّبْر، جَموحَ جَنانِ الحِلْم، فَسيحَ رُقْعة الصَّبْر،

حَمولاً [صبوراً][4] لو تعمَّدني الرَّدَى   لَصِرتُ إليه مُشرِقَ الوَجهِ راضيا

... ألوفاً لو رُدِدتُ إلى الصِّبا   لفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القلبِ باكيا[5]

واللهِ[6]، لأُحِيلَنَّ استِمالَةَ السَّيِّد على الأيام ولتُحيلنَّه[7]، ولأَكِلَنَّ إحالةَ رأيهِ فيَّ إلى اللّيالي ولتكيلنَّه، ولأَدعَنَّهُ[8] يَبْري القِدْح[9]، فوالله لَتَريشنَّه.

ولا أزالُ أُصفِيهِ الوَلاءَ، وأُسْنِيه الثَّناءَ، وأفرُشُ له مِن صَدْري الدَّهْناء، وأعيرُهُ أُذُناً صَمّاءَ، حتى يَعْلَم أيَّ عِلْقٍ باع، وأيَّ فتىً أضاع. وَلْيَقِفَنَّ السَّيِّدُ مِنّي موقِفَ اعتذار، ولْيَعلمنَّ:

---

(١) الدعاء بالعفو ساقط في ص، ي.

(٢) الأيض من: ص، ي.

(٣) الضبط من س.

(٤) إضافة من الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص٣٤٨.

(٥) (باكياً) ساقطة في ي. وهذا البيت بإضافة كلمة (خلقت) التي في أول الرسالة للمتنبي، انظر ديوانه، ج٤، ص٢٨٤.

(٦) ي: ووالله.

(٧) س، ص: (وليُحيلَنّه). ومثلها: (وليحلنه)، و(ليريشنّه).

(٨) ي: ولأدوعه.

(٩) كتب ناسخ س في الحاشية: «القدح بالكسر: السهم بلا ريش، وبريُه: [صنا]عته وتسويته».

بنُصْحٍ[1] أتى الواشونَ أمْ بحُبُولِ[2]

ولستُ[3] أقولُ: يا حالفُ حِلًّا، ولكنْ: يا عاقدُ اذكُرْ حَلًّا[4]. ولستُ ممَّن يَشكو إلى رَسول الله صلّى الله عليه وسلَّم أذَى[5] رَهْطه، لو يُستاقُ إلى الكُفْر من يدَي سِبْطه. ولكنّي أقول:

هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزَّةَ مِن أعراضِنا ما استحلَّتِ[6]

وأنا أعلمُ أنّ السَّيِّد لا يخرُجُ عن تلك الحِلْية، بهذه الرُّقْية، وأنّ جوابَهُ يكونُ أخشنَ من لقائه، فإنْ نشِطَ للإجابة فلتكُنِ المُخاطَبَةُ: قرأْتُ رُقعتك، فهو أخفُّ مُؤْنةً وأقلُّ تَبِعةً[7]، والسَّلام.

---

(١) س، ي: أبنصح. كسر.

(٢) قيّد ناسخ س على هذه الكلمة: «حبول: جمع حِبل، بكسر الحاء، وهو يطلق على الداهية» وعلى الشد بالحبل. وهو عجزُ بيتٍ لكُثَيِّر عزّة، صدرُه: فلا تعجلي يا عزّ أنْ تتبيّني. ديوانه، ص١١١؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص٤٧٤ (مع بعض الفروق في الألفاظ).

(٣) ي: ولا.

(٤) من أمثال العرب، وأصلُه في الرجل يشد جمله فيسرف في الاستيثاق حتى يضرّ به وبراحلته عند الحلول أو الحل. وحلاًّ، بمعنى: التحلل من اليمين، وهو مفعول مطلق لمحذوف، أي: تحلل حلًّا، أي: تحللاً، أي: لا يقول ذلك. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤١١.

(٥) ي: أدنى.

(٦) هذا البيت لكثير عزة. ديوانه، ص١٠٠.

(٧) قيّد ناسخ س في الحاشية: «يعني: فلتكن مخاطبتك لي بهذا اللفظ، وهذه الكلمة».

وله إلى بعض الرّؤساء
وقد سأله الحضورَ عنده وبعضَ مُنْشآتِه[١]

مَرْحباً بسَلام الشّيخ، ولا كالسُّرورِ[٢] بطَلْعتِه. قد وصَلَتْ تَحيّتُهُ فشكَرتُها، وعِدتُهُ الجميلةُ بالحُضور غداً فانتظرتُها، ودَعوتُ اللهَ أنْ[٣] يَطويَ ساعاتِ النَّهار، ويَزُجَّ الشّمسَ في المَغار[٤]، ويُقرِّبَ مَسافةَ الفلَكِ ويَرفَعَ البَرَكةَ عن سَيْرِه، ويُجهِز الحركةَ إلى دَوْرِه[٥]، ويَسُرّني بِوَفْدِ الظّلام وقد نزَل[٦]، ثم لم يَلبَثْ إلّا رَيثَما رحَل[٧].

وبعثتُ بها طلَبَ سَمْعاً وطاعةً، والنُّسخةُ أَسْقَمُ من أجفان الغضبان. والشّيخ سيِّدي - أعزَّهُ الله - إنْ[٨] يركُضْ[٩] قلَمُهُ في إصلاحِها أتمَّ معروفَه[١٠]، وحَبَّذا في

---

(١) العنوان في ص: وله أيضاً.

(٢) (ولا كالسرور) في ي، ممحيّ ومكانه بياض.

(٣) لفظ الجلالة وحرف النصب بعده ممحوّان في ي، ومكانها بياض.

(٤) قيّد ناسخ س في الحاشية: «المغار والغار والمغارة: كالكهف في الجبل».

(٥) ضبط التجهيز من ي، إذ وضع ناسخها شدة على الهاء. وقيّد ناسخ س: «ويجهز الحركة كأنه من قولهم: أجهزت على الجريح: إذا أسرعت قتله»: وعقّب الأستاذ الأحدب بقوله: والمعنى أنه يتمنى أن يزول النهار بغروب الشمس وتحقق البركة عن سير الفلك ويسرع حركته إلى دوره. كشف المعاني، ص١٤١.

(٦) وفد الظلام: كناية عن تباشيره وعلاماته. ونزوله: حلوله. كشف المعاني، ص١٤١.

(٧) ي: برحل.

(٨) (سيدي أعزه الله إن) ساقط في ي، وحرف الشرط فقط سقط في ص.

(٩) بعده في ي: فيها.

(١٠) موضع (في إصلاحها أتم معروفه) في ي، أتم رجل معروف.

غدٍ هو وقد طلَع، كالصُّبْح إذا سطَع، والبَرْقِ إذا لَمع:

يـا مَرحبـاً بغـدٍ ويـا أهـلاً بـهِ ... إنْ كـان إلمـامُ الأحِبَّـةِ في غـدِ[1]

(١) أصل هذا البيت للنابغة الذبياني، وقد غيّر أبو الفضل بعضَ ألفاظه في تمثُّله به، وهو:

لا مرحبـاً بغـدٍ ولا أهـلاً بـه ... إن كـان تفريـق الأحبـة في غـدِ

ديوانه، ص٩٠.

وله أيضاً[1]

حاجتي - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - إلى (أمثال أفعَلَ)[2] شديدة، وحَسْرتي على ردِّ هذا الكتاب أشدّ، لكنْ مَوْلاي ألدّ، لا يُعيرُ حتى يَرُدّ.

فإنْ رأى أنْ يرُدَّهما جميعاً جمعَ في الطَّوْلِ بَيْنَ الرَّوْض والمطَر، وإلّا فرأيُه أولى.

(١) عرَتْ هذه الرسالة في س، ص من العنوان.

(٢) لعلّ (أمثال أفعل) كتابٌ مؤلفٌ بما كان على وزن أفعل من الأمثال. لكنني لم أهتدِ إلى ما يعـرّف به.

وكَتَب[1] إلى أبي سعيدٍ بن سابُور[2]

وقد[3] دخَلَ عليه فقام له فلما خرَج من عندِه لم يشيِّعْهُ[4] ولم يَقُم له[5]

كان يُعجبني من الشّيخ - أطالَ اللهُ بَقاءَهُ، بعدَ أنْ عرَفَ حقَّ خِدْمتي له، وهِجْرَتِي إليه، ومِدحتي فيه - أنْ لا يصيرَ مع الخُطوبِ خَطْباً، ولجمع[6] الخُصوم حِزْباً، ومع الزَّمان ألْباً[7]. وما كنتُ لأعتِبَ عليه لولا ثِقةٌ كانتْ به مَنوطة، وآمالٌ كانت إليه مَبسوطة. ثم اختلفتْ بكُلِّ الاختلاف، وأخلفتْ كُلَّ الإخلاف. وكأنّي بالشّيخ يَسألُني عن جُرْمِ هذا اليوم، ومُوجبِ هذا اللّوْم، وأنا أكْفيهِ مُؤْنةَ هذا السُّؤال، وأنفُضُ إليه حُمَّةَ[8] الحال، ولِمَ لا أُحاسِبُهُ على الصَّغائر، وأُناقِشُهُ من دِقاقِ الجَرائر[9]؟ ولِمَ أشرَبُهُ غيرَ سائغ؟ ألأصْلٍ لا يُباهي الفَرْعَ، وأمرٍ قديم لا يُضاهي الحديث؟

فأوّلُ ما أعتِبُ عليه قُعودُهُ في المجلس عمّا بذَلهُ في أوّله، وتَثاقُلُه[10] في عَجُزِ

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ص: بور.

(٣) (لم يشيعه) في ص، ي: حين.

(٤) ص، ي: ترك القيام.

(٥) بعد (له) في ص، ي: فكتب. تكرار لا ضرورة له.

(٦) ي: وبجمع.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «الألب بالفتح والكسر، أي: مجتمعين، يقال: ألب الإبل يألِبُها ويألُبها ألباً: جمعها وساقها، وألّبت الجيش: جمعتهم فتألّبوا، وهم ألب، أي: مجتمعون».

(٨) في ي: جمّة الحال، بالجيم المعجمة. وما هنا من س، ص. وقد قيّد ناسخ س: «حمة الحال: يحتمل أن يكون من حمّة الحر بالتشديد، أي: معظمه، وحمة الفراق، وهو ما قُضي وقدّر، وأن يكون من حمة العقرب، بالتخفيف، وهو سمّها».

(٩) ي: الحرائر. وليس يسوغ.

(١٠) تحرّفت هذه الكلمة في ي: قشاقلة!

الأمر عمّا حرَص عليه في صَدْرِه من توفيرِ سَلام، وإيفاءِ قيام، على أنّي دَخَلتُ عليه وأنا أحمَدُ الهَمَذاني، وخرَجتُ من عندِه وأنا أحمَدُ الهَمَذاني[١]. فإنْ كان قيامُهُ قد سَرَّ[٢]، فقُعُودُهُ ما ضَرَّ[٣].

وبَلَغني أنّ كاتِبَهُ أبا الفَضْلِ بنَ نَصْرُوَيْه حكَم للخوارِزْميِّ عليَّ بالفَضْل ؛

فقلتُ ولم أملِكْ سوابقَ عَبْرَتي   متى كان حُكْمُ اللهِ في كَرَبِ النَّخْلِ[٤]

وأمّا ذلك الوَقِحُ الوَتِح[٥]، ولا أعرفُ اسمَهُ، وأحسَبُ[٦] أنّ كُنيتَهُ: أبو الفَضْل، أو أبو الطُّهْر[٧]، وما كانَ فهو اسمٌ مُفخَّم، ومعنىً مُرخَّم، فما أحوَجَهُ إلى شُونيز عَقْل، وسَعْتَرِ فَطانة[٨] حتى تَحِلَّ مُكالمتُه، وما كان أحسَنَ حالَ السّادةِ عندَ اللِّقاء، حتى يكونَ حاله. نَعَم، استنَّتِ الفِصالُ حتى القَرْعَى[٩].

---

(١) أي: خرجت من عنده كما دخلت عليه، لم أزدد ولم أنقص.

(٢) (قد سر) في ي: قدس.

(٣) (ما ضر) في ي: ماضٍ

(٤) في ي: (غيري) مكان: (عبرتي)، وقوله: (في كرب النخل) سقط في ي. والبيت (مع بعض الفروق) لجرير. وصار عجزه مثلاً يُضرب للرجل الذي يقصر عما ينزع إليه. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٨٢؛ وانظر: الثامري، معجم النخلة، ص٢٦.

(٥) قيّد ناسخ س في الحاشية: «الوقح: من الوقاحة، وهي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والفعل منه: وقُح بالضم فهو وقح، والوتح بالمثنّاة الفوقية: الخسيس الدنيء».

(٦) ي: أحتسب.

(٧) ص: أبو الغضنفر وأبو المطمَّر.

(٨) ي: وسعير فطامه.

(٩) مثلٌ يُضرب للذي يفعل شيئاً ليس بأهل لفعله، والذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٣٣؛ الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص١٥٨.

وفي غدٍ إنْ شاءَ اللهُ نَجتمِعُ عندَ الشّيخ أبي[1] القاسم، فإنْ رأى أنْ يأسُوَ ما جرَح[2]، بأنْ يَغشَى ذلك المطرح، وينضُوَ حاشيةَ النِّيّة[3] وطَرْف الحميَّة، عن العَصَبيَّة، فالحقُّ أولى ما يُغضَبُ لهُ، والعدلُ خيرُ ما حُكِم به، فعَلَ، إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) ساقطة في ص.

(٢) قيّد ناسخ س في الحاشية: «أسوت الجرح آسوه: داويته فهو مأسوّ ومأسيّ، والإساء بالكسر: الدواء، والآسي: الطبيب».

(٣) س: التيه، وقيّد ناسخها في الحاشية: «نضا الثوب: نزعه، ونضا سيفه وانتضاه، أي: سلّه».

وله، تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[1]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشَّيخ - وأنا مُتألِّمٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، كيف تَقلُّبُ الشَّيخ في دِرْعِ[2] العافية، وأحوالُهُ بتلك الناحية؟ فإنّي بفراقِهِ مُنغَّصُ شَريعةِ[3] العَيْش، مَقْصوصُ أجنحةِ الأُنس.

وَرَد كتابُهُ المشتملُ من خَبَر سلامتِهِ على ما رغبتُ إلى الله في إدامتِه، وسكَنْتُ إليه بعدَ انزعاجي لتأخُّرِه، وقد كان رَسَمَ أنْ أُعرِّفَهُ سببَ خُروجي من جُرْجان، ووُقوعي إلى خُراسان.

وقد كانت القصّةُ أنّي لما وَرَدْتُ - من ذلك السُّلْطان - حَضْرتَهُ التي هي كَعْبةُ المُحتاج، لا كَعْبةُ الحُجّاج، ومَشْعَرُ الكِرام، لا مَشْعَرُ الحَرام، ومُنى الضَّيْف، لا مِنى الخَيْف، وقِبلةُ الصِّلاتِ، لا قِبلةُ الصَّلاة، وَجَدْتُّ فيها نُدماءَ[4] من نباتِ العام اجتمعوا قِيضةَ كلْب[5]، على تَلفيقِ خَطْب، أزعجَني من ذلك الفِناء، وانزوى بي[6] على على شُرَفِ الفَناءِ، لولا ما تَدارَكَ اللهُ بجميل صُنْعِه، وحُسن وَقْعِه.

ولا أعلمُ كيفَ احتالوا، وما الذي قالوا، لكنّ الجُملةَ[7] أنْ غيّروا السُّلْطان،

---

(١) سقط الدعاء في ص، ي. وبعدها في ص: أيضاً.

(٢) ص: درعه.

(٣) كذا في النسخ، وقيّد ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: شرعة»، وهو توجّه حسن.

(٤) كتب ناسخ ي هذه الكلمة: ندماً.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «قيضة كلب. القيضة بالقاف والمثناة التحتية: القطعة الصغيرة من العظم».

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: وأشرف بي»، وكذا العبارة في ص.

(٧) ي: أكمله. تحريف واضح.

وأشارَ عليّ إخواني، بمُفارقةِ مَكاني، وبَقِيتُ لا أعلمُ أيَمْنةً أضرِبُ أم شَآمة، ونَجْداً أقصدُ أم تِهامة.

ولو كُنتُ من سَلْمى أجا وشِعابها لكانَ لحجَّاجٍ عليَّ دَليلُ [(١)]

قد عَلِم الشّيخُ أنّ ذلك السُّلْطان سماءٌ[(٢)] إذا تَغيَّم لمْ يُرجَ صَحْوُه، وبحرٌ إذا تغيَّرَ لم يُشرَبْ صَفْوُه، ومَلِكٌ إذا سخِطَ لمْ يُنتظَرْ عَفْوُه[(٣)]، فليس بينَ رِضاه والسُّخْطِ عُرْجة[(٤)]، كما ليس بينَ غَضَبِه والسَّيْف فُرْجة، وليس من وراء سُخطِهِ مجاز، كما[(٥)] ليس بينَ الحياةِ والموتِ معه حِجاز، فهو سيّدٌ يُغضِبُهُ الجُرمُ الخَفيّ، ولا يُرضيهِ العُذرُ الجليّ، وتكفيهِ الجِنايةُ وهي إرجاف، ثم لا تَشفيهِ العُقوبةُ وهي إجحاف، حتى إنّه لَيَرى الذَّنْبَ وهو أضيقُ من ظِلِّ الرُّمح، ويَعمى عن العُذرِ وهو أبينُ من عَمود الصُّبْح، وهو ذو أُذُنَين: يسمَع بهذه القولَ وهو بُهتان، ويحجُبُ بهذه العُذر وهو بُرهان، وذو يدَيْن: يبسُطُ إحْداهما إلى السَّفْك والسَّفْح، ويَقبِضُ الأُخرى عن العفوِ والصَّفح، وذو عَيْنَين: يفتح إحداهُما إلى الجُرْم، ويُغمِّضُ الأخرى عن الحِلْم. فمزْحُهُ بينَ القَدِّ والقَطْع، وجِدُّهُ بينَ السَّيْف والنّطع، ومُرادُه بين الظُّهور والكُمون، وأمرُهُ بينَ الكافِ والنُّون. ثم لا يعرِفُ من العقاب، غيرَ ضَرْبِ الرِّقاب[(٦)]، ولا يَهتدِي من التَّأنيب، إلّا لإزالةِ النِّعم، ولا يعلَمُ من التّأديب، غيرَ إراقةِ الدّم، ولا يَحتملُ الهَنَةَ[(٧)] على حجم الذَّرَّة، ودِقَّةِ

---

(١) للعُدَيل بن الفرخ العجلي الملقب بالعَبّاب، قاله - في أبيات - أمام الحجّاج بن يوسف الثقفي معتذراً. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٦٨.

(٢) ي: سيّما.

(٣) ي: عفو.

(٤) عرجة، أي: ميلة. كشف المعاني، ص١٥٢.

(٥) (مجاز كما) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٦) ي: غير ضرب العقاب الرقاب.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «الهَنةُ: الخصلة من الشرّ خاصة، وتجمع على هَنَات».

الشَّعْرة، ولا يَحْلُمُ عن الهَفْوة، كوَزْنِ الهَبْوة[1]، ولا يُغضِي عن[2] السَّقْطة، كجِرم النُّقطة. ثم إنّ النِّعم بينَ لفظِه وقلَمِه، والأرضَ تحتَ يدِهِ وقدَمِهِ[3]، لا يلقاهُ الوَليُّ إلّا بفَمِه، ولا العَدوُّ إلّا بدَمِه، والأرواح بينَ حَبْسِه وإطلاقِه، كما الأجسامُ بين حَلِّهِ ووَثاقِه.

ونظَرتُ، فإذا أنا بينَ جُودَيْن: إمّا أنْ أجودَ ببأسي، وإمّا أنْ أجودَ برأسي. وبينَ رَكُوبَيْن: إمّا المفازة، وإمّا الجنازة. وبينَ طريقَيْن: إمّا الغُربة، وإمّا التُّربة. وبينَ فِراقَيْن: إمّا أنْ أُفارِقَ أرضي، أو أُفارِقَ عِرضي. وبينَ راحلتَيْن: إمّا ظُهورُ الجِمال، أو أعناقُ الرِّجال، فاخترتُ السَّماح بالوَطَن، على السَّماح بالبَدَن[4]؛ وأنشدتُّ:

إذا لم يكنْ إلّا الأسنَّةَ مَرْكَبٌ ... فلا رأيَ للمُضطرِّ[5] إلّا ركوبُها[6]

ورَسَم الشّيخُ أنْ أُعلِمَهُ مُوجِبَ غضَبِه، ليَتلافَى الأمرَ بموجبِه، وهذا داءٌ لا أعرِفُ نِتاجَه، فكيفَ أطلُبُ عِلاجَه؟ وأمرٌ لم أُلابِسْ باطنَهُ، فكيفَ أُمارِسُ ظاهرَه؟ وخَطْبٌ لم أُفسِدْ أوَّلَهُ، فكيف أُصلِحُ آخرَه؟ وشيءٌ لا أعرِفُ سببَه، فكيف أتلافَى ذنبَه؟ وحالٌ لم أضَعْ صَدْرَها، فكيف أتداركُ عَجُزَها؟ اللّهمَّ لا كُفْران، ولَعَن اللهُ الشّيطان.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «الهبوة: الغبرة، والهباء: دقاق التراب وشيء منبث تراه في البيت من ضوء الشمس».

(٢) ي: من.

(٣) هذه مغالاة مستنكرة من الهَمَذاني.

(٤) يريد بالبدن: جميع نفسه، أي: يؤثر البُعد عن الوطن على السماح بنفسه. وأعناق الرجال: كناية عن موته وحمله على الرقاب إلى التربة. وظهور الجمال: كناية عن استعداد السفر. كشف المعاني، ص١٥٤.

(٥) صحّح ناسخ س هذه اللفظة. وفي ي: للمحول.

(٦) البيت للكميت بن زيد الأسدي (ت١٢٦هـ). اليوسي، زهر الأكم، ج١، ص٣٠٣.

كان ذَنْبي إلى ذلك السُّلْطان مُوالاةٌ[1] أدمتُها، وخِدْمةٌ أقمتُها، وشَبيبةٌ[2] أرَقْتُها، وحياةٌ أنفقتُها، وحُرَمٌ[3] أسلفتُها، وأموالٌ أتلفتُها، وقصائدُ نظَمتُها، وموائدُ خدَمتُها[4]، وآلةٌ عَرَضتُها، وحُمةٌ[5] نفَضتُها.

فهل أُتِيتُ[6] إلّا مـن حيـثُ أتَيْتُ؟ وهـل أخطـأتُ إلّا مـن حيـثُ حسِبتُ أنّي أصَبْتُ؟ وهل بعُدتُ إلّا من حيثُ قرُبْتُ؟ وهل خبُثْتُ إلّا مـن حيـثُ طِبـتُ؟ وهـل قبِلَني هذا السُّلْطان إلّا بما نفاني[7] ذلك؟ وهل رفَعني ههنـا إلّا مـا وَضَـعَني هُنالـك؟ لـئلّا يَشغَلَ الشّيخ قلبَهُ بهذا الأمْر، فإنّها حضْـرةٌ يَـرجَحُ[8] فيهـا ابـنُ الجـان[9]، ويكـون[10] أشْيَلَ في الميزان، بحرٌ تعلو جِيَفُه، ويسفُلُ صَـدفُه، وهـذا أمـر قـد غطّـى أوّلَـه الجَفـاء، فلْيُغطِّ[11] آخرَه العَفاء.

---

(١) ضبط ناسخ ي هذه الكلمة بالنصب على خبر الكينونة، وهو جائز صحيح، لكنه ليس اختيار المصنف، بدليل عطفه عليه (وحرمٌ أسلفتها) في جميع النسخ الثلاث، رفعاً على الاسمية المؤخّرة.

(٢) ي: وشيبة.

(٣) كتب ناسخ س بإزاء هذه الكلمة في الحاشية هذه العبارة: «الحُرَم، كغُرَف: جمع حُرمة، وهي: المهابة».

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه قدّمتها».

(٥) ص، ي: وخمسة. والحمة: الغضبة للسلطان.

(٦) ي: أبيت.

(٧) ي: بقاني، مجوّدة.

(٨) (الأمر... يرجح) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٩) كتب ناسخ س بإزائها في الحاشية: «الجان: اسم فاعل من الجناية، ومعناه أن المسيء أرجح عنده من البريء». وحذف الياء منها مراعاة للمزاوجة، كما لا يخفى.

(١٠) فعل الكينونة وحرف العطف سقطا في ي.

(١١) (أوله... فليغط) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

وله أيضاً[1]

لا نَزالُ نحمَدُ إلى الشّيخ أبا[2] عبدِ الله فيما يُوليهِ من رفقٍ بأسبابِه، واعتناءٍ بأكَرَتِهِ[3] وأصْحابه، وما يفعَلُ في[4] ذلك إلّا ما يُوجبُهُ[5] فَضْلُه، ويأتيه مِثلُه، ويدعوهُ إليه أصْلُه، وما يأتي من الخيرِ إلّا ما هو أهْلُه.

وحقّاً أقولُ، قد عاشرتُ هذا الفاضلَ فطابتْ عِشْرتُه، ولانتْ قِشْرتُه، وواصَلتُه فأحسَنْت وِصالَه، وأحمدتُ خِصالَه، وسألتُهُ، فأغزَرْتُ جُودَه، وعجَمْتُهُ فأصلَبْتُ عُودَه، وما بقَّيْتُ في الامتحانِ عِرْقاً إلّا جَسَسْتُه[6]، ولا نظراً إلّا تَفرَّستُه، فما أتتني

---

(١) لصق ناسخا س، ي كلاهما هذه الرسالة - وهي عندهما بلا عنوان - بالرسالة السابقة. وتكرّرت هذه الرسالة في ص مرّتين، المرة الأولى هنا، وهي من غير عنوان أيضاً، صهرها الناسخ في الرسالة التي قبلها، والمرة الثانية جاءت متأخرة في اللوح (٢٣٢) في ضمن ألواح فيها رسائل سواها مكرَّرة، ومنها أخذنا العنوان.

(٢) عبارة ي: نحمد الشيخ إلى أبا.

(٣) كتب ناسخ س: «أكرته: جمع أكّار، كأنه جمع آكر (كذا)، وهو الزارع، وأراد به مطلق الأتباع والخدم». إكّارو Ikkaru (m): فلّاح، كلمة مستعارة من السومرية LU.ENGAR: رجل المحراث، ويبدو أنها تعود إلى الشعوب التي سكنت جنوبي بلاد الرافدين قبل السومريين، بالعبرية «إكّار»، وبالسريانية «أكّارا»، وبالعربية «أكّار». بالعربية: الأكر: الأُكْرةُ بالضم: الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فيُغرف صافياً. وأكر يأكر أكراً، وتأكّر أكراً: حفر أُكْرةً، والأُكَرُ الحفر في الأرض، واحدتها أُكرة. والأكّار: الحرَّاث والزرَّاع، والجمع: أكَرَة. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٦ (أكر)؛ وانظر: مرعي، اللسان الأكادي، ص١٧٦.

(٤) من: ص.

(٥) ص: يوحيه، مجوّدة.

(٦) ي: حسسته، بالحاء المهملة، ولا فرق.

خصلةٌ من خِصالِه إلّا وهي أكرَمُ من أُختِها، حتى حالَت الغُربةُ بَيني وبينَهُ، فكان لي[1] في الغُربةِ أكثرَ في المجدِ جَهْداً، وأطيبَ في الغيب عَهداً، وأتمَّ على البُعْدِ وُدّاً.

ولعَمْري، إنّ وُدَّ الحَضرةِ إخاءٌ وأخُوَّة، ووُدَّ الغَيبةِ وفاءٌ ومُرُوَّة، وقد جَمعَ هذا الفاضلُ حَبْلَيْهما، وراشَ نَبْلَيْهما، وما خسِرَ على الكَرم كريم، كما لم يربحْ على اللُّؤْم لئيم، ولن[2] يَبطُل العُرفُ في القياس، و

لا يذهبُ الخيرُ بينَ[3] الله والنّاسِ[4]

أعانني اللهُ على تأديـةِ حقِّـهِ وفَرْضِـه، وقَضـاءِ الواجـبِ أو بعضِـه[5] إنْ شـاء الله تَعالى.

وقد أطلْنا، ولا أحسَبُني أطلْت[6]، وفي النفْس أضعافُ ما كتَبْت. والشّيخ - أيّده اللهُ - لا يَعرِضُ كلامي على مَن يعرفُ عَوارَ كلامِه، واختلالَ نظامِه، فإنّ ما يُكتَبُ عـن صَوب البديهةِ بفَـيْضِ[7] القَلَـم مـن دونِ رَوِيَّـةٍ تُعمَـلُ، لا يَكـادُ يَطيـبُ، وأنـا أخدُمُـهُ والجماعةَ بالسَّلام.

---

(١) من: ص.

(٢) ي: وأن.

(٣) س: من.

(٤) عجز بيتٍ مشهور سائر للحطيئة، وقد أبدل فيه كلمة: الخير بالعرف. وتمام البيت:

من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جَوازيَهُ ... لا يذهبُ العُرفُ بينَ الله والناسِ

ديوانه، ص٨٦.

(٥) ي: وبعضه.

(٦) ي: أطلب.

(٧) ي: نقيض.

وكَتَب[1] إلى أبي عليٍّ مَسْكَوَيْه[2]

ويــا عَــزَّ[3] إنْ[4] واشٍ وشَــى بيَ عنــدَكمْ ... فــلا[5] تُمهليــه أنْ تَقــولي لــه مَهْــلا

كــما لــو وَشَــى واشٍ بعَــزَّةَ عنــدَنا ... لَقُلنــا تَزَحْــزَحْ[6] لا قريبــاً ولا أهْــلا

بَلَغني - أطال اللهُ بقاءَ الشَّيخ - أنّ قِيضَةَ كلبٍ[7] وافتْهُ بأحاديثَ لم يُعِرْها الحقُّ نُورَه، ولا الصِّدقُ ظُهورَه، وأنّه - أدامَ اللهُ عِزَّهُ - أذِنَ لها[8] على مَجالِ أُذْنِه، وفَسَحَ لها فِناءَ ظَنِّه.

ومَعاذَ الله أنْ أقولَها، وأستجيزَ معقولَها. بلى، قد كان بيني وبينَ الشّيخ الفاضل عِتابٌ لا يُنزَل كَنَفُه ولا يُجدَف[9]، وحديثٌ لا يَتعدّى النفسَ وضميرَها، ولا يعرِفُ الشّفةَ وسَميرَها، وعَرْبَدةٌ كعَرْبَدةِ أهلِ الفَضْلِ لا تتجاوزُ[10] الدَّلالَ

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) س، ي: مشكويه. ص: ابن مشكويه. وهو المؤرّخ المشهور صاحب كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم).

(٣) عزّ: مرخَّم (عزة)، وهي صاحبة كُثَيِّر. وهذان البيتان له. ديوانه، ص٣٨٢ (مع بعض الفروق).

(٤) ي: وإن.

(٥) ص: فهلا.

(٦) كتب ناسخ ي بعده: قَصِيّاً. ولا يجوز.

(٧) انظر ما تقدّم ص١٥٣، هامش (٥).

(٨) ي: بها.

(٩) قيّد ناسخ س في الحاشية شارحاً: «يجدف: من الجدف بالجيم والدال المهملة، وهو الرفع، يقال: جدف السفينة وفيها، أو من جدفت السّماء بالثلج: رمت به، ويحتمل أن يكون من الخذف بالخاء والذال المعجمتين، وهو الرمي، يقال: خذف الحصا، أي: رمى به».

(١٠) في الأصول: يتجاوز، ولعلّ التأنيث هو الأصحّ.

والإدلال[1]، ووَحْشةٌ لا يكشِفُها عِتابُ لَحْظة، كعتاب جَحْظة[2]. فسُبحانَ من رَبّى هذا الأنزَ حتى صار إمْراً[3]، وتأبّط شرّاً، وأوْجبَ عُذراً، وأوْحشَ حُرّاً. سُبحانَ مَن جَعَلَني في جَنْب العَدوّ[4] أشيمُ بارِقته، وأستجلي صاعقتَه، وأنا المُساء إليه، والمَجْنيُّ عليه، لكنَّ من بُليَ من الأعداءِ بمثل ما بُليتُ[5]، ورُميَ من الحَسَدِ بما رُميتُ، ووقَفَ من التوحُّد والوَحْدةِ حيثُ وقَفْتُ، واجتمَعَ عليه من المكاره ما وَصَفتُ، اعتذَرَ مظلوماً، وضحِكَ مَشتوماً.

ولو عَلِم الشَّيخ عددَ أولادِ الجُدَد، وأبناءِ العَدَد، بهذا البَلَد، ممّن ليس له هَمٌّ إلّا في سِعايةٍ أو شِكاية، أو حِكايةٍ أو نِكاية، لَضَنَّ بعِشْرةِ غريبٍ إذا بَدَر، وبَعيدٍ إذا حضَر، ولَصانَ مَجلِسَهُ عمَّن لا يصُونُه عمَّا رُقّي إليه.

فهَبْني قد قلتُ ما حُكي، أليسَ الشاتمُ مَن أسمعَ، والجاني مَن بَلَّغَ[6]، فلقد بَلَغَ من كَيْد هؤلاءِ القومِ أنَّهم حين صادَفوا من الأستاذِ نَفْساً لا تُستفزُّ، وجَبَلاً لا يُهزُّ، وَشَوْا[7] إلى خَدَمِه بما أرَّثوا نارَهم[8]، ورُدَّ عليَّ ما قالوه، فما لبِثتُ أنْ قُلتُ :

---

(١) الدلال كالإدلال يراد بهما: التدلل. كشف المعاني، ص١٥٨.

(٢) ي: خطة. تحريف. وجحظة هو: أبو الحَسَن أحمد بن جعفر بن برمك، المعروف بجحظة البرمكي النّديم. وجحظة لقب غلب عليه لقّبهُ به ابن المعتزّ، وكان ظريفاً ذا فنون وأخبار ونوادر، ولهُ شعر رائق. وقد ذكر الهَمَذاني عتابه حيث اشتهر بالرقة، لقوله من أبياته السائرة:

ورَقّ الجوُّ حتى قيل هذا ... عتابٌ بين جحظةَ والزّمانِ

انظر ترجمة جحظة البرمكي عند ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٣٣.

(٣) إمْراً: نكراً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ سورة الكهف، من الآية ٧١.

(٤) (في جنب العدو) في ي: عدوّ. فقط.

(٥) (الأعداء... بليت) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٦) ي: أبلغ.

(٧) ي: دسّوا.

(٨) تأريث النّار: إضرامها.

و[١]إنْ تَكُ حَرْبٌ بينَ قَومي وقَومِها[٢] فإنّي لها في كُلِّ نائبةٍ سِلْمُ

ولْيَعلَم الأُستاذُ أنّ في كَبِدِ الأعداء منّي جَمرة، وأنّ في أولادِ الزِّنا عندَنا كثرة، وقُصاراهُم نارٌ يَشُبُّونَها، وعَقربٌ يُدَبِّبونَها[٣]، ومَكيدةٌ يَطلُبونَها.

ولولا أنّ العُذرَ إقرارٌ بما قيل، وأكرَهُ أنْ أستقيل، لَبَسطتُ في الاعتذارِ شاذَرْواناً[٤]، ودخلتُ في الاستقالةِ مَيداناً، لكنّه أمرٌ لم أصُغْ[٥] أوّله فلمَ[٦] أتدارَكُ آخِرَه؟

وقد أبى الشّيخُ أبو مُحمّد - أيّده اللهُ - إلّا أنْ يُوصَلَ هذا النثرُ الفاترُ بنظمٍ مثله، فهاكهُ يَلعَنُ بعضُهُ بعضاً:

مَوْلايَ إنْ عدت ولم تَرْضَ لي أنْ أشرَبَ البارِدَ لمْ أشرَبِ

امْتَطِ خدِّي وانتعِلْ ناظِري وصِدْ بكفِّي حُمَةَ العَقْربِ

باللهِ ما أنطِقُ عن كاذبٍ فيك ولا أبْرِقُ عن خُلَّبِ

فالصَّفْوُ بَعْدَ الكَدَرِ المُفتَرَى كالصَّحْوِ عُقْبَ المَطَرِ الصَّيِّبِ

أن اجْتنِ[٧] الغِلْظَةَ مِن سيِّدٍ فالشَّوْكُ عِندَ الثَّمَرِ الطَّيِّبِ

أو يَفِدِ الزُّورُ على ناقدٍ فالخمرُ قد تُعضَبُ[٨] بالثَّيِّبِ

ولعلَّ الشّيخَ أبا مُحمّد - أيّده اللهُ - يَقومُ من الاعتذارِ بما قعَدَ عنهُ القَلَمُ والبَيان، فنِعْمَ رائدُ الفَضْلِ هو، والسَّلام.

---

(١) الواو ممحية في ي، ومكانها بياض.

(٢) ي: وبينها. وهو فاسد.

(٣) ي: يذنّبونها.

(٤) الشاذروان: الأساس والإزار، وكذلك النافورة أو الفسقية. وكلاهما يؤدّي المعنى الذي أراده الهمذاني.

(٥) كذا، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: أضَعْ».

(٦) ي: ولم.

(٧) أثبت ناسخ س ياء المنقوص فكتب: أجتني، ولا يصحّ.

(٨) من معاني العضب: التناول. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١١٦ (عضب).

وكَتَب[1] إلى الشّيخ العَميد

أنا - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ العَميد - مع أحرار نَيْسابُور في ضَيْعةٍ[2] لا فيها أُعان ولا عنها أُصان، وشيمةٍ[3] ليست بي تُناط، ولا عنّي تُماط، وحِرفةٍ لا فيها أُدالُ ولا عنّي تُزال، وهي الكُدْية[4] التي عليّ تَبِعَتُها[5]، وليست لي منفعتها. فهل[6] للشّيْخ أنْ يَلطُفَ بضَيْعتِه[7] لُطفاً يَحُطُّ عنه دَرَنَ العار، وسِمةَ التكسُّبِ والافتقار[8]، ليخِفَّ على القُلوبِ ظلُّه، ويَرتفعَ عن الأحرارِ كَلُّه، ولا يَثقُلَ على الأجفانِ شَخْصُهُ، بإتمامِ ما كانَ عَرَضَهُ عليه من أشغاله[9]، لِيعلَقَ بأذيالِه، وليستفيدَ[10] من خلاله، فيكون قد صان الفضلَ عن ابتذالِه، والأدبَ عن إذلالِه[11]، واشترى[12] حُسنَ الثّناءِ بجاهه، كما يشتريه بمالِه؟ وللشّيْخ العَميد فيما يُجيبُ به ضَيْعتَهُ[13] من وَعْدٍ يعتمدُه، ووفاءٍ يَتلو ما يَعِدُه، عليُّ رأْيِهُ إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(١) ي: وله.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه صنيعته».

(٣) علّق ناسخ س عليها: «لعلّه: وسِمَة».

(٤) الضبط في س بكسر الكاف، في سائر النصّ والكتاب كلّه.

(٥) (الكدية... تبعتها) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٦) ي: فعل.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله بصَنيعتِه».

(٨) (وسمة... والافتقار) ممحيّ في ي، ومكانه بياض.

(٩) ي: اشتغاله.

(١٠) ي: وليستفيد.

(١١) ي: إدلاله.

(١٢) ي: وانشترى.

(١٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه صنيعته».

وله إلى القاضي أبي القاسم عليّ بن أحمد
يشكو أبا بكرِ الحِيريَّ[1]
في ذمِّ مَن وَلِيَ القضاءَ وليس من أهل العِلْم[2]

الظُّلامةُ - أطالَ اللهُ بقاءَ القاضي - إذا أتَتْ من مجلس القضاءِ لمْ تَرْقَ إلّا[3] إلى سيِّد القُضاة، وما كنتُ لأقصُر سيادتَهُ على الحُكّام، دُونَ جميع الأنام، لولا اتّصالُهم بسببِه، واتّسامُهم بلقَبِه، وهم القضاةُ اتَّسموا[4] بسمتِه، مُتطفّلين على قِسْمته، أَلَـهم أديمٌ في الصحّة كأديمِه، أو قديمٌ في الشّرفِ[5] كقديمِه؟ أو حديثٌ في الكرم كطريقِه؟ فهنيئاً لهم الأسماء وله المعاني، ولا زالتْ لهم الظَّواهر، ولهُ الجواهر.

ولا غَرْوَ أنْ أُسْمُوا قُضاةً، فما كلُّ مائعٍ ماء[6]، ولا كُلُّ سَقْفٍ سماء، ولا كلُّ سِيرةٍ عَدْلَ العُمَرَيْن، ولا كلُّ قاضٍ قاضيَ الحَرَمين. ويا لَثارات القضاء[7]، ما أرْخصَ ما بِيع، وأسرعَ ما أُضيع! وألبسَتْه الأنذالُ قبلَ خلُوِّ الدِّيار، ومَوْتِ الخيار. ألا يَغارونَ لحلي الحَسْناء على السَّوداء، ومَرْكبِ أولي السِّياسة تحتَ الساسة، ومَنْزلِ

---

(١) س: الحميريّ، خطأ صوابه ما أثبتناه من: ص، ي، وما يأتي في النصّ بعدُ. وقد تقدّم سابقاً.

(٢) (في ذم.... العلم) انفردت به ي، كتبها ناسخها في الحاشية.

(٣) حرف الاستثناء سقط في ي.

(٤) ي: اسموا.

(٥) عبارة ي: أو قدم في السرق.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) ي: القضاة.

الأنبياء من تَصدُّر الأغبياء[1]، وحِمَى البُزاةِ من صَيْد البُغاث[2]، ومَرْبَع[3] الـذُّكور من تَسَلُّطِ الإناث.

ويا للرِّجال وأينَ الرِّجال؟ وَلِيَ القضاءَ مَن لا يملِكُ من آلاتِه غيرَ السِّبال[4]، ولا يعرِفُ من أدواته غيرَ الاختزال، ولا يَتوجَّهُ من أحكامِه إلّا في الاستحلال، ولا يرَى التَّفرِقةَ إلّا في العيال، ولا يُحسِنُ من الفقهِ غيرَ جمع المال، ولمْ يُتقِنْ من الفَرائض إلّا قِلَّةَ الاحتفالِ وكثرة الافتعال، ولمْ يدرُسْ من أبوابِ الجَدَل[5] إلّا قُبْحَ الفعال، وزُورَ المقال.

ذاك أبو فُلان الفُلانيُّ أضاعَهُ اللهُ كما أضاعَ أمانتَهُ، وخانَ خزانتَه، ولا حاطَهُ من قاضٍ في صَوْلةِ جُنْديّ، وسَبَلَةِ كُرْديّ ؛ فما أُشَبِّهُهُ في قضاياه، وتَحيُّرِه بينَ خَطاياه، إلّا بالصَبيِّ يُسلَّم إلى[6] عَديلِه، ويُلَفُّ وَجْهُهُ في مِنديلِه، ويجتمعُ عليهِ أترابُه[7]، فيُحنى قَذَالُهُ[8] كُلُّ رَفْعةٍ بصَفْعة[9]، ويُسألُ عن ضاربِها، فإنْ غَلِطَ في صاحبِها، أعيدَ على

---

(١) ي: الأغنياء.

(٢) ي: النعاث، مجوّدة.

(٣) ي: ومرتع.

(٤) السبال: جمع سَبَلة بالتحريك، لها معانٍ من جملتها: ما على الذقن، أي: على طرف اللّحية كلها، وهو المراد هنا، أي: ما عندهم من آلات القضاء إلّا عِظم الذقون واللحى. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٢١ (سبل).

(٥) ي: الجدال.

(٦) سقط حرف الجر في ي.

(٧) ي: أتراب. وبعدها ممحيّ فيها إلى قوله: (كلّ رقعة)، ومكانه بياض.

(٨) القَذال: مؤخر الرأس. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٥٣ (قذل).

(٩) ي: بصنعنة.

وَجْهِهِ اللَّفُ، وعلى قَذالِهِ الكَفُّ[١]. وكذا مَن شغلَ أيّامَ صِباهُ بما شَغَل[٢]، وفعَل أيّام الشّبابِ ما فعَل، ثم جلسَ للقضاءِ كَهْلاً[٣]، وَسِعَ كلَّ شيءٍ جَهْلاً.

وبعد، فإنّ القضاءَ من القَضيَّة، والحَيَّةُ لا تَلِدُ غيرَ الحيَّة، فمَن اعتزى إلى أبٍ كأبيه، واقترَن بأخٍ كأخيه، لم يُلَمْ على جَهْلِه، فهو الشيءُ من أهلِه، والفَرْعُ في أصلِه.

والعِلْمُ[٤] - أطال اللهُ بقاءَ القاضي - شيءٌ - كما تَعرِفُه - بعيدُ[٥] المرام، لا يُصطادُ بالسِّهام، ولا يُقسَمُ بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبَطُ باللِّجام، ولا يُورَثُ عن الأعمام، ولا يُكْتَبُ للِّئام[٦]؛ وزَرْعٌ لا يزكو في كلِّ أرضٍ حتى يُصادِفَ من الحِرص ثَرىً طيِّباً، ومن التّوفيق مَطَراً صَيِّباً، ومن الطَّبْع جَوّاً صافياً، ومن الجَهْد رَوحاً دائماً، ومن الصَّبْر سَقياً نافعاً.

والعلمُ عِلْقٌ لا يُباعُ ممَّن زاد، وصَيْدٌ لا يَأْلَفُ الأوغاد؛ وشيءٌ لا يُدرَكُ إلّا بنَزْعِ الرُّوح، وغرضٌ لا يُصابُ[٧] إلّا بافتراشِ المَدَر، واستنادِ الحَجَر، ورَدِّ الصَّخَر[٨]، وركوبِ الخَطَر، وإدمانِ السَّهَر، واصطحابِ السَّفَر، وكثرةِ النَّظَر، وإعمالِ الفِكَر. ثم هو مُعتاصٌ على مَن زَكا زَرْعُه، وخَلا ذَرْعُه، وكرمَ أصلُهُ وفَرْعُه، ووَعَى[٩] بصَرُهُ وسَمْعُه، وصَفا ذِهْنُهُ وطَبْعُه.

---

(١) (قذاله الكف) ممحيّ في ي، ومكانه فيها بياض.

(٢) عبارة ي: بمن أشغل.

(٣) ي: للفضل كيلاً.

(٤) هذه الكلمة سقطت في ي.

(٥) ي: وبعيد.

(٦) ي: اللئام.

(٧) ي: يصاف. تحريف بيّن.

(٨) س، ص: الضجر، وما هنا من ي، وهو الأوفق للمدر والحجر.

(٩) في س - وصحح عليها - و ص: (ورعى)، وفي ي: (وراعى)، وكله تحريف ولا معنى له، والتصويب من طبعة الأحدب، ص١٦٧، وهو الموافق للمعنى.

فكيف يَنالُهُ مَن أنفَقَ صِباهُ[1] على الفَحْشاء، وشبابَه على الأحشاء، ونهارَه على الجَمْع[2]، وليلَه على الجِماع، وشَغَلَ سَلْوَتَهُ بالغِنى، وخَلْوَتَهُ بالغَناء، وأفرغَ جِدَّهُ على الكِيس، وهَزْلَهُ على الكاس؟

والعِلْمُ ثمرٌ لا يَصلُحُ إلّا للغَرْس[3]، ولا يُغرَسُ إلّا في النَّفْس، وصَيدٌ لا يقعُ إلّا في البَذْر، ثم لا يَنشَبُ إلّا في الصَّدْر؛ وطائرٌ لا يَخْدَعُهُ إلّا قَفَصُ[4] اللّفظ، ثم لا يَعقُلُهُ إلّا شَرَكُ الحفْظ[5]؛ وبَحْرٌ لا يَخوضُهُ المـلّاح، ولا تطيقُه الألواح، ولا تَهيجُهُ الرِّياح؛ وجَبلٌ لا يُتَسنَّمُ إلّا بخُطى الفِكر؛ وسماءٌ لا تُصعَدُ إلّا بمعراج الفَهم؛ ونَجْمٌ لا يُلمَسُ إلّا بيدِ المُجِدّ.

أيكْفي أنْ يُصبحَ المرءُ بينَ الزِّقِّ والعُود، ويُمسِيَ بينَ مُوجِباتِ الحُدود، حتى يَتِمَّ شَبابُه، وتَشيبَ أترابُه؟ ثم يَلبَسَ دَنِّيَّتَه[6] لِيخلَعَ دِينيتَه[7]، ويُسوِّي طَيْلَسانَه ليُحرِّفَ يدَهُ ولسانَه، ويُقصِّرَ سِبالَه ليُطيلَ حِبالَه، ويُبديَ شَقاشِقَه ليُغطِّيَ مَخارِقَه، ويُبيِّضَ لِحيَته لِيُسوِّدَ صَحيفتَه، ويُظهِرَ وَرَعَهُ لِيُخفِيَ طَمَعَه، ويَغشَى محرابَه ليملأَ جِرابَه، ويُكثِرَ دُعاءَه

---

(١) تحرّفت هذه الكلمة في ي: صباً.

(٢) يريد به جمع النقود.

(٣) قال الأستاذ الأحدب: ومعنى كونه لا يصلح إلّا للغرس أن ثمره لا يصلح إلّا لوضعه في النفوس النفيسة، وإن وضع في النفوس الخبيثة لا يثمر شيئاً، بل لا يكون من ثمره إلا الأذى والشر، وهكذا الغرس إذا كان في الأرض السبخة لا يطيب ثمره ولا يحمد أثره. كشف المعاني، ص١٦٧.

(٤) ي: قنص، وكلاهما قريب.

(٥) في النسخ: اللفظ، أخذنا بما كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: الحفظ».

(٦) الدَّنِّيَّة: قلنسوة كبيرة من ملابس القضاة في العصر العباسي. انظر ما كتبه عنها ميخائيل عوّاد في كتابه: صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ص٥٣.

(٧) ي: دَنيّته.

لِيَحشو وِعاءَه[1]. ثم يخدُم بالنّهار أمعاءه، ويُعالج بالليل وَجْعاءه، ويرجو أنْ يَخرُج من من بين هذه الأحوال عالماً، ويقعُدَ[2] حاكماً ؟

هذا إذا المجدُ كالُوهُ بقُفزانِ[3]

كلّا، حتى يَنسَى الشَّهَوات، ويَجوبَ الفَلَوات، ويَعتضِدَ المَحابر، ويحتضنَ الدّفاتر، ويَنتجعَ[4] الخواطرَ، ويُحالِفَ الأسفار[5]، ويعتادَ[6] القِفَار، ويَصِلَ اللّيلةَ باليوم، ويَعتاضَ السَّهَرَ من النَّوم[7]، ويَحمِلَ على الرُّوح، ويَجنِيَ على العَيْن، ويُنْفِقَ من العَيْش، ويحزَنَ في القَلْب، ولا يَستريحَ من النظر إلّا إلى التحديق، ولا[8] من من التّحقيق إلّا إلى التعليق[9].

وحاملُ هذه الكُلَف إنْ أخطأهُ رائدُ التّوفيق، فقد ضَلَّ سَواءَ الطريق.

وهذا الحِيريُّ[10] رَجُلٌ سَفِلة، طلَبَ الرِّياسةَ بغير تحصيل آلاتِها، وأعجَلَه حُصولُ الأُمنيَّةِ عن تحُّل أدواتِها،

(١) المراد بوعائه: جوفُه، وهكذا المراد، بملء الجراب. كشف المعاني، ص١٦٨.

(٢) ي: ويُعقَد.

(٣) القفزان: جمع قفيز، وهو مكيال. والمعنى: أنه لا يكون عالماً بهذه الأعمال، ولا يصلح أن يكون حاكماً بين النّاس، إذ لا يكال المجد بالقفزان، كما لا يوزن العلم بميزان. كشف المعاني، ص١٦٨، ١٦٩.

(٤) ص: وينتج.

(٥) ي: الأسفاد. تحريف قبيح.

(٦) في س: ويقتات، وفي ي: وبعرات! ولا معنى لهما.

(٧) كلمة (النوم) ممحيّة في ي، ومكانها بياض.

(٨) هاتان الكلمتان ممحيتان في ي، ومكانهما بياض.

(٩) المراد بالتعليق: تقييد مسائل العلم بكتاب ونحوه. والتحقيق: إثبات الشيء بوجه حق، والعيش هو المعيشة، ويطلق على العمر، أي: ينفق من العمر.

(١٠) كلمة (الحيري) ممحية في ي، ومكانها بياض.

والكلْبُ أحْسَنُ حالةً — وهو[1] النِّهايةُ في الخَساسة

ممَّن تَصدَّر للرِّيا — سةِ قَبْلَ إبّانِ الرِّياسة

فوَلِي المَظالمَ وهو لا يعلَمُ أسْرارَها، وحَمَل الأمانةَ وهو لا يعرفُ مِقْدارَها. والأمانةُ عندَ الفاسِق خَفيفةُ المَحمَل على العاتق، تُشفِقُ منها الجبال، ويحمِلُها الجُهّال[2]؟ وقعَد مَقعدَ رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم بينَ كتابِ الله يُتلَى، وحديثِ رَسولِه يُروَى، وبينَ البيِّنةِ والدَّعوى ؛ فقبَّحهُ اللهُ من حاكمٍ لا شاهدَ أعدلُ عندَهُ[3] من السَّلّةِ والجام[4]،يُدلي بهما إلى الحُكّام[5]، ولا مُزَكِّيَ أصدَقُ لديه من الصُّفْر، ترقُصُ على الظُّفْر، ولا وثيقةَ أحبُّ إليه من غَمَزاتِ الخُصوم، على الكيس المختُوم، ولا وكيلَ أوقعُ بوِفاقِه من خَبيئة الذَّيْل، وحَمّال اللَّيل، ولا كفيلَ[6] أعزُّ عليه من المنديل والطَّبق، في وقتي الغَسَق والفَلَق، ولا حُكومةَ أبغَضُ إليه من حُكومة المجلس[7]، ولا خُصومةَ أوحشُ لَديهِ من خُصومة المُفلِس. ثم الويلُ للفقيرِ إذا ظُلِم، فما يُغنيه موقفُ الحُكْم، إلّا بالقَتْل[8] من الظُّلْم، ولا يُـجيرُهُ مجلسُ القَضاء، إلّا بالنّار من الرَّمْضاء.

---

(١) ي: وهي.

(٢) إشارة لقوله عز وجل في الآية ٧٢ من سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

(٣) ص: عنده أعدل.

(٤) السَّلّة والجام من الأوعية التي يُقدَّم فيها الطعام، وهما هنا كناية عن الرشوة.

(٥) إشارة إلى قوله تَعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ في الآية ١٨٨ من سورة البقرة.

(٦) ي: وكيل. سبق قلم.

(٧) المراد بحكومة المجلس: ما يحكم فيه بمحضر النّاس، فهو يتكلف به عدم الجور وهو يثقل عليه، وأحب إليه أن يحكم بلا حضور أحد، فلذلك كانت حكومة المجلس مبغوضة عنده. كشف المعاني، ص١٧١.

(٨) عبارة ي: الحِلم، إلا بالقيل.

وأُقسم، لو أنّ اليتيمَ وَقَع في أنيابِ الأسود، بل الحيّاتِ السُّود، لكانت سَلامتُهُ منهما أحْسنَ من سَلامتِه إذا وقَع بين غَياباتِ هذا القاضي وأقاربه.

وما ظنُّ القاضي بقومٍ يَحملونَ الأمانةَ على مُتونِهم، ويأْكُلونَ النّار في بُطونِهم، حتى تَغلُظَ قَصَرَاتُهم[1] من مالِ اليَتامى، وتسمَن أكْفالُهم من مالِ الأيامَى؟ وما ظنُّك بدارٍ عمارتُها خَرابُ الدُّور، وعُطْلةُ القُدُور، وخَلاءُ البُيوت، من الكُسوةِ والقُوت؟ وما قولُك في رجُلٍ يُعادي اللهَ في الفَلْس، ويَبيعُ الدِّينَ بالثّمن البَخْس؟ وفي حاكمٍ يَبرُزُ في ظاهر أهل السَّمْت، وباطنِ أصحابِ السَّبْت؛ فعلُهُ الظُّلْمُ البَحْت، وأكْلُهُ الحَرامُ السُّحْت؟ وما رأيك في سُوسٍ لا يقَعُ إلّا في صُوفِ الأيتام، وجرادٍ[2] لا يَسقُطُ إلّا على الزَّرْع[3] الحَرام، ولصٍّ لا يَنقُبُ إلّا خِزانةَ الأوقاف، وكُرديٍّ لا يُغِيرُ إلّا على الضِّعاف، وذئبٍ لا يفترسُ عِبادَ الله إلّا بينَ الرُّكوعِ والسُّجُود، ومُحاربٍ[4] لا يَنهَبُ مالَ الله إلّا بينَ[5] العُهود و[6]الشُّهود.

وما زلتُ أُبغِضُ حالَ القُضاةِ طَبْعاً وجِبلّة، حتى أبغضْتُهم ديناً ومِلّة، وألعَنُهم دُرْبة[7]، حتى لعَنْتُهم قُرْبة، بما شاهدتُ من هذا الحِيريِّ وقاسَيت، وعايَنْتُ من خَبْطِهِ[8] وخَطْبِه ما عايَنْت[9]، وسأسوقُ حديثي معه.

---

(١) أي: أعناقهم، جمع قصرة، بالتحريك. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٠١ (قصر).

(٢) ي: وجواد. تحريف قبيح.

(٣) ي: الزّرّاع.

(٤) ي: وجارب.

(٥) ي: من.

(٦) حرف العطف سقط في ي.

(٧) عبارة ي: والعنام زرّية، تحريف عجيب.

(٨) ي: من خطبته.

(٩) عبارة ي: ما عاينت.

إنّه – أصلحَهُ اللهُ – قد فتّش أعطافَ نَيسابُور، فما وجَد إلّا رأسي دُبَّةٍ، وإلّا لحيتي مِذَبَّةٍ، فجَنى لي على خَمسةِ آلافِ دِرْهَم أرقْتُ في كَسْبِها ماءَ العُمْر، وأخرجتُها من أنيابِ الخُطوب الحُمْر[1]، وخَمْسةِ أشهر من عُمْري كُلُّ يومٍ منها خَيرٌ من عُمْر شُرَيْح القاضي[2]، في أمر الباغ[3] المعروف بباغِ أسد، عَقَدَ لي إجارةً ثلاثَ سنين، واحتملتُ دَخْلَهُ أيّاماً قلائل، ثم لم يكنْ مَثَلي مَعَهُ إلّا مثلَ البخاريِّ الذي ضاعَ حمارُهُ وخَرج في طَلَبه، حتى عبر جَيْحونَ بسَببه، يطلُبُهُ في كلِّ مَنْهَلة، وينشُدُهُ في كلِّ مَرْحلة، وهو لا يجِدُهُ، حتى جاوزَ خُراسان، وانتهى إلى طَبَرِسْتان، وأتى العراق، وطافَ الأسواق، فلمّا لم يجِدْهُ وأيِسَ عاد وقد طالتْ أسفارُه، ولم يحصُلْ حِمارُه، حتى إذا حصَل في بلدِه، بينَ أهلِه ووَلَدِه، أحبَّ اللهُ أنْ يَلطُفَ له لُطفاً ليعتبرَ به، فنظرَ ذاتَ يومٍ إلى إصْطَبْله، فإذا[4] الحمارُ بسَرْجِهِ ولجامِه، وثَفَرِه[5] وحِزامِه، قائماً على المعلَفِ يُنَشِّش[6].

وأنا أيضاً ما زال يُردِّدُني[7] في هذا الباغِ بأمَلٍ يُرخيهِ ويشُدُّه، وطَمَعٍ يُرسِلُهُ

---

(١) الحمر: جمع أحمر، بمعنى الشديد. كشف المعاني، ص١٧٣.

(٢) هو شريح بن الحارث الكِنْدي، من كبار التابعين، استقضاه عمر على الكوفة، فأقام قاضياً ما يقارب خمساً وسبعين سنة. وكان أعلم النّاس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل وإصابة. توفي سنة ٧٨هـ عنه، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٠٠.

(٣) الباغ: البستان.

(٤) ي: وإذا.

(٥) الثفر، بالتحريك: هو سير في مؤخّر السرج يُجعل تحت ذنب الحصان. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٠٥ (ثفر).

(٦) تحرّفت هذه الكلمة في ي: (ليس) وما هنا من س، ص، ومعناها: يأكل بعجلة وسرعة، أو يسمع له صوت كالنشيش، وهو صوت الماء وغيره إذا غلا. كشف المعاني، ص١٧٥.

(٧) أي: يحيّرني. وتحرّفت هذه الكلمة في ي: ترددون.

ويمدُّه، حتى صار[1] الباغُ بأرضِهِ ومائه، وزَرْعِهِ وبِنائه[2]، في يدِ الهَمَذاني[3]. أليس[4] - أطالَ اللهُ بَقاءَ القاضي[5] - يُعامِلُ مِثْلي بمِثْلها إلّا سَخيٌّ أو سَخيف؟ أمّا السَّخيُّ فالذي يجعلُ حَرَمَهُ طُعْمة، ويُصيِّرُهُ في فمي لُقْمة. وأمّا السَّخيفُ فالذي لا يُبالي بما يَؤولُ إليه عُقْباه، ولا يُوجِعُهُ الصَّفْعُ على قَفاه، واللهُ المستعانُ، والقاضي الفاضلُ المُستجار، ولعنَ اللهُ الحِيريَّ ووَقْتاً قطَعْتُهُ بذِكْرِه، وقِرْطاساً دنَّسْتُهُ باسمِه، والحمدُ لله.

---

(١) فعل الصيرورة سقط في ي.

(٢) ي: ونباته.

(٣) يريد به نفسه.

(٤) ي: ليس.

(٥) كرّر ناسخ ي (ليس) بعد هذه الكلمة.

وكَتَب[1] - رَحِمه الله[2] - إلى بعض أهل هَمَذان

كتابي - أطال اللهُ بقاءَك - غُرّةَ شهرِ رَمَضان، عرَّفَنا اللهُ بركةَ[3] مُقدَّمِه، ويُمْنَ تَجشُّمِه، وخصَّك بتقصيرِ أيّامِه، وإتمام صيامِه وقيامِه، فهو وإنْ عظُمتْ بركتُه، ثقيلٌ حركتُه، وإنْ جَلَّ قَدْرُه، بعيدٌ قَعْرُه[4]، وإنْ عَمَّتْ رأفتُه، طويلٌ مسافتُه، وإنْ حسُنتْ قُرْبتُه، شديدٌ صُحْبتُه، وإنْ كبُرتْ حُرْمتُه، كبيرٌ حشْمتُه، وإنْ سَرَّنا مُبتداه، فلن يَسُوءَنا مُنتهاه، وإنْ حَسُنَ وَجْهُه، فلن يقبُحَ قَفاه، وما أحْسَنَهُ في القَذال، وأشبَهَ إدبارَهُ بالإقبال، جعَلَ اللهُ قُدومَهُ سببَ تَرْحالِه، وبَدْرَهُ فِداءَ هِلالِه، وأمَرَ فَلَكه تحريكاً[5]، لتنقضي مُدَّتُهُ وشيكاً، وأظْهَرَ هلاله نحيفاً، ليُزَفَّ إلى اللّذّاتِ زَفيفاً، وعَفا اللهُ عن مَزْحٍ[6] يَكْرهُه، ومُجونٍ يُسخِطُه.

وَرَد كتابُك،

فـأيُّ سرُورٍ لم يَـرِدْ بـوُرودِهِ ... وأيُّ حُبورٍ لم أجِـدْ بِوُجـودِهِ

وسرَّني تَزايُدُ بيانِك، كما ساءَني البُعْدُ عن عِيانِك، وأبهجني كتابُك، كما أزعجني عِتابُك، ولستُ أملِكُ مُقابلةً لك على ما تُوليهِ من جميلٍ في حِفْظِ تلك المعايِشِ وصيانتِها أكْثرَ من تقلُّد[7] المِنَّة، وأحْسَنَ من إذاعةِ الشُّكْر، والسَّلام.

---

(١) ص: وله.

(٢) الترحُّم ساقط في ص، ي.

(٣) في ي: بركاته: بركة.

(٤) سبق قلم ناسخ ي، فكتب خطأ: قدره. مرة أخرى.

(٥) في ي: تحرّكاً، وهي لا تطابق السجعة.

(٦) ي: فرح. تحريف.

(٧) ص: تقليد.

وله، إلى رئيس هَراة عدنان بن مُحمّد

جوابَ كتابِه[١]

كتابي - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ - من نَيْسابُور وقد تمطّتْ عليّ بصُلبِها، وضاقتْ عليّ برُحْبها، شوقاً إليه، عن سَلامةٍ وَرَدتُّها بحضْرتِه، لسَبْعٍ بَقِينَ من شهر رَمَضان، أراني اللهُ قَفاه، فما أحْسَنَهُ وأسمنَهُ[٢]، والحمدُ لله.

وقد وَرَد كتابُ الرّئيس، فأتَتْ وُرودُ النِّعَم تَتْرَى إليَّ، ومَثُلتْ لَدَيَّ وبينَ يدَيَّ، ووجدتُّ الشّيخ قد أخذ مكارمَ نفسِه، فجعَلَها[٣] قِلادةَ غَرْسِه، وتتبّع المحاسنَ من عندِه، فحلّى بها نَحْرَ عَبْدِه، وما أشْبهَ رائعَ حُلِيِّه، في نَحْر وَليِّه، بالغُرَّةِ اللّائحة، على الدُّهْمةِ الكالحة[٤]، لا واخَذَ اللهُ الشّيخ بوَصْفٍ نَزَعهُ عن عِرْضِه، وزرَعهُ في غيرِ أرْضه، ونَعْتٍ سَنَحه[٥] من خَلْقِهِ وخُلُقِه[٦]، فأهداهُ إلى غير مُستَحقِّه، وفضْلٍ استفادَهُ[٧] من فَرْعِهِ وأصلِه، وأوصَلَهُ إلى غيرِ أهلِه.

ذكَرَ حديثَ[٨] الشّوق، ولو كان الأمرُ بالزِّيـارة حَتْماً، أو الإذنُ أُطلِـقَ[٩] جَزْمـاً،

---

(١) العنوان في ص: وله جوابَ كتاب رئيس هَراة عدنان بن مُحمّد.

(٢) القفا معلوم، والمراد به آخر الشهر، وكنى بسمنه عن ثقلِه عليه، وبحسنه لأنه يستحسن ذهابه وآخره. كشف المعاني، ص١٧٧.

(٣) ي: فجعله.

(٤) الكالحة: هي المتكشرة بعبوس، والمراد بها القبيحة. والدهمة بالضم: السواد، واللائحة: الظاهرة. كشف المعاني، ص١٨٧.

(٥) ص، ي: سلخه. وكلتا النسختين تحريف.

(٦) الضبط من س.

(٧) ي: استفاد.

(٨) هذه الكلمة ليست في س.

(٩) تحرّفت هذه اللفظة في ي: الحلق.

لكان آخرُ نظري في الكتاب، أوّلَ نَظري إلى الرِّكاب، ولاستعَنْتُ على كُلَفِ السَّيْر، بأجنحةِ الطَّيْر، لكنّه - أدامَ اللهُ عِزَّه - صَرَفَني بينَ يدٍ[1] سريعةِ النَّبْذ، ورِجْلٍ وَشيكةِ الأخْذ[2]، وأراني زُهْداً في ابتغاء، كحَسْوٍ في ارتغاء[3]، ونزاعاً في[4] نُزوع، كذهابٍ في رُجوع، ورَغْبةً فيَّ كرغبةٍ عنّي، وكَلاماً عن[5] الغلاف، كالضّرب تحْتَ اللِّحاف[6]، فلم أصرِّحْ بالإجابة، وقد عرَّض بالدُّعاء، ولم أُعْلِن بالزِّيارةِ وقد أسَرَّ بالنداء. ولِمَ لم يَدْعُني بلسانِ المحاجاة، ولم يُجاهِرْني بفَم المناجاة ؟ ولو فَعَلَ[7] لكنتُ إليهِ، أسْرَعَ من الكَرَمِ إلى طَرَفَيْه.

وفكَّرتُ في مُرادِ الرّئيس، فوجَدتهُ لا يَتعدَّى الكَرَمَ بسببٍ تارةً، والفَضْلَ تارةً، فإذا كان الأمرُ كذلك فما أولاهُ، بتَرفيهِ مَوْلاهُ، عن زَفْرةٍ صاعدة، بسَفْرةٍ باعدة، ونكباءَ جاهدة، في شَتْوةٍ باردة.

فليَستفتحْ كُلٌّ منّا[8] إلى صاحبه بما عِنْدَه، فأَبْعَثَ[9] بما عِنْدي، وهو المِدْحة،

---

(١) ي: يدي، تحريف فاسد.

(٢) ص، ي: وشيكة للأخذ.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «كحسو في ارتغاء، أصله المثل المشهور: يُسِرّ حسواً في ارتغاء، يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره». وانظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤١٧.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «النزاع: مصدر نزع إليه ينزع نزاعاً، أي: اشتاق إليه ومال بقلبه، وناقة نازع: إذا حنّت إلى وطنها ومرعاها. والنزوع: مصدر نزع عن الأمر نزوعاً: أقلع وانتهى وكفّ عنه».

(٥) ص، ي: في.

(٦) اللحاف معلوم، والضرب تحتهُ: كناية عن إيصال الألم مع حاجز لا يمنع منه؛ لأن اللحاف لا يمنع من وصول أثر الضرب إلى البدن، أو يريد بالضرب تحت اللحاف معنىً آخر. كشف المعاني، ص١٧٨.

(٧) (ولو فعل) أسقطه ناسخ ي، وهو لازم.

(٨) ي: منها.

(٩) ي: فأبعثها.

ليَبعَثَ بما عندَهُ، وهو المِنحة. وها[1] هو قد أَوْرَدْتُ سِلْعتي، فلْيُصْدِرْ خِلْعَتَهُ، وقد أنفذتُ، وإذا أنفَذَ أخَذْتُ.

ويا سُبْحان الله، ما أكْثَر الكُدْيَة[2] في هذا الفَضْل، وقد صَدَر مَصدَرَ الهَزْل، فلا يُشغِل الشَّيخ قَلْبَهُ بشيءٍ منه، فإنّي[3] صَنيعتُهُ وَصَل أم[4] قَطَع، وغُلامُهُ أعطى أو مَنَع.

وأبو فُلان قد أجبتُ عن كُتُبِه، فلمَ يقذَعُنا[5] بعَتْبِه؟ وأزلجتُ[6] العِلَّةَ في جَوابِه، فلمَ يَحرُقُنا بنابِه[7]؟ أنا أستعفيهِ من سُخْطه، كما استجَرْتُهُ من شَطَطِه، وأسألُهُ الدَّوام على على مَعهود وِصالِه، كما أمنَعُهُ الخروجَ عن محمودِ خِصالِه، وأشكُرُهُ على ما آتى، كما أشكُرُهُ على ما بَقّى[8]. وقد زاد في أمْرِ المُخاطبة، وما أحسنَ الاعتدال. وقد كفانا نِيَّةَ الأُستاذ، وأسألُهُ أنْ لا يَزيد وقد بدأ، ويجبُ أن لا يُعيد، فلا تَنفَعُ كثرةُ العَدّ، مع قِلَّةِ المعدود، والزِّيادةُ في الحدّ، نُقصانٌ من المحدود، ورُبَّ ربحٍ أدّى إلى خُسْران، وزيادةٍ أفضتْ إلى نُقْصان.

ورأيُ الشّيخ في تشريفِه بجَوابِه مُوَفَّقٌ إنْ شاء الله.

---

(١) حرف التنبيه (ها) سقط في ي.

(٢) ص: الكداية.

(٣) ي: فأيّ.

(٤) ي: أمر.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «فلمَ يقذعنا، بالقاف والذال المعجمة، من القذع، وهو الشتم والرمي بالفحش، يقال: قذعته وأقذعته: إذا رميته بالفحش وشتمته، وقذعه بالعصا: ضربه بها».

(٦) (يقذعنا... وأزلجت) تحرّف في ي: تعد عنا نعتبه وارتجت.

(٧) يحرق نابَهُ، أي: يشد عليه ويسحقهُ حتى يُسمع له صريف، وهو كناية عن توعّده. كشف المعاني، ص١٨٠. وبابه: (نصر وضرب).

(٨) ي: نفى.

وكَتَب – سامحه الله – إلى بعض أصحابه[١]

وَرَد – يا سيِّدي – فُلان، وهو عَيْنُ بلْدتِنا وإنسانُها، وقَلْبُها ولسانُها، فأظهرَ آياتِ فَضْلِه، لا جَرَم أنّه وَصَل إلى الصَّميم، من الإيجاب الكريم، وهو الآنَ مُقيمٌ بينَ رَوْحٍ وريْحانٍ وجَنَّةِ نَعيم، تحيّتُه فيها سَلامٌ، وآخِرُ دَعْواهُ ذِكْرُكَ يا سيِّدي وشُكْرُكَ[٢]، وأحسَنَ الثَّناءَ[٣] عليك بما أنت أهلُه، وأنا أصدِّقُ دَعْواه، وأفتخرُ بمَجْلسك افتخارَ الخَصِيِّ بمَتاعِ مَوْلاه.

وقد عرَفْتَ فُلاناً ولَسَنَه[٤]، وكيف يَجُرُّ في الخَطابة رَسَنَه[٥]، فما ظنُّك به وقد ملَكَتْهُ المحاسن، ولحظَتْهُ العيون، وسَلَّ صارماً من فيه، يُعيدُ شُكْرَك ويُبديه، ويَنْشُرُ ذِكْرَك ويَطْويه[٦]، والجماعةُ تُمدَحُ بمدحِه، وتُجْرَحُ بجَرحِه؟ فرأيُك فيَّ بحفْظِ أخلاقِكَ التي أثمرَتْ هذا الشُّكْر، وأنتجتْ هذه المآثرَ الغُرَّ، مُوفَّقاً إن شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) العنوان في ص، ي كلمتان هما: وله أيضاً.

(٢) تأثرٌ من أبي الفضل بأسلوب القرآن الكريم، وهي مغالاة، فقد نَسَق هذه الكلمات الثلاث على نسق آي القرآن، فقوله: «مقيمٌ بين روح وريحان وجنة نعيم» نسقٌ على قوله تَعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، الآية ٨٩ من سورة الواقعة. وقوله: «تحيته فيها سلام وآخر دعواه ذكرك...» نسقٌ على قوله تَعالى: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ في الآية ١٠ من سورة يونس.

(٣) ي: إلينا.

(٤) ي: وأسنه.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الرسن للدابة: كاللجام للفرس».

(٦) ي: فيطويه.

وكَتَب[1] إلى الرّئيس أبي جعفرٍ الـمِيكاليّ[2]

الشّيخُ تَمَلَّكَ من قَلْبي مَكاناً فارغاً، فنَزَلَهُ[3] غيرَ مَنْزِلِ قَلْعِه[4]، ومن مَوَدّتي[5] ثوباً سابغاً، فلبِسَهُ غيرَ لِبْسَةِ خَلْعِه، ومَن نَصَب تلك الشّمائل شَبكاً، وأرسَلَ تلكَ الأخلاقَ شَرَكاً، قَنَصَ الأحرارَ واستحقَّهم، وصادَ[6] الإخوانَ واسترقّهم.

وبالله، ما يُغْبَنُ إلّا مَن اشترَى عَبْداً، وهو يَجِدُ حُرّاً بأرْخَصَ من العَبْد ثمناً، وأقلَّ من البيْع غُبْناً[7]، ثم لا يَنْتَهِزُ فرصة امتلاكِه، ولا يَهْتَبِلُ[8] جِدَّةَ حَوزِه.

وأنا أُنِمُّ[9] للشّيْخ على مَكْرُمةٍ يتيمة، وسَعْي ذي شامةٍ وشيمة. فلْيعتزِلْ من الرأي ما كان بَهِيماً، ولْيُطلقْ من النَّشاط ما كان عَقِيماً، ولْيَحْلُلْ حَبْوَةَ التّقصير، ولْيجتنبْ جانبَ التأخير، ولْيَفْتَضَّ عُذْرَتَها، ولْيقضِ حَجّتَها وعُمْرتَها، برأيٍ يجذِبُ المجدُ باعَه، ويعْمُرُ النَّشاطُ رِباعَه.

وتلك حاجةُ سيِّدي أبي فُلان، فقد[10] وَرَد من الشّيخ بَحْراً، وعقَدَ منه

---

(١) ص، ي: وله أيضاً، كتبها.

(٢) تقدّم التعريف به في ص٧٧.

(٣) ي: منزله.

(٤) قلعه، وخلعه الآتية، ضبط س.

(٥) ي: مرويّ.

(٦) ي: وصار، مجوّدة.

(٧) ي: عنباً، مجوّدة.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «يهتبل: من الاهتبال، وهو الاغتنام». وقوله بعده: جدّة حوزه.

(٩) النمّ هنا بمعنى الحفظ والإبقاء، ويتكرر استعمال أبي الفضل هذا الفعل - بهذا المعنى - في الصفحة الآتية.

(١٠) ي: قعد.

جِسْراً[1]، وما عَسُر وَعْدٌ، وهو مُنْتَجِزُه[2]، ولا بَعُدَ أمرٌ وهو مُنْتَهِزُه، ولا ضاعت نعمةٌ أنا بَرِيدُ ذِكْرِها، وضامِنُ شُكْرِها، وعَرِيمُ نَشْرِها، ووَلِيُّ أمرِها، وهذا الفاضلُ قَرارةُ بِنائها، ومَثابةُ أدائها؛ فقد شاهدتُ من ظَرْفِه، ما أعجزُ عن وَصْفِه، وعرَفْتُ من باطِنِه، ما لم يُزْرِ[3] بظاهِرِه، ورأيتُ من أوَّلِه، ما نَمَّ على آخرِه، ثم له البَيْتُ المرموق، والنَّسَبُ الملحوق، والأَوَّلِيَّةُ القديمة، والشِّيَمُ الكريمة، وقد جَمَعنا[4] في الوُدِّ خُلْقُه[5]، ونظَمَنا في السَّفَرِ رِفْقُه، وعرَّفَني ما نَهَضَ له وفيه، فضَمِنْتُ عن الشّيخ كرَماً لا يُغْلَقُ بابُه، وغَيْثاً لا يُخْلِفُ سَحابُه. وبَقِيَ أنْ يُخْرِجني الشّيخ عن عُهْدةِ الثِّقةِ زادَها[6] اللهُ تأكُداً. فإنْ رأى أنْ أسألَ الشّيخ في معناه، عرَّفَني كيفَ المأْتَى له، وإنّما أطلُبُ لِيَعْلَمَ صِدْقَ اهتمامي وفَرْطَ تقلُّدي إليه.

---

(١) اختار ناسخ س كسر الجيم، وهو ما أثبتناه، والفتح جائز أيضاً.

(٢) ي: مشجّره.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «يرز: من الإزراء، وهو النقص أو العيب».

(٤) ي: جمعتنا.

(٥) ي: حلقة.

(٦) ص: زاده.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ أبي إسحاق إبراهيم بن حمزة

لو كانتِ الدُّنيا - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ - على مُرادي، لاخترتُ أنْ أضرِبَ على هذه الحضْرةِ[2] أطنابَ عُمْري، وأُنفِق على هذه الخِدْمةِ[3] أيّامَ دهْري، لكِنْ[4] في أولادِ الزِّنا كَثْرة، ولِعَيْن الزَّمان نَظْرة.

وقد كنتُ خَطَبْتُ من خِدْمةِ الشّيخ شِرْعةً[5] قد نَغَّصَها عليَّ بعضُ الوُشاة، وذَكَر أنّي أقمتُ بطُوس بعدَ استئذاني إلى مَرْو، وفي هذا ما يَعْلَمُهُ الشّيخ. فإنْ رأى أنْ يُحْسِنَ تجهيزِي في هذهِ الرُّقْعة بكتابٍ يُطرِّزُ به مَقْدَمي، فَعَل إنْ شاءَ الله.

---

(١) مكان هذه الكلمة في ص، ي: وله.

(٢) مكان العبارة (مرادي... الحضرة) في ي: موادي لأسرت أن أقرب مهذه الحصن.

(٣) تحرّفت هذه الكلمة في ي: الخصومة.

(٤) تحرّفت هذه الكلمة في ي: أنحن.

(٥) ي: بشرعة.

وكَتَب إليه أيضاً رُقْعة[1]

خادمُ الشّيخ قد أتْبع في الخدْمة قَلمَه، وأتْلَى لِسانَهُ في الحاجةِ بَنانَه.

وقد كان استأذَنَهُ في توفيرِ هذا اليوم على مجلس السَّيِّد، فأذِن على عادتِه الكريمة، وشيمتِهِ اليتيمة، ومَن وَجَد كلأً رَتَع، ومَن صادَف غيثاً انتجَع، ومَن أُجيب إلى الحاجات سَأل.

وبقي أنْ يشفعَ الشّيخ بإزاء الحوض عَفرَه[2]، وينظم إلى رَوْض الإحسان مَطرَه، ويُطرِّزَ أُنسَنا بالشّيخ أبي فُلان، فقد وُصِفَ حتى خُبِلتُ[3] شوقاً إليه، ووَجْداً به، وشَغَفاً له، وغُلوّاً فيه، ورأْيُهُ في الإصغاءِ إلى الكَرمِ عالٍ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) العنوان في ص: وله إليه أيضاً. وفي ي: رقعة له إليه أيضاً.

(٢) العَفْر والعَفَر، بالتحريك: ظاهر التراب. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٨٣ (عفر).

(٣) الخَبَل: جنون أو شبهه في القلب، ويقال: بـه خَبـال أي مَسّ، فهـو مخبَّـل. ابـن منظـور، لسـان العرب، ج١١، ص١٩٨ (خبل).

وله جواباً[1] عمّا كُتِبَ إليه تهنئةً عن مَرَض أبي بكرٍ الخوارِزْميّ

الحُرُّ - أطالَ اللهُ بَقاءَك - لا سِيَّما إذا عرَفَ الدّهرَ معرفتي، ووَصَفَ أحوالَهُ صِفتي، إذا نظَر عَلِم أنّ نِعمَ الدَّهرِ ما دامتْ مَعدومةً فهي أمانيّ، فإذا وُجِدت فهي عَواري، وأنّ مِحَنَ الزَّمان وإنْ مَطَلَتْ فستنفذ[2]، وإنْ لم تُصِبْ فكأنْ قد[3]. فكيفَ يَشمَتُ بالمِحْنةِ مَن لا يأمَنُها في نَفْسِه، ولا يَعْدَمُها في جِنْسِه؟ والشّامتُ إنْ أفلتَ[4] فليس يفوت، وإنْ لم يَمُتْ فسيموت. وما أقبحَ الشّماتة بمَن أمِن الإماتة، فكيفَ بمَن يَتوقَّعُها بعدَ كُلِّ لحظة، وعَقِبَ كلِّ لفظة ؟!

والدّهرُ غَرْثانُ[5] طَعْمُهُ الأخيار[6]، وظمْآنٌ شِربُهُ الأحرار، فهل يَشْمَتُ المرء بأنيابِ آكِله، أم يُسَرُّ العاقل بسلاح قاتِله؟

وهذا الفاضلُ - شَفاهُ الله - وإنْ ظاهَرَنا[7] بالعَداوة قليلاً، فقد باطنّاهُ وُدّاً جميلاً، والحُرُّ عندَ الحميَّةِ لا يَصطاد، ولكنّه عندَ الكَرَم يَنقاد، وعندَ الشدائدِ تذهَبُ الأحقاد.

فلا تَتَصوّرْ حالي إلّا بصُورتِها من التَّوجُّع لعلَّتِه، والتّحزُّنِ لمَرْضتِه، وَقاهُ اللهُ المكروه، ووَقاني سَماعَ السُّوء فيه، بحَوْلِه ولُطْفِه[8].

---

(١) ص، ي: جواب، والنصب أولى، مفعول له.

(٢) في النسخ: فستنفد، بالدال. والأصح ما أثبتناه، على الرغم من عدم اتّساق الذال مع الدال في (قد) اللاحقة وتعارضه في السَّجْع الذي اتبعه الهمذاني.

(٣) فكأن قد، أي: كأنها قد أصابت، فاكتفى بحذفِه للدلالة على الفعل، كما هو معلوم عند النحويين.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «أفلت الشيء وتفلّت وانفلت، أي: تخلّص من يدك فجأة، وأفلته غيره».

(٥) الغرثان هو الجائع. أي: الدهر جائع وأكله أشراف النّاس، وهو معنى قوله: (وطعمه الأخيار).

(٦) ي: الخيار.

(٧) س، ص: ظاهر، والمثبت من ي، وهو أحسن للياقته قوله الآتي: باطناه.

(٨) (بحوله ولطفه) ساقط في س.

وله رُقْعةٌ كَتَبها[1] إلى الشّيخ أبي عليّ[2]

سُوء الأدَب من سُكْر النَّدب، وسُكْرُ الغَضَبِ من الكبائر التي تَنالُها المغفرة، وتَسَعُها المعذرة.

وقد جرَى بحَضرة الشّيخ ما جرى، فقد[3] أفنيتُ يدي عَضّاً، وأسناني[4] رَضّاً، وإنْ لم أُوفِ ما جَرَى، فالعُذرُ أمَدُّ[5] حَظّاً، فإنْ كان بِساطاً وطُوِي، وحديثاً لا يُرْوَى، فأولى مَن عَذَر اللاّعب، وأحرَى مَن غَفَر الصّاحب، وإنْ كان مَيْتاً يُنشَر، وسَبباً يُذكَر، فلْيَكُن العِقابُ[6] ما كان، إذا لم يكن الهِجْران.

على أنِّي قد أخذتُ قِسْطي من العِقاب، واستَفَدتُ من رَدِّ الجَواب ما كَفَى، وأوْجعَ القَفا، فكان من مُوجِبِ أدَبِ الخِدْمة، إبقاءُ الحِشْمة، لوَليِّ النِّعْمة، باحتمال الشَّتْم، والإغضاءِ عن الخَصْم، لكنّي احتَفَّتْ بي ثلاثةُ أحوالٍ لا يَصلُحُ صاحبُها، منها: اللَّعبُ وسُكْرُه، والخَصْمُ وهُجْرُه، والإدلالُ والثِّقة، وهُنَّ اللّواتي حَمَلْنَني على ماءِ الوجْهِ أهرقتُه، وحِجابِ الحِشْمةِ خَرَّقْتُه.

وقد مَنَعَني الآنَ فَرْطُ الحياء، من وَشْك اللِّقاء. وعَهْدي بوَجْهي وهو أصفقُ من العَدَم الذي حَملني على جَهلِه، وأوقحُ من الدّهرِ الذي أحوَجَني إلى أهله، لكنَّ النِّعمَ إذا تَوالتْ على وَجْهٍ رَقَّقتْ قِشْرتَه، وألانتْ بَشَرتَه، وأنا مُنتظِرٌ من الجوابِ ما يَريشُ جَناحي[7] إلى خِدْمته. فإنْ رأى أنْ يكتُبَ فعَلَ إنْ شاءَ الله.

---

(١) (رقعة كتبها) ساقط في س.

(٢) لعلّه مسكويه، المؤرخ المعروف، وقد تقدّمت له رسالة أخرى من الهمذاني إليه في ص١٥٩.

(٣) ي: وقد.

(٤) ي: وإنساني.

(٥) تحرّفت هذه الكلمة والتي قبلها في ي: الذر أمه.

(٦) (وأحرى... العقاب) ساقط في ي.

(٧) راش الجناح: جعل له ريشاً، وهو كناية عن الإحسان إليه والتعطف عليه.

وله

- عَفا اللهُ تَعالى عنهُ[١] - أخرى[٢]

ما أَحْوَجَني من الشّيخ إلى تفضُّلٍ يُطلِقُ عن وِثاقي، وإنْ آذَنْتُهُ بفراقي، وما ذاك رِضاً منه[٣]، ولكنَّ استزادةً من نَيسابُور قد أطارتْ نَوْمي، وأطالت يَوْمي. فلْيتفضَّل الشّيخ بكتابٍ إلى الأميرِ إنْ لم يتَّسع وقتُهُ لغيرِه، وليجعلْهُ نَقْداً، لا يَضرِبُ له وعْداً، فقد انتهتْ نُهْيَةُ[٤] المقام، وقد[٥] أحال الشّيخُ الأمرَ عليه، ومتى أخَّرهُ احتَجْتُ إلى الخُروج من غَيْر استصحابِه، ثم أرى ذلك[٦] مَن كتَبْتُ له.

وأما الرَّشا[٧] الذي ذكَرَهُ فقد شَغَلَ هذا المهمُّ عنه، وأنا أنتظرُ تفضُّلَهُ في هذه السّاعة، فليس يحتملُ الوقتُ المطْل.

---

(١) الدعاء بالعفو في س فقط.

(٢) قوله: أخرى، سقط في س.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: مني».

(٤) النهية بالضم: الاسم من النهي. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٣٤٤ (نهى).

(٥) ص، ي: فقد.

(٦) ي: ذاك.

(٧) الرشا: يحتمل أن يكون بفتح الراء، وهو الغزال، ويعني به الغلام الجميل، فكأنه سألهُ عنهُ، فلذلك أجابهُ بأن هذا المهم شغله عنه. ويحتمل أن يكون بكسر الراء والمدّ، بمعنى: الحبل، ويراد به السبب، فكأنه سأله عن سبب شيء بينهما. كشف المعاني، ص١٩٠.

وله - تغمّده اللهُ برحمته[1] - إلى الشّيخ العَميد

أينَ تكرُّمُ الشّيخ العَميد على مَوْلاه ؟[2] وكيف مَعْدَلَةٌ إلى سِواه؟ أيَقصُرُ في النِّعْمة، لأنّي قصّرتُ في الخِدْمة ؟ إذاً قد أسأتُ المعاملة[3]، ولم تُحسِن المقابلة. وعثَرتُ في أذيالِ السَّهْو، ولم تُنعِش بيد العَفْو. أم تقولُ: إنّ الدّهرَ بيننا خُدَع، وفيما بعدُ مُتَّسع، فقد أزِفَ رَحيلي ولا ماءَ بعدَ الشَّطّ، ولا سَطْحَ وراءَ الخَطّ[4]؟ أم يتنظر سُؤالي؟ وإنّما سألتُهُ يومَ أمّلْتُه، واستمحتُهُ حينَ مدَحتُه، واقتضيتُه وقتَ أتيتُه، وانتجعتُ سَحابَه، لما أتيتُ بابَه، وليس كلُّ السّؤال أعطِني، ولا كُلُّ الرَّدِّ أعفني. أم يظُنُّ أنّي أرُدُّ صِلتَه، ولا ألبَسُ خِلْعته؟ وهذه فِراسةُ المؤمنِ إلّا أنّها باطلة، ومخيلةُ العارفِ إلّا أنّها فاسِدة. أم ليس يجِدُني مكاناً للنِّعمة يَضعُها، وأرْضاً للمِنَّة يَزرَعُها ؟ فلا أقلَّ من تجربةِ دَفْعه، والمُخاطرةِ بإنفاذِ خِلَعه، ليَخرُجَ من ظُلمةِ التَّخْمين، إلى نُورِ اليقين، ولينظُر أأشكُر أم أكْفر[5]، أم يتوقّع صاعقةً تمِلكُني، أو داهيةً[6] تُهلِكُني ؟ فهذا أملٌ مُوفَّر؛ لأنّ شيخَ السُّوءِ باقٍ مُعمَّر. أم يُقدِّرُ أني أشكُرُهُ إذا اصطنَع، وأعذِرُهُ إذا منَع ؟

---

(١) الدعاء بين الشرطتين ساقط في ص، ي.

(٢) عبارة ي: العميدي مولاه؟

(٣) ي: المقابلة. سبق قلم.

(٤) الخط هو: الطريق المستطيلة، وسيف البحرين، ومرفأ السفن بالبحرين، وإليه نُسبت الرماح لأنها تباع به. كشف المعاني، ص١٩٠.

(٥) نسق من أبي الفضل على قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ سورة النمل، من الآية ٤٠.

(٦) مكان هذه الكلمة في ي: أديمة أو دامية.

وبالله، لو كنتُ يَنْبُوع المَعاذير ما حَظِي منّي بجُرْعة[1]، فلْيُرِخْني[2] بسُرْعة، أم يرجُو أنّي أمْهِلُهُ حتى أعودَ من هَراة، والشّيطانُ أعقلُ من أنْ يُوَسْوِس إليه بهذا، أو يُسوِّلَ لَدَيَّ ذلك. وأنا إلى الشّيخ العَميد وَرَدتُّ، وعن هؤلاءِ القوم صَدَرْتُ، وقد فعَلُوا فوقَ مِقدارهم ودونَ ما قدَرت، فلْيُصْحِبْني من الفعلِ تَذْكرة[3]، أو من القولِ مَعذرة، ولْيَصْرِفْ عليّ أمرَهُ ونَهْيَه بهَراة، يُشرِّفْني بها إنْ شاء الله.

---

(١) يقصد أنه لا يعذره أبداً.

(٢) ص: فليرجني.

(٣) ي: بذكره.

وله في شأن شخصٍ ولِـيَ الإشراف[1]

فَهِمْتُ رُقعتَك، وسُرِرتُ بسَلامتِك، وفَهِمْتُ ما ذكَرتَهُ من أمر فُلان، أعني الإشرافَ، وأنّه وإنْ يَصدُق الظَّنُّ يكُنْ إشرافاً على الهَلاك بيدِ الأتراك[2]، فلا يَحْزُنْك، فالحبْلُ لا يُبرَمُ إلّا للفتّل، ولا تُعجبَنَّك[3] خِلعتُه، فالثّوْرُ لا يُزيَّنُ إلّا للقتْل، ولا يَرُعْكَ نَفاقُهُ، فأرخصُ ما يكونُ النِّفطُ إذا غَلا، وأسفلُ ما يكونُ الأرنبُ إذا علا. وكأنك به وقد شُنَّ عليه جِرانُ العَوْد، شنَّ المطر الجَوْد[4]، وقيدَ له مركَبُ الفُجّار، من مربَط النّجار. وإنّما جُرَّ له الحبْلُ ليُصفَعَ كما صُفِع من قبلُ، وستعودُ تلك الحالةُ إحالة، وتنقلبُ تلك الحبلُ[5] حبالة.

فلا تحسدِ الذئبَ على الأليةِ يُعطاها طُعْمة، ولا تحسبِ الحبّ يُنثَرُ للعُصفورِ نِعْمة. وهَبْهُ وَلِيَ إمارةَ ما بينَ البَحْرَين، أليس مرجعَه ذلك العَقْل؟ ومَصيرَهُ ذلك الفَضْل؟ ومَنصِبَهُ ذلك الأصْل؟ وعُصارتَهُ ذلك النَّسْل، وقَعِيدَتَهُ تلك الأهلُ؟ وقولَه ذلك القول، وفعلَه ذلك الفعل؟ وكان ماذا؟ أليس ما سُلِب أكثرَ ممّا أُعطي، وما حُرِم أفضلَ ممّا أُوتي، وما عَدِم أوفرَ ممّا غَنِم؟

---

(١) العنوان في ص، ي: وله في رجل ولي الإشراف. ويعني بالإشراف: الإشراف على عملٍ ما أو خطّةٍ ما، لكنه لم يصرّح بذلك.

(٢) ي: الإنزال. تحريف.

(٣) ي: يعجبنك.

(٤) الجود بالفتح: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه؛ جمع جائد. والعود بالفتح أيضاً: المسنّ من الإبل والشّاء. وجِران العود: شاعر عربي اسمُه عامر بن الحارث، ولقب به لقوله يخاطب امرأته:

خذا حَذَراً يا جارتيَّ فإنّني | رأيتُ جرانَ العَوْد قد كاد يَصلحُ

يعني أنه كان اتخذ من جلد العود سوطاً ليضرب به نساءه، فلعل أبا الفضل يشير إليه. كشف المعاني، ص١٩٣.

(٥) ي: الجناب.

ما لكَ تَنظُرُ إلى ظاهِرِهِ وتَعْمَى عن باطنه؟ أكان يُعجبُك أنْ تكونَ قَعيدتُهُ في بَيتِك، وبَغْلَتُهُ من تَحتِكَ؟ أم كان يَسُرُّك أنْ تكونَ أخلاقُهُ في إهابك، وبَوّابُهُ على بابك؟ أم كنتَ تَوَدُّ أنْ تكون وَجْعاؤُهُ في إزارِكِ، وغِلْمانُهُ في دارِك؟ أم كنتَ تَرضَى أنْ تكونَ في مَربَطِك أفراسُه، وعليكَ لِباسُه، وراسُكَ راسُه؟ جُعلتُ فِداك، ما عندَك خَيْرٌ مِمّا عنده، فأشكُرِ اللهَ وحدَه على ما آتاك:

إنّ الغَنِــيَّ هُــو الــرّاضي بِقِســمتِهِ ... لا مَن يَظَلُّ على ما فـاتَ مُكتئبـا[1]

---

(١) أورده البستي في روضة العقلاء، قائلاً: أنشدني محمّد بن عبد الله بن زنجي البغدادي. ص١٣١.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ الإمام أبي الطَّيِّب سَهْل بن مُحمّد[2] من سَرَخْس[3]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاء الشّيخ - من سَرَخْس وأنا سالمٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وقد كان الشّيخ يَعدُني عن هذه الحَضْرةِ عِداتٍ أُشمُّ لها الأنْفَ لا ذَهاباً بتلك الفواضلِ عنها، لكن استحالةً مِن هذا الزّمان أنْ يَجودَ بها، فحينَ أشرَفْتُ على الحَضْرةِ ماجَتْ عليَّ أمواجُ الشَّرَفِ منها، وخَلَصَ إليّ نسيمُ الكَرم عنها، وتُلُقِّيتُ على رَسْم الإجلالِ بمركُوبِ[4] عزٍّ[5] شامخ، ومَوْكبِ[6] ذَهَبٍ سابغ[7]، وحُسْنِ شَرَفٍ رائد، وسرتُ على اسم الله مَحفوفاً بأعيانِ الكتائب، وعُيون الرجال، حتى شافَهتُ بِساطَ العزّ، مُستقبَلاً بملك الشّرْق، فجذَب بضَبْعي[8] عن أرض الخِدْمة، إلى جِوارِ وليِّ النِّعْمة، فاهتزَّ اهتزازاً فاتَ سِمةَ الكرام، وتَجاوزَ اسم الإعظام، إلى القيام، فقبّلْتُ من

---

(١) في ص بدلاً منها: وله.

(٢) الصُّعْلوكي، وقد تقدّم التعريف به في ص٤٤.

(٣) (من سرخس) تحرّفت في ي: بن سرجس، ويكتب ناسخ ي خاء (سرخس) جيماً أينما وقعت. وسَرَخْس مدينة كبيرة من نواحي خراسان، بين نيسابور ومرو. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٤) ي: بموكب.

(٥) ساقطة في س.

(٦) ي: ومركب.

(٧) ي: سائغ.

(٨) الضَّبْع بالفتح، كفَرْخ: العَضُد كلّها أو أوسطها بلحمها، أو الإبط أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، والجذب هو المدّ. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢١٦ (ضبع). والمعنى: رفع قدري عن محلّ الذلّ.

يُمناهُ مِفتاحَ الأرزاق، وفتّاحَ الآفاق، ولحِقتُ منهُ بقابِ العُقاب، فخاطَبَني بمُخاطباتٍ نَشَدتُ بها ضالَّةَ الآمال، وهلُمَّ جرّاً، إلى ما يتبعُها من جَميل الإنزال، وسَنيٍّ[1] الأنزال.

نظراتٌ من الشّيخ العَميد على شخصٍ يَسَعُهُ الخاتَم، ولا يَسَعُهُ العالَم، ونَفْسٍ تَهتزُّ عندَ المكارم كالغُصْن، وتَثبُتُ عندَ الشّدائدِ كالنُّكْر[2]، وسُلطانٍ يَحلُمُ حِلْمَ السَّيْف مُغمَداً، ويَغْضَبُ غَضَبَهُ مُجَرَّداً، فهو عندَ الحُرم[3] لَيِّنٌ كصفحتِه، وعند السياسةِ خشِنٌ كقِشرتِه[4]، وملِكٌ يأتي الكَرَمَ نَشيَّةً[5]، والخيرَ سَجيَّةً، ويفعَلُ الشرَّ كُلْفةً أو خَطِيَّةً، فهو ضَرُورٌ بآلاتِه، نَفُوعٌ بذاتِه، عُطارِدُ قَلَمِه ودَواتِه، مِرِّيخُ سَيْفِه وقَناتِه. حسَبٌ[6] لا عَيْبَ فيه، فيَصرِفُ عينَ الكمالِ عن مَعاليه.

وصادَفْتُ من الشّيخ الموفَّقِ مَلَكاً يُشاهَدُ عِياناً، وجَبَلاً قد سُمِّيَ إنساناً، وحَسَناً قد مُلِئَ إحساناً، وأسَداً قد لُقِّبَ سُلطاناً، وبَحْراً أمسَكَ عِناناً. وحططتُ رَحْلي بفِناء الأميرِ الفاضل أبي جَعْفر[7]، فوَجدتُ حُكْمي في مالِهِ أنْفَذَ من حُكْمِه، وقِسْمي من غِناهُ أكبرَ من قِسْمه، واسمي في ذاتِ يَدِهِ مُقدَّماً على اسمه، ويَدِي إلى خزانته أسْرعَ من يَدِه، وإنْ قصدتُ أنْ أقرِّرَ[8] ذلك مَدْحاً، وأعبِّرَ الجُملةَ شَرْحاً، أطلْتُ، فهُلمَّ إلى ما

---

(١) ص: ومُنى.

(٢) ي: والنكر. والنكر، بالضم: الدهاء، أو نعت للأمر الشديد والرجل الداهي. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٣٣ (نكر).

(٣) ي: الكرام.

(٤) كذا الكلمة في الأصول، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: كشَفْرته».

(٥) النشية: بمعنى المنشئة، من أنشأ الشيء: إذا ابتدأ، وأصل النشيئة أوّل ما يعمل من الحوض، ويُراد بها الأول مطلقاً. أي: يأتي الكرم أولاً، وسهل الهمزة لأجل ازدواج السجع. والنشية، كغنية: الرائحة الطيبة، أي: يأتي الكرم له رائحة طيبة. كشف المعاني، ص١٩٧.

(٦) ي: عيب. سبق قلم.

(٧) لعلّه الميكالي، وقد تقدّم التعريف به، ص٧٧.

(٨) ي: أقرّ.

افتتَحْتُ الكتابَ لأجلِه.

وَرَد للخوارِزْميِّ كتابٌ يَتقلَّبُ فيه[1] على جَنْبِ الحرِّ، ويَتقلَّى[2] على جَمْر الضَّجَر، ويتأوَّهُ عن غِمارِ[3] الخَجَل، ويتعثَّرُ في أذيالِ الكَلَل، ويَذكُرُ أنّ الخاصَّةَ قد علِمَتِ الفَلْجَ لأيِّنا كان.

فقلتُ: اسْتُ البائن أعْلم، والخوارِزْميّ أعْرف، والأخبارُ المُتظاهرة أعْدل، والآثارُ الظاهرةُ أصْدق، وحَلْبةُ السِّباقِ أحْكم، وما مضَى بينَنا أشْهد، والعَوْدُ إنْ نَشِطَ[4] أحْمد. ومتى استزادَ زِدْنا، وإنْ عادتِ العَقربُ عُدْنا. وله عندي إذا شاء، كُلُّ ما ساءَ وناء[5]، ولنْ يَعْدَمَ إذا أرادَ نَقَداً يُطِيرُ فِراخَه، ونَقَقاً[6] يُصِمُّ صِماخَه.

وما كنت أظُنُّهُ يرتقي[7] بنفسِه إلى طلَب مُساماتي بعدَ ما سَقَيْتُهُ كأْسَ الحنْظَل، وأطعمْتُهُ الخراءَ بالخَرْدَل. فإنْ كان الشّقاءُ قد استَغْواه، والحَيْنُ قد استَعْواه، فالنفسُ مُنتظِرة، والعَيْنُ ناظرة، والنَّعْلُ حاضِرة، وهو مِنِّي على ميعاد، وأنا له بمِرْصاد.

وكأنّما حرَّر[8] ذلك الكتابَ من نُسْخةِ مَخازيه، واستملاهُ[9] من صَحيفهِ

---

(١) سبق قلم ناسخ **س**، فكتب: فيها.

(٢) موضع (الحر ويتقلى) في **ي**: الكرام.

(٣) **ي**: ضمار.

(٤) **ي**: نشطت.

(٥) كتب ناسخ **س** في الحاشية: «ساء وناء، يقال: ناء ينوء نوءاً: **إذا** نهض بجهد ومشقة، وناء بالحمل: نهض به مثقلاً، ويقال: له عندي كل ما ساءه وناءه، أي: أناءه، أي: أثقله، وإنما قيل: ناءه، مع أنه لازم للازدواج».

(٦) قوله: نقداً، ونققاً، وكلاهما بالتحريك، وإن كان الثاني على غير قياس، والأول معناه: السفل من الناس، والثاني: الصوت. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٢٦ (نقد)، ج١٠، ص٣٦٠ (نقق).

(٧) تحرّفت هذه الكلمة في **ي**: وبقي.

(٨) بعده في **ي**: له. ولا يسوغ.

(٩) **ي**: واستيلاه. تحريف.

[1]خَوازيه، فما تَرَكَ لنفسِه عرضاً لئيماً، ولا عاراً بهيماً، إلّا نحَلَهُ كريماً، واستباحَ منه[2] حَريماً، ولا تصفَّحَ كتابه إلّا عن حريمٍ مُباح، وهو حَريمُه، وأديمٍ مُجتاح، وهو أديمُه، وكذا مَن أُغمِدَ فيه سَيْفُ الرّيبة، انسلّ منه لسانُ الغيبة، ومَن طُحِن عجّانُه، طُعِن لسانُه، ومَن وارى سَوْءَةَ أخيه صغيراً، اشتغل[3] بعِرْض الكرام كبيراً[4]، ومَن لم تَملِكْه في لسانِه الغيرة، لم يُحابِ بذكر الحرمة غيرَه، والبغيُ والبغاء ينزلان في رتبة، والفمُ[5] والفَقْحة[6] يركضان في حَلْبة، فالبغاءُ باسْتِه لا يصبِرُ عن المقياس، والبغيُ بفَمِه لا يصبر عن غيبة النّاس، ومَن سُقي أسفلُه ماءَ الرّجال، أثمر أعلاهُ هتكَ[7] الحِجال.

والنّاسُ عند الأعمى عُمْيان، والكرمُ عند أهل اللّؤم كالماء في فم المحموم، وسَمُّ المَبْرَسَم في السَّهَر، والشّمس تَقْبُح[8] للعيون الرُّمْد، والبَغّاء يرمي[9] النّاسَ بدائه، وكيف[10] يُبقي على أعدائه، مَن[11] يتنقَّل[12] بأدوائه؟ وكيف[13] يضَنُّ[14] بعِرْض

---

(١) من ها هنا مثبت من ص، ي فحسب، إذ فقدنا لوحين من النسخة س.

(٢) ي: به منه.

(٣) ي: انتقل. تحريف.

(٤) ي: كثيراً.

(٥) ي: والقمر. تحريف.

(٦) الفقحة: الدبر. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٤٦ (فقح).

(٧) ي: نفيك.

(٨) ي: تفتح.

(٩) ي: يرامي.

(١٠) ي: فكيف.

(١١) ي: ومن.

(١٢) ي: يتنقل.

(١٣) ي: فكيف.

(١٤) فتح الضاد هي اللغة العالية، والكسر لغة. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٠٣ (ضنن).

أصدقائه مَن[1] لا يغار على نسائه؟ وكيف[2] ينطَحُ عن نسائه مَن يسمحُ بوَجْعائه؟ وكيف يُبقي على حُرمة جارِه مَن يُبيحُ[3] لعبدِه دارَه؟ ثم يتحامى[4] ذكْرَ الفروج مَن صَبَرَ على الزّنوج، وعالَج رَهْزَ[5] العُلوج؟

ولن يستطيعَ للِّسان رياضة، مَن جعل بطنَه للأيور مخاضة، ولن يطيقَ في القول إصابة، مَن جعل دُبرَه للجذوع مثابة، ولن يُحسنَ القولَ لجنسِه مَن أساء الفعلَ لنفسِه، ومَن خَرِبَ مَأْواه لم يَعمُرْ بيتٌ سواه.

وبعدُ، فما لهذا السَّفيه يشتُم إمامَ خُراسان وقد أتى من هَمَذان، لولا بغيٌّ مشتقٌّ من البغاء، ووَجَعٌ منه في الوَجْعاء؟

ثم ما أغرَى هذا السَّفيهَ بي وأنساني له، فما أتصوَّرُهُ في وقتَي الحديث والغَزَل[6]، ولا أصحَبُهُ في طريقي الجدِّ والهَزَل، ولا أذكرُهُ[7] في حالي[8] اليَقَظة والنّوم، ولا فَصْلَي النّهار واللَّيل، ونحنُ في كُلِّ حال، على طَرَفي محال: هو خوارِزْميٌّ ولستُ من خوارِزْم، وهو شاعرٌ، ولعَنَ اللهُ النَّظْم، وسَفيهٌ ولا أُنازعُهُ الشَّتْم، وسَخيفٌ ولستُ معَهُ ثَمَّ، ومَوْشومٌ وعُدِمتُ ذلك الوَشْم، وشَحّاذٌ ولا أنزِعُ هذا السَّهْم، وصَفْعانٌ[9] ولا أُرجَمُ

---

(١) ي: ومن.

(٢) ي: فكيف.

(٣) ي: مبيح.

(٤) ي: يتجافى.

(٥) الرَّهْز: الحركة عند الجماع. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٥٧ (رهز). وتحرّفت هذه اللفظة في ي: وهذا.

(٦) ي: والقول.

(٧) ي: أنكره.

(٨) س، ص: حال.

(٩) انظر ما تقدّم، ص١٥، هامش (١).

هذا الرَّجْم، وخَمْرِيٌّ ولا أشرَبُ الخمْر، ونائيٌّ ولا أسمَعُ الزَّمر[1]، وعُوديٌّ ولا أُحسِنُ النَّقْر، ونَرْديٌّ ولا ألعبُ القَمْر، وكَشْخانٌ ولا آخُذُ الجَذْر[2]، ودَهْريٌّ ولا أعبُدُ الدَّهْر، ومَرْكوبٌ ولا أُعيرُ الظَّهْر. هذه فضائلُ لا سَخِلَةَ[3] لي في قَطِيعها، ومَناقبُ لا واحدَ لي من جميعِها.

ثم هو - بزَعْمِه - طالِبيٌّ، وأنا - بدَعْوَاهُ - ناصِبيٌّ، ولعَنَ اللهُ أقلَّنا لأهلِ البيتِ مُوالاة، وأكثرَنا للحقِّ مُناواة، فما يجمَعُني وإيّاهُ إلّا كلمةُ الجُود، لكنّي أجُودُ بالمال، وهو يَجُودُ بالعيال، وحُمَةُ[4] الحماية، لكنّي أحمي الحريمَ، وهو يحمي الرَّغيفَ[5]، ولا ينظِمُنا إلّا قَرابةُ الشِّرْب، لكنّي أشربُ البَزْر[6]، وهو يشرَبُ الخمْر. ولا يَصْطحبُ إلّا في طريق الأسجاع، لكنّه يرغَبُ في المتاع، ويُردِّدُ كلمةَ المُبْتاع[7]، فتارةً يقولُ[8]: هو أشرفُ المَتاع. وتارةً يقولُ: ما أليَقَ المتاعَ بالمُبْتاع[9]. وتارةً يقولُ: كسَد المتاعُ، وقلَّ

---

(١) ي: للزمر.

(٢) الكشخان: القَوّاد والدَّيّوث. والجذر: ما تأخذه بائعة الهوى مقابل التمكين من نفسها. انظر: التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص١٤٧.

(٣) قوله: (هذه فضائل) سخريةٌ وتهكّم كما هو واضح.

(٤) ي: ولحمة.

(٥) بعد هذا في ي: ولا يصطحب إلا في طريق، وهو سبق قلم من الناسخ، فسوف تأتي هذه العبارة بعد قليل عنده بأوفى من ها هنا.

(٦) لعلّ المراد بالبزر: ما يتخذ شراباً من البزور، وهو الذي يقال له الآن: بزورات، وهو شراب يتّخذ من بزر الخيار والقثّاء ونحوهما، وهو شرابٌ لا شبهة في حلّه. كشف المعاني، ص٢٠٠.

(٧) ي: المتاع. سبق قلم وتكرار.

(٨) سقطت هذه الكلمة في ي.

(٩) ي: بالمتاع.

المُبْتاع[1]. وتَارةً يقولُ: جُلبَ المَتاع، ونَشِط المُبْتاع[2]. وتارةً يقولُ: المتاعُ سَنِيٌّ[3]، والمُبْتاعُ غَنيّ. وكثيراً يقول: لكلِّ مَتاعٍ مُبْتاع. أحسَنَ اللهُ بالمَتاع إمتاعَه، فما أفسَحَ فيه رِباعَه. ولا نقترنُ[4] إلّا في حَبْلِ الأدَب، ولكنّه أديبٌ[5] ما دامَ وحدَه، مُفوَّهٌ ما لم أحضُرْ عندَه:

فإذا التَقَيْنا نالَ شِعْرِي شِعْرَهُ ... ونَزا على شَيطانِهِ شَيطاني

ولا نَلتقي إلّا في طَرَفِي الصَّنْعة، ولكنّه يَدَّعي فلا يُحسِنُ ولا أدَّعي.

ما عَذِيري[6] من هذا السَّخيف من تَفاوُتِ ما بينَ الثَّلْج والنّار، وتَضادٍّ ما بين اللَّيل والنَّهار، ومَسافةِ ما بينَ الفَرَسِ والحِمار. هو أحمرُ وأنا أسمر، وهو أزرقُ وأنا أحور، وهو أشقرُ وأنا أحمر، وهو أقرَنُ وأنا أجَمّ[7]، وهو قَصيرٌ يَتطاول، وناقصٌ يتفاضل، وسَفيهٌ يَتحامَل، وأنا على الضِّدِّ، أتطوَّل، وعلى النَّقيض أتفضَّل، وعلى الخلافِ أتحمَّل. فما أبعدَ ما وُجِدْنا حُلُفاً، ووَقَعْنا خُلُفاً، وسَلكْنا[8] طُرُقاً، وضرَبْنا عُرُقاً.

---

(١) ي: المتاع.

(٢) ي: المتاع.

(٣) ي: شيء.

(٤) ي: يقترن.

(٥) ي: أدب.

(٦) قوله: عذيري. تحرّف في ي: عند يرى.

(٧) الأجمّ: الكبش الذي لا قرن لهُ، يضع عليه الراعي كُرْزَه (خُرجَه) في حمله، ويكون أمام القوم، ولا يكون إلّا أجمّ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح، والرجل يكون بلا رمح في الحرب. والأقرن هو: الذي له قرن. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٣٩ (كرز)، ج١٢، ص١٠٨ (جمم)، ج١٣، ص٣٣١ (قرن).

(٨) ي: وسلاماً.

وبعدُ، فإنْ كان[1] زَحَمَ كما زَعَم، ووَهِم كما أوهم، وكبُر كما ذكَر، وطال كما قال، فما هذا الدَّرَدُ والحَرَد؟ ولِمَ هذا الغَيْظُ والكَمَد؟ وكم نَنساهُ ويَذكُرُنا؟ ونَطويهِ ويَنشُرُنا؟ وقد رأتِ الأعيُن، ونَقَلت الألسُن، فهلّا تَرَكَ الحديثَ لِعَرِّه، أو طَواهُ على غَرِّه؟ وما رأيتُ كهذا[2] السَّخيف، إذا شهِدتُّ ضاق[3] بالضُّراطِ مِراثُه[4]، وإذا غِبْتُ استَنْسَرَ بُغاثُه.

إنّ اللِّسانَ الذي أخرسَ لسانَه، والقلمَ[5] الذي أنْبَسَ بَيانَهُ، لم تُكسِبْهما مَرْوُ[6] فَجاجة، ولا كَسَتْهما سَرَخْس[7] بَلادة، ولا بتَّت الغُرْبةُ لهما غَرْباً، ولا امتَهنتْ هذه الحضرةُ منهما عَضْباً. وهُما معي لم يُفارقاني، وذلك الحفظُ لم يَعُدْ بعدُ بَحْرُهُ نَزْراً، وتلك البَديهةُ لم يَصِرْ بَرُّها[8] جَزْراً، وتلك الكتابةُ صارَ واحدُها عَشْراً[9]، وما زادَتْنا الأيّامُ إلّا نَشْراً، ولا اللّيالي إلّا بِشْراً.

---

(١) نهاية القطعة المفقودة من س، كما أشرنا إليه قبلُ.

(٢) ص: هكذا.

(٣) ص: صلق.

(٤) المراث: كسباق: من مرث الشيء: إذا كانت له رائحة كريهة. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٩٠ (مرث).

(٥) ص: والبنان.

(٦) مَرْو الرُّوذ ومَرْو الشاهجان مدينتان كبيرتان مهمتان في خُراسان، ويُطلق عليهما المروان. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١١١.

(٧) سَرَخْس مدينة كبيرة من نواحي خراسان ، بين نيسابور ومرو. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: مدّها».

(٩) ي: عيراً.

ووَرَدَ له[1] على الأميرِ كتابٌ فأبْكَى زَيْداً وأضْحكَ عَمْراً، حلَفَ[2] أنّه لا نظير له، واستشهدَ[3] على ذلك بسَيفِ الدَّوْلة[4] وعَضُدِها[5]، وفَخْرِ الدَّوْلة[6] ومُؤيِّدِها[7].

ويَسألُ الأمير أنْ لا يُوطِئَني بِساطَ خِدْمتِه، ولا يُمطِرَني سَحابَ نِعْمتِه، مُتوسِّلاً بأنّه ناصِريٌّ[8]، وأنّ غيرَهُ تاشيّ[9].

والتّركيُّ إذا آلَ[10] إلى الاستجارةِ بالله أمْرُه، فقد انتهى عُمْرُه[11]، والخوارِزْميّ إذا كانت هذه وَسيلتُه، فقد ضَاقت حِيلتُه[12]. وليتَ شِعْري عنه، إذا لم يُوالِ الأميرَ ما

---

(١) ي: ووردا.

(٢) ي: يحلف.

(٣) ي: ويستشهد.

(٤) المقصود به علي بن عبد الله بن حمدان الحمداني أمير حلب (ت٣٥٦هـ).

(٥) المقصود به عَضُد الدَّوْلة أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدَّوْلة البويهي (ت٣٧٢هـ).

(٦) المقصود به فخر الدَّوْلة ابن ركن الدَّوْلة البويهي (ت٣٨٧هـ). و(وعضدها وفخر الدولة) ساقط في ص.

(٧) المقصود به مؤيد الدَّوْلة البويهي (ت٣٧٣هـ).

(٨) نسبة إلى ناصر الدين سُبُكْتِكين (ت٣٨٧هـ).

(٩) س: تاشتي، ص: تالشي، ي: تانشي. وعلّق الأستاذ الأحدب على هذا بقوله: «منسوب إلى تالش كصاحِب: كورة من أعمال جيلان». ولا أدري ما علاقة تالِش هذه بكلام أبي الفضل! وهو وَهْمٌ من نُسّاخ الأصول بلا ريب، والأصح ما أثبتناه، فهو منسوب إلى أبي العَبّاس تاش أحد قادة الجيش السّاماني. وكل هؤلاء القادة المذكورين كانوا أطرافاً في الصراع السياسي والعسكري في العراق والمشرق الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري.

(١٠) كتب ناسخ ي هاتين الكلمتين: إذلال. تحريف عجيب.

(١١) المراد بانتهاء عمره إذا استجار بالله تعالى أنه لا يستجير به إلا في حالة النزع وعند الاحتضار، فيكون قد فرغ عمره. كشف المعاني، ص٢٠٤.

(١٢) أي: لم يبقَ له حيلة فيما يحاوله من ظهورِه على أبي الفضل.

يَصنَع؟ وهو إنْ عاداهُ يُصفَع، وإنْ لم يُطِعْهُ[1] فما[2] يَفعَل؟ وهو إنْ عصَاهُ يُقتَل، وإنْ لم يَرْضَ أيَّامَهُ فما[3] يؤثِّر؟ وهو إنْ سَخِطَها لا يُغيِّر؟

وَيْـكَ[4] هـذا السَّـخيفُ قـد تعـدَّى بـابَ السُّـخْفِ[5] والمُجـون، إلى حـديثِ الحماقَـةِ[6] والجُنـون، وتجـاوَزَ حِمَـى الخَلاعـة، إلى الرَّقاعـة، وجـاوَزَ[7] قـولَ أصـحابِ المحابر، إلى لَفْظَةِ أربابِ المنابر، وارتفعَ عن مَواتِّ[8] الشُّـعراءِ، إلى مقـالاتِ الأُمـراء[9]. وبالله، لو قال هذه الكلمةَ فَخْرُ الدَّوْلة لكانت[10] كبيرةً، ولـو لاكَهـا شـمسُ المَعـالي[11] لما عُدَّتْ صغيرة.

---

(١) س: يُعطه. ولا معنى لها.

(٢) ي: بما.

(٣) ي: ما.

(٤) وي: اسم فعل مضارع، بمعنى: أعجب، وقد يكون مختوماً بكاف الخطاب الحرفية، بمعنى أنها ليست ضميراً مفعولاً به لاسم الفعل، وكذلك ليست هذه الكاف ضميراً في محل جرّ مضافاً إليه؛ لأن أسماء الأفعال مبنيّة. انظر تفصيلاً في: عبّاس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص١٤٥، ص١٦٠.

(٥) عبارة ي: باب السحاب السخف.

(٦) ي: الجماعة. تحريف شنيع.

(٧) ي: وحاز.

(٨) تحرّفت هذه الكلمة في س، ص: مقالات، وجاءت على الصواب في ي. والموات: جمع ماتة، وهي الوسيلة. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٨٨ (متت).

(٩) مقالات الأمراء: الأمر والنهي وما يتعلّق بإدارة السياسة ونحو ذلك، ومواتّ الشعراء: المدح والهجاء والغزل والنّسيب والحماسة ونحوها.

(١٠) ي: كانت.

(١١) تقدّم التعريف به في ص ١٣٤.

أمِثْلُ الخوارِزْميّ يُخادِعُ كَتْخُداي[1] الخَلْق، ومَلِكَ الشَّرْق، بهذا الرِّزق؟ ومَتى جاز للموالي أنْ تَتَلقَّبَ بالموالي[2]؟ فالعَبْدُ وإنْ أحبَّ مَولاهُ، فليسَ بصَديقه، والابنُ[3] وإنْ صاحَبَ أباهُ، فليس برَفيقه، وليس السُّوقيُّ إذا أمَرَ: أميراً، ولا الحمّالُ إذا نَهَضَ: قديراً، ولا العَبْدُ إذا أُرْسِلَ: نبيّاً، ولا الخوارِزْميّ إذا وَالَى: وَليّاً، ولكلٍّ رُتْبةٌ مُحَرَّرة[4]، وحِليةٌ مُقرَّرة[5].

وأمّا مسألتُهُ الأميرَ أنْ لا يَخْرُطني في سِلْكِه، ولا يُمكنَني من بِساطِ مُلكِه، فقد شغَلَتْني على رَغْمِهِ أطرافُ النِّعَم، وبَلَّتْني[6] سَحائبُ الهِمَم، وللرّاغِم التُّراب، وللحاسدِ[7] الحائطُ والباب، وللكارهِ[8] اليدُ والنّاب.

والشّيخُ الإمام، مخدومٌ من الإسلام[9]، بما يحنُّ[10] إلى أدَبِهِ[11]، والسَّلام.

---

(١) تحرّفت الكلمة في ي: كذخداني. كتخدا: لفظ غير عربي، معناهُ: كبير القرية ورئيسها والمتولي إدارة الأمور فيها. وانظر: ص٥٠٥ من هذا الكتاب، هامش (٣).

(٢) الموالي الأولى بمعنى: العبيد، والثانية بمعنى: الأسياد.

(٣) ي: والأب. تحريف.

(٤) ي: مجرّدة.

(٥) ي: مفردة.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «وبلتني: من البلّ، وهو التندية، يقال: بلّه يبلّه بالضمّ بلّاً: ندّاه فابتلّ، والتبليل: للمبالغة. وبلّ رَحِمه: وصلها».

(٧) ي: وللخاسر.

(٨) ي: والمكارة.

(٩) ي: السلم.

(١٠) ي: نحنّ.

(١١) ي: إذنه.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ أبي عبد الله الحسين بن يحيى

كِتابي - أطالَ اللهُ بَقاءَ الشّيخ - وللشّيْخ لَذّةٌ في السَّبِّ والعَتْب، وطيبةٌ[2] في العُنْفِ والعَسْف، فإذا أعْوَزَهُ[3] مَن يَغضَبُ عليه، فأنا بينَ يديه، وإذا لم يجدْ مَن[4] يَصُونُه، فأنا زَبونُه[5]، والوَلَدُ عَبْدٌ ليست له قيمة، والظَّفَرُ به غنيمة[6]، والوالدُ مَولىً أحْسنَ أم أساء، فليفْعَلْ ما شاء، لا يُعْدِمْهُ اللهُ منّي جسداً لا يتألَّمُ بالضَّرْب[7]، وقلْباً لا يَتظلَّمُ من العَتْب. هنيئاً ما[8] استحلَّ من عِرْضِي، وأكلَ من لحمي، فما يأكُلُ إلّا لَحْمَه، ولا يَضِيمُ إلّا بَعْضَه.

وأمّا البَزّازُ وما حَكاهُ، فبالله ما أعرِفُهُ أولاً حتى أبْرَأ ممّا جناهُ[9] ثانياً. وسُبْحانَ[10] مَن جَرَّعني مَرارةَ ذلك العَذْل، لحديثِ ذلك النَّذْل، ولستُ أدْرِي في أيِّ[11] صَحائفِ المِحَنِ أثبتَّ ما حكاه، وفي أيِّ جَرائدِ الحُكْم[12] أجَزْتَ ما رَواه. وأمّا المُنتظَرُ وتأخُّرُهُ فالمُودَعُ ثِقَة، وهو حاجٌّ لستُ أخْبُرُ أمْرَه، ولا أعرفُ عذرَه، وإليَّ إيابُه، وعليَّ حِسابُه.

---

(١) ص: وله.

(٢) في س، ص: وطبيعة، وما هنا من ي، وهو الأليق.

(٣) ي: أعذره.

(٤) عبارة ي: وإذا لم يجد الأمر.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الزبون: الغبي، والحريف، وناقة زبون: تضرب حالبها».

(٦) س: عزيمة.

(٧) ي: من الضرب.

(٨) ي: من.

(٩) تحرّفت هذه اللفظة في ي: حيداة، أو نحوها.

(١٠) تحرّفت هذه اللفظة في ي: وسحني، أو نحوها.

(١١) لفظة (أي) سقطت في ي.

(١٢) ي: الحلم.

وعندي أنّ الوَلَدَ أصْغرُ قَدْراً من أنْ يُعاتَب، والوَالِدُ أعظمُ منزلةً من أنْ يُحارَب[1].

ولو شِئتُ لأعْلمتُهُ براءةَ ساحَتي ممّا قَرَفني[2] ونَسبَني إليه، لكنّي أجِدُ للمُناظرة صفةَ[3] المُنافرة، وللمُنافرة شَكْلَ المُناكرة، فلا أطَأُ عَتَبَةً بَيْنَها وبينَ العُقوقِ منزِلة، ولا أرِدُ شِرْعةً بينَها وبينَ الفُسوقِ مَرْحَلة، فلا ألقاهُ بأبرَّ من التّوبةِ إنْ كنتُ فعَلْتُ، والعَفوِ إنْ كنتُ قلتُ. وهذا أشبهُ بالبُنوَّة، وأحرَى مع الأبوَّة.

وأمّا أبو فُلان فلا أشُكُّ أنّ كتابِي يَرِدُ منه على صَدْرٍ محا اسمي[4] من صَحيفته، ونَسِيَ اجتماعَنا على الحديثِ والغَزل، وتَصرُّفنا في الجِدِّ والهزل، وتقلُّبَنا في أعطافِ العَيْش، بينَ الوَقَارِ والطَّيْش، وارتضاعَنا ثَدْيَ العِشْرة، إذ الزَّمان رَقيقُ القِشْرة، وتَواعُدَنا أنْ يَلحَق أحدُنا بصاحبه، إذا آنَسَ الرُّشدَ[5] من[6] جانِبه، وتصافُحَنا من قَبْلُ، أنْ لا يُصرَمَ الحبْلُ، وتَعاهُدَنا من بَعدُ، أنْ لا يُنقَضَ الوَعْد:

وهل ذاكرٌ مَن كان أقْربُ عَهْدِهِ ثَلاثينَ شَهْراً أو ثلاثةَ أحوالِ

وكأنّي به وقد استجدَّ إخواناً، ولا بأسَ، فإنْ كانت للجديد لَذَّةٌ فللقديم حُرمة، والأخوَّةُ بُردةٌ لا تَضِيقُ عن اثنَيْن، ولو شاء لعاشَرْنا في البَيْن.

---

(١) س، ص: يجاوب، وما هنا من ي لأنه أنسب.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «قرّفني، أي: عابني ورماني به، يقال: قرفه بكذا، أي: عابه به، وهو يقرف بكذا أي: يرمى به ويتّهم فهو مقروف».

(٣) ي: صيغة.

(٤) ص: اسمه، ي: يمحى اسمه.

(٥) إيناس الرشد: علمه عن حسّ وإبصار، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ سورة النساء، من الآية ٦. آي: علمتم. وانظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، ص١٧٥.

(٦) ي: فعل.

وكان سَألني أنْ أرودَ[1] له منزلاً ماؤُهُ رَوِيّ، ومَرْعاهُ غَذِيّ[2]، وأكاتِبَهُ لِيُنْهِضَ إليه راحلتَه، فهاكَ نَيْسابُورَ ضالَّتَهُ التي نَشدتُّها، وقد وَجدتُّها، وخُراسان مُنيَتَهُ التي طلَبتُها، وقد أصبتُها، وهذه الدَّوْلة بُغيتُهُ التي أردتُها، فقد وَرَدتُها.

فإنْ صدَقَني رائداً، فلْيأْتِني قاصداً، وإنْ رَضِيَني مُشيراً فلْيجئني سريعاً. وهَيْهاتِ أنْ يَتْرُكَ أرْوَنْد وهِضابَها[3]، وتِرْمِذ[4] وشِعابَها، وماوشان[5] ورِياضَها، فيعتاضَ عنها كَرَمَ العَهْد.

ولو علم أنّ رِياضَ الأُخوَّة أنضر، وشِعابَ المروّةِ أطيب، وأنّه لا يَعْدَمُ من نَيْسابُور مثْلَ تلكَ المتنزَّهات، وخيراً من تلكَ المتوجَّهات، لحثَّ إليها ركابه.

وأما أنا وأخباري بهذه الناحية، فمُتقلِّبٌ في ثَوب العافية، مُوفَّرٌ بهذه الحَضْرةِ، مَرموقٌ[6] بعَينِ القَبول. هذه جُملةُ حالي ووراءَها تفصيل، منها عليه دليل.

وأمّا الأخُ أبو سعيدٍ - جعَلَني اللهُ فِداءَه، ورزقَني لقاءَه - فقد شكرتُ بِرَّه، ولولا إشفاقي من ضُعْفِ تركيبه، ولُطْفِ ترتيبه، وعِلْمي[7] بأنّه لا يحتملُ وَعْثاء السَّفَر، لَسألتُ الشَّيخَ إهداءَهُ إليَّ لأتولَّى[8] تَعليمَهُ وتقويمَه. لكنّه رَطْبُ العظام، لطيفُ

---

(١) ص: أورد.

(٢) غَذِيّ بشدّ الياء: بمعنى كثير الغذاء. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١١٩ (غذا).

(٣) ص: ونصابها.

(٤) تحرّفت هذه الكلمة في ي: وبريه.

(٥) في النسخ الثلاث: ماوسا، ولم أجد هذا الاسم فيما اطّلعت عليه من مصادر جغرافية، والأرجح ما أثبتّه. ولعلّه مصحَّف ومحذوف الآخر. وهو ناحية وقرى في وادٍ في سفح جبل أروند من همَذان، وهو موضع نزه، كما قال ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٧.

(٦) ي: موقوف.

(٧) عبارة ي: لولا علمي.

(٨) ي: تولي.

الأركان، لا أُخاطِرُ بإنهاضِه من ذلك المكان، حتى يُعقَدَ مُخُّهُ في عظامِه، وأثقَ بقوّةِ ألواحِه.

وبلَغَني أنّه ابتدأ بـ(مُجْمَل اللُّغة)[1]، فأين بلَغَ منه ؟ والشّيخ لا يَحمِلُ عليه بعَويص[2] اللُّغة حتى يَعلَمَ سَهْلَها، ولا يأخُذُهُ[3] بما أخَذَني به، فالعُمْرُ لا يَتّسِعُ للعُلوم أجْمع، فلْيُنْفَقْ على أحسنِها، ويكفيهِ من اللُّغةِ[4] عِلْمُ مُسْتحسنها، دون مُستهجنها[5]، ومن الإعراب مَعرفةُ أُصولِه، وما لا غَناءَ به عنه من فُروعِه، ثم يأخُذُ به عُلومَ[6] كتاب الله تَعالى حتى يَرِدَ على قُرّةِ عَينٍ لي ولك، وصلّى اللهُ على محُمّد وآله[7].

(١) لأحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

(٢) ي: تعويض.

(٣) ي: يأخذ.

(٤) ي: سعد. وهو تحريف غريب.

(٥) ي: دزن مستحسنها.

(٦) ي: في علوم، وكلاهما موافق الجرّ بالحرف، والنصب على نزع الخافض.

(٧) الصلاة من: ص، ي، وفي س: والسلام.

وله إلى أبي عامرٍ عدنان بن مُحمّد[1] الضَّبِّي يُعزِّيهِ ببعض أقارِبه[2]

إذا مـا الـدَّهْرُ جَـرَّ عـلى أنـاسٍ كَلاكِلَـهُ[3] أنـاخَ بآخرينـا

فقُـلْ للشّـامِتِينَ بنـا: أفيقُـوا سـيلْقَى الشّـامتُون كـما لَقِينـا

أحسنُ ما في الدَّهْر: عُمومُهُ بالنَّوائب، وخُصوصُهُ بالرَّغائب، فهو يدعُو الجَفَلَى[4] إذا ساء، ويختصُّ بالنِّعْمة إذا شاء.

فلْينظُر الشّامتُ، فإنْ كان قد[5] أفْلتَ فله أنْ يَشمَت[6]، ولْينظُر الإنسانُ في الدّهْرِ وصُروفِه، والموتِ وصُنوفِه، من فاتحةِ أمْرِه، إلى خاتمةِ عُمْرِه، هل يجِدُ لِنَفْسِه أثراً

---

(١) في النسخ الثلاث: بن عامر! والأصح ما أثبتناه. فاسمه: عدنان بن مُحمّد أبو عامر، كما في يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٣٤، وتاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥١٤، وسمّاه الثعالبي في موضع آخر: عدنان بن عامر بن مُحمّد، ج٤، ص٢٩٨. هذا، وقد كتب له الهمذاني غير مرة في كتابنا هذا، انظر: فهرس الأعلام.

(٢) (بعض أقاربه) ساقط في س.

(٣) صحّح عليها ناسخ س، وفي ص، ي: حوادثه. والبيتان يُنسبان لغير واحد، منهم: ذو الأصبع العدواني، وأكثم بن صيفي، والفرزدق. انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٦٧؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٤، ص٣٠٣، ج٦، ص٣٨.

(٤) الجفلى: هي الدعوة العامة. يقال: دعاهم الجفلى والأجفلى، أي: بجماعتهم وعامتهم. قال طرفة:

نحن في المشتات ندعوا الجفلى لا ترى الآدِبَ فينا ينتقرْ

ديوانه، ص٥١.

(٥) حرف التحقيق من ي.

(٦) صحّح عليها ناسخ س.

في نَفْسِه؟ أم لتدبيرِه، عَوْناً على تَصويرِه؟ أم لعملِه[١]، تقديماً لأملِه؟ أم لِحِيَلِه، تأخيراً لأجلِه؟ كلّا، بل هو العبْدُ لم يكن شيئاً مذكوراً، خُلِق مقهوراً، ورُزِقَ[٢] مقدوراً، فهو يَحيا جَبْراً، ويهلِكُ صَبْراً[٣].

وليتأمَّل المرءُ[٤] كيف كان قَبْلاً، فإنْ كان العَدَمُ أصْلاً، والوُجودُ فَضْلاً، فلْيَعلم المَوْتَ عَدْلاً. والعاقلُ[٥] مَن رَفَع[٦] من حَوائل الدّهرِ[٧] ما سَاء ليُذهبَ ما ضَرَّ بما نَفَع[٨]، وإنْ أحبَّ أنْ لا يَحْزَنَ فلْينظُرْ يَمنَةً، هل يَرى إلّا مِحنَةً؟ ثم ليعطف يَسْرةً، هل يرى إلّا حَسْرة؟

ومِثْلُ الشّيخ الرّئيس مَن تَفطَّنَ لهذه[٩] الأسرار، وعَرَف هذه الدّار، فأعدَّ لنِعْمتها صَدْراً[١٠] لا يَملأُهُ فرَحاً، ولبُؤْسِها قلباً لا يُطيرُهُ جَزَعاً، وصَحِبَ الدّهْرَ برأيِ مَن يَعلَمُ أنّ للمتعةِ حَدّاً، وللعارِيّة رَدّاً.

ولقد نُعِي إليَّ أبو قَبيصةَ - قدَّس اللهُ رُوحَه، وبرَّد ضَريحَه - فعُرِضَتْ عليَّ آمالي قُعُوداً، وأمانيَّ سُوداً، وبَكيتُ والسَّخيُّ بما يَملِك، وضَحِكْتُ وشرُّ الشّدائدِ ما يُضحِك، وعَضَضْتُ الإصبع حتى أفنيتُه، وذَممْتُ الموتَ حتى تَمَنّيتُهُ.

---

(١) ي: لنجله، أو نحوه.

(٢) ي: ورقّ.

(٣) الهلاك صبراً: هلاك المرء غير مدافع عن نفسِه، كالقتل صبراً.

(٤) ساقطة في ي.

(٥) تحرّفت هذه اللفظة في ي: وللعاقل.

(٦) ي: دفع.

(٧) ي: للدهر.

(٨) عبارة ي: ما نفع بما ضرّ.

(٩) ي: هذه.

(١٠) ي: صدوراً.

والموتُ خَطْبٌ قد عظُمَ حتى هانَ، وأمْرٌ قد خَشُنَ حتى لان، ونُكْرٌ قد عمَّ حتى عادَ عُرْفاً.

والدُّنيا قد تنكَّرتْ حتى صار الموتُ أخفَّ[1] خُطوبِها، وجَنَتْ حتى صار أصْغرَ ذُنوبها، وأضمرَتْ حتى صار أيسَرَ غُيوبِها، وأبهَمتْ حتى صار أظهرَ عُيوبِها.

ولعلَّ هذا السَّهْمَ آخِرُ ما في كِنانتِها، وأزكَى ما في خِزانتها.

و[2]نحنُ، مَعاشِرَ التَّبَع، نتعلَّمُ[3] الأدبَ من أخلاقِه، والجميلَ من أفعالِه، فلا نحثُّهُ على الجميلِ وهو الصّبر، ولا نُرغِّبُهُ في الجزيلِ وهو الأجر، فلْيَرَ فيهما رأْيَهُ إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: أحقّ.

(٢) سقطت الواو في ي.

(٣) ي: بتعليم.

وله

تغمّده اللهُ بعَفْوه وغُفرانِه[1]

كتابي - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ - وقد استخَرْتُ اللهَ فتْحَ هذا الباب، وشاورتُ ذوي الألباب، فأمّا اللهُ فخار، وأما أولو الألباب فكلٌّ أشار، وإنْ يَشإِ اللهُ يُفْضِ بالأمرِ إلى حالٍ تَسَعُهُ مَوْلىً وتَسَعُني[2] عَبْداً[3].

وشدَّ ما بَخِلْتُ بهذه الكلمة، ونفَرْتُ عن هذه السِّمة.

هذا الشّيخ الشهيدُ أبو نَصْر - رَحِمه الله[4] - مدَّ لها اللَّحْظ[5]، فلم يحظَ، وهذا ابنُ عَبّادٍ[6] شدَّ لها الرَّحْلَ، فلم يَحْلَ[7]. وما أعتدُّ على الشّيخ بمنَّة، لكنْ ليُمسِكْها عِلْقَ مَضَنَّة، فلم يُبقِ في الخدْمةِ نوعاً، مَن أقرَّ بها طوْعاً. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

لا والله ما تأخَّرتْ كُتُبي[8] عن حضْرةِ الشّيخ لأكبرَ منهُ قَدْراً، و[9]أعظَمَ من الوِزارةِ صَدْراً، إنّه لَلفَحْلُ لا يُقدَعُ[10] أنفُه، وإنّها لَلحالُ لا مَظْهَرَ فوقَها، لكنْ بُلدانُ

---

(١) خلت ص، ي من الدعاء، واكتفتا بـ(وله).

(٢) س، ص: يسعه .... ويسعني.

(٣) أي: يمكن المولى أن يقوم بها، كما يمكن العبد أن يتحملها. كشف المعاني، ص٢١٤.

(٤) الترحُّم من: ص، ي.

(٥) كناية عن الطموح إليها. كشف المعاني، ص٢١٥.

(٦) هو الصّاحب ابن عبّاد أبو القاسم الطالقاني، وزير البويهيين الشهير.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «فلم يَحْلَ، أي: لم يظفر، يقال: حَلِي بكذا بالكسر، أي: ظفر به».

(٨) ي: ثبتي.

(٩) سقطت الواو في ي.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية: «لا يقدع: من القدع، بالقاف والدال والعين المهملتين، وهو الكف والمنع، يقال لكريم تزوّج كريمة: هو فحل لا يقدع، أي: لا يضرب أنفه منعاً لكونه كريماً، وذلك لأن الهجين إذا أراد ضراب كرائمه ضرب أنفه ليرتدع. ومعناه أنه كُفْءٌ كريم لا يردّ».

العراق، شَكتْ إليَّ ألمَ الفِراق، فنَويْتُ أنْ أعتِبَها، وأقمتُ على حالةٍ لو قَصَرْتُ فيها الصَّلاةَ لجَاز، يوماً أُعِدُّ الجِهاز، ويوماً ألتمسُ الجواز، والأيّام تدِبُّ خلالَ هذه الفُرْصة، واللّيالي تَدرُج، وأنا لا أخرُج.

حتّى وَرَد الدِّهْقانُ أبو جعْفر، فرأى آلاتِ السَّفَر، وانتظارَ النَّفَر، وأمْراً قد قُضِي أو كاد، وعَزْماً[1] قد بَلَغ وزاد، ونَفْساً اجتوَت[2] هذه البلاد، وذَكَرَتِ الميلاد[3]. فقالت الدّالّة: ما هذه الغُرْبةُ الضّالّة؟ وقالت الشَّفَقَة: ما هذه الغُرْمةُ المُشفِقة؟ وهل[4] تُخلِّفُ وراءكَ إلّا البَحْر، وتَقْصِدُ أمامَكَ إلّا النَّحْر[5]؟ ألا ترى اختلافَ السُّيوفِ، واضطرابَ الأمور، وازدحامَ الخُطوب، واعتراضَ الحُتوف، والتقاءَ[6] الجُموع. وأنت بهذه الأمصار، تَمشي على الأبصار، ولو رأيتَ الشّيخ لرأيتَ الجَمالَ بجُمْلته، والكمالَ بكُلِّيته، والعالمَ في بُرْدتِه، والمُرادَ برُمَّتِه. فقلتُ: اللّهمَّ غَفْراً، إذنْ أقصدُهُ[7] طَفْراً[8]، وأخدُمَهُ ابتداراً، ولا السَّيلَ وافَقَ انحداراً؛ فقدَّمتُ هذا الكتابَ وبوُدِّي أنْ أكونه، فأسعَدَ به[9] دُوْنَهُ، وأنا أنتظرُ الجواب، فإنْ سامحتْ به نفسُهُ الرَّفيعة، كنتُ إنْ شاءَ اللهُ نِعْمَ الصَّنيعة. فإنْ أبَى رأيُهُ الشريفُ أنْ يُقلِّد حتى يجتهد، ويَسْتوزِن حتى يَزِن، احتكَمْنا إلى الحجارة، والتعبيرُ نِصفُ التّجارة. وللشّيْخ فيما يَراهُ فيه رأْيُهُ العالي إنْ شاء اللهُ تَعالى[10].

---

(١) ي: وغوثاً.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «اجتوى البلاد: استوخمها، واجتواها: كره المقام فيها وإن كان في نعمة».

(٣) الميلاد، هنا: مكان الولادة، ويريد أن نفسَهُ تذكرت الوطن.

(٤) ي: وهو.

(٥) النحر: يراد به الهلاك. كشف المعاني، ص٢١٦.

(٦) ي: والبقاء.

(٧) ي: أقصد.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «الطفر، بالطاء المهملة: مصدر طفر يطفر، أي: وثب».

(٩) من ي.

(١٠) عبارة المشيئة هذه من: ص، ي.

وكَتَب إلى الشّيخ الإمام أبي الطَّيِّب[1]

الشّيخ الإمامُ[2] قد رَجَح الحاتمَيْنِ[3]: بينَ عادةِ كَرَم، وعارِض نَدَم. يقولُ الكَرَم: تَحمَّلْها غَرامة، ويقولُ[4] النَّدَم: لا ولا كَرامة. والكَرَمُ أهْدَى إلى المناقب، وأنْظَرُ في العَواقب، والنَّدَمُ أشدُّ للبَشَرِيَّة[5] وِفاقاً، وعلى العاقلِ إشفاقاً. فإنْ لمْ يكنْ في البَيْنِ تَخليطٌ فلِمَ لا يَبْعَثُ بالحاضِرِ ويُحيلُ بالآخِرِ؟

والشّيخ الإمامُ يَفْعَلُ في هذا الباب ما هو أهلُه، فقد عَلِم خَوضَ النّاس، بَيْنَ الطَّمَع فيهما واليأس، ويُرْتجى من قائلٍ ما فَعَل، وسائلٍ ما حَصَل، عالياً رأيُهُ إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(١) العنوان في ص، ي: وله إلى الشيخ الإمام. وأمّا أبو الطيب هذا، فهو أبو الطيّب الصُّعْلوكي، وقد تقدّم التعريف به في ص٤٤.

(٢) قوله: (الشيخ الإمام) مفتتح هذه الرسالة، سقط في ي.

(٣) في س: الحاتمين، والحاتمان: الكرم، والندم، كما يوضّحه النص.

(٤) ي: ويقوم.

(٥) ي: اليسر به.

وله

عَفا اللهُ تَعالى عنه[1]

وَصلتْ رُقعتُك - أطالَ اللهُ بَقاءَك - ومَثَلُك في تلك السِّفارة، مَثَلُ الفارة طَفِقتْ تَقرِضُ الحديد، فقيل لها: وَيْحَك ! ما تَصنَعينَ بالنّابِ[2] ورأسِه، والحديدِ وبأسِه؟ فقالتْ: أشهَدُ، و[3]لكنِّي أجهَد.

وإنْ تَنْجُ من تلك الأسباب، فمَنْجَى الذُّباب[4]، بمَقاذيرك لا مَعاذيرك، وبلُومك[5] ليس بلَوْمِك. وَيْلَ[6] أُمِّك ! جَنَيْنا ما أنفَذَ[7] كَيْدَك على ضُعفِه، وأحَدَّ غَرْبَك[8] على سُخْفِه، أنت ولا ذِمَّة، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: الباب. تصحيف.

(٣) سقطت الواو في ي.

(٤) س، ص: الذئاب.

(٥) ي: وبادمك.

(٦) ي: وَيْك.

(٧) عبارة ي: حشا ما أبعد.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «الغرب: حدّ السَّيْف، وغرب كل شيء: حدّه».

ولهُ - رَحِمه اللهُ تَعالى[1] - إلى الشّيخ أبي نَصْر[2]

كِتابي - أطال الله بقاءَ الشّيخ - وفَرَجي في كريمٍ يَحْضُرُ ذلك الجَناب، فيُحسِنُ المناب، ولا أعدَمُ إنْ شاءَ اللهُ بتلك السّاحةِ الكريمة، مَن يَتَحلَّى بهذه الشِّيمة. على أنّ الطِّباعَ إلى الذّمِّ أمْيَل، والعَقْرَب إلى الشرِّ أقرَب، واللِّسان بالقَدْح أجرى منه بالمَدْح، والحاسدَ يَعْمَى عن مَحاسنِ الصُّبْح، بِعَينٍ تُدرِكُ دقائقَ القُبْح[3].

والهَرَويُّ جسَدٌ كلُّهُ حسَد، وعِقْدٌ كلُّهُ حِقْد، فلا يَجذِبُ التخلُّقُ بِضَبْعِه[4] عن طَبْعِه، ولا يَأخُذُ التكلُّفُ بخلُقه عن طُرُقِه.

من إسْفَرايين[5] صادراً[6] عن سُدّة الأمير بسِجِسْتان إلى حَضْرتِه بِبُوشَنْج[7]، منتهزاً من لقاءِ الشّيخ فُرْصةً إنْ رُزِقْتُها فللهِ الحمد، وليَ البُشرى من بعد، وصلَّى اللهُ على مُحمّد وآله.

كنتُ - أيّد اللهُ الشّيخ - أُطارِدُ[8] الأيّامَ عن أملي فيه، وتُطارِدُني عن تَلافيه،

---

(١) الترحُّم ساقط في ص.

(٢) للهمذاني غير رسالة إلى الشيخ أبي نصر. انظر فهرس الرسائل.

(٣) ي: الفتح. وهو تحريف شنيع.

(٤) كتب ناسخ **س** في الحاشية: «الضبع: العضد، وقيل: الإبط، وقيل: ما تحت الإبط، والجمع: أضباع، وقد سبق بيانه».

(٥) بلدة من نواحي نيسابور، في الطريق إلى جرجان. السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٤٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٧٧.

(٦) تحرّفت عبارة (من إسفرايين صادراً) في ي: من إسفرار صاداً.

(٧) بوشنج: بلدةٌ من نواحي هَراة. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٠٨.

(٨) تحرّفت هذه الكلمة في ي: الحارد.

فكلَّما شاقَني من الحِرْصِ[1] شائق، عاقَني عنه من الدّهْر عائق. وكثيراً ما سمِعتُ بفَضْلِه، فتَنَفَّسْتُ صُعَداء المُخلَّى[2] عن وِرْدِه، المأخوذِ به عن قَصْدِه[3]، وليس إلّا السّكونُ[4] والصَّبْر، أو الحِراكُ والقَبْر.

فلمّا فرّجَ اللهُ بثاقبِ رأي الأمير الجليل، وقوّةِ باعِهِ الطّويل، وظهَرَ وَجْهُ السَّبيل، من ذلك القَبيل[5]، آثرتُ التنحّي عن سَنَن السُّيوفِ رَيْثَما يُقْلِعُ سَحابُها، ويَكُفُّ أصحابُها، فقصَدتُ من حضرةِ الأمير مَرْبَعَ[6] الوُفود، ومَطْلَعَ الجُود، فلمّا عزَمَ العَزْمَ الميمونَ واصلتُ حَضْرتَهُ بالكُتُب، و[7]استأْذنْتُهُ في الوُقوع إلى هَراة مع الجُموع، ولم يكنْ لي بهَراة مُرادٌ إلّا الشّيخُ ولقاؤه، وأرجو أنْ يُصادِفَ هذا الشّوق قَبولاً، ويُرْزَقَ هذا الكتابُ وُصولاً.

---

(١) ي: الحرم.

(٢) المخلى: المطرود.

(٣) المأخوذ به: الممنوع.

(٤) ص: السكوت.

(٥) سقطت هذه اللفظة في ي. والقبيل: استعمال مولّد بمعنى الجهة.

(٦) ي: موقع.

(٧) سقطت الواو في ي.

وله رُقْعةٌ[1] إلى مُسْتميحٍ عاوَدَه مِراراً

عافاكَ الله، مَثَلُ الإنسان في الإحسان، مَثَلُ الأشجار في الإثمار، سبيلُ مَن أَتَى بالحَسَنة[2]، أنْ يُرَفِّهَ إلى السَّنَة.

وأنا - كما ذَكَرْتُ - لا أملِكُ عُضْوينِ من جَسَدي، وهُما فُؤادي ويَدي. أمّا الفُؤادُ فيعلَقُ بالوُفود، وأمّا اليدُ فتُولَعُ بالجُود. ولكنْ هذا الخُلُقُ النّفيس لا[3] يُساعدُهُ الكِيس، وهذا الطّبعُ الكريم ليس يحتمِلُهُ[4] الغَريم.

ولا قَرابةَ بينَ الأدَبِ والذّهَب، قَلَّما جَمَعتْ بينَهُما، والأدَبُ لا يُمكنُ ثَرْدُهُ في قَصْعة[5]، ولا صَرْفُهُ في ثَمَنِ سِلْعة[6].

ولي مع[7] الأدَب نادِرةٌ جَهِدتُ في هـذه الأيّـامِ بالطَّبّـاخ، أنْ يَطـبُخَ مـن جيميّـةِ الشَّماخ[8] لَوْناً فلم يفعلْ، و[9]بالقَصّاب، أنْ يسمَعَ أدَبَ الكُتّاب[10] فلم يَقبَلْ، واحتـيجَ

---

(١) (رقعة) من: ص، ي.

(٢) ي: بالسنة. سبق قلم.

(٣) ي: ليس.

(٤) ي: يحمله.

(٥) ي: قمعة. والقَصْعة: وعاء يؤكل فيه ويثرد. قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة، ثم القَصْعة تليها تشبع العشرة، ثم الصَّحْفة تشبع الخمسة، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصُّحَيْفة تشبع الرجل. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص١٣؛ الرازي، مختار الصحاح، ص١٧٣.

(٦) السِّلْعة: كل ما يُتّجر به من بضائع. الزبيدي، تاج العروس، ج٢١، ص٢١٦ (سلع).

(٧) ي: من.

(٨) هو الشماخ (أو معقل) بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني (ت٢٢هـ)، شاعر مخضرم، شهد القادسية. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٩٩.

(٩) سقطت الواو في ي.

(١٠) كتاب (أدب الكُتّاب) للصُّولي.

في البيتِ إلى شيءٍ من الزّيْت، فأنشدتُّ شيئاً[1] من شِعْر الكُمَيْت[2] ألفاً ومائَتيْ بَيْت، فلم يُغْنِ. ولو وقَعتْ أُرجُوزةُ العَجّاج[3] في توابلِ السِّكْباج، ما عدِمتُها عندي، ولكن ليستْ تَقع، فما أصنع؟

فإنْ كنتَ تحسَبُ اختلافَك إليَّ، إفضالاً عليَّ، فراحتي أنْ لا تَطْرُقَ ساحتي، وفَرَجي أنْ لا تَجِي، والسَّلام.

---

(١) ساقطة في ي.

(٢) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي (ت١٢٦هـ)، صاحب (الهاشميات). ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٣٩٠.

(٣) عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي (ت٩٠هـ) راجز مشهور، هو وابنه رؤبة. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٣٩٧، ص٣٩٩.

وكَتَبَ إليه أبو القاسم الهمَذاني[1]

قد طَبَخْتُ لسيّدي حاجةً إنْ قضاها، وبلَغَ نَضاها، ذاقَ حَلاوةَ[2] العطاء. وإنْ أباها، وفَلَّ[3] شَباها، لَقيَ مَرارةَ الاستبطاء. فأيُّ الجُودَيْن أخفُّ عليه: جُودُهُ بالعِلْقِ أم جُودُهُ بالعِرْض؟ ونُزُولُهُ عن الطّريف أم عن الخُلُقِ الشّريف؟

فكتَبَ إليه الجواب[4]

جُعلتُ فِداكَ، هذا طَبيخٌ كلُّهُ تَوْبيخ، وثَريدٌ كلُّهُ وَعيد[5]، ولُقَمٌ إلّا أنّها نِقَم. ولم أرَ قِدْراً أكثرَ منها عِظَماً، ولا آكِلاً أكبرَ منّي عُظْماً. ولم أرَ شَرْبةً أمرَّ منها طَعْماً، ولا شارِباً أتمَّ مِنّي حِلْماً.

ما هذه الحاجةُ ؟ ولتكنْ حاجاتُك من بعدُ ألينَ جَوانب، وألطفَ مَطالِب، نُوافِقْ قضاءَها، ونُرافِق ارتضاءَها.

---

(١) ص، ي: وكتب أبو القاسم الهمذاني إليه.

(٢) ي: حرارة.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «وفلّ: من الفلّ، وهو الكسر والتفريق. وشباة كل شيء: حدّ طرفه، جمعه: شبى».

(٤) العنوان في ص، ي: فأجابه.

(٥) صحّح عليها ناسخ س.

وله إلى الشّيخ أبي نَصْر

كتابي - أطالَ اللهُ بقاء الشّيخ - وقد أغنت الحالُ بحمدِ الله عن التّعريف، ووجَدتُّ ضالّتي من رأيِه الشّريف. واسترَقَّ الشّيخ مَوْلاهُ، بالذي أوْلاهُ، وأغْنتْني[1] يدُ اللِّقاء، عن النَّظْرةِ[2] الحَمْقاء[3]. وبالله، ما سلكتُ موضِعَ لُقْياهُ إلّا سألتُ اللهَ سُقْياه. والحُرُّ سَريعُ الطَّفْرة[4]، إلّا أنّه قصيرُ السَّفْرة، ومثَلُ الصَّفْو، مَثَلُ الصَّحْو: هذا بعدَ الكَدَر، وهذا عَقِبَ[5] المَطَر. ولا خيرَ في خُلَّتَيْنِ[6]، دُونَ القُلَّتَيْن[7]، يَشوبهما كُلُّ خَبَث، ويُنجِّسُهُما أدْنى حَدَث[8].

وكذا المَجْدُ لا يَنفكُّ عن المجيد بحرِّ الحديد، ولا يَنسَدُّ على المَسُود بالجبال السُّود.

والشّيخ لو هرَب من مكرُمةٍ لَتبِعَتْهُ[9]، ولو طَرَحَها لَعلقَتْهُ، ولو لم يأتِها مُختاراً، لأتَتْهُ إجباراً، والحمدُ لله وحدَه.

---

(١) ي: وأعنقني.

(٢) ي: النقرة.

(٣) النظرة الحمقاء: هي النظرة الأولى التي لم يتقدمها اختبار ومزيدُ نظر. ويد اللقاء: بمعنى نعمته، وأضيفت إلى اللقاء لأدنى ملابسه لأنه سببها. كشف المعاني، ص٢٢٥.

(٤) ص: الظفرة.

(٥) ي: عقيب.

(٦) ي: خليَّيْن.

(٧) ي: القلبين.

(٨) ي: حديث.

(٩) ي: لسعته.

ولم أرَ كالشّيخ بُعْدَ سَماع، وقُرْبَ عِيان، وعِيفَ بذاء[1]، ولُطْفَ لقاء[2]. ولا مِثْلي أسيراً في يدِهِ يَطويه بلسانِه، ويَنشُرُهُ بإحسانِه. وعَهْدي بمُلوكِ الأرضِ نَظّارةً إذا حَضَرْتَ، وبألسنةِ الفَضْلِ ساكتةً إذا نَطَقْتَ.

وأكثرُ ما في الفَضْلِ أنّ الشّيخ لا نجمَعُـه في القيـاس، مـع النّـاس، كالشّـمس لا نُجريهـا[3] في العُمـوم، مجْـرَى النُّجـوم[4]. مـا لي أنسـى؟ ألعُـرٍّ صُـنْتُهُ[5] أو لغـيرِ هـذا أجَـدْتُ[6] القَلَـم؟ كَيـفَ رأى الشّـيخ صُـنْعَ الله لحزبِـه، وبَـأسَ الله في حَرْبِـه؟ ألم يجِـد الفَريقانِ ما وَعَدهما ربُّهما حقّاً[7]؟ بلَى، والله أعْلى كلمة، والحقُّ أحْسـنُ خاتمـة، والـدِّينُ أثبتُ[8] قائمة، والعَدْلُ أجـدرُ أنْ يَـدُوم، وأوْلى أنْ لا يُـزالَ ولا يَـزُول، وجُـرْحُ الجَـوْر قريبُ الغَوْر، ونارُ الحَلْفاء سريعةُ الانطفاء، والشّيطانُ أضعفُ جُنْداً، والسُّـلْطان أعْـلى يداً، وعَمَلُ النَّصْل بحَسَبِ الأصْل.

وحُقَّ لسَهْمٍ تُوردُهُ يَدُ الشّيخ، وتُصدِرُهُ قَوْسُ النُّصْرة، ونَزْعُ القُدْرة، أنْ يُصيبَ سَواءَ الثُّغْرة[9]،

---

(١) كذا في الأصول، ولم أهتدِ لها.

(٢) ص: بقاء.

(٣) ي: يجرمها.

(٤) أي: تميزها عن جميع النجوم باسم الشمس وإن كانت من جنس الكواكب؛ لأنها كوكب ينسخ وجوده الظلام. كشف المعاني، ص٢٢٦.

(٥) عبارة ي: أمسى العرصة ولهذا.

(٦) ي: أخذت.

(٧) هذا نسقٌ يأتي به أبو الفضل، تأثراً بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ في الآية ٤٤ من سورة الأعراف.

(٨) ي: أبيت.

(٩) كتب ناسخ س في الحاشية: «الثغرة بالضم: ثغرة النحر بين الترقوتين، وسواء الشي: وسطه».

وكـانوا كالسِّـهام فـإنْ[1] أصـابتْ مَراميَهـــا فراميهـــا أصـــابا[2]

قَرَنَ اللهُ هذا المُلْكَ بالدّوام، وهذا الفَتْح بالتَّمام.

وبَعْدُ، فما أشوقَني إلى خِدْمةِ تلك الحَضْرة، بعدَ تلك النَّصْرة، وأخوَفَني أنْ لا أُصادِفَ وِساداً مَثْنِيّاً، ومحلًّا سَنِيّاً، وأسْرَعَني إليها إنْ أمِنْتُ هذه الواجدة.

وللشّيْخ في الإجابة عالي رأيِه إنْ شاءَ اللهُ تَعالى[3].

---

(١) ي: وإن.

(٢) لأبي فراس الحمْداني. ديوانه، ص٢٨.

(٣) العبارة في ي: والشيخ في الإجابة إن شاء الله.

وله - عَفا الله تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

كتابي - أطال اللهُ بَقاءَ الشّيخ - من ساهنيان[2]، وأنا أمرُجُ في المُرُوج، مع العُلوج، بينَ الصُّنانِ[3] والبَخَر، وليس العِيانُ كالخَبَر، عن سَلامةٍ في كَنَفِ جُمُعة البوشَنْجيّ، ويَحْيَى الزَّرَنْجِيّ[4]، ومبارك الزَّنْجيّ، ويَحْيَى الخارجيّ، وزيقا وليقا، و﴿ وَحَسُنَ أُوْلَتَئِكَ رَفِيقًا ﴾[5].

مَثَلي - أيّد اللهُ الشّيخ - مَثَلُ[6] رجلٍ صامَ حَوْلاً، فلمّا أفْطر شَرِب بَوْلاً. تصوَّنتُ عن أعمالِ السُّلْطان وقد عُرِضَتْ عليَّ أمّهاتُها، واضطرَّتْني الحالُ إلى خِلافةِ فُلان، وقد وَرَدتُ منه على كريمٍ لا يُمكِنُني سَعَةُ أخلاقِه مِن شِدَّةِ خِناقِه[7]، ولا يَحتَمِلُ حالي إغفالَ[8] مالي. فهل الحِيلةُ إلّا مُعاونتُهُ على تَدارُك أمرِه ؟

---

(١) عنوان ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) كذا في النسخ، ورسمها بنون بعدها ياء، أو ياء بعدها نون، ولم أظفر بما يمكنني من تعريف هذا الموضع.

(٣) تحرّفت هذه الكلمة في ي: (الضأن)، ولا معنى لها ها هنا في موضع الذمّ. وكتب ناسخ س في الحاشية: «الصنان بالمهملة: زفر الإبط، وأصنّ الرجل: صار له صُنان، وأصنّ الماء: تغيّر. والبخر: نتن الفم، والفعل منه: بخِر بالكسر فهو أبخر».

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «زرنج بزاي فراء مفتوحتين ونون ساكنة: كورة بسِجِسْتان، وبوشنج معرّب بوشنك، وهي بلد من هَراة». وكلا التعريفين صحيح.

(٥) سورة النساء، من الآية ٦٩.

(٦) موضع كلمة: (مثل) في ي: فلان ساقولا، ، وهو تحريف عجيب !

(٧) المراد به: شدّةُ تضييقه عليه. كشف المعاني، ص٢٢٨.

(٨) ضبط ناسخ س اللام بالضمّ، ولم يصب التوفيق.

وقد[1] كان وَجَّهَ لدَيْني[2] وُجُوهاً، فسبَقني[3] إليها صاحبُ التَّسْبيب[4]، وطُعْمةُ الأسَدِ تُخمةُ الذّيب. لا جَرَمَ أنّي استخرجتُ ما اسْتَوفاهُ، من عَرضِ قَفاهُ، بعدَ أنْ أخذتُ الحُجَّة عليه، فقال: لا أسمَحُ لك من هؤلاءِ الأكَرةِ وما يُؤدُّونه، بدِرْهمٍ فما دُونَه. وحقّاً، إنّ المغبون مَن لم يعرفِ الزَّبُون[5]، والمَرْدودَ[6] مَن لم يَعرِف[7] المقصود. وإذا لم يكنْ صَيْرَفيُّ الرِّجال أحْذَقَ من صَيْرَفيِّ المال، باتَ محذوفَ السِّبال، وأصبحَ مُوجَعَ القَذال. وقد خرَجَ إلى الشّيخ مُتظلِّماً، ولا أقنَعُ حتى يَكتُبَ في ظهرِهِ جوابَ كتابي بقلمٍ اسمُهُ السَّوْط، فإنْ قَصَّر أو أخَّر فعَدَدُ الرَّمْلِ عَرْبَدة، وعَدَدُ النَّمْل مَوْجدة.

وهذا الحُرُّ قد أراني وَجْهاً للمال، ولكنّه أشعَثُ أغْبَر، وعَيْناً للدَّيْن ولكنّه أحولُ أعور.

وقد كان وَكيلي استوثَقَ منه بإحالة، أكّدها بقَبالة[8]، على زعيمِ الناحية، وسألتُ عنه فقيل: مُتوارٍ، فاستنزَلْتُهُ بفَضْل خِداعٍ، وسألتُهُ عن سبب تواريهِ، فذكَر أنّ الجَرّاحَ بنَ مُحمّد قصَد أيّام وِلايته، قَصْدَ نِكايته، وخافَ الآنَ من[9] سِعايتِه،

---

(١) حرف التحقيق من ي.

(٢) تحرّفت هذه الكلمة في ي: أرني.

(٣) ي: يسقني.

(٤) ي: النسب. والتّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

(٥) يريد به الغريب، والصاحب الذي يسعى به، لأنه يدفعهُ عن التقاضي والسعاية إلى الوقوع به. كشف المعاني، ص٢٢٩.

(٦) المردود: الذي رُدَّ عن قضاء حاجته. كشف المعاني، ص٢٢٩.

(٧) ي: يعلم.

(٨) القبالة هي: الكفالة والضمان، وتطلق أيضاً على الورقة التي كتبت بها الكفالة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥٤٤ (قبل).

(٩) قوله: (الآن من) تحرّف في ي كلمة واحدة: الأزمن.

فسَكَّنتُ نَفْرتَه[1].

فإنْ بذَل له الشّيخ كِتابَ أمان[2]، وبذَلتُ له عهْدَ ضَمان، حضَرَ البساطَ الرَّفيع. ثم لم يسألِ العفْوَ عن جُرْمٍ إذا صَحَّ، ولا المُسامحَةَ بدِرْهَمٍ إذا وجَب، فإنْ لم يَفعل الشّيخُ ذلك ابتَغى نَفَقاً[3] في الأرضِ أو سُلَّماً في السَّماء[4]، فالسُّلْطان يحذَرُه السَّليم، كما يحذَرُهُ السَّقيم[5]، لا سيَّما الشّيخ، وبَطْشُهُ العظيم.

نَعَمْ - أيّد اللهُ الشّيخ - ظَفِرْتُ برجُلٍ كان ضالَّتي منذ سنين، ولي في جَنبِه مالٌ عظيم، لكنّه أراني توقيعاً للشّيْخ في كتابٍ سُلطانيّ، بأنْ[6] لا يَتعرَّضَ له مُتعرِّض، ووَجَدتُ الأمْرَ على العُموم، ووَرَدَتِ النّفْسُ على مَكروهها، فلمّا عَرَضَ عليَّ الكتابَ سجدتُ لعِنانِه[7]، ثم لعُنْوانِه، ثم لموضعِ بَنانِه، من عالي[8] توقيعه، ثم لجميعه. ورَجَعْتُ من المطلوب بيدٍ خالية، وأخرى كالية، واحتسبتُ عندَ الله تلكَ السِّنين[9]، واللهُ لا يُضيعُ أجر المحسنين[10].

---

(١) ي: نعرته.

(٢) يطلب أبو الفضل الأمان لزعيم الناحية الذي كفل الدَّيْن بدون اقتراف ذنب ولا غرامة، فإن لم يؤمنهُ بقي متوارياً بها لم يطلع عليه أحد. كشف المعاني، ص٢٣٠.

(٣) ي: مرفقاً.

(٤) نسق على قوله تعالى: ﴿نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة الأنعام، من الآية ٣٥.

(٥) (كما .... السقيم) ساقط في ص.

(٦) ي: ناس.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «عننت الكتابَ وأعنته لكذا: عرضته له وحرفته إليه».

(٨) ي: عليّ.

(٩) أي: السنين التي تَعنّى فيها بجمع المال، أو تلك السنين التي كان يبحث فيها عنه. كشف المعاني، ص٣٢٠.

(١٠) نسقٌ آخر على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ سورة التوبة من الآية ١٢٠.

وله

تغمّده اللهُ تَعالى برحمته[1]

وَصَلَتْ رُقْعتُك يا سيِّدي، والمصابُ - لَعَمْرُ الله - كبير، وأنت بالجَزَع جَدير، ولكنّك بالصَّبْر أجدر.

والعَزاءُ[2] عن الأعزَّة رُشْدٌ كأنّه الغَيّ، وقد مات الميّت فلْيَحْيَ الحَيّ. واشْدُدْ على على مالِك[3] بالخَمْس[4]، وأنت اليومَ غَيرُك بالأمْس.

قد كان ذلك الشّيخ - رَحِمه اللهُ - وَكيلَك، يَضحَكُ ويبكي لك، وقدْ موَّلَك بما لَفَّ بينَ سُراهُ وسَيْرِه، وخلَّفَك فَقيراً إلى الله غَنيّاً عن غَيرِه، وسيعجُمُ الشيطانُ عُودَك[5]، فإن استلانَهُ رَماكَ بقومٍ يقولونَ: خَيْرُ المالِ مَتْلفةٌ[6] بين الشّراب والشّباب، ومَنْفَقةٌ بين الأحبابِ والحَباب[7]، والعيشُ بين الأقداح والقِداح[8]. ولولا الاستعمال، لما أُريدَ المال.

---

(١) ص: وله إليه أيضاً، ي: وله أيضاً. وقد تكررت هذه الرسالة في ص بنصِّها ؛ فأثبتناها هنا لسبقها، وحذفنا الأخرى.

(٢) ي: والإعزاء.

(٣) ص، ي: حالك، وسياق النص يمنعه

(٤) لعلّ المراد بالخمس هنا: أصابع اليد الخمس.

(٥) عجم العود: كناية عن اختبار الشخص. كشف المعاني، ص٢٣١.

(٦) س، ي: منقلة، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه متلفة»، وهو الصواب المساير للمعنى، وفي ص في الموضع المكرّر: «تلف بين الشراب والشباب..».

(٧) الحباب: الفواقع التي تطفو على وجه القدح ونحوه، ويريد بها الشراب. كشف المعاني، ص٢٣١.

(٨) القداح، جمعَ قِدْح: أحد أقداح الميسر، والمراد بِهِ اللعب بالقمار، والأقداح: جمع قَدَح بفتحتين، يريد به ما يسقى به الشراب. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٥٤، ص٥٥٦ (قدح).

فإنْ أطعتَهم فاليومَ في الشّراب، وغداً في الخراب، واليومَ واطَرَبا للكاس، وغداً واحَرَبا من الإفلاس.

يا مَوْلاي، ذلك الخارجُ من العُودِ يُسَمّيه الجاهل نَقْراً[١]، ويُسـمِّيه العاقـل فَقْـراً، وذلك المسموعُ من النّاي[٢] هو في الآذانِ[٣] زَمْـر[٤]، وفي الأبـوابِ سَـمْر[٥]. وإنْ لم يجِدِ الشيطانُ مَغمَزاً[٦] في عُـودِك مـن هـذا الوَجْـهِ رَمـاك بـآخرين يُمثّلـون[٧] الفقـرَ حِـذاءَ عَينِك، فتُجاهِدُ قَلْبَك، وتُحاسِبُ بَطْنَك، وتُناقِشُ عينَك[٨]، وتمنَـعُ نفْسَـك، وتبُـوء[٩] في دُنياك بوِزْرِك، وتَراهُ في الآخرةِ في ميـزان غـيرِك، لا، ولكـنْ قصْـداً بـينَ الطَّـريقَيْن[١٠]، ومَيلاً عن الفَريْقَين، لا مَنْعٌ ولا إسرافٌ.

والبُخْلُ فَقْرٌ حاضرٌ وضَيْرٌ عاجِل، وإنّما يَبْخَلُ المرءُ خِيفةَ ما هو فيه.

لله في مالِكَ قِسْطٌ، وللمُرُوءَةِ قِسْم، فصِلِ الرَّحِمَ ما استطعْتَ، وقَدِّرْ إذا قطَعْت.

وأنْ تكونَ إلى جانبِ التقدير[١١]، خيرٌ لك من أنْ تكون إلى جانبِ التبذير.

---

(١) المراد بالنقر هنا: الصوت الذي يسمع من العود عند نقره.

(٢) ي: النابي.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: الأبدان».

(٤) ي: مر.

(٥) المراد أن الناي يؤثر في الآذان كما يؤثر سمر المسمار في الباب. كشف المعاني، ص٢٣٢.

(٦) ي: معتمراً.

(٧) عبارة ي: بالآخرين يُميلون.

(٨) ص: غيرك.

(٩) ي: وبنو.

(١٠) ي: الطرفين.

(١١) التقدير: هو أن تنفق على قدر نفسك بلا إسراف ولا تقتير. كشف المعاني، ص٢٣٣.

وله

إلى القاضي أبي نَصْرٍ ابن سَهْل[1]

ما للقاضي - أعزَّهُ اللهُ - يَلقاني بوجهٍ كأنّه الزَّقُّوم، ويَراني فلا يقوم؟ أما أسألُه أنْ يقتديَ بغيرِه لا بأمرِه[2]! ألستُ لقيامِهِ أهْلاً؟ لعَنَ اللهُ أكْثرنا جَهْلاً، وأقلَّنا فَضْلاً، وأخسَّنا أصْلاً.

تلك القَلَنْسُوةُ ليستْ بأوَّلِ قَلانِس الحُكّام، وتلك الشَّيْبَةُ ليستْ بأوَّلِ شَيْبَةٍ في الإسلام. نحن نَخْرى[3] في خيرٍ من تلك القَلَنْسُوة، ونَصفَعُ خَيراً من تلك القَمَحْدُوة[4]. فلْيُحْسِن العِشْرَةَ معي من بَعْدُ[5] فلستُ من رعيَّته، وليُجْمِل الصُّحْبَةَ من من ظاهرِهِ إنْ لم يُجْمِلْها من نِيَّته، أو فلْيفعَلْ ما شاء، فإنّها شِقْشِقةٌ هَدَرتْ[6]، والجميلُ أجمل، والسَّلام.

---

(١) انظر: ديوان بديع الزمان، ص١٢٧.

(٢) (أما ...... بأمره) انفردت به ي.

(٣) ي: فخراً.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «القمحدوة بزيادة الميم: ما خلف الرأس، والجمع: قماحد». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٦٨ (قمحد).

(٥) العبارة في ي موضع هذا الظرف: لم يعد.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «شقشقة بالكسر: شيء كالرئة يخرجها البعير من فمه إذا هاج، وشقشق الفحل: هدر، والعصفور يشقشق لعلّه في صوته». وانظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٨٥ (شقق).

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه[1] - إلى الدَّهْجَدانيّ[2]

المَوَدّة - أيّد اللهُ الدَّهْجَداني - غَيْب، وهو آيةٌ[3] في مكانٍ من الصَّدَر، لا يَنفُذُهُ بَصَر، ولا يُدرِكُهُ نَظَر، ولكنّها تُعرَفُ ضرورةً، وإنْ لم تظهَرْ صُورةً، ويُدرِكُها النّاس، وإنْ لمْ تُدرِكْها الحواس. ويَسْتملي المرءُ صحيفتَها من صَدْرِه، ويَعرِفُ حالَ غيرِهِ من نفسِه، ويعلَمُ أنّها حُبٌّ وراءَ القلب، وقلبٌ وراءَ الخِلْب، وخِلْبٌ وراءَ العَظْم، وعَظْمٌ وراءَ اللَّحْم، ولَحْمٌ وراءَ الجِلد، وجِلدٌ وراءَ البُرْد، وبُرْدٌ وراءَ البُعْد. ولو كانتْ هذه المحبّةُ قَواريرَ لم يَنفُذْها نظَرُ العَيْن، فيُسْتدَلُّ عليها بغيرِ هذه الحاسَّة.

والدَّهْجَدانيُّ يَعتِبُ عليَّ أنّي نَسيتُ الحالَ بدليلِ أنْ لا أُنفِذَه. ووالله، لو التبَسْتُ به التباساً، يَجعَلُ راسَيْنا راساً، ما زِدتهُ وُدّاً، ولو حالَ بيني وبينَهُ سُورُ الأعراف، ما نقَصتُهُ حُبّاً. وقد - والله - اختَلَفَتْ عليَّ مَواضعُهُ حتى ظننْتُ القضاءَ يُكايد، وأردتُ زِيارتَهُ بالأمسِ، ثم وَقَع من الاضطِرابِ ما ثَنَى العزْمَ، فإنْ نَشِطَ في هذه اللّيلةِ عرَّفني مُستقرَّه، لأحضُرَهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) الدعاء بالعفو عنه من س فقط.

(٢) الضبط من س، وجاءت في ي بزيادة نون بعد الهاء: الدهنجدانيّ، حيثما وردت، ولم أهتدِ إلى هذه النسبة ولا إلى صاحبها.

(٣) ي: أنه.

وكَتَب - سامَحه الله[1] - إليه أيضاً

غَضَبُ العاشقِ أقصرُ عُمْـراً، مـن أنْ يَنتظـرَ عُـذْراً، وإنْ كـان في الظّـاهرِ مَهابـةَ سَيف[2]، إنّه في الباطن سَحابةُ صَيْف.

وقد رابَني إعراضُهُ صَفْحاً، أفجِدّاً قَصَد أم مَزْحاً ؟ ولـو التـبَسَ القَلْبـانِ جِـدَّ[3] التباسِهما ما وجَدَ الشّيطانُ مَساغاً بينَهما. ولا والله لا أرُفُّك[4] وُدّاً، تجِدُ منه بُدّاً، إنْ كنتَ الجِدَّ قصَدتَ. وإنّ محبَّةً تحتمِلُ شَكّاً لأجدرُ محبَّة، أنْ لا تُشتَرى بحبَّة. وإنْ كان مُزاحـاً[5] ما قصَدَ فما أغنانا عن مَزْحٍ يحُـلُّ عَقْـدَ الفُـؤاد، حتـى يَقِـفَ عـلى المُـراد، ولا يسَـعُنا إلّا العافية، والسَّلام.

---

(١) في ص، ي، موضع الثلاث كلمات: (وله).

(٢) ي: السيف.

(٣) ص، ي: حقّ. وكلاهما بمعنى.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «رفَّه يرُفُّه بالضم: حاطه وعطف عليه، وفي المثل: من حفّنا أو رفّنا فليقتصد، أي: مدحنا وأطرانا».

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «المزاح بالضم: الدعابة، وبالكسر: مصدر مازح ممازحة».

ولـه - عَفا الله عنه - إلى بعضهم[1]

كم لله من عَبْدٍ إذا جاع حَبَّر الأسْجاع، وإذا اشتهى الفُقّاع[2] كَتَبَ الرِّقاع. وهذا تشبيبٌ بعدَهُ تَشْبيب.

قد عرَفَ الشَّيخ بَرْدَ هذا المُبرَّد، وخُروجَهُ في سُوءِ العِشْرةِ عن الحدّ، فإنْ رأى أنْ يُلبِسَني[3] من الحَطَبِ اليابس فَرْوةً، ويَكْفِيني من أمْر الوَقودِ شَتْوةً، فلَهُ التّدبيرُ في ذلك، ثم التخييرُ في الشُّكْرِ، والسَّلام.

---

(١) ص: وله إليه أيضاً، وي: وله أيضاً.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «الفقاع بالضم: الذي يشرب».

(٣) بعده في ي: في، ولا معنى له هنا.

وله - رَحِمه الله[1] - إلى رئيسِ نَسا[2]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - والكاتبُ[3] مجهول، والكِتابُ فُضُول، وبحَسبِ الرّأْيِ مَوقِعُه، فإنْ كان جَميلاً فهو تَطَوُّل، وإنْ كان سَيّئاً فهو تَطَفُّلُ. فأيّهما سلكَ الظّنّ، فلهُ - أيّده اللهُ - المنّ، من نَيْسابُور، عن سَلامةٍ نَسأَلُ اللهَ تَعالى أنْ لا يُلهِينا بِسُكْرِها عن شُكْرِها، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

يقولُ الشّيخ أيّده الله: مَن هذا الرَّجُل[4]، وما هذا الكتاب؟ أمّا الرَّجُلُ فخاطبُ وُدٍّ أوّلاً، ومُوصِلُ شُكْرٍ ثانياً، وأمّا الكتابُ فلِحامُ أرحامِ الكِرام، فإنْ يُعِنِ اللهُ اللِّحامَ تَصِلِ الأرحام، ويُحسِنْ غَيور إلى كُلِّ عَثور[5].

هذا الشّريفُ قد[6] خانَهُ زَمانُ السوءِ، فأخْرَجَهُ من البيتِ الذي بلَغَ السَّماء مَفْخراً، ثم طلَبَ فوقَهُ مَظْهراً، وله بَعْدُ جلالةُ النّسبِ وطهارةُ الأخلاقِ وكرَمُ العَهْد. وحضَرني فسألتُهُ عمّا وراءَهُ، فأشارَ إلى ضالّةِ الأحرار، وهو الكرَمُ مع اليَسار. ونبَّهَ على قَيْدِ الكِرام، وهو البِشْرُ مع الإنعام. وحدَّثَ عن بَرْدِ الأكباد، وهو مُساعدةُ الزَّمان للجَواد، ودلَّ على نُزْهةِ[7] الأبصار وهو الثّراءُ، ومُتْعةِ الأسماع وهو الثّناءُ، فقلَّما[8] اجتمعا، وعزَّ ما وُجِدا معاً.

---

(١) كلمة الترحُّم في س فقط.

(٢) إحدى مدن خُراسان، قريبة من سَرَخْس وأبيوَرْد ومَرْو. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٦٥. وهي الآن ضمن أراضي جمهورية تركمانستان.

(٣) ي: والكتاب. سبق قلم.

(٤) صحّح ناسخ س على هذه الكلمة.

(٥) ي: عبور.

(٦) عبارة ي: هذا التشريف وإن.

(٧) ي: نزعة.

(٨) ي: فقتلها.

وذكَر أنّ الشّيخ - أيّده اللهُ - جِماعُ هذه الخيرات، وسألني الشّهادةَ له وبَذْلَ الخطِّ به، ففعَلْتُ، وسألتُ اللهَ إعانتَهُ على هِمَّته.

وللشَّيْخ - أيّده اللهُ - في الوُقوفِ على ما طلَب، والإجابةِ إنْ نشِط، رأيُهُ[1] المُوفَّقُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: واللهُ.

وله - رَحِمه الله[1] - إلى أبي نَصْرٍ المِيكالي

كتابي - أيّد اللهُ الأميرَ - وبِوُدِّي أنْ أكُونَهُ، فأسْعَدَ[2] به دُونَهُ. ولكنَّ الحَريصَ مَحروم، ولو بَلَغ الرِّزْقُ فاهُ، لَولَّى قَفاهُ. فرَّقَ اللهُ بين الأيّام، تَفريقَها بين الكرام.

والهَمَذاني يُورِدُ بعقْلٍ ويُصدِرُ بتمييز، وما ذلك على الله بعزيز[3].

أنا في مُفاتَحةِ الأميرِ بَيْنَ ثِقةٍ تَعِد، ويدٍ تَرتعِد. ولِمَ لا يكونُ[4] ذلك والبَحرُ وإنْ لم أرَهُ، فقد سمعتُ خَبَرَهُ، ومَن رأى من السَّيْف أثَره، فقد رأى أكثَرَه[5]، وإذا لمْ ألْقَهُ، فهل أجْهَلُ خُلُقَه[6]؟ وما وراءَ ذلك من تالدِ أصلٍ ونَشَب[7]، وطارِف فَضْلٍ وأدب، وبُعْدِ هِمَّةٍ وصِيت، فمَعْلوم، تَشهَدُ بذلك الدّفاتر، والخَبَرُ المُتواتر، وتَنطِقُ به الأشعار، كما تختلفُ عليه الآثار. والعينُ أقلُّ الحواسِّ إدراكاً، والأُذُنُ[8] أكثرُها استمساكاً. وإنْ بعُدتِ الدارُ أيضاً فلا ضَيْر، إنّ أيْسرَ البُعْدَين بُعْدُ الدّارَيْن، وخَيْرَ القُرْبَين قُرْبُ

---

(١) الترحُّم من س فقط. وأبو نصر هذا هو الأمير أحمد بن عليّ بن إسماعيل (ت٤٠٦هـ) من أمراء الأسرة الميكالية التي كانت تدير شؤون نَيْسابُور تحت ظل السّامانيين ثم الغزنويين. عنه، انظر: العتبي، اليميني، ص٤٣٠؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٠٧. وله ذكرٌ كثيرٌ عند المطوعي، درج الغرر.

(٢) ي: فأستعدّ.

(٣) تأثر بأسلوب القرآن العزيز.

(٤) قوله: لا يكون، ليس في ي.

(٥) أي: اختبرهُ جيداً. والمراد بالأثر: مضاء العزم ونفوذ الأمر وسداد الرأي. كشف المعاني، ص٢٣٨.

(٦) عبارة ي: فلمَ أجهل إلّا خلفه.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «والنشب بالشين المعجمة: المال والعقار، وبالمهملة: واحد الأنساب».

(٨) ص: والآذان.

القَلْبَين[1]. وإنْ لم تكنْ معرفةٌ فستكونُ إنْ شاءَ الله.

الرَّقاعةُ - أيّد اللهُ الأميرَ - رُقْعةٌ واسِعة، أنا في أنواعها باقِعة[2]، وههنا نادرةٌ واقعة، لم نَرَها في (نَوادِرِ) ابنِ الأعرابي، ولا في (إملاءات) الصُّولي، ولا في ثاني (غريب المُصنَّف)[3]، ولا في غَيْرِها من كُتُبِ الأدب، وهي أنّ شيخَنا أبا نَصْرِ ابنَ دوسنام سَألني طُولَ هذه المدَّة، مُكاتبةَ تلك السُّدّة، مُستشفعاً بكتابي إلى الخُلُقِ العظيم، والعِلْقِ الكريم، والفَضْلِ الجَسيم، وكُلِّ شيءٍ على الميم في باب[4] التفخيم. وبي[5] - إنْ أُعرِّفْ - شغْلٌ شاغل، وحتّى أُقبِلُ وأُداخِلُ دُخولاً معلوماً، لا يقتضي لُوماً، فلا تظُنَّنَّ إلّا الجميل. وعرَّفتُهُ أنّ الحِمارَ نَفْسُهُ، ثم رَفْسُهُ، والمرءَ وُجودُه، ثم جُودُه، وشفيعٌ لا يُعَرفُ: غريب، ولكنّه من غريب الخبيث، لا من (غريب الحديث)[6]. فأبى إلّا أنْ أفعَلَ، وقد فعَلْتُ على السُّخط، من الفُرْط، فإنْ قُبِلتِ الشّفاعة فالمجْدُ يأبى إلّا أنْ يَعْملَ عَمَلَه، وإنْ رُدَّتْ فليست كلمةُ السّوءِ مِثْلَه[7]، والسَّلام.

---

(١) قرب القلبين، أي: قلبهُ وقلب الأمير. كشف المعاني، ص٢٣٩.

(٢) الباقعة: الرجل الداهية والذكي العارف لا يفوته شيء ولا يدهى. ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص، (بقع).

(٣) لأبي عبيد القاسم بن سلّام.

(٤) سقط هذا اللفظ في ي.

(٥) ي: وإلى.

(٦) لعل المراد به كتاب (غريب الحديث) لابن سلّام، أو (غريب الحديث) لابن قتيبة.

(٧) مثله، أي: مثل السوء، ويريد بكلمة السوء: رسالته المتضمنة لشفاعته لأنها ردت، أو يريد بها: كلمة الرد من المشفوع إليه. كشف المعاني، ص٢٤٠.

وله أيضاً

رَحِمه اللهُ تَعالى وعَفا عنه[1]

مَثَلي – أيّد اللهُ القاضي – مَثَلُ رجُلٍ من أصحابِ الجِرابِ والمِحراب، تقدَّم إلى القَصّاب، يسأله فِلْذةَ كَبِد، فسَدَّ باليُسرى فاه، وأوْجَع بالأخرى قَفاه، فلمّا رجَعَ إلى مَسْكنه، كَتَب إليه تَوْقيعاً[2]، يطلُبُ حَمَلاً رَضِيعاً[3].

كذلك أنا، وَرَدتُّ فلا إكرامَ بإلمام، ولا صِلةَ بسَلام، ولا تَعهُّدَ بغُلام. فلمّا وجدتُّهُ لا يُبالي بسِبالي، كاتبتُهُ أشفعُ لسوايَ، وهو مُوصِلُ رُقعتي هذه، وله خَصْمٌ بينَهما قصَّة لا أسألُهُ في البَيْن، إلّا إصْلاحَ الجانِبَين[4]، والسَّلام[5].

---

(١) الترحُّم والعفو من س فقط.

(٢) ي: توفيقاً.

(٣) يريد به أنه مثل هذا الرجل الذي طلب قطعة كبد فأوجع بالصفع على قفاه، فذهب وكتب إليه يسألُهُ خروفاً رضيعاً، وقد منع وأوذي من سؤال القليل وهو حاضر، فكيف يطمع بالكثير وهو غائب؟ كشف المعاني، ص٢٤٠.

(٤) ي: الجانلين.

(٥) من ص.

وله أيضاً

عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1]

النّادرةُ[2] - أطالَ اللهُ بقاءَ القاضي - تُبْطِئ ولا تُخطئ، وفي مُضْحكاتِ الأحاديث، أنّ عِدّةً من المخانيث، قُدِّموا إلى أميرٍ فضَرب أحَدَهم بالسِّياط، وهو يَنشُدُهُ بالله[3] العظيم، وكتابِه الكريم، ورَسُوله الأمين، ويُذَكِّرُهُ الدِّينَ وحُرْمةَ المسلمين، والسِّياطُ تُوفِّيه نَصيبَه، والمُخنَّثُ يجْعَلُ الله حَسيبَه.

ثم قُدِّمَ الباقون فعُمِلَ بهم ما فُعِل بصاحبهم، فقال الأخير: يا حَمير، كذا يُحَلَّفُ الأمير؟ اصْبِرُوا حتى أُقدَّم، واسمعوا حتى أتكلَّم. فلمّا جُرِّدَ للسِّياط، قال: أيُّها الأمير، بحياةِ والدتِك إلّا عفوتَ عنّي، فقد أخَذَ الخوفُ منّي، فغضبَ الأميرُ وقال: عليَّ[4] بالسِّياط، حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط[5]، ما لك ولذِكْرِ الحُرَم؟ فحلَّفهُ المُخنَّثُ بطُرَّتِها، ثم بغُرَّتِها، ثم صارَ إلى نُعْرتها[6]، ثم تَدحرَجَ إلى سُرَّتِها، فلمّا انتهَى إلى السُّرَّة، أشْفَقَ الأميرُ على الحُرَّة، فقال: خلُّوهُ، قد والله بلَغْتَ السُّرَّةَ أو زِدتَ، وصِرْتَ إلى الدُّرَةِ أو كِدتَ، وماذا بعدَ الحقّ إلّا الضَّلال؟ وهل بعدَ الشَّرِّ إلّا النَّكال؟

لا يفعَلِ القاضي - أيّده اللهُ - آخرَ السُّرَّة أوّلَ الغُرّة. ما له ولأصحابِ الحديث؟ والله لَيَنْتَهِيَنَّ عن علمائهم وهو كريم، أو لَيَنْتَهِيَنَّ وهو لئيم.

---

(١) العنوان في ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: البادرة.

(٣) ي: الله.

(٤) ي: علوه.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، سورة الأعراف، من الآية ٤٠.

(٦) ص: ثغرتها.

وهذا الفقيهُ ميمونٌ وإنْ بَعُدَ عن دارِه، فلمْ يبعُدْه عن مقدارِه، وإنْ لم يَحضُرْ أقاربُه، فهذي عقارِبُه. لفهُ أفّ، فإنْ لم تُغْنِ فجَلاميدُ تَملأُ الأكُفّ، ثم اللهُ أعلمُ بما في الخُفّ[1]. والشرُّ قبيحٌ أنواعُه، فلْيَكْفِ عنه سَماعُه. ووراءَ هذه الجُمْلةِ تفصيل، وهمٌّ طويل، وقالٌ وقيل[2]، وخَطْبٌ ثقيل، فإنْ أراحَ أرَحتُ، وإنْ أحْوجَ شَرحت، والسَّلام.

---

(١) أشار بذلك إلى المثل القائل: لا يعلم ما في الخف إلا الله والإسكاف. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٤٨.

(٢) ساقطة في ص.

وله إلى الأستاذ أبي بكرٍ مُحمّد بن إسحاق[1]

الأستاذُ الزّاهدُ يَأمُرُ غاشيةَ[2] مَجلِسِهِ أنْ يُفتِّشُوا أعْطافَ المقابر وزَواياها، فإنْ وَجَدُوا قَلْباً قَريحاً، يَحمِلُ وُدّاً صَحيحاً، وكَبِداً داميةً، تَنقُلُ مَحبّةً نامية. فأنا ضيَّعتها بالأمْس، على ذلك الرَّمْس[3].

رَضِيَ اللهُ عن وَديعتِه، وعنّا مَعاشرَ شيعتِه، فيأمُرُ برَدِّهما إليَّ، فلا خَيْرَ في الأجساد، خاليةً من الفُؤاد، عاطلةً من الأكباد.

وأبو الحَسَن الهَمَذاني - مُوصِلُ رُقعتي هذه - له قِصَّةٌ يَعرِضُها، وحاجةٌ أنا أفرِضُها، تلميذٌ قد تَطرَّفَ بيوتَه، وتحيَّفَ[4] حانوتَه، ولجأ من الأستاذِ إلى حِصْنٍ مَنيع، ولجأ الأُستاذُ منهُ إلى أمرٍ شَنيع.

وهو - أيّده الله - قد عرَفَ ظاهرَ هذا الحُرّ وإنْ لم يعلَمْ باطنَه، وعَلِم سِيرتَه، وإنْ لم يَعلَمْ[5] سَريرته، وأيقنَ أنّه لو لم يَدَعِ الكَذِبَ ديانةً لتركهُ أمانةً وصيانةً، فإنّ حِرْفَتَهُ لا تحتملُ غيرَ الصّحة، ثم يَرْضَى بَعْدَ أَلْفِ مَكّاس، رأساً برأس، ويرُدُّ فضلَ صفقتَيْن، ويَحْمَدُ اللهَ عليهما بركعتَيْن.

واللهُ يُوفّقُ الأستاذَ لما يأتيه ويَذَرُه، فنِعْمَ الرَّفيق التّوفيق، والسَّلام.

---

(١) العنوان في س: وله عفا الله تعالى عنه وسامحه، وفي ص، ي: وله أيضاً. وقد كرر ناسخ س هذه الرسالة في موضع لاحق، ولكن بعنوان مختلف، وهو الذي آثرنا وضعه هنا عنواناً لهذه الرسالة، لما به من دلالة، وحذفنا الرسالة المكررة.

(٢) غاشية الرجل: أصدقاؤه وجُلّاسه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٢٦ (غشا).

(٣) الرَّمْس: القبر. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٠٢ (رمس).

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «تحيّف حانوته: تطرّفه، وتحيّفه: تنقّصه». انظر: لسان العرب، ج٩، ص٥٩ (حوف)، ص٦٠ (حيف).

(٥) ي: يعرف.

وله - سامحه اللهُ تعالى[1] - إلى أخيه أبي سَعيد

كتابي، أطالَ اللهُ بقاءَك، ونحن[2] - وإنْ بعُدتِ الدّارُ - فَرْعا نَبْعَةٍ، فلا تُحِيْنَنَّ[3] بُعدي[4] على قُرْبك، ولا تَمْحُوَنَّ ذِكْري[5] من قَلْبك، فالأخَوان - وإنْ كان أحدُهما بخُراسان، والآخرُ بالحجاز - مُجتمعانِ على الحقيقة، مُفترِقانِ على المجاز، والاثنان في المعنى واحدٌ، وفي اللّفظ اثنان.

وما بَيْني وبينَك إلّا سِتْر، طُولهُ فِتْر[6]، وإنْ صاحِبَني[7] رَفيق، اسمُهُ توفيق، لَنَلْتَقِيَنَّ[8] سريعاً، ولنسعدَنَّ جميعاً. واللهُ وليُّ المأْمُول.

جُعِلْتُ فِداك، الشَّقيقُ سَيِّءُ الظَّنّ[9]، وما أحوَجَني[10] إلى أنْ أراك، ولا قَرابةَ إلّا الأُخُوَّة، وتلك - واللهُ يُعيذُك[11] - نازِلةُ الدَّهر، وقاصِمةُ الظَّهْر، وإنْ يَشَأِ اللهُ يُسْنِكَ

---

(١) الدعاء بين شرطتين من س فقط. (أبي سعيد) من ي فقط. جاءت هذه الرسالة في ص في غير هذا الموضع من الترتيب.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) أي: لا تقرِّب بعدي على قربك، من: حان يحين، أي: قرب. كشف المعاني، ص٢٤٥.

(٤) ي: تحسن.

(٥) بعدها في ي: فكري.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الفتر بكسر الفاء وسكون المثناة الفوقية: ما بين طرفي السبّابة والإبهام إذا فتحا».

(٧) ص، ي: صاحبي.

(٨) ي: كنعلين.

(٩) (الشقيق سيء الظن) ساقط في ي.

(١٠) ي: أخرني.

(١١) ص: بعينك، ي: بعندك.

سَناً[1]، ويُنْبِتْكَ[2] نَباتاً حَسَناً، واللهُ أوْلى بك من أخيك، وهو حَسْبي فيك، فاسْتَعِنْ بالله بالله وَحْده، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[3] والسَّلام.

---

(١) (يسنك سنا) ساقط في ي.

(٢) ي: ونبتك.

(٣) سورة الزمر، من الآية ٣٦.

وله - سامحه الله تعالى[1] - إلى ابن أُختِه

كتابي، وقد وَرَد كتابُكَ بما ضَمَّنْتَهُ من تظاهُر نِعَم الله عليك، وعلى أَبَوَيْك؛ فسكَنْتُ إلى ذلك من حالِك، وسألْتُ اللهَ إبقاءَك، وأنْ يرزُقَني لِقاءَك.

وذكرْتَ مُصابَك بأخيك، فكأنّما فتَتَّ عَضُدِي، وطعَنْتَ في كبِدي، فقد كنتُ مُعتَضِداً بمكانِهِ، والقَدَرُ جارٍ لشانِه. وكذا المرْءُ يُدَبِّر، والقَضاءُ يُدَمِّر، والآمالُ تنقسم، والآجالُ تبتسم، واللهُ يَجْعَلُهُ فَرَطاً[2]، ولا يُرِيني فيكَ سُوءاً أبداً.

وأنت - أيّدكَ اللهُ - وارِثُ عُمْرِه، وسِدادُ ثَغْرِه، ونِعمَ العِوَضُ بَقاؤُك؛

إنّ الأشاءَ إذا أصابَ مُشَذِّباً   منهُ أغَلَّ[3] ذُرىً وأَثَّ أسافِلا[4]

وأبُوكَ سيِّدي، أيّده الله، وألهَمَهُ الجميل، وهو الصَّبْر، وآتاهُ الجزيل، وهو الأجْر، وأمتَعَهُ بك طويلاً، فما سُؤْتَ بَديلاً.

---

(١) دعاء المسامحة من س فقط.

(٢) يقال في الدعاء: اللهم اجعله لنا فَرَطاً، أي: أجْراً يتقدمنا حتى نرد عليه. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٦٧ (فرط).

(٣) تحرّفت هذه الكلمة في ي: أتمهّل.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الأشاء: صغار النخل، والتشذيب بالشين والذال المعجمتين: قطع ما تفرّق من أغصان الشجر. وأغلّ بالمعجمة، أي: صار ذا غلة، وهي الحاصل، وأثّ بالمثلّثة، أي: كثر، يقال: أثّ النبات يثث ويؤثّ أثاً: كثر والتف وقوي فهو أثيث». قال الأحدب معقباً: «والمعنى أن الأشجار إذا أصلحت بقطع ما لا يضرها، أعطت غلة وكثرت أسافلها والتفّت، ويريد به التمثيل لحال المكتوب به بفقد أخيه». كشف المعاني، ص٢٤٦. والبيت لأبي تمام. ابن الأثير، المثل السائر، ج٤، ص٢٦٦، ص٢٦٩.

أنت ولَدِي ما دُمتَ والعِلْمُ شأنُك، والمدرسةُ مكانُك، والدَّفترُ نَديمُك، والمِحبَرةُ حَليفُك[1]. فإنْ قَصَّرتَ - ولا إخالُك - فغيري خالُك، والسَّلام[2].

(١) (والمحبرة حليفك) من السطرين اللذين جعلهما ناسخ ص رسالة مستقلة، وقد حذفتها كما أشرت في الهامش السابق، بعد أن أخذت منها هاتين الكلمتين.

(٢) السطران الأخيران من هذه الرسالة جعلهما ناسخ ص في موضع آخر رسالةً قائمة بذاتها ؛ فحذفناها.

وكتَبَ - عَفا اللهُ عنه - إلى والدِه رَحِمه الله[1]

كتابي - أطالَ اللهُ بَقاءَ الشَّيخ - وتَواتَرتِ الأخبَارُ من قَبْلُ أنّه وارِدٌ لا مَحالَة، وتَلَقَّيْتُ هذه الحالةَ بمُقتضاها شُكراً وصَدَقَةً. ثم وَرَد كِتابُهُ بأنّ الأمر في ذلك فَتَر لِعارِضِ عِلَّةٍ ذُكِر، فقَسَمْتُ قَلْبي جُزاَيْن، وما حالُ الواحد بَيْنَ اثنَيْن، أحَدُهما يَبكيه، والآخرُ يَشكيه[2]؟ وقلتُ: العافية[3]، وألزَمُ النّاحية.

ولم يَرِدْ كتابُهُ بَعْدُ بذِكرِ السَّلامة وقد عَلِمَ ما بَيْنَ الجَوانحِ من قلَق، وتحْتَ التَّرائب من حُرَق، حتى أسْمَعَ بالسَّلامة أُفيضَتْ عليه.

وقد خَرَجَ القاضي أبو إبراهيمَ حاجّاً، فإنْ رأى أو فَعَل، فمعَهُ إذا قَفَل، وإنْ أبَى وقَعَد، فقد أقلْتُهُ[4] عمّا وَعَد، لا يُزعجْني بَعْدُ[5] بوَعْد، والسَّلام.

---

(١) الدعاء بالعفو والرحمة كلاهما من س فقط.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه إنما قال: يشكيه، لمزاوجة (يبكيه)، وإلّا فالقياس: يشكوه؛ لأنه واويّ».

(٣) أي: وقلت: أنالُ العافية، فحذف الفعل.

(٤) ي: أقلته.

(٥) ي: بعدها.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه - إلى عَمِّه[1]

[2]وَرَد كتابُ العَمِّ، والأسِنَّةُ حَشْوُهُ فَرْطَ عِتاب[3]، إذ لم أفرِدْهُ بكتاب، وأصْدَقُ من الكِتابِ الحاسّة، والرَّحِمُ الماسّة. أفيَظُنُّني نَسِيتُه؟ إنْ صدَقَ هذا الظَّنُّ فالماء يَنْساهُ الظِّماء ! ولا رآني اللهُ أعودُ لِما يَكْرَهُ، وإذا حَنِقَ[4] وقطَعْتُ، وأمَر وأطَعْتُ، رَجوتُ أنْ لا يَجِدَ العَتْبُ مَساغاً[5].

سأل العَمُّ أنْ أُبِثَّه حالي بهذه البلاد. إنّي في بلادٍ وإنْ لم يكنْ لأهلها تمييز، فأنا بينَهُم عزيز؛ يُعظِّمونني تقليداً، ويَرْونني فريداً، والمالُ يجري فَيضاً لكنّي لا أبلَعُهُ رِيقاً، ولا آلُوهُ[6] تَفْريقاً، فهو يأتي مَدّاً ويذهَبُ جَزْراً، والسُّلْطان فمُقْبِلٌ غايةَ الإقبال، بالجاهِ والمال.

هذه جَريدةُ أحوالي، وتَفْصيلُها طويل، وإذا شئتَ من هذه الجِراب أزِنُ وأكِيل، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل.

---

(١) ص، ي: وله إلى العم.

(٢) قبله في ص، ي: كتابي.

(٣) ي: عقاب.

(٤) في الأصول: خنق (بالخاء) ولعل الأصوب ما أثبتناه.

(٥) المساغ: مصدر ميمي بمعنى الجواز، وأصلهُ من: ساغ الشراب أي: سهل جريه في الحلق. كشف المعاني، ص٢٤٨.

(٦) ي: آكره.

وله إلى الشّيخ أبي الطَّيِّب سَهْل بن مُحمّد[1]

أنا أُخاطِبُ الشّيخَ الإمامَ، والكلامُ مَعْجون، والحديثُ شُجون. وقد يُوحِشُ اللَّفْظُ وكلُّهُ وُدّ، ويُكْرَهُ الشيءُ[2] وليس من فعلِه بُدّ، هذه العَرَبُ تَقُولُ: (لا أبا لكَ) في الأمْرِ إذا تَمَّ، و(قاتَلَهُ الله) ولا يُريدونَ الذَّمّ، و(ويلَ أمِّه) للمرء إذا تَمّ. ولأولي الألباب، في هذا الباب، أنْ يَنْظُروا من القَوْل إلى قائله، فإنْ كان وليّاً فهو الوَلاء وإنْ خَشُن، وإنْ كان عَدُوّاً فهو البَلاء وإنْ حسُن.

هذا الفقيهُ ميمونٌ خَبَطَ أجوافَ اللّيل، وَضَربَ أكْبادَ الخيل[3]، من العراقِ إلى خُراسان ليُحْبَسَ بها، ولا جَرَمَ كان لا يَعْدَمُ هذا بالعراقِ لو أراد، ولو سأل القاضي بها فَعَل وزاد. وقد شكا إليَّ مِراراً ما يُسْتَقْبَلُ به من قبيحِ الكلام، ويُعامَلُ به من سوءِ اهتضام. وهؤلاءِ الصُّدُور، يَرَوْنَ الشَّمْسَ من قِبَلي تَدُور، وقد رأى الشّيخُ أحوالَهم، وسمِعَ أقْوالَهم، فلا أدري مَن أُكاتبُ في مَعناه؟ وهذا القاضي أنا عندهُ في المنزلة[4]، أقلَّ شيءٍ من[5] المُعتزِلة، ولا يُسْأَلُ عمّا أُبدي، فانفَصَل بَنْدي[6].

---

(١) الصُّعْلوكيّ، وقد تقدّم التعريف به في ص٤٤.

(٢) ي: فعل.

(٣) تكبّد الفلاة: قصد وسطها ومعظمها. وقولهم: فلان تُضرب إليه أكباد الإبل أي يُرحل إليه في طلب العلم وغيره. وكابد الأمر مكابدة وكبادا: قاساه. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٧٦ (كبد).

(٤) ص: منزلة.

(٥) س: من شيء.

(٦) موضع (ولا يسأل ..... بندي) في س: ولا تسأل عما أبدى، فالفصل سدى، وفي ي: ولا يسأل عما أرى، فالفصل بيدي.

والخِلافُ[1] واقعٌ في كلِّ شيءٍ إلّا في الحِساب، فلِمَ لا يُحاسَبُ[2] على الذَّرّة، كما يُحاسَبُ على البَدْرة[3]؟ فإنْ أخرجَ الحِسابُ عليه شَيْئاً طُولبَ حينئذٍ بمعلُوم، وإنْ كان حُبِسَ للتُّهمة فسَوادُ لَيْلةٍ أو بَياضُ يوم.

ولم أعْهَد الشّيخَ في الأمور، بهذا الفُتُور، فما هذه الضَّراعة، وأيْنَ الشَّفاعة؟ وإنْ لم تُقْبَلْ فأيْنَ الشَّناعة؟ ها[4] اللهُ أكبر، أنا أوَّلُ مَن يَنْعر.

وهذا الفقيهُ الزِّياديُّ[5] قد ضلَّ فيه القياس، مَن يستحيي الله منه ولا يَستحيي من النّاس[6]. أليس في آدابِ القَضاء، و[7]في لَـمَّتِه البَيْضَاء، ما يَصُونُهُ عن الابتذال؟ نسألُ اللهَ رأْياً يَستَدُّ، وسِتْراً يَمتَدُّ، ووَجْهاً لا يسوَدّ، والسَّلام.

---

(١) يريد بالخلاف في كل شيء: أنهم يرمون هذا الرجل، وهو ميمونٌ الفقيه، بكل منكر، وينسُبون إليه كل شيء سوى الحساب، فهو يدعوهم إلى محاسبته ليظهر براءته أو ثبوت شيء عليه، فحينئذ يطالب به. كشف المعاني، ص٢٥١.

(٢) ي: أتحاسب.

(٣) البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٩ (بدر).

(٤) حرف التنبيه من ي فقط.

(٥) ي: الزياري. كذا قرأتها، وهي غير معجمة.

(٦) ي: للناس.

(٧) سقط حرف العطف في ي.

وكَتَب[1] إليه رُقْعة

يا لَعبادِ الله، القَرْض ولا هذا الرَّحْض[2]، والزّاد ولا هذا الكساد. أمَرَضُ ولا[3] أُعاد! إذا شَبِعَ الزَّنْجيُّ بالَ على التَّمر[4]، وهذا بَوْلٌ على الجَمْر[5]، ويُوشِكُ أنْ يكونَ له دُخان[6].

يقول الشّيخُ الجليلُ[7] الإمام: لو سمِعتُ بمَرَضِه، لانتَهَيْتُ إلى غَرَضِه، إذاً لا أُؤاخِذَهُ بالجُرْم، ولا أُسامحَه العُذْر، وكأنّي به يقولُ: أتدارَكُ الآن، إذاً يجدني ملْآن[8]. عَرْبدةٌ لا حقيقةَ لها، ومَوْجِدةٌ ما خَلَقَ اللهُ أصْلَها، فما أجِدُ منهُ مَفرّاً، ولا عندَ غيرِهِ مُسْتقرّاً، ولكنّه نَفْثةُ مَصْدور، ونَفْضةُ مَهْموم، والسَّلام.

---

(١) ص: وله. ويبدو أن هذه الرسالة إلى أبي الطيب الصُّعْلوكي يعاتبه على عدم عيادته.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «القرض والرحض، يحتمل أن يكونا بالضاد المعجمة، على أنّ معنى القرض: القطع، والرحض: الامتهان والابتذال، وأن يكونا بالصاد المهملة، على أن القَرْص بالفتح: اللسع بالإصبعين، أو –بالضم–: من الخبز، والرخص بالخاء المعجمة: ضد الغلاء».

(٣) قوله: (ولا)، ساقط في ي.

(٤) بول الزنجي إذا شبع على التمر يعني به أنه يرتكب في هذه الحالة كل منكر، إذ لا يُهمُّه شيء، ولذلك قيل: إذا جاع الزنجي سرق، وإذا شبع فسق. الأبشيهي، المستطرف، ص٣٢٨.

(٥) يريد بالبول على الجمر: تجشم الأمر العظيم والاضطرار إلى ارتكاب المكاره. كشف المعاني، ص٢٥٢.

(٦) كناية عن شر ينشأ عنه، وهذا شطر بيت من جملة أبيات كتب بها نصر بن سيار لمروان بن محمّد آخر خلفاء الأمويين يحذره من خطر الدعوة العبّاسية، وهي قوله:

أرى بين الرماد وميضَ جمرٍ ... ويوشك أن يكون لها ضرامُ

فإنّ النّار بالعودَيْنِ تُذكَى ... وإنّ الحرب أولها الكلامُ

لكنه أبدل لفظ (ضرام) بدخان. انظر: الخبر والأبيات في الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج٧، ص٦٧.

(٧) ساقطة في ي.

(٨) بعده في ي: من.

وله

إلى الشّيخ أبي نَصْر

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ - والماءُ إذا طالَ مُكْثُه ظَهرَ خُبْثُه، وإذا سَكَن مَتْنُه[1] تحَرَّك نَتْنُه. كذلك الضَّيْفُ، يسْمُجُ لقاؤُه إذا طالَ ثَواؤُه، ويَثْقُلُ ظِلُّه إذا انتَهى مَحَلُّه.

قد حَلَبْتُ أشْطُرَ خَمْسةِ أشهرٍ بهَراة ولم تكُنْ دارَ مِثْلي لولا مُقامُه، وما كانت تسَعُني لولا أُمامُه. ولي في ثِنْتَين مَثَلُ صِدْق، وإنْ صَدَرا[2] مَصْدَرَ عِشْق:

وأدْنَيْتِني حتى إذا ما مَلَكْتِني[3]	بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلِ الأباطِحِ
تجافَيْتِ عنّي حيثُ[4] لا لِيَ حيلةٌ	وغادَرْتِ ما غادَرْتِ بينَ الجَوانح[5]

نعم، قَنَصَتْني نِعَمُ الشّيخ، فلمّا عَلِقَ الجَناح، وقَلِقَ البَراح، طارَ مَطارَ الرِّيح، لا[6] بل مَطارَ الرُّوح، وترَكني بينَ قومٍ ينقُضُ مَسُّهُم الطَّهارة، وتُوهِنُ أكفُّهُم الحجارة.

و[7] حُدِّثتُ عن هذا الخليفة، لا بل الجيفة، أنّه قال: قَضَيْتُ لفُلان خمسينَ حاجةً منذ وَرَد، هذا البَلَد، وليس يَقْنَع، فما أصنَع؟ فقلتُ: يا أحمق، إن

---

(١) سقطت هذه اللفظة في ي.

(٢) ي: صدر، للواحد.

(٣) ي: سبيتني.

(٤) ي: حين.

(٥) البيتان لقيس بن الملَوَّح. ديوانه، ص١٢١.

(٦) حرف النفي من ي فقط.

(٧) سقطت الواو في ص.

استطعتَ أنْ تَراني مُحتاجاً فاستطِعْ أنْ أراكَ مُحتاجاً إليك[1]. أُفٍّ لقولِك وفِعْلِك[2]، ولَدَهْرٍ أحْوَجَ إلى مِثْلِك.

و[3] أنا أسأَلُ الشّيخ أنْ يُبَيِّضَ وَجْهي بكتابٍ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ ويُعَرِّفُهُ قَدْرَه، ويَملأُ رُعْباً صَدْرَه، إلى أنْ يَبِينَ على صَفَحات جَنْبِه، آثارُ ذَنْبِه، وله فيما يفعَلُ رأْيُهُ المُوفَّق إنْ شاء اللهُ تَعالى[4].

(١) قوله: إن استطعت، إلخ، أي: إن كان في استطاعتك أن تراني ذا حاجة، فاستطع أن أراك محل حاجتي، أي: لست أنا ذا حاجة ولست أنت محلاً لقضائها، أي: لست مرجعاً للحاجات.

(٢) ي: ولفعلك.

(٣) سقطت الواو في ص، ي.

(٤) كلمة المشيئة من ص، ي. والتعالي من ص فقط.

وله - عَفا اللهُ عنه[1] - إلى الشّيخ أبي العَبّاس

رُقعتي هذه عزيزٌ عليَّ أنْ لا أسْعَدَ دونَ هذه الرُّقْعة، بتلك البُقْعة، وكُنتُ فاوَضْتُكَ في الحديثِ سألتُكَ إلقاءَهُ إلى الشّيخ، وشهْرُ الصّيامِ ضعيفُ الخَصْر، كَريهُ العَصْر، ولولا أنّ وقتَ رُجُوعِه وقتُ جُوعِه، لَقصَدتُّ حضْرتَه، لكنّي أخافُ ضَجْرتَه، وأنت أعرَفُ بأحوالِه، وألْطَفُ[2] في سُؤالِه.

فاعْرِضْ رُقْعتي هذه، وتَنَجَّز الحاجَةَ منه، وإنْ أرَحْتَني في ذلك الحديث، من صاحبِ المواريث، فيَدٌ غَرّاء، لا تَسَعُها الأرضُ والسَّماء[3]، وإنْ لم تَتَمكَّنْ من الكُلِّ فاقْطَعْهُ بالعَرْض، فبَعْضُ الشَّرِّ أهوَنُ من بَعْض، والسَّلام.

---

(١) دعاء العفو من س فقط.

(٢) تحرّفت هذه الكلمة في ي: الطعن.

(٣) ص: ولا السَّماء، وهما بمعنى واحد.

وله رَحِمه اللهُ تَعالى أيضاً[1]

الشّيخ – أطالَ اللهُ بقاءَهُ – أجِدُهُ كالفاتِرِ، في إنفاذِ تلكَ الدَّفاتِرِ، وما أصْنَعُ بكافِ التّشبيهِ وهو الفاتِرُ كلُّهُ؟ وكأنّه قد عرَفَ عادتي في حَبْسِ العارِيّة، فأخَذَ بأنواعِ البَسْط[2]، حتى نَبْعَثَ على الصِّغَرِ ما أمَرَ من البَطّ[3]، وإنْ أحبَّ أعطَيْتُهُ مَوْثِقاً من يدي ولساني، فحلَفْتُ له باللهِ العظيم، وجمعتُ إلى اليَمينِ باللهِ يَميناً بالطّلاق، ولم أقْتَصِرْ على أقلَّ من الثّلاث، أنّ دَفاتِرَهُ لا تمكُثُ عندي إلّا اليومَ واللّيلةَ، وما أحْوجَني من صاحبِ فُضول، يَستعيرُ هذا القَسَم بفُضول.

وأمّا البَطّ، فليس إلّا إنفاذُهُ فقط، وإلّا فأبياتٌ كما سَمِعها شَوارد، وبَعْدَ الطّبيخ بَوارد، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[4].

يا أبا الفَضْل[5] قد تأخّرَ بَطّي	فلماذا[6] وفيمَ هذا التَّبَطّي
هاكَ[7] زُطّي وخُذ مِقَطّي وإنْ لم	تَكُ بي واثقاً فدونَكَ خَطّي

---

(١) الأيض ليس في س.

(٢) ي: البساط.

(٣) (ما أمر من البط) في ي: شاء أمراي.

(٤) سورة ص، الآية ٨٨. وبعدها في ص، ي كلمة (الأبيات).

(٥) أبو الفضل هو بديع الزمان، وقد تقدّم في النثر أنه المستهدي. وفي الأبيات ما يفيد أنه المهدي، ولعل المهدي يسمى أبا الفضل أيضاً. والبيتان له، ديوانه ص٩٥.

(٦) رسم ناسخ س هذه الكلمة هكذا: فلم ذا.

(٧) ي: هلاك.

آخر :

يـا أبـا الفَضْـلِ مـا وفَيْـتَ بشَـرْطي ... لا ولا قُمْـتَ[1] في الإخـاء بضَـبْطِ

كنـتَ أهـديتَ لي بزَعْمِـكَ بَطّـاً[2] ... فلـماذا حبَسْـتَ[3] عنِّـيَ بَطّـي

وأراكَ احْتقـرْتَ ذاكَ فمَهْـلاً ... إنّـما يُـنْقَضُ الوُضـوءُ بضَـرْطِ[4]

آخر :

أبـا الفَضْـل لا تَشْـدُدْ يـدَيْكَ عـلى بَطّـي ... ولا تَـكُ مِـن لَفظـي وخطّـيَ في خَـبْطِ

ولا تَسْـتَزِدْنِي إنْ أتَتْـكَ مَلامَتـي ... تُميتُكَ[5] عـن ظَمْـأٍ وأنـت عـلى الشَّـطِّ[6]

(١) حرف الجر سقط في ي.

(٢) ي: قطّاً.

(٣) ي: احتبست.

(٤) لبديع الزمان. ديوانه، ص٩٥.

(٥) ي: يمينك. تصحيف.

(٦) لبديع الزمان. ديوانه، ص٩٦.

وكتب - عَفا اللهُ عنه[1] - إلى أبي الحسَن الحِمْيَريّ[2]

ليس لكَ أنْ تَغْضَبَ على وَليِّ نعمتِك، وهو الأُستاذ، فإنْ نشِطَ حضَرَك، وإنْ أرادَ هجَرَك. ورأيُهُ في الأمْرِ أفضل، ثم لا يُسألُ عمّا يَفْعَل[3]. وأيضاً، فإنّه يدعوك فيقولُ: كنتُ وكان. وهذه السِّمَةُ قَبيحة[4]، فاحضُرْهُ الآن.

---

(١) أول العنوان إلى هنا في ص، ي: وله.

(٢) كذا في الأصول، ويغلب على ظنّي أنه أبو الحسن الحيري المذكور في ص٢٨٢.

(٣) تأثّر من أبي الفضل بقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ في سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٤) ي: قبيح.

وكَتب[1] إليه يُعزِّيه بغُلام

كتابي – وإنّي إذا سألتُ الخاطر فأملى، أو أمرتُ القَلَم فجَرى – لئيمُ العهْدِ والأصْل، فقد عزمتُ أنْ أقْطَعَها من حيثُ زَكَّت[2]. والحمدُ لله على ما ساءَ وسرَّ، والصّلاةُ[3] على محُمّد وآلِه.

لله ما أغوَصَ[4] الموتَ على حَبّاتِ القُلوب، وأعرفَهُ بمُودَعاتِ الصُّدور، وأخلَصَهُ إلى مَكامن الرُّوح، وألقَطَهُ[5] لأناسيِّ العُوْن، فإنّا لله وإنّا إليه راجعُون.

أنا لا أسألُ مَوْلاي: كيف حالُه بَعْدَه، فإنّي أعرَفُ بها منه، على أنّ الرُّشْدَ أنْ يَنساهُ[6] حتى لا يَذْكُرَه، ويَسْلاهُ كي لا يَكفُرَه، وكفاهُ تَسليةً عِلْمُه أنّ الدَّهْرَ لا يقصِدُ إلّا إلّا الكريمَ بمَبَرّاتِه[7]، وهذا على فَوْرةِ الجُوع، وقَطَراتِ الدُّموع، يصنَعُ بالكاغِدِ ما يَصنَع، وسأُراجعُ نَفْسي من بَعْدُ فأكتُبُ بما يجب، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله. ولا أدري إلى مَنْ وجّه الهمذاني هذه الرسالة.

(٢) ي: ركَّب. وأصل المثل: «اقطعها من حيث رَكّت» أي: ضعفت. هذا من أمثال المولّدين، وهو يضرب للتخلُّص من الشيء بأسهل طريقة وأيسر سبب؛ لأن قطع الحبل مثلاً من مكان ضعيف سهل على القاطع. قال الميداني: والعامة تقول: رقّت. مجمع الأمثال، ج٢، ص١٢٩. وقد بحث الأستاذ الأحدب هذه الكلمة ووجوهها بحثاً لطيفاً، فقال: «زَكّتِ» بالزاي، وصوابه بالراء المهملة؛ ولذلك صحّت التورية في قول الجمال ابن نباتة:

كانت للفظي رمة	ضنّ الزّمان بها استحقّت
فصرفتها عن قدرتي	وقطعتها من حيث رقّت

ولعلّ أبا الفضل أراد أن يغاير هذا المثل، فلذلك قال: «اقطعها من حيث زَكّت» بالزاي، أي: طابت. كشف المعاني، ص٢٥٨.

(٣) رسمها ناسخ س هكذا: الصلوة.

(٤) ي: أعرض.

(٥) ص: وألفظه.

(٦) ي: بنيناه.

(٧) ي: بميراثه.

وله إليه

جواباً عن كتابٍ بعتاب

عُرِض عليَّ من كتابِهِ فصلٌ يقول: الـدُّرُّ إذا لَمَّ هَلُـمَّ، والسِّـحرُ إذا صَـحَّ تَـخَّ[1]. يَتبعُهُ:

وَعيـــدٌ تَخْــدِجُ الآرامُ مِنـــهُ   وتَكْـرَهُ بَنَّـةَ الغَـنَمِ الـذِّئابُ[2]

فقلتُ: وَسواسُ المَرَضِ المصيبة[3]، وازديادٌ[4] من الغَيْبة زيادةٌ في الغِيبة.

وذَكَرَ شَوْقَهُ إلى خطِّي، واستراحتَهُ إلى لَفْظي. ولو صدَق، ولم يَبْـغ بـذاك المَلَـق، لَتَرَكَ الشَّمْل جميعاً، أو لَآبَ[5] سريعاً. ولو علم ما في الصَّـدْرِ في هـذه الأَيـام، مـن حَـرِّ الكلام، ونفَذَ في هذه البِقاع، من طَرَفِ الرِّقاع، ثم مَلَكَتْه هِـزَّةُ الفَضْـلِ لَطـوى السَّـير عاجلاً، والأرضَ راجلاً. ولا والله لا أسقيه أو يَرْجِعَ، ولا يَسـمعَ مـن[6] ذلـك الـنَّمَطِ إلّا شِفاهاً.

وأمّا المليحيُّ وقَصيدتُهُ فأهْلاً به وبها على ما ضُمِّنَتْ من سُمٍّ وسَلْع، وأُودِعتْ من جَبْرٍ وخَلْع. فإنْ كانتْ بَرَّةً لم يَعدَمْ مَهرَها وهو رِضاهُ، وإنْ كانتْ ضَرَّةً لم يَعدَمْ مَن يُخرِجُ جُشاءَ[7] من قَعْرِهِ، فيُقْسِمُ بشَعْرِهِ ثم شِعْرِهِ، والسَّلام.

---

(١) سقط هذا اللفظ في ي. وجاء في لسان العرب: تَخَّ العجين تَـخّاً إذا أُكثر ماؤه حتى يلين، وكذلك الطين إذا أُفرط في كثرة مائه حتى لا يمكن أن يُطيَّن به. ج٣، ص١٠ (تخخ).

(٢) تقدّم هذا البيت في المناظرة بينهُ وبين الخوارِزْميّ، لكنْ بلفظ (تخرج) بالراء المهملة، وهنا بلفظ (تخدج) بالدال المهملة من الخداج وهو: إلقاء الناقة ولدها قبل تمام الأيّام. وفي كلا الموضعين (نية) بدل (بنة). وانظر تخريج البيت فيما تقدّم، ص٦٥.

(٣) ي: والمصيبة.

(٤) ي: وإن زاد.

(٥) ي: آب.

(٦) ي: ما.

(٧) ي: خبثاً.

وكَتَب إلى والدِه رُقْعة[1]

الأُبوّةُ باطِلُها حَقّ، والبُنوّةُ حَقُّها باطل، ولو عَلِمتُ أنّ مُناظرةَ الوالدِ بالحُجَّةِ عُقوق، ومُجاهرتَهُ[2] بالشُّبهةِ فُسُوق، لم تَلْقَني بأبرَّ من القَبول، وأحسنَ من تَرْكِ الفُضول[3].

(١) ص، ي: ولأبيه إليه. وسوف تتكرر هذه الرسالة في س فيما بعد، فحذفنا المكرر.

(٢) ي: ومهاجرته. وكلاهما مستساغ لطيف المعنى.

(٣) ي: العقول.

وله

- عَفا اللهُ تَعالى عنه[1] - أيضاً

لك[2] عادةُ فَضْل، في كُلِّ فَصْل، ولنا[3] أيضاً سُنَّةُ مَقْت، في كُلِّ وَقْت.

ولعَمْري، إنّ ذا الحاجةِ مَقِيتُ الطَّلْعة، ثَقِيلُ الوَطْأة، ولكنْ ليسوا سَواءً: أُولُو حاجةٍ يَحتاجُ إليهمُ المال، وأُولو حاجةٍ تُحوِجُهُم الآمال.

والأميرُ أبو تَـمّام عبدُ السَّلام بـنُ جعفـرٍ المطيـعِ[4] لله أمـيرِ المـؤمنينَ إنْ أحوجَـهُ الزَّمان فطالما خدَمَه، وإنِ ابتلاهُ اللهُ فكثيراً ما أكرَمَهُ ونعَّمَه، وقديماً أقلَّهُ السَّرير، وعرَفَـهُ الخَوَرْنَقُ والسَّدير[5]، وإنْ نقَصَـهُ المـالُ فـالعِرْضُ وافـر، وإنْ جَفـاهُ[6] المُلْـكُ فالقَضـاءُ ظاهر، وإنِ ابتلاهُ اللهُ فلِيبتليَكم به فينظُر كيف تعملون.

وأنتْ تقابلُ مَورِدَهُ عليك من الإعظامِ بما يَستحِقُّ، ولا تُحكِّمُ فيه عَيْنيك، فإنَّها لا ترى من النّاس غيرَ الراس، وأبدان لا تَخْطِرُ إلّا[7] بأرْدان.

وإنّي قاسمْتُ هذا العمَّ نِعَم[8] مَوْلانا عليَّ إلّا نعمة لا تحتملُ قِسْمة، وصِلة لا تحتمِلُ تَفْصِلة، من فَرَسٍ لا يُمكنُ قَطْعُهُ نصْفَين، وعَبْدٍ لا يَجوزُ توزيعُهُ بينَ اثنَين.

---

(١) الدعاء في س فقط.

(٢) في النسخ: ذلك.

(٣) ي: وأنا.

(٤) لا أدري مَن المقصود بهذا الشخص! فلا الخليفة المطيع لله اسمه جعفر، بل الفضل، وليس للمطيع ولد اسمه عبد السلام. ومن يحمل اسم جعفر من الخلفاء اثنان فقط، هما: المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ)، والمقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ). ولم أهتدِ لمن قصده الهمذاني.

(٥) الخورنق والسَّدير: قَصْران في الحيرة من بناء المناذرة، كان لهما شأن في تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٦) ي: جفى.

(٧) حرف الاستثناء سقط في ي.

(٨) في الأصول: نقم.

ولَعلَّ هذا العمَّ نَقِمَ عليَّ هذا الجُرْمَ، وإنْ كان نَسَبني إلى محظورٍ رَكِبْتُه، من مُسْكرٍ شرِبتُه، أو مُنكرٍ قرُبْتُه، أو قِمارٍ لَعِبتُه، أو عُودٍ ضَرَبتُه، أو نَرْدٍ نصَبْتُه، أو بَيتٍ نقبْتُه، أو شيءٍ سلَبْتُه. فقد صَبَرَ على هذه الهناةِ عشْرَ سنين[1]، فما هذا الضَّجَرُ اليوم؟ وإنْ لم أتعاطَها[2] فلا لَوْم. ولم يَبْقَ - أيّد اللهُ الأميرَ - من انقلابِ الزَّمان، إلّا طُلوعُ الشّمسِ من مغربها، واللهُ المُستعان[3].

ولِخادمِهِ بهذه الحَضْرةِ رُتْبةٌ يَحسُدُها القاصرُ[4] عنها، ويَخافُها الفارغُ[5] لها، ويُزاحِمُه النازلُ بها، ويَمقُتُهُ الطامعُ فيها، فهو من جِهاتِها مقصود، ومن أطرافِها[6] محسود.

والمرءُ لا يَخلو من ذَنْبٍ صَغير، فيُورَى عن جهته فيُرى كبيراً، وخطْبٍ يسير يُوصَلُ به ذَنْبٌ صغير، فيصيرُ عظيماً، وربَّما شُيِّعَ إلى بابِ جهنّم مَنْ لا يدخُلُها، وإنّي لأظهَرُ في جميع النَّفاق[7]، إلّا في النِّفاق، فإنْ لم أخَفِ اللهَ الكبير[8]، لم أخَفِ الأمير[9]، والسَّلام.

---

(١) في ي، موضع قوله: عشر سنين: عزيز نفسه.

(٢) س: أتعاطاها.

(٣) هذه الفقرة مكررة في رسالةٍ أخرى، ص٤٥٢.

(٤) ي: القاصي.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الفارع بالفاء والعين المهملة: من فرعتُ قومي: علوتهم بالشرف، وفرعت الجبل: صَعِدته. وفي نسخة: الفارع بالعين المهملة من فرع بمعنى علا وارتقى، أي: المرتقي لها».

(٦) ي: أطوافها.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «النفاق بالفتح: مصدر نفق البيع نفاقاً: راج، ونفقت السلعة نفاقاً فهي نافقة، أي: رابحة، وبالكسر: من يستر الكفر ويظهر الإيمان والرياء والسمعة، وأصله مخالفة الظاهر للباطن».

(٨) عبارة ي: فإن لم أخف إلّا الله الكبير.

(٩) أي: من لم يخف المخلوق لا يخافُ الخالق. كشف المعاني، ص٢٦٤.

وله
يعاتبُ بعضَ أصدقائه

الوَحْشةُ – أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ – تقتدحُ في الصَّدْر اقتداحَ النّار في الزَّنْد، فإنْ أُطفِئتْ بارَتْ وتَلاشتْ، وإنْ عاشتْ طارتْ وطاشتْ، والقَطْرُ إذا تَداركَ على الإناءِ امتلأ وفاض، والعُثُّ[1] إذا تُرِك فرَّخَ وباض.

ونحنُ – أولي[2] هذه الصَّنْعة – لا يَطرُدُنا سَوْطٌ كالجفاء، ولا يَعقِلُنا[3] شَرَكٌ كالنَّداء[4]. ثم على كُلِّ حال، ننظُرُ من عال، على الكريم نَظَرَ إدلال، وعلى اللّئيمِ نَظَرَ إذلال، فمَن لَقِيَنا بأنْفٍ طويل، لقيناهُ بخُرطُومِ فيل، ومَن لحَظَنا بنَظَرٍ شَزْر، بِعْناهُ بثَمنٍ نَزْر[5].

وعندي أنّ الشّيخ الرّئيس لم يَغْرِسْني ليُقْطِعَني فَتاهُ[6]، ولا اشتراني ليبيعني سِواهُ[7]، ويْحَكَ[8]! سلَّمتُ عليه الغَداةَ فردَّ جواباً يُرَدُّ مِثلُه على الوكلاء، بشَطْرِ الإيماء،

---

(١) س: العيث، ي: والغيب، وكلاهما خطأ، والتصويب من ص، وهو الذي يماشي السياق، والعث، بالضم: جمع عثة، وهي السوسة، كما أثبته ناسخ س في الحاشية مستدركاً.

(٢) ص: أولو، ولا يخفى نصبه على الاشتغال.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «يعقلنا: من العقل، وهو الحبس والمنع، ومنه عقال البعير».

(٤) ي: كالنوا.

(٥) ي: نور.

(٦) ي: سواه.

(٧) ي: إلّا إياه.

(٨) تحرف الويح في ي: ويحله.

واقتَصر من البَشاشة، على تحريكِ الشّاشة[1]، ومن الإقبال، على تَعْويجِ السِّبال.

وعَهْدي بذلك الرّئيس يخرُقُ إليّ بساطَهُ عَدْواً، وسِماطَه[2] حَبْواً، فهذا الفاضلُ أجلُّ من والدِهِ الفَقيه - أيّده اللهُ - يُوصِيهِ بحُسْنِ العِشْرةِ معي من بعْدُ، فللتّيهِ يوم، وللجَبَرُوتِ قَوْم.

وما أُريدُ بعدَ هذا الإعتابِ إعتاباً، ولا عن هذهِ الرُّقْعة جَواباً، فإنّي لا أُمكِّنُهُ بعدَها من أنْ يَستهين، ولا أُسلِّمُ عليه حتى يُهين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «الشاشة: العمامة، ولعلّها مولّدة». قال الأحدب: وتحريكها: إمالتها. كشف المعاني، ص٢٦٥.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «السماط من النخل والناس: الجماعة، والسماطان: الجماعة من الجانبين».

وله

إلى الأمير أبي أحمد خَلفِ بن أحمد(١)

كتابي - أطالَ اللهُ بَقاءك - وقد كنتُ نذَرتُ أنْ لا أُخاطبَ حَضْرتَه، ثم رَوى لي القاضي حديثاً طَرَق إلى نَقْض(٢) ما نَذَرتُ طريقاً، وسمِعتُ مُنشداً يُنشِدُ:

لَحا اللهُ صُعلوكاً مُناهُ وهمُّهُ مِن العيشِ أنْ يَلقى لَبُوساً ومَطعما(٣)

فقلتُ: أنا مَعنِيٌّ هذا البيت ؛ لأنِّي قاعدٌ في البيت، آكلُ طيِّبَ الطّعام، وألبَسُ ليِّنَ الثِّياب، ويُفاضُ عليَّ نُزُل، ولا يُفوَّضُ إليّ شُغُل، ويُملأُ لي وَطْب(٤)، ولا يُدفَعُ بي خَطْب. وهذا والله عيشُ العجائز، والزَّمِنِ(٥) العاجز.

وكنتُ أيّامَ مُقام الأمير أرَى المسافةَ بينَ الرُّتَب قريبة، وأجدُني أولاً كالثاني، وثانياً كالأوّل، وأرى الآن تَرْتيباً جديداً وتفاوُتاً بعيداً.

---

(١) الأمير خلف بن أحمد بن مُحمّد بن الليث، من نسل الصَّفاريين حُكّام سِجِسْتان. كان أميراً جليلاً كريماً فقيهاً محباً للعلم. من محاسنه أنه جمع كثيراً من علماء عصره في كافة العلوم الشرعية، وطلب إليهم وضع تفسير شامل للقرآن الكريم يحوي أقوال القرّاء والنحاة والمفسّرين والمحدّثين، قال عنه العُتْبي: «بلغني أنه أنفق عليهم عشرين ألف دينار». حجّ سنة ٣٥٤هـ وأناب قريبه طاهر بن الحسين على حكم سِجِسْتان، لكنه تنكّر له، وتغلّب عليه، ثم استعاد عرشه بمساعدة الأمير الساماني السديد منصور بن نوح. ثم فقد عرشه خلال صراعه مع سُبُكْتِكين الغزنوي وابنه محمود، ومات في الأسر سنة ٣٩٩هـ. انظر: مجهول، تاريخ سِجِسْتان، ص١٨١؛ العتبي، اليميني، (فهرس الأعلام)؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٨٨، ص٤٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١١٦. وستردُ إليه فيها بعد رسالة أخرى من الهمذاني.

(٢) ي: نفس.

(٣) لحاتم الطائي. ابن سلّام، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٥٦٩.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الوطب بفتح فسكون: سقاء اللبن، وزقّ السمن».

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «الزمن: من به زمانة [عاهة]، وهي آفة في الحيوانات، والفعل: زمن، كفرح زمناً وزمانة فهو زمن». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٩٩ (زمن).

وكنتُ أحسَبُني مُتأخِّراً إذا شاء تَقدَّم، ومُتواضِعاً لو أرادَ تعظَّم[1]، ومَسُوداً لو زاحَمَ مَن ساد، لملَكَ الوِساد، وأراني الآنَ مُحوَجاً إلى التأخُّر، مُلجَأً إلى التَّصغُّر، ولعلَّ جُزْماً تَصوَّر، أو رأياً تغيَّر، أو اعتقاداً أخْلَف، أو ظنّاً اختلف. فإنْ لم يكن شيءٌ ممّا سردتُ وأوردتُ، فالغَلَطُ في صَدْرِ القصَّةِ كان، وفي عَجُزها بان. وإنْ كان كذا فبالله ما أرْضَى، ولو صارتِ السَّماء أرضاً، ولا أُريد، ولو انقطَعَ الوَريد، وإنّي لأستحيي من الله أنْ أرى لِيَ المَثَلَ الأدنى وفي القَوْس مَنْزِع، أنا وإنْ لم أكن بالعراق أميرَ البصرة، وببُخارَى زعيمَ الحَضْرة، فما أزعجَني عن هَمَذان فَقْرٌ إلى جُوعٍ وعُرْي[2]، ولا ساقني[3] إلى سِجِسْتان طمَعٌ في شِبَعٍ ورِيّ[4]، وإنَّما نَحومُ حولَ المُراد:

ولو أنّما أسعَى لِأدنى مَعيشةٍ كفاني - ولمْ أطلُبْ - قليلٌ[5] مِن المالِ[6]

لا يُكثِرُ الأميرُ عليَّ من خِلَعِه وصِلاتِه، فوالله لو عَلِمتُ أنّ قُصارَى أمْري سِجِسْتان ألِيها، وضِياعُها أقتنيها، وغلمانُها أشتريها، وأموالُها أتّسعُ فيها، ولا مَطْمَعَ في زيادةٍ بعد، لآثرتُ الزُّهْد[7] على الطَّلب.

---

(١) ي: تعظيم.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «عري: مصدر عري من ثيابه، بالكسر».

(٣) ي: ساقي.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: الريّ بالفتح والكسر: «مصدر روي من الماء بالكسر ريّاً، وروي، كرضي، فهو ريّان».

(٥) ي: قليلاً.

(٦) البيت لامرىء القيس من قصيدته اللامية التي تقدّم ذكرها، وبعده:

ولكنّما أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثّلَ أمثالي

ديوان امرىء القيس، ص٣٩.

(٧) ي: الدهر.

الرَّأْسُ - أَيّد اللهُ الأميرَ - كثيرُ الخُبوط، والضَّيفُ كثيرُ التَخليط، وصَبُّ هذا الماءِ خيرٌ من شُرْبِه، وبُعْدُ هذا الضّيفِ أولَى من قُرْبِه[١]. وكأنّي بالأميرِ يقول، إذا قُرِئتْ هذه الفصول: الهَمَذاني رأى بهذه الحَضرةِ من الإنعام، ما لمْ يَرَهُ في المَنام، فكيفَ من الأنام؟ ولعلَّهُ أنشأ هذا الكتابَ سَكران، فعدَلَ به عادلُ السُّكر، عن طريقِ الشُّكْر، وكأنّهُ[٢] نسِيَ مورِدَه، الذي أشبَهَ مولِدَه، وإنّما رفَع لَحنَه، حينَ أشبَعَ بَطْنَه. واللّئيمُ إذا جاع ابتغى، وإذا شَبِعَ طغَى.

والهَمَذاني لو تُرِكَ بجِلْدتِه، يرقُصُ[٣] تحتَ رِعْدتِه، ما تَربَّع في قِعْدتِه، ولا تَجشَّأ من مَعِدتِه، ولكنّه حينَ لبِس الحُلَّة، وركبَ البَغْلة، وملَكَ الخَيْلَ والخَوَل، تمنَّى الدُّوَل. ورأسُ اللّئيمِ يحتمِلُ الوَهْنَ[٤]، ولا يحتملُ الدَّهْن، وظَهْرُ الشَّقيِّ يحمِلُ عِدْلَينِ من الفَحْم، ولا يحمِلُ رِطْلَين من الشّحْم. ولولا الشّعير ما نهَقَت الحمير، ولو لمْ يتَّسِعْ حالُه، لم يتَّسِعْ مِحالُه. وكذا الكلْبُ يَزْمَن حينَ يَسْمَن، ولا يتْبَع حين يشْبَع، وعندَ الجُوع يَهُمُّ بالرُّجوع. وهذا المُصرَّحُ[٥] مَن دعاهُ ولو لم يكنْ عَقْباً ما تَدحرَجَ[٦].

---

(١) يريد بالضيف: نفسه، والماء: العشرة ومصانعة هذا الضيف، فقد شبه ما ذكر بالماء. كشف المعاني، ص٢٦٨.

(٢) ي: وعانه.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «يرقص، يحتمل أن يكون بالقاف والصاد المهملة: من الرقص، وأن يكون بالفاء والضاد المعجمة، كيحمرّ، من الارفضاض، وهو سيلان العرق والدموع. والرِّعدة بالكسر: الحالة التي تعرض للإنسان فيضطرب منها».

(٤) ي: الرهن.

(٥) س، ص: المقترح.

(٦) العَقْب بالفتح والسكون: الجري بعد الجري. يعني: أنه لو لم يكن ذا عقب، أي: طلب بعد طلب، ما تدحرج، أي: تتابع في حدور، أي: تنزل عن رتبتِهِ أو جاء إلينا. كشف المعاني، ص٢٧٠.

ذكَرتُ هذه الكلماتِ ليعلَمَ الأميرُ أنّي لم أنسَها، و[1]مع تصوُّرِ هذه الجُملةِ، أغارُ على لَحَظاتِه، وأؤاخِذُ الأميرَ بحَركاتِه وسَكَناتِه، وأرى[2] أنّه سَعِد منّي بأكثرَ ممّا سعِدتُ منهُ، وآنَفُ أنْ يُقالَ: سَما[3] الهَمَذاني حيثُ سَما سِواهُ، ويُقاسَ على هذا ما عَداهُ، اللّهُمَّ إلّا أنْ أكونَ ضَيْفاً كالأضيافِ يُقيمُ[4] اليومَ ويرحَلُ غداً، فلا أُنافسُ أحداً.

و[5]الأميرُ - أيّده الله - يأخُذُ هذا المَعْنى فيكسُوهُ[6] لَفْظاً ليِّنَ المأخَذِ، سَهْلَ المَقطعِ، ويُرَقّيه إلى سَمْعِهِ ويُجيبُ عبدَه في الحالِ بما عندَه، والسَّلام.

---

(١) الواو ساقطة في ي.

(٢) ي: وأرني.

(٣) هذه الكلمة في ي، هنا وفي الموضع بعدها بكلمتين: سمّى.

(٤) ي: نعيم.

(٥) الواو ساقطة في ي.

(٦) ي: فيكره، وهو تحريف بعيد.

وله إلى الشّيخ الوزير أبي العَبّاس الإسْفَراييني

جوابَ[1] كتابه

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ السَّيِّد - من هَراة غُرَّةَ[2] شَهْرِ رَبيعِ الأوّل، عن سَلامة، و[3]الشّيخُ الجليلُ يَسحَبُ أذيالَها، ويلبَسُ ظِلالَها، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على نبيِّه مُحمّد وآلِه أجمعين.

نَهَت الحكماء - أيّد اللهُ الشّيخ السَّيِّد - عن صُحبةِ المُلوك، وقالوا: إنّ المُلوكَ إنْ خدَمْتَهم مَلُّوك، وإنْ لمْ تخدُمْهم أذلُّوك، فإنّهم يَستعظِمونَ في الثّواب ردَّ الجواب[4]، ويَستقِلُّونَ في العقاب ضَرْبَ الرِّقاب. وإنّهم لَيعثُرون على العَثْرةِ اليَسيرة من خَدَمِهم فيَبنونَ لها مَناراً، ثم يُوقِدونَ لها ناراً، ويَعتقدونها ثاراً. وإنّهم ليُراوحونَ بجُهْد[5] الخدْمة، ويُغادُونَ بلطيفِ التحيَّة[6]، ولا يُقيمونَ لهم وَزْناً. وقالوا: كنْ مع المُلوك مكانَك من الشّمس، إنّها لَتُؤذيك والسَّماءُ لها مَدار، والأرضُ لها دار، فكيف لو أسَفَّتْ[7] قليلاً، ودَنَتْ يَسيراً[8]؟ وإنّ العاقلَ لَيطلُبُ منها مَزيدَ بُعْدٍ فيَتّخِذُ

---

(١) ي: جواباً عن.

(٢) ي: غداة.

(٣) واو الحال ساقطة في ي.

(٤) أي: يجدون ردّ الجواب على من التمس منهم شيئاً من أعظم الثواب لذلك المجاب. كشف المعاني، ص٢٧١.

(٥) ي: بحميد.

(٦) ي: التحفة. ولها وجه.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «أسَفّت، أي: دنت وقربت، يقال: أسفت السحابة: إذا أدنت من الأرض، وأسف الطائر: دنا من الأرض».

(٨) قوله: ودنت يسيراً، ليس في ي.

سَرَباً[١]، لِواذاً منها وهَرَباً، ويَبتغي في الأرض[٢] نفَقاً، فِراراً منها وفَرَقاً.

وكما ضربوا الشّمسَ للمُلوكِ مَثلاً، كذلك جعَلوا البَحْرَ عنهم بدَلاً، فقالوا: جاوِرْ مَلِكاً أو بَحْراً[٣]، وأحرى[٤] براكبِ البَحْرِ أنْ لا يسلَم.

ولم يَرْضَ الشّيخ السَّيِّد أنْ يكونَ مَلِكَ الأنام، حتى يكونَ مَلِكَ الكلام، فالرأيُ أنْ نَريمَ[٥]، والصّوابُ أنْ لا نُقيم.

و[٦] وَرَد له[٧] - أيّد اللهُ عِزَّهُ - كتابٌ يُضرِّطُ الأُتُن[٨]، ويُعرِّقُ الآباطَ، كالقُنْفُذِ من أيِّ النواحي أتَيتَهُ، وكالحَسَكِ[٩] على أيِّ جَنْبٍ طرَحتَهُ؛ فرَحِم اللهُ أبا النصر، قلتُ له يوماً: إنَّك لَسيّئُ الرّغْبةِ[١٠]، سريعُ المَلالة، فقال: عافاك اللهُ، هذه غِيْبة، وهي في الوَجْهِ غريبة. وإنّما يُغتابُ المرءُ من وراءِ ظهْرِه، لا في سَوادِ[١١] وَجْهِه[١٢]، وكما أنّ اللّئيمَ[١٣] لا يَعرَى من خَلَّةِ خير، كذلك الكريمُ لا يخلو من فَعلةِ سُوء.

---

(١) ي: سراباً.

(٢) (في الأرض) من ي.

(٣) ي: نحواً.

(٤) س، ص: وأحر.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «نريم، أي: نبرح، من الرِّيم، مصدر رام يريم، أي: برح».

(٦) سقطت الواو في ص، ي.

(٧) ساقطة في ي.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «الأتن: جمع أتان، وهي الحمارة، والإتان بالكسر: لغة في الفتح».

(٩) كتب ناسخ س في الحاشية: «الحسك بالفتح والتحري: حسك السعدان، وهو شوك معروف الواحد حسكة، والحسك أيضاً: ما يعمل من الحديد على مثاله».

(١٠) ي: الرعيّة.

(١١) ص: سوء.

(١٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «سواد الوجه: وسطه».

(١٣) ي: السيم.

فما هذه الشَّناعةُ[1] ولا النّاقةَ عَقرْتُ[2]، ولا بالله كفرتُ، وما به - أيّده اللهُ - كُتُبي كُتُبي أنْ تَرِد، ورُسُلي أنْ تَصِل، ولكنّه أرادَ امتحانَ طبْعِه في الكتابة، واختبارَ[3] تصـرُّفِه في البلاغة، وإنّما يُتعلَّمُ الحَلْقُ على رؤوسِ الحاكة، ويُجرَّبُ السَّيْف على الكلْـب، لا عـلى القلْب، وقد - لَعَمْري - طبَّقَ العِظام، وهَتَكَ الحِجاب، ولمْ يكُن سَـيْفَ أبي رغْـوانَ[4]، ولمْ يَنْبُ بيَديْ وَرْقاءَ[5]، والجميـلُ أجْمَـل، وأنـا إلى الجميـلِ أحـوج، وهـو - أيّـده اللهُ - بالجميلِ أخْلَق، والجميلُ به ألْيَق.

أمّا الكِتابُ فلَفْظُهُ فسيح، ومعناهُ فصيح[6]:

وأوَّلُـــه بـــآخرِهِ رَهــينُ ... وآخِــرهُ لأوَّلِـــهِ قـــرينُ

وبَيْنَهُما ماءٌ مَعِين، وحُورٌ عِين، وما شاءَ الله، وعَيْنُ السُّوءِ مَصْرُوفَة، وبَيْضٌ ما يُفَرِّخنَ، وفِراخٌ ما يَنْهَضْنَ، ونَواهضُ ما يَطِرْنَ، وطَيرٌ ما يَبِضْنَ. وقَرَّتْ عَينُ الوِزارة، وزَهَرتْ[7] نارُ الدَّوْلة، ووَرِيَتْ[8] زِنادُ المِلّة.

---

(١) ي: الشفاعة.

(٢) يقصد ناقة نبي الله صالح عليه السلام.

(٣) ص: واختار.

(٤) يشير إلى قول الشاعر:

بسَيْفِ أبي رَغْـوان سـيفِ مُجاشـعٍ ... ضربتَ ولم تضرب بسَيْف ابن ظـالمِ

الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٤٠.

(٥) ورقاء بن زهير بن جذيمة، من غطفان. انظر خبره وشعره عند الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص٧٩.

(٦) ي: يصبح.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «زهرت النّار تزهر زهوراً: أضاءت، وزهرت بك ناري: قويت وكثرت».

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «قوله: ووريت زنادُ الملة: هو على حدّ قول الشاعر:

كما شرِقَت صدر القناة من الدّمِ»

وإنّي على إعجابي بتلك الفُصُول وتَعَجُّبي منها، لَشَديدُ الحنَق[1] عليها، والقَلَقِ فيها، وخَلَّة أخْرى وهي أنّي مفتونٌ بكلامي، مُعجَبٌ بصَوْب أقلامي، وذَوْبِ أفكاري، فلا أزُفُّهُ إلّا لمن يعتقِدُ فيه اعتقادي، ويميلُ إليه كَفُؤادي، ويَنْظُرُ إليه بِعَيْنِ رأسي.

وإذا بلغَ الشّيخ - أيّده اللهُ - من الفَضْلِ مَبْلَغَهُ فحَرَجٌ عليَّ أنْ لا أصِلَهُ به وأواصِلَه، والسَّلام.

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «الحنق بالمهملة والتحريك: شدة الغيظ وضيق الصدر».

وله

إلى وزيرِ الرَّيّ

كتابي، وأنا - أدام اللهُ عِزَّ الوزيرِ المكين - على بَيّنَةٍ من أمْرِي، وبَصيرةٍ من دِيني، لا أقُولُ بعُلومِ أصحاب النُّجُوم، فكما أعْلَمُ أنّ أكثرَها زَرَقٌ وريح، أرى أنّ بعضَها[1] حقٌّ وصحيح. وكان لنا أنيسٌ لا يُؤْمِنُ بالصُّبْح إيمانَهُ بالنُّجُوم، قُرِىءَ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[2]، فقال: إنْ رَضِيَ النَّحْسانِ، وإلّا فالْ الفَضْلِ حرَسَ اللهُ نِعمتَهم وأدامَها، وحاط دَولتَهُم وأيّامَها، كيفَ خَفِي عليهم مكاني، وخَيْرُهم[3] أنبتَ أسناني، وماهُم أثْبَتَ إسلامي، فكيفَ لمْ يَطْلُبوني طلَبَ الرَّقيقِ الآبِق، ويَرْبُطُوني رَبْطَ[4] الجوادِ السّابِق؟ وإنّما يُحبَسُ البازِيُّ، ولو تُرِك والأقطار، لَطار، ولمْ أرَ مِثْلي عِلْقَ مَضَنَّةٍ يُرْمَى به من حالق، ولكنْ رُبَّ حسناءَ طالق. وقِيل للحَسَن: فُلان لا يأكُلُ الرُّطَبَ ولا يشتَهِي الفالوذج، فقال: رُبَّ مَلومٍ لا ذَنْبَ له، ولَعَلَّها الصَّرْفَةُ التي يكفُرُ بها قومٌ ونحن بها مُؤمنون.

إنّ سُليمان بنَ داودَ عليهما[5] السَّلام[6]، على ما أوتِي من بَسْطَةِ مُلْكٍ وباع، ويدٍ في

---

(١) بعده في ي: رزق.

(٢) سورة النحل، من الآية ٩٠.

(٣) ي: وحنوّهم.

(٤) س: ربطة.

(٥) ي: عليه السلام.

(٦) ي: كما.

الفُتوحِ صَناع[١]، وخَطْوٍ في الخُطُوبِ وَساع[٢]، وأمْرٍ في الثَّقَلَيْنِ مُطاع، وريحٍ غُدوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهْر، وإدراكِ كلامِ النَّمْلةِ وليس لها جَهْر، صُرِف عن بلْقِيسَ ومُلكها سِنين، وهي مُجاورتُهُ في سبأِ اليَمين[٣]، حتى هداهُ الهُدْهُد.

ولا عَجَب أنْ يُصرَفَ الشّيخُ الوزيرُ - أيّده اللهُ - عنّي[٤]، وأنا أحَدُ مَواليه، وغَرْسُ[٥] أياديه، ولو شاءَ لَسمَّى أبي زيداً وسمّاني أُسامة، ولو شاءَ غيرُهُ لقلنا: لا ولا كرامة.

وما تَأخَّرتْ كُتُبي عن حَضْرتِه كُفْراناً لنِعْمَتِه، لكِنْ إعظاماً لِحِشْمَتِه، ولولا أمْرٌ من خادمِهِ والدي[٦] - أقام اللهُ عزَّه - وتعيينُ فَرْضٍ اضْطرَّني[٧] إليه[٨]، لرأيتُ الجَرْيَ على عادتي باباً من أبوابِ أدبِ الخِدْمة، لكنّه لا رُخْصةَ في العُقُوق، من[٩] الخالقِ والمخلوق، فكاتبتُ الحضرةَ العاليةَ مُتَنَجِّزاً[١٠] ما سأل من الكُتُب.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «صناع بالفتح، أي: حاذقه، يقال: امرأة صناع اليدين أي: حاذقة ماهرة بعمل اليدين».

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «وساع بالفتح أي: واسع الخطو، يقال: فرس وساع ووسيع وميساع».

(٣) كذا في الأصول، والمقصود: اليمن، بقرينة (سبأ)، جعلها الهمذاني (اليمين) مطابقةً للسّجْع. وقد تحرّفت هذه الكلمة في ي: لسليمان.

(٤) عبارة ي موضع (الشيخ .... عني): الشيخ عن الوزير أيّده الله.

(٥) ي: غوس أو غوش، وكلاهما تحريف.

(٦) ي: والذي. وما هنا من: س، ص، ويوافق قوله الآتي: لا رخصة في العقوق.

(٧) ي: أعطرني.

(٨) ساقطة في ي.

(٩) ي: بين.

(١٠) ي: منتجزاً.

والوزيرُ السَّيِّد جديرٌ بالفَضْلِ قديرٌ عليه، وأنا موضِعٌ لـه فقـيرٌ إليـه، وورائـي[1] وأمامي، من أخْوالي وأعمامي، مَن مَواقفُ خِدْمتِهِ مَشْـهُورة، ومَقاماتُـهُ مشـكُورة، وبي وبهم حاجةٌ إلى فَضلِ عَوْنِه وماعُونِه، فـإنْ سَـعِدوا بحـظٍّ مـن جميـل رأيـه، فـآلُ بُنْـدار عَشيرتي الأدنوْن، وبَعْدَهم نـاسٌ صَـلاحُهم بصَـلاحِ هـؤلاءِ مربـوط. ونِعْـمَ الشَّـفيعُ السُّلْطان[2] الأعظمُ حرَس اللهُ مُلكَه، والشّيخ الجليلُ الوزيرُ[3] أعزَّ اللهُ نَصْـرَه، والعَلَـمُ الذي رفَعَ اللهُ قدرَه، والعُمْرُ الذي أنفقْناهُ[4] على خِدْمَتِـه، والشَّـيْبُ[5] الـذي لَبِسْـناهُ في جُمْلتِه[6]. ورأيُ الوَزيرِ في ذلك مُوفَّقٌ إنْ شاءَ الله.

---

(١) ساقطة في ي.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) ساقطة في ص، ي.

(٤) ي: ألعقناه.

(٥) ي: والسبّ، وهو وجه محتمل لم يقع عليه الأستاذ الأحدب في الكشف، فجعل يبني شرحه الآتي للعبارة على وجه الشيب فقط.

(٦) في جملته أي: جملة من شاب في خدمتِه. والشيب والعمر والعلم والشّيخ معطوفات على السُّلْطان، أي: نعم الشفيعُ السُّلْطان ومن ذُكر بعده. كشف المعاني، ص٢٧٩.

وله إلى الشّيخ الرّئيس أبي عامر
في مَعْنى السَّدَق[1]

نحنُ - أطالَ اللهُ بَقاءَ الشّيخ - إذا تكلَّمنا في فَضْلِ العَـرَبِ عـلى العَجَـم، وعـلى سائر الأُمَم، أردْنا بالفَضْل ما أحاطتْ به الجُلود، ولم نُنكِـر أنْ تكـونَ أمَّـةٌ أحسـنَ مـن العَرَبِ مَلابس، وأنْعَم مِنها مَطاعِم، وأكثَرَ ذخـائر، وأبْسـطَ ممالِـك، وأعْمَـرَ مَسـاكن، ولكنّا نقولُ: العَربُ أوْفَى، وأوْفَر، وأرْقَى[2]، وأوْقَر، وأنْكَى، وأنْكـر، وأعْـلَى، وأعْلَـم، وأحْـلَى، وأحْلَـم، وأقْـوَى، وأقْـوَم[3]، وأبْـلَى، وأبْلَـغ، وأشْـجَى، وأشْـجَع، وأسْـمَى، وأسْمَح، وأعْطَى، وأعْطَف، وألْطَى[4]، وألْطَـف، وأحْصَـى، وأحْصَـف[5]، وأنْقَـى، وآنَق. ولا يُنكـر ذلـك إلّا وَقِـحٌ وَتِـح[6]، ولا يَجْحَـدُهُ إلّا نَغِـلٌ[7] نَغِـر. وإنّـما قـدَّم اللهُ تَعالى مُلْكَ العَجَمِ لِيَحْتَجَّ عليها، وإنّما أخَّر مُلْكَ العَرَبِ ليَحْتَجَّ بها، وما ملَكتِ العَجَـمُ حتى تَواصلتْ، وما مَلكتِ العَرَبُ إلّا حين تَصاوَلَتْ، وما تَواصَـلت العَجَـمُ إلّا يأسـاً

(١) عيد السدق (السَّدَه)، ويُسمّى عيد الوقود أيضاً: من أعياد الفرس قبل إسلامهم، فقد كانوا في مجوسيّتهم يحتفلون به قبل النَّوْروز بمائة يوم، يشعلون فيه النيران، ويلعبون بها، ولهم فيه روايات من تاريخهم القديم. عن هذا العيد، وأعيادهم الأخرى، انظر: البيروني، القانون المسعودي، ج١، ص٢٦٥؛ الكرديزي، زين الأخبار، ص٤٠٣.

(٢) س: وأوقى.

(٣) ساقطة في ي.

(٤) لم أهتد إلى ما قصد بهذه الكلمة.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «أحصف بالحاء والصاد المهملتين: من الحصافة، وهي إحكام العقل، يقال: حصف الرجل ككرم حصافة فهو حصيف، أي: محكم العقل».

(٦) سبق بيان هاتين الكلمتين ص١٥١.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية شارحاً: «النغل بالنون والغين المعجمة: فاسد النسب، والفعل منه: نغل بالكسر ينغل فهو نغل كفرح، والنغر: الممتلىء غيظاً وحقداً، يقال: نغر الرجل بالكسر فهو نغر».

من نُفُوسِها، ولا تطاولت[1] العَرَبُ إلّا لِما في رُؤوسِها، ولا تكادُ السِّباعُ تـأتَلف، كـما لا تكادُ البهائمُ تختلِف.

وإنّ قبيلةً[2] أقَرَّتْ هذهِ العربُ لها أنّها جَمْرتُها لجماعُ أخلاقٍ شريفة، ونِظامُ أحلامٍ رَزينة، ومُصابُ أيّامٍ مَذكورة، ومصَبُّ مَساعٍ مشكورة.

وإنّ امرءاً سادَ هذه الجَمْرةَ لَطلّاعُ أنْجُد، وغَنيٌّ بها أولَى من خيرِه، عن التزيُّن بحُليِّ غيرِه، وحقيقٌ أنْ يُثيرَ شعارَ آبائه[3]، ويُميتَ شعارَ أعدائه.

إنّ عيدَ الوَقودِ لَعِيدُ إفْك، وإنّ شِعارَ النّار لَشِعارُ شِرْك، وما أنْزلَ اللهُ بالصِّدْق سُلْطاناً، ولا شرَّفَ نَيرُوزاً[4] ولا مِهْرَجاناً[5]، وإنّما صبَّ اللهُ سُيُوفَ العَرَبِ على فُروقِ

---

(١) ص، ي: تصاولت. وهو تكرار فاسد.

(٢) س، ص: قبلة، وما هنا من ي، وهو المتفق مع النص.

(٣) س، ص: أحبائه.

(٤) النَّوروز أو النَّيروز عيدٌ عراقيٌّ قـديم، تعـود أصـوله إلى الحضـارات التـي نشـأت في العـراق، السـومريين والبابليين، وهو متصلٌ بالتقويم الزراعي، والاعتبارات فلكية، فهو يوم الانقـلاب الربيعي (٢١ آذار). تـأثرت بـه الأمـم المجـاورة، ومـنهم الفـرس، فتمسـكوا بـه حتـى بعـد إسلامهم، ولهم فيه طقوسٌ رسمية وشـعبية. وكـان لـه حضـورٌ حتـى في الـدولتين العباسـية والفاطمية. انظر على سبيل المثال : الغزالي، التبر المسبوك، ص٨٠؛ ابـن الطقطقـى، الفخـري، ص١٥٥. وعلى شبكة المعلومات العنكبوتية مقالٌ ضافٍ لطلعت ميشو يوثق تاريخه وجـذوره وامتداداته وكثيراً مما يتعلق به بتوثيقٍ جيد، وهو بعنوان : أكيتو عيد الربيـع البـابلي – جـذوره، أيامه، عائديته.

(٥) ضبطه ناسخ ي بضم الميم، والأصح ما أثبتناه. ضبطه السَّمْعاني بكسـر المـيم والـراء، وسـكون الهاء، (مِهْرِجان). الأنساب، ج٥، ص٤١٤. وضبطه الـبعلي (ت٧٠٩هــ/ ١٣٠٩م) بكسـر الميم وفتح الراء (مِهْرَجان) معتمداً عـلى الزمخشـري (٥٣٨هــ/ ١١٤٣م) في مقدمـة الأدب، وقال: هو عيدٌ للكفار، يصادف اليوم السابع عشـر من الخريـف. المطلـع عـلى ألفـاظ المقنـع، ص١٩٢. وكذلك ضبطه الأحمد نكري (القرن ١٢هـ/ ١٨م) مِهْرَجان، وقال: إنه أول يوم من نزول الشمس في الميزان. دستور العلماء، ج٣، ص٢٦٨. وهو من أعياد العراق القديم، وانتقل إلى الأقوام المجاورة.

العَجَم لِما كَرِهَ من أديانها، وسَخِطَ من نِيرانِها، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾[1].

وإنْ أنصفَ الشّيخ الرّئيس أيّامَ الله لَديه، وَجَدها كُلَّها أعياداً ضاحِكةَ المباسم، ظاهرةَ المواسم، فلا وَقَدَتْ نارُ المجوس.

والله، ما أقولُ ذلك إلّا غَيْرَةً على نِعْمتِه، وشَفَقَةً على خُطَّتِه[2]. إنّي أجِدُ[3] اللهَ تَعالى يَمقُتُ مَن بَحَرَ البحيرةَ، وسَيَّبَ السّائبةَ، ووَصَلَ[4] الوَصيلةَ، وحَمَى الحامِيَ. فالنّارُ أولى بأنْ يُمقتَ شارِعُها وهي معبودة، وإنّما جَعَل الله تعالى النّار تَذكِرةً ومَتاعاً، ولم يَجْعَلْها وُدّاً ولا سُواعاً[5]، ولمْ يَضْرب اللهُ تَعالى لها عِيداً، ولمْ يَجْعَلْنا لها عَبيداً.

اللهُ والنبيّ، والعيدُ العَرَبيّ، والتكبيرُ الجهير، وتلك الجماهير، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[6]، والرَّحْمةُ صَوْباً وصَبّاً، والبَركاتُ فَيْضاً وفَضّاً، والجَنَّةُ وصِراطُها، والنَّجاةُ وأشراطُها، والموسمُ الطّاهرُ من لَغْوِ الحديث. ذلك، لا ما شرعَ الشَّيْطانُ لأوليائه: نارٌ لَدَيهم تُشَبُّ، ولَعْنَةٌ عليهم تُصَبُّ، وخَمْرةٌ مَتاعُها قليل، وفي الآخرةِ خُمارُها طويل. هذا هو العِيد، وذلك هو الضَّلال البعيد. إنَّهُم لَيَشُبُّونَ ناراً هي مَوعدُهم، والنّار في الدُّنيا عِيدُهم، واللهُ إلى النّار يُعيدُهم.

إنّ اليهودَ لَعلى أَثْرَةٍ من الكِتاب، وإنْ حرَّفوهُ[7]، وإنّ النَّصارى لَعلى إرْثٍ من

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية ٢٧.

(٢) ي: خطبته.

(٣) س: أحمد.

(٤) ي: وهل.

(٥) وُدّ وسُواع من أصنام العرب قبل الإسلام.

(٦) سورة التحريم، من الآية ٤.

(٧) ي: حرفوها.

الصَّواب، وإنْ تَصرَّفوهُ[1]، وإنّ أبعدَ الأممِ ضَلالاً لهذه المجُوس، وإنّ مَقِيلَ الشَّيطانِ لتلكَ[2] الرّؤوس. فمَن لمْ يَلْبَس مع اليهود غِيارَهم، ولمْ يعقِدْ مع النَّصارَى زُنّارَهم، ولمْ يشِبْ مع المجوس نارَهم، هُدِيَ[3].

ولو شهِدَ المسلمونَ السَّبْتَ ما شهدُوهُ إلّا مَنْسُوخاً مَحْظوراً، وحِجْراً مَحْجوراً، ولو عَلَّقُوا الصَّليبَ ما علَّقوهُ إلّا كَذِباً وزُوراً، ونُكْراً مَنْكُوراً. وليست النّارُ بنُكْرٍ ولا فُسُوق، و[4]إنّما هو الكُفرُ النَّصيح، والشِّرْكُ الصَّريح، والدِّينُ تَحمِلُه الرِّيح، ولا يَستَرِيح[5].

إنّ المجوسيَّةَ حُلْوةٌ خضــراء: وأدُ البنـات، ونَيْـكُ الأمّهـات، واشرَبْ وهـات، ومُـلَحُ[6] التُّرَّهات. وإنّ هذا الدِّينَ لذو تَبِعات: الصّومُ والفِطامُ شديد، والحَـجُّ والمَـرامُ بعيد، والصَّلاةُ والنَّومُ لَذيذ، والزّكاةُ والمالُ عزيز، وصِدقُ[7] الجهـاد والـرأسُ لا يَنبُـتُ بعدَ الحصاد، والصَّبْرُ الحامض، والعَفافُ اليابس، والجِدُّ الخشِن، والصِّدْقُ المُرُّ، والحـقُّ الثَّقيل، والكَظْمُ وفي اللُّقْمةِ العَظْم.

والنّاسُ رَجُلان: موفَّقٌ يُوعَظُ فيَقْبَلُ ويَغْنَم[8]، ومخذُولٌ تأخُذُهُ العِزَّةُ بالإثْمِ فحَسْبُهُ جَهَنَّمُ، والسَّلام.

---

(١) ي: وإن قصّ فوها.

(٢) ص: تلك.

(٣) ي: هذا.

(٤) سقطت الواو في ي.

(٥) لا يستريح، أي: حامله والمتلبس به، والمراد بحمل الريح أنها تذهب به وتلاشيه، وهو كناية عن أنه لا شيء. كشف المعاني، ص٢٨٤.

(٦) س، ص: ولمح.

(٧) ي: وحدق.

(٨) ي: وينغنم.

وله - سامحه اللهُ تَعالى[1] - إليه أيضاً[2]

قد بَعَثَ إليَّ الشّيخُ - أطالَ اللهُ بقاءه - بأصْلِ مالِ مُجُونِه[3]، وأُصانُ إنْ شاءَ اللهُ عن فُروعِه.

فأمّا القِسْمَةُ الواقعةُ لِفُلان، فلو كان حِماري لنَفَشْتُ علَى بطْنِه التِّبْن، ونَقَلْتُ على ظَهْرِهِ اللِّبْن، أفأؤدّي عنه الغَرامة؟ لا ولا كَرامة.

أنا والله لا أرْبُطُ في الإصْطَبْل مِثْلَ ذلك الطَّبْل، و[4]إنّي لأنفَسُ بالعِذار، على ذلك ذلك الحِمار، مَن ذلك الثَّوْر، حتى يُحْتَمَلَ منه الجَور؟ الموْتَ - والله[5] - ولا هذا الصَّوْت، والمنيَّةَ ولا هذه الدَّنيَّة، والسَّلام.

---

(١) الدعاء في س فقط.

(٢) الأيض سقط في س.

(٣) س، ي: المجوزة. وما هنا من ص ولعله أرجح. والمجون: الصلابة، ومنه صلابة الوجه وقلّة الحياء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٠٠ (مجن).

(٤) سقطت الواو في س، ص.

(٥) خلت ص من هذا القسَم.

وله إليه أيضاً

عفا اللهُ تعالى عنه[1]

خَلَقَ اللهُ الخيراتِ وجَعَل الدِّين مَناطَها، وجَمع المخازيَ وجَعَل الإلحادَ رِباطَها، وكُلُّ طائفةٍ تَغْتَرُّ بالله[2] بزَعْمِها، وتَدينُهُ بمبلغ عِلْمِها.

تقولُ اليهودُ: نحنُ أبناءُ الله و[3]خليلِه، ووَرَثةُ إسرائيلِه، وتدَّعي النَّصارى أنَّها صَفْوةُ جِيلِه، وحَمَلةُ إنجيلِه، والصّابئةُ تَغْتَرُّ بجِبْريله، وتقولُ بميكائيله[4]، والمجوسُ على أثَرٍ من سَبيلِه، وأثْرةٍ من قِيلِه. ونحنُ - بحمْدِ الله - حملةُ تنزيلِه، والعُلماءُ بتأْويلِه.

وأبو منصور الكُروجيُّ[5] لا يَهُوديٌّ يشهَدُ سَبْتَه، ولا نَصْرانيٌّ أعرِفُ نَعْتَه، ولا مَجُوسيٌّ يعبُدُ جِبْتَه، ولا مسلمٌ [يحُجُّ بيتَه][6].

إنّه - فيما بَلَغَني - ينيك بنتَه[7]! ولا يغسلُ اسْتَه! فإلى أيِّ دينٍ أُخاصِمُه؟ وإلى أيِّ أيِّ مذهبٍ أُحاكمُه[8]؟ وأنا إلى رأي الشّيخ الرّئيس ومَعونتِه فقير، وهو بهما إليَّ جدير، والسَّلام.

---

(١) قوله: (عفا الله تعالى عنه) من س.

(٢) عبارة ي: تعتزّ بها لله.

(٣) واو العطف ساقط في ي.

(٤) ي: تعتبر بجرئيله.

(٥) كذا في الأصول الثلاثة، مع أنني لا أعرف، ولم أجد نسبةً إلى كروج، وأظنها تصحيف كَرُوخ. الكروخيّ، بالخاء: نسبةً إلى كروخ: بلدة من هراة. انظر مثلاً: السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٦٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٨.

(٦) تحرّفت هذه العبارة في س، ص إلى: بحموس، وفي ي: مجوسي. ولعلّ ما أثبتناه يؤدي الغرض.

(٧) ي: تعتبر بجرئيله.

(٨) ي: الميكائيلة.

وله

إلى أبي مُحمّد بن حاتم

أبو الفَضْل - رحِمَ اللهُ شَبابه، وأحسَن مآبه، وأجْزَلَ ثَوابه، وأبقَى أباهُ وجَبر مُصابه - فقيرٌ إلى سُفْتَجةٍ[1] من سَفاتج الآخرة، يجْعلُها بينه وبينَ النّار حِجازاً، ويَصْطَحِبُها جَهازاً، ويُنْفِقُها على الصِّراطِ لِيَجِدَ جَوازاً، ويُقدِّمُها إلى الله تَعالى[2] لِيُعْطِيَهُ مَفازاً.

وأظُنُّ فُلاناً مَكيناً[3] بإيصالِها، ثقةً في احتمالها، ولا شكَّ أنّ الشّيخ لا يَنْفَسُ على ذلك الفَرَطِ الصّالِح[4]، والولَدِ الفاتِح[5]، بما يَعْلَمُ حاجَتَه إليه.

ولكأنّي به يقولُ: وما معْنَى الفاتِح؟ ومَعناه أنّ رجلاً كان يأتي إلى النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم ومعه ولدٌ عليه عَقِيصتان، فجاءَهُ[6] يَوماً وحدَهُ، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلَّم: «ما فعَل ذو العَقِيصتَين[7]؟» فبكَى الرجُلُ وقال: إنّ اللهَ استأثَر به، فقال عليه الصّلاةُ والسَّلام: «ألا يَسُرُّكَ أنْ لا تَأْتيَ باباً من أبوابِ

---

(١) هي ما يُعرف في المعاملات التجارية اليوم بالحوالة المالية. انظر: القونوي، أنيس الفقهاء، ص٨٢؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٥.

(٢) قوله: إلى الله: ساقط في ص. والتعالي في س فقط.

(٣) ي: مليّاً.

(٤) ي: الفاتح.

(٥) ي: الصالح.

(٦) ص: فجاء.

(٧) ي: القعصتين.

الجَنَّةِ إلّا رأيتَ ابنَك يَفْتحُهُ لك؟»[1].

وما قصدتُ بهذه الرُّقْعة أعظمَ من قَضاءِ[2] حقِّ ذلك الفاضلِ رَحِمه الله[3]، وأرْجوها تقَعُ من وِفاقِ الشّيخ موقعَها إنْ شاء اللهُ تَعالى.

(١) هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده: (١٥٥٩٥) و(٢٠٣٦٥) و(٢٠٣٦٦)؛ والنسائي في كتابيه: المجتبى، ج٤، ص٢٢ و١١٨؛ وسننه الكبرى (٢٠٠٩)؛ وابن حبان في صحيحه (٢٩٤٧)، من حديث معاوية بن قرة، عن أبيه، وإسناده صحيح، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك؛ فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مالي لا أرى فلاناً؟» قالوا: يا رسول الله، بُنَيّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بُنَيّه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «يا فلان، أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك»، قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي، قال: «فذاك لك». وليس عندهم، ولا عند غيرهم، أن الولد كان عليه عقيصتان، بل خبر ذي العقيصتين خبر مختلف.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) عبارة الترحُّم من ص فقط.

وله

إلى الفقيه إسماعيل بن إبراهيم المقرئ

هلمَّ - أطالَ اللهُ بقاءَ الفقيه - نقضي[١] حقَّينِ عظيمَيْنِ لمْ أرضَ لنفسي فيهما سواهُ عَديلاً، وإنْ نَشِط لمْ أبْغِ به بَديلاً، حُرمتانِ، أولاهما وأوْلاهما: حُرْمةُ الغُصْنِ المخْتَصَر، والوَرَقِ المُحْتَظَر، والكمالِ المُحْتَصر، والشَّبابِ المُبتَصَر. والأُخْرَى: حُرمةُ العِلْمِ العاطل، والحقِّ في مَعرِضِ الباطل، والدِّين في أسْرِ الفَقْر، والنِّعْمة في يَدِ الدَّهر، لعلَّ اللهَ يُسَهِّلُ سعْيَهُ[٢] للأوَّلِ فَوْزاً أو نَجاة، وللآخِرِ بضاعةً مُزْجاة، ويصونُ[٣] وَجْهَه عن الابتذال، إنّ أجْرَهُما لَعظيم.

وقد طَوَيتُ هذه الرُّقْعة عليهما[٤]، فلْيُوصِلْها ولْيَتَجشَّمْ[٥]، وليتكلَّمْ عليهما[٦] بما يعلم[٧].

---

(١) كذا في النسخ جميعاً، والجادة: نقضِ، مجزوماً.

(٢) ي: بسَعْيِه.

(٣) ي: تصون، أي: البضاعة.

(٤) ي: عليها، هنا وفي الموضع الآتي بعد ثلاث كلمات.

(٥) في ي: تقديم وتأخير: فليتنجشّم وليوصلها.

(٦) الضمير يعود إلى الحرمتين المذكورتين أو إلى النجاة أو الفوز. كشف المعاني، ص٢٨٨.

(٧) (بما يعلم) ساقط في ي.

وكَتَبَ[١] إلى الشّيخ الإمام
أبي الطَّيِّب سَهْل بن مُحمّد الصُّعْلوكي[٢]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الفاضل الإمام - اتّباعاً لرضاه، ونُزولاً حيث يَراه. والأصلُ في هذه المُخاطَباتِ أنّ اللهَ تَعالى جَعَل تعظيمَ النُّبُوَّةِ فَرْضاً، فقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٣]، فلمّا خُتِمَت الرّسالة، وجاءت الإمامة، رُدَّتْ إليها الكرامة، فقيلَ لأبي بكرٍ: يا خليفةَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم، فجعَلَ اللهُ تَعالى الخِلافةَ شِعارَ آلِ أبي قُحافة، لم يُدْعَ بها غيرُ[٤] صاحبهم، ثم استَخلَفَ أبو بكر عُمَر، فقال رجُلٌ: يا خليفةَ الله، قال: يا[٥] خالَفَ اللهُ بك[٦]، ذاك نبيُّ الله داود[٧]، ثم[٨] قال: يا خليفةَ رَسُول الله، قال: ذلك[٩] صاحبكم المفقود، ثم[١٠] قال:

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ي: الصعلوخي.

(٣) من الآية ٦٣، من سورة النور.

(٤) ي: عثر.

(٥) حرف النداء من ي فقط.

(٦) الخلّال، السنّة، ج١، ص٢٧٨.

(٧) ليس هذه العبارة بين فاصلتين من الحوار بين عمر بن الخطاب والرجل في شيء من المصادر، بل هي كلمة قالها صفوان بن الأهتم لزياد ابن أبيه في عقب خطبته البتراء المشهورة. الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ج١، ص١١٤.

(٨) حرف العطف ليس في ي.

(٩) ي: ذاك.

(١٠) حرف العطف ليس في ي.

يا خليفةَ خليفةِ رَسُول الله، فقال: إنّي لكما تقول، ولكنّ هذا الأمرَ يَطُولُ، قال: أفنسمّيك؟ قال: لا تَبْخس مقامي شَرَفه، أنتم المؤمنون، وأنا أميرُكم، فقيلَ: الإمامُ وأميرُ المؤمنين[1].

ولَعَمْري، العالِمُ أولى بكرامةِ رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم من خَليفةِ زَمانِنا هذا. إنّ العالِمَ ليجدِّدُ رُسومَه، ويَدرُسُ[2] عُلومَه، ويُفتِّشُ[3] حديثَه، ويضبطُ[4] أُصولَه، ويُخْرِجُ فُروعَه، وإنّ الخليفةَ لا يألُوهُ خِلافاً، ولا يَألُونا جِزافاً.

جاءَنا رجلٌ يَصْحَبُ السَّرير، ويَسْحَبُ الحرير، ويفرُشُ الحصير، ويخُوضُ العبير، يَخلُفُ بزعْمِهِ رجُلاً كان يَقتاتُ الشّعير، ويَعروري البعير، ويركَبُ الحَمير، ويُكلِّمُ الصّغير، ويُجالِسُ الفقير، ويُؤكِلُ الأجير[5]. فَرْقٌ بينَهما بعيد، هذا وإنْ لمْ يُحْسن العِشرةَ ولمْ يُجمل الرّأيَ والنّية، وفيمَ يملِكُ الإمامة، وهذا[6] الحَسَن البصْريُّ، يتّعظُ به البَدْريُّ[7]، ويَستفيدُ منهُ العَقَبيّ[8]، وتقولُ عائشةُ: كأنّه إذا تكلّم

(١) أورد الصابي في هذا الشأن أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامله بالعراق أن يبعث إليه رجلين عارفين بأمور العراق ليسألها عما يريد، فأنفذ إليه لبيد بن ربيعة وعديّ بن حاتم. فلما وصلا إلى المدينة، دخلا المسجد وكان فيه عمرو بن العاص فطلبا منه مقابلة عمر قائلَيْن: استأذن لنا أمير المؤمنين، فقال لهما: أنتما أصبتما اسمه، فدخل عليه وقال: السلام على أمير المؤمنين، فأقرّه عمر، ودعا له به أبو موسى الأشعري في العراق. رسوم دار الخلافة، ص١٢٨.

(٢) ي: فيدرس.

(٣) ي: ونفيس

(٤) ي: وينبط.

(٥) ص: الأسير، وكلاهما جائز يحتمله المعنى.

(٦) العبارة (وفيم .... وهذا) في ي: لقلت فيه تحرم الإمامة، هذا.

(٧) يقصد مَن شهد غزوة بَدْر.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «العقبي: منسوب إلى العقبة، والمراد أهل بيعة العقبة».

النبيُّ، قال له رجُلٌ: ما يقولُ الفقيهُ ؟ فقال له[1]: فاهاً لِفيكَ[2] سَفيهاً، وهل رأت عيناك[3] بَعدَ الصّحابة فَقيهاً ؟

وما أجدُ للشّيْخِ مثلاً إلّا صاحبَ النُّسورِ والنُّشور، والحديثُ على بُعْدِهِ مَقُول[4]، والخبرُ على ضعفِهِ مَنقول، وعلى الرّاوي عُهدةُ الخَبَر، وضَمانُ دَرْكِ الأثر، وخفارةُ الحديث حتى يبلُغَ مأمَنَهُ من القلوب، ويَنْزِلَ مَنزِلَهُ من القَبول.

إنّ النُّسورَ سَمَتْ[5] بتابوتِهِ صُعُداً[6] إلى السَّماء[7]، حتى نَظَر فأنكر البلاد، ثم نَظَر[8] فأنكر الجبالَ[9]، ثم نَظَر فأنكرَ الأرض، ثم نَظَر[10] فلمْ يَرَ شيئاً. كذلك الشّيخ الإمام، قد سمَتْ[11] به الهِمَّةُ إلى حيث ينظُرُ، فلا يَرَى أحداً، فلْيَتَطامَنْ إلى الغَمام، إنْ لم يَتواضعْ إلى الأنام[12]. ولمَ وهو بحَمْدِ الله إنْ ذُكِرَ الشّرفُ كان بذُرْوَتِه، أو

---

(١) من ص.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «فاهاً لفيك: معناه خيبة لك، يعني: جعل الله لفيك الأرض».

(٣) ي: عينك.

(٤) أي: محكي، وإن تقادم عهده. كشف المعاني، ص٢٩١.

(٥) ي: صعدن، وهو بمعنى.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الصعد بالتحريك: خلاف الصبّ، وعذاب صعد: شديد، والصعود: خلاف الهبوط والجمع صعائد وصُعَد».

(٧) (إلى السماء) ليس في ي.

(٨) (فأنكر .... نظر) ساقط في ص.

(٩) ي: الخيال.

(١٠) (ثم نظر) ساقط في ي.

(١١) ي: سمعت.

(١٢) ص: للأنام.

الدِّينُ[1] تمسَّك بِعُرْوتِه، أو العِلْمُ احتَبى بعَقْوته[2]، أو الجُودُ تَعلَّق بحُبْوتِه،

فليتَ شِعْري بمَـنْ هـذي[3] فَضـائِلُهُ ... مـاذا الـذي ببُلـوغِ الـنَّجْمِ يُنْتَظَـرُ[4]

---

(١) موضع (الشرف .... الدين) في ي: علا على ذروته، والدين.

(٢) كتب ناسخ س بهامشها: «العَقْوة، بفتح المهملة وسكون القاف: الساحة وما حول الدار. والحبوة، بالضم والكسر: اسم من احتبى الرجل: إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، الجمع: حُبى».

(٣) ي: هاتي.

(٤) لأبي تمام، ديوانه، ج٢، ص١٨٩. ونسبه الثعالبي في المنتحل، ص٥٥ للبحتري، ولم أجده في ديوانه. وفي كليهما:

يا ليت شعريَ مَن هاتا مآثِرُهُ

وله

إلى الفقيه أبي القاسم الدّاوَرْديّ[1]

البُخْلُ - أطال اللهُ بقاءَ الفقيه - قَبيح، وهو بالسَّرْقِينِ[2] أقبح، والحِمَى بِدْعة، وحِمى الجَشَرِ[3] أبدع، ومن الغرائب أنْ يبخَلَ البشَر بما يَسلَحُ الجشَر؟ وكانوا بالبُخل على الطَّيِّب يعذلون، وأراهم في كُلِّ عامٍ يرذلون.

ووَرَدتْ رُقْعة وَكيلي يزعُمُ أنّ وَكيلَهُ منعَهُ رَوْثَ الوادي، فلا أدري أيُّ الوَكيلَينِ ألأمُ: أصاحبُ الغَوْث، أمْ صاحبُ الرَّوْث؟ وأيُّهما أنتنُ؟ وأنتنُ من السَّرْقينِ مَنْعُه، وأخبثُ من مَنْعِه رَفْعُه،

فإنْ يكـنْ شَـجرُ الأتْـرُجّ طـابَ معـاً   أصْلاً وفَرْعـاً وطـاب العُـودُ والـوَرَقُ
فإنّ قَدْرَ عَسـيبِ الكَلْـبِ خَـسَّ معـاً   قَـدْراً[4] وقِـدْراً وخَـسَّ اللَّحْـمُ والمـرَقُ[5]

---

(١) ص: الداوردي أبي القاسم. ولعلّ الدّاوَرْدي هذا هو طاهر الدّاوَرْدي الذي كتب إليه الهمذاني رسالة تهنئة له بابنه، ص٤٧٩.

(٢) السَّرْقين: روث البقر.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «الجشر: .... التي ترعى في مكانها ولا ترجع إلى أهلها، يقال: جشرنا دوابنا نجشرها جشراً، أي: ترعى ولا تروح».

(٤) كذا في الأصول، وفي مصدر التخريج: قدّاً.

(٥) لبديع الزّمان. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٩١.

وكَتَب[1] إلى أبي الحسين الحِيريّ

أنتَ - أدامَ اللهُ عِزَّكَ - طرْفُك جافٍ، ولُطْفُك خافٍ. فأمّا عتابُك فجُنونٌ مَحْض، وسِبابٌ صِرْف، ولا عَليكَ أنْ لا تُعاتِبَ أحداً، ولا تُكاتِبَني أبداً، وإذا نبَستَ لي مَحلّةً فلأُنبِسَنَّ لك الصّاقب[2]، وكيف تَرَى السُّها عينُك[3] ولا تَرَى النّجمَ الثاقب؟!

أخبرْني عن رجُلٍ من إخوانك بَيْتُهُ مكّةُ[4] أبياتِك، ومَوتُهُ خيرٌ من[5] حَياتِك، إنْ لم تَزِنْكَ صُحبتُهُ لمْ تَشِنْك، وإنْ لمْ يُفِدْكَ[6] لم يَستفدْ منك. غِبتَ عنه شُهوراً فلمْ تُكاتبْهُ ولمْ يُعاتبْك! حتى إذا ابتدأك عائداً بخُلُقِه على خُرْقِك، أنشأْتَ تشتُمُ عِرْضَه. كيفَ لم يُسِغْ[7] فصولَ[8] كتابِه إليك فسخَّفت عَقْلَه، وخبَّثت أصلَه، ونسبت إلى اللُّؤم عهدَه؟

يا أبا الحُسين[9]، للئيمُ[10] عَهْدٍ مَن كتَب فَصْلاً[11]، وكريمُ عَهْدِ مَن لمْ يَكتُبْ أصلاً. والله، لو بلَغتَ المبلغَ الذي أنت اليومَ دُونَه، وكنتَ الرجلَ الذي تطمَعُ أنْ

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) الصاقب: هو القريب من الدار والمجاور والملاصق. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٢٥ (صقب).

(٣) ي: عنك.

(٤) ي: بمكة.

(٥) ي: بين.

(٦) ي: يغدل.

(٧) ي: يسبع.

(٨) ص: فضل، ي: فضول.

(٩) ي: الحَسَن.

(١٠) ي: اللئيم.

(١١) ي: فضلاً.

تَكونَه، لكفاكَ من التِّيه، بعضُ ما أنتَ فيه. فأمّا الآنَ والحالُ من الضَّعْفِ بحال، والأيّامُ كأنّها لَيال، والقَفا[1] كالوجْهِ بال، والكِيسُ مِثْلُ الرأيِ خال، واللّحْمُ في السُّوق غال، والقِدْرُ طَيْفُ خيال، فأغنى ما أنتَ عنه ما أنتَ فيه، وأحوجُ ما أنتَ إليه، ما لستَ تحومُ حَوالَيْه، والسَّلام.

(١) ي: وألقت.

وله

إلى رجلٍ سألهُ[1] مُسْكِراً وتقاضاهُ في يومٍ مَطير

عافاكَ الله، العاقلُ إنْ وافَى أبوهُ على حِمْلِ البَريد، من المَضربِ البعيد، في الخَطْب الشّديد، يومَنا هذا لم تُستقبَلْ جَمّازتُه[2]، وإنْ مات لمْ تُشهَدْ جَنازتُه. وَحْلٌ إلى الرُّكَب، ومَطَرٌ كأفواهِ القِرَب، ورَجُلٌ ظاهرُ النِّفاقِ يُلتمَسُ منهُ الشّرابُ وهو لا يُعرَفُ[3] قُرْبُه، فكيفَ شِرْبَهُ ؟ على أنّك إلى الشُّكْر، أحوجُ منك إلى السُّكْر.

ألا ترى كيفَ مَنَّ اللهُ تعالى على البُيوت بالثُّبوت، وعلى السُّقوف بالوُقوف[4]؟ أتنعَمُ والماءُ سُلطانُك، والطِّينُ حِيطانُك ؟ أتسكُنُ والطِّينُ جُدرانُك[5]، والأنهارُ جيرانُك ؟ ألا تَنتظرُ هذا[6] المطرَ ؟ أمطرُ عِمارةٍ أمْ مطرُ خَراب ؟ وسُقيا رحْمةٍ أمْ سُقيا عذاب ؟!

---

(١) ص: سأل.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «جمازته: من الجمز بالجيم والزاي، وهو سير أشدّ من العَنَق، وقد جمز البعير... ويجمز... جمّاز... وجَمّازة». والجمّاز: البعير الذي يركبه المجمِّز، وهو رجل البريد. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٢٣ (جمز).

(٣) ي: يرى.

(٤) ي: بالرفوف.

(٥) (أتنعم ..... جدرانك) ساقط في ي.

(٦) ي: بهذا.

وله إليه[1] في تهنئة فَتْح الجابية بباب بَلْخ
وهذا آخرُ كتابٍ أنشأه
ومات يومَ الجمعة الحاديَ عشَرَ من جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة[2]

كتبتُ[3] - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليل السَّيِّد - من هَراة عن سَلامة، وصُنْعُ الله جميل، وسُلطانُه عزيز، وكَيْدُه مَتين. والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ على مُحمّد وآلِهِ أجمعين.

وهذا وربِّ الكَعْبة، آخِرُ ما في الجَعْبة. لقد أنصفَ القارةَ[4]، ومحا السَّيْف ما قالَ ابنُ دارَة[5]. ثم لا نَزْوةَ بعدَها للتُّرْك ولا تحكُّمَ بعدَها بالمُلْك[6].

لقد كاسَ[7] السُّلْطان - أعزّ اللهُ نَصْرَه - إذ عفَّر لله شَعْرَه، وعرَضَ على الله

---

(١) شبه الجملة (إليه) من ي فقط.

(٢) نصّ العنوان في س: وله رحمه الله في الجابية بباب بَلْخ وهو آخر كتاب أنشأه، ومات بعدَه في سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة. وما هنا من ص، ي. والمقصود بهذا الفتح انتصار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي على القرخانيين. انظر تفصيل ذلك الانتصار عند ابن الأثير، الكامل في التاريخ، أحداث سنة ٣٩٧هـ. ويبدو أن هذه الرسالة موجهة إلى الوزير أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني.

(٣) ي: كتب.

(٤) مثلٌ يُضرب لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه إليه. انظر قصته في: الأمثال للقاسم بن سلّام، ص١٣٧؛ جمهرة الأمثال للعسكري، ج١، ص٥٥؛ مجمع الأمثال للميداني، ج٢، ص١٠٠.

(٥) مثلٌ يُضرب لحفظ اللسان. انظر: الأمثال للقاسم بن سلّام، ص٤٢؛ جمهرة الأمثال للعسكري، ج٢، ص٢٨٨؛ مجمع الأمثال للميداني، ج٢، ص٢٧٩.

(٦) ص: للملك.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «كاس: من الكيس: ضدّ الحمق، يقال: كاس يكيس كيساً فهو كيّس».

فَقْرَه، وفوَّضَ إلى الله أمْرَه، ونذَر لله نَذْرَه، وناهضَ بالله خَصْمَه، وسأل اللهَ حَوْلَه، ولمْ يُعجِبْه كثرةُ الملإ حوْلَه، ولم يُشغَلْ بِخُيولِه وفُيولِه، بذاك[1] شَدَّ اللهُ أزْرَه، وقوّى أسْرَه[2]، وأعزَّ نَصْرَه، وأقطعَهُ عَصْرَه، وأطعَمَه مُلكَهُ، وأوْرثَهُ أرضَه. إنّما الظَّفَرُ بأسبابِه، والموفَّقُ يَأتي الأمْرَ من بابِه.

والمُخالِفونَ - أدام اللهُ تمكينَ الشّيخ الجليل - وإنْ أكَلوا الحديدَ وهاضُوه، وسَرَوْا إلى الموتِ وخاضُوه، وبلَغوا العُذْرَ وجازُوه[3]، وجَهَدوا القِتالَ[4]، وصَدَقوا المَصاع[5]، وأشبهوا السِّباع، فقد حكم اللهُ لهم بالفُشولةِ بعد الهزيمة، وطرّق الله[6] إليهم الذمَّ والشّتيمة[7]، فهؤلاء الأشقياءُ الذين هم فَراشُ النّار، وقُماشُ الدّار[8]، وأوباشُ الفِرار، وخِشاشُ الأرْض، وعَلَقُ السَّيْف، وحَشَراتُ الصَّيْف، ولفيفُ[9] السَّيْل، على سَخيف الخَيْل، لا يلزَمونَ دارَهم، ولا يعرِفُون مقدارَهم، ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ

---

(١) ي: بذلك.

(٢) الأسر في كلام العرب: شدّة الخَلْق، يقال: فلان شديد أسْر الخلق: إذا كان معصوب الخَلْق غير مسترخ، وفي التنزيل: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ سورة الإنسان، من الآية ٢٨، وقد أسَرَه الله، وفي الأساس: ومن المجاز: شدّ الله أسرَه، أي: قوّى إحكام خَلْقه. تاج العروس، (أسر).

(٣) ص، ي: وجاوزوه. وكلاهما بمعنىً.

(٤) جهدوا القتال، أي: بلغوا الجهد فيه. كشف المعاني، ص٢٩٧.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «مصاع بالصاد والعين المهملتين، كمقام ومقال، يقال: (صعتُه) فانصاع، أي: فرقته فتفرّق، ومنه: يصوع الكميّ أقرانه: إذا أتاهم من نواحيهم».

(٦) تكرار لفظ الجلالة في ي فقط، وهو حسن.

(٧) ي: والشيبة.

(٨) القماش: ما على وجه الأرض من فتات الأشياء، ويقال لرذلة الناس: قماش، وللرديء أيضاً. كشف المعاني، ص٢٩٧؛ وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٣٨ (قمش).

(٩) بعده في ي: السيف، سبق قلم وتكرار.

يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾[1].

لا صبْرَ في القتال، ولا نومَ في الرِّحال، رِعْدةٌ فوقَها صَلَف، وراعِدةٌ تحتَها قَصَف.

يا أبناءَ الإماء، ورِعاءَ الشّاء، وحَلْبَ السِّقاء، وغُثاءَ الماء، وجَمْعَ الغَوْغاء، والقواعِدُ من النِّساء، ألا يذهَبُ أحدُكم لِشانِه؟ ألا يلزَمُ رجلٌ قَطْعَ لِسانِه؟ ألا يقِفُ عندَ حدِّه ما للتّاج، وأهلِ النِّتاج[2]؟ أإلى الموتِ يَعبُرون[3]، أم للرُّؤْيا يَعبُرون[4]؟ إنّه الجِلاد، ثم البلاد. مساكنَكم، ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[5]، كتَبَ اللهُ لَيغلِبَنَّ السُّلْطان. وراءَك، إنّ السَّيْفَ أمامَك وخلْفَك، إنّ الموتَ قُدّامَك:

وأرْضَك أرْضَك إنْ تَأْتِنا ... تَنَمْ نَوْمةً ليس فيها حُلُمْ[6]

إنّ المَغازي، قد عادتْ مَخازي، ألا رُبَّ راكضٍ نادم، ورُبَّ صوتٍ ظالم. ورُبَّ عُثورٍ إلى ثُبور، ورُبَّ طمَعٍ أهدَى إلى طَبَع. وإنّ هذا الفتحَ فتحٌ حَفِظ على الشريعةِ ماءَها، وعلى النُّفوس دِماءَها[7]، وعلى السُّنَّة ذَماءَها، وعلى الأموالِ نَماءَها، وعلى الحُرَم غِطاءَها. أعاد اللهُ به[8] البلاد خَلْقاً جديداً، وأنشأ للنّاس[9] نَشئاً حديداً، وعقَدَ المُلكَ عَقْداً طَريفاً، فما أخلقَ يومَ الفَتْح بأنْ يُتَّخذَ عِيداً، ويُجعَلَ في المسرّاتِ[10] تاريخاً.

---

(١) سورة التوبة، من الآية ١٢٦.

(٢) ي: التاج.

(٣) ي: يعتبرون.

(٤) ص: يعتبرون، ي: تعتبرون.

(٥) سورة النمل، من الآية ١٨.

(٦) تقدّم هذا البيت في مناظرة أبي بكر الخوارزمي، ص٤٦.

(٧) ي: ذمامها.

(٨) ساقطة في ص.

(٩) ي: اللباس.

(١٠) ي: المصروفات.

وليس العَقْدُ مع الله بأُنْشوطة[1]، فأوفُوا اللهَ عَهْدَه، كما صدَقكم وَعْدَه. وأمّا عهدُهُ عندَ السُّلْطان - أعزَّ اللهُ نصْرَهُ - أنْ يُحسِنَ النَّظر، وعندَ الشّيخ أنْ يُحسِنَ المَحضَر.

وهَراةُ[2] من البلادِ شيعةُ هذه الدَّوْلة وعَيْناها، فإنْ حَطَّ عن جُملتها القِلادة، وفكَّ[3] عن عَشيرتِها الزّيادة، فلله هذا النظرُ ما أحْلَى[4] ثِمارَه، وأكرمَ آثارَه.

وللشّيْخ الجليل في تَشْريفِ العَبْدِ بالجَوابِ الفَضْلُ والعُلوُّ، إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(١) ص: بالشوطة، تحريف. وكتب ناسخ س يشرحها: «أنشوطة بوزن أفعولة: عقدة يسهل حلها كعقدة التّكة يقال: ما عقالك بأنشوطة، أي: ما مودتك بواهية».

(٢) تحرّفت هذه الكلمة في ي: وهول.

(٣) ي: أو فكّ.

(٤) ي: أجدى.

وكَتَب في شأنِ قَتْل أبي عثمان[1]

كتبتُ، أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليلِ وأدام بَهْجتَه، وبَهْجةَ[2] الدُّنيا به ورِفْعتَه، ورفعَةَ الدِّينِ[3] بمَكانِه، وحَرَس مُهْجتَهُ وقدَّم المُهجَ عنها، وكبَتَ[4] أعداءَهُ، آمينَ. ولنا ممّا يمُدُّ اللهُ من نِعْمتِه، ويُثبتُهُ من دَوْلتِه، قَويُّ الظَّهْر، مُستظهِرٌ على الدّهْر. والحمدُ لله حقَّ حَمْدِهِ، والصّلاةُ على مُحمّد النبيِّ وآلِه.

والشّهادةُ - أدامَ اللهُ عزَّ الشّيخ الجليل - غَنيمةٌ لا يُدرِكُها كُلُّ غازٍ، أنا أريدُها وآخَر يستفيدُها، وزيدٌ يَعشقُها، وعَمْرو يُرزَقُها، ويَتعرَّضُ لها أبو الفضل من هَمَذان، وتُعرَضُ على الحاكم أبي عثمان، قُتِل والله كما تُقتَلُ الكلاب، وشُقَّ[5] بطنُهُ كما يُشَقُّ[6] الجِراب، وهُريقَ دمُهُ كما يُهْراقُ الشّراب، وقُطِف رأسُهُ كما تُقطَفُ[7] الأعناب، وقَعد القَصّاب آمِناً لا يُصاب،

يا ضَيْعةَ الدُّنيا وضَيْعةَ أهلِها ... والمسلمينَ وضَيْعةَ الإسلامِ[8]

والله، لئن سكَنَ[9] السُّلْطانُ العظيمُ وتغافَل، وتسامَح الشّيخُ الجليلُ

---

(١) ص، ي: وله في قتل أبي عثمان رحمه الله.

(٢) سقطت هذه الكلمة في ي.

(٣) ص: الدنيا.

(٤) ي: وكتب!

(٥) ي: وسيق.

(٦) ي: يشتق.

(٧) ص: تقتطف.

(٨) للبحتري. ديوانه، ج٢، ص٢٦٤.

(٩) ي: سكر.

وتساهَل[1]، إنّ اللهَ بالانتِصافِ لَمَليّ، وإنّ اللهَ على الانتقام لقويّ.

والمِحنةُ - أدامَ اللهُ عِزَّ الشّيخ الجليل - في ذَهابِ ذلك العالِمِ المُسلم، دُونَ المِحنةِ في بَقاءِ هذا الظالِمِ المُظلِم.

ولئن ساغَ لهذا[2] الفاسقِ ما فعَل، لَيَرْخُصُ نجمُ[3] المُسلم، ولَيُراقُ دمُ العالِمِ، ولَيَصيرنَّ كُلُّ سِكّينٍ مَنشورَ وِلاية، ثم ليتّسِعَنَّ الخرْقُ على الرّاقع.

وليس دمُ المُسلم بيسيرٍ عند رَبّه، ولَزوالُ الدُّنيا على الله أهونُ من صَبِّه، أليس اللهُ تَعالى يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[4].

وأنا أُعيذُ بالله هذه الدَّوْلة من أنْ تُوصَمَ بتعطيلِ الحُدود، أو تُوسَمَ بإهدارِ الدِّماءِ، وعسَى اللهُ أنْ يُوفِّقَ الشّيخ الجليلَ لِتَدارُك هذا الأمر، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[5].

وقد جعَل اللهُ هذه الدَّوْلة مَثابةً للناس، وليس الإسلامُ بمَجال طَفْر، من صاحبِ بدْعةٍ أو كُفْر، ما أدامَ اللهُ نَضارتَها وأدام الأئمّة[6] طلَبَ الكُفّار، بَعْدَ الأسفار.

وَرَد على خادمِ الشّيخ الجليلِ كتابٌ[7] من أقصَى خُراسان والعراقِ بحديث تَسْيارِ فُلان وصاحبِهِ فُلان، وذكَروا مَعرفتها بأحوالِ الثُّغور، ومُمارستها لِما يعرِض بها

---

(١) ي: أو يستأهل.

(٢) ي: هذا.

(٣) ي: نجمة.

(٤) سورة المائدة، من الآية ٣٢.

(٥) سورة الحج، من الآية ٧٠.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) بعده في ي: الأئمة.

من الخُطوب، وأنّ أعيُنَ المُرابطينَ والغُزاةِ[1] طامحةٌ إلى نُصْـرة، من السُّلْطان العظيم أعزَّ[2] اللهُ نَصْرَه. وقد بعثوا بهما[3] وَفداً، وقدَّرا أنَّهما يجدانني بالحَضْـرةِ فأكونُ لهما لساناً، وتنجَّزا إليَّ كِتاباً ليُعلماني[4]، ولو أمكنَني النُّهوضُ لاحتسبتُهُ لهما، وإذا لم يَنهَضْ قدَمي، فقد استنابَ قَلَمي. والشّيخُ الجليلُ يَرى عاليَ رأيِهِ في تَقْريبهما لِنُصْـرةِ[5] الله والإصغاءِ و[6]المَثُوبة، إنْ شاءَ الله تَعالى[7].

(١) ي: والصلاة.

(٢) ي: أعند!

(٣) ي: بعثوهما.

(٤) ص: يعلماني.

(٥) ي: تقرّبهما لتقرّبه.

(٦) سقط الواو في ي.

(٧) كلمة المشيئة من ص، ي.

وله - سامحه اللهُ تَعالى - إليه أيضاً[1]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليل، وأدام عُلوَّه وتمكينَه، وحَرَس دُنياهُ ودِينَه، وبَسَطَ بالخيراتِ يَمينَه، وجعَل التّوفيقَ قَرينَه، والقَضاءَ مُعينَه - من هَراة ولا هَراة، فقد طَحَنتْها هذه المحنُ كما يُطحَنُ الدّقيق، وقلَّبتْها كما يُقلَّبُ الرّقيق، وبلَعتْها كما يُبلَعُ الرِّيق. والحمدُ لله على المكروه[2] والمحبوب، وصلواتُه على نبيِّه وآلِه.

وقد[3] خدمتُ الشّيخَ الجليلَ سنين، واللهُ لا يُضيعُ أجْرَ المُحسنين[4]، ونادَمتُه والمُنادَمةُ رَضاعٌ ثان، وطاعمتُهُ والمُؤاكلةُ نسَبٌ دان، وسافرْتُ معَهُ والسَّفَرُ والأخوّةُ رَضيعا لِبان، وقمتُ بينَ يدَيهِ والقيامُ والصّلاةُ شريكا عِنان[5]، وأثنيتُ عليه والثّناءُ من الله عزَّ وجلَّ بكلِّ[6] لسان[7]، وأخلصتُ له والإخلاصُ محمودٌ من كلِّ إنسان[8]، وإنْ كنتُ لا أحبُّهُ محبّةَ والدي ووَلَدي فأنا ابنُ زانيةٍ وزان، ولي مع الله إلهٌ ثان. أفبَعْدَ هذه الحرُماتِ أنا طُعمةُ فُلانٍ وفُلان، يَتناوَلانني[9] سَبْعاً في ثَمان ؟

---

(١) العنوان في ص، ي: وله إليه. ولعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى الوزير أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني، حيث اعتاد على مخاطبته بالشيخ الجليل.

(٢) ي: المدوه!

(٣) ص: فقد.

(٤) تأثرٌ بأسلوب القرآن الكريم.

(٥) ي: عينان.

(٦) ي: كلّ.

(٧) بعده في ي: مكان.

(٨) ي: بكلّ لسان.

(٩) ي: يتناولني.

مِحَنُ الزَّمانِ كثيرةٌ لا تَنقضي[1] وسُرورُها يأتيك في الأحيانِ[2]

واللهِ ما كتبتُ هذا الكِتابَ حتى رأيتُ جاريَ يُرهَب، وجارِيَتي[3] تُوهَب[4]، ومالي يذهَب، وضِياعي تُنهَب، وأكّاري يُضرَب، ووَكيلي يُطلب.

وإنّ الكلمة بهَراة[5] لمختلفةٌ جداً، كالضِّدِّ[6] لا يُلائمُ ضِدّاً، فإذا صُيِّر إلى خدَّيْنِ[7] كان أحدُهما خدّاً أمْرد، والآخرُ صُدْغاً[8] أسود.

زَعَموا أنّ الشّيخَ الجليلَ نظَر لجيرانِك، فنحن نَستدرِكُ ذلك، وقلتُ: ما احتاطَ الشّيخُ الجليلُ في سِكّةٍ[9] احتياطَهُ في سِكّتي[10]، ولا تَعرَّف حالَ[11] محلّةٍ تعرُّفَهُ حالَ محلَّتي، ولقد بعَث إليها مَن عدَّها حُجرةً حُجرة، وعَلِم مَن يَسكُنها مِلْكاً وأجرة، واستكشفَ حِرْفة[12] كلِّ واحدٍ فأثْبتَ[13] على دارِه، شيئاً بمِقدارِه. فإنْ كانَ نظَر لي كما تَزعُمون فلِمَ تُخالِفون وَليَّ نعمتكم وأنتم صَنائعُه؟ ولِمَ تهدِمُونَ بناءً هو رافِعُه،

---

(١) ي: يقضي.

(٢) للإمام الشافعي. انظر: ديوانه، ص٤٩. لكن الهمذاني أبْدَل كلمة القافية من (كالأعياد) إلى (في الأحيان)، وتحرّفت كلمة (الأحيان) في ي: الإحسانِ.

(٣) ي: وجارتي.

(٤) ي: ترهب. سبق قلم.

(٥) ي: بهواه.

(٦) ي: حدّاً.

(٧) هذا ما في ص، وفي ي: حدثي، وفي س: حديثين، وكتب ناسخها في الحاشية: «لعله خدين».

(٨) ي: صدقاً.

(٩) س: سلة، وكتب ناسخها بإزاء هذه الكلمة في الحاشية: «لعله: سكة». وفي ي: سكّته، وهو وجه حسن.

(١٠) س: سلتي، ي: سكيتي.

(١١) بعده في ي: محلي.

(١٢) ي: حرمة.

(١٣) ي: فانثنيت.

وتُفرِّقونَ[١] شَمْلاً هو جامعُه؟

ولقد حدثَتْ بهَراة رُسومٌ غيَّرتْ في وَجْهِ ما تقدَّم، واستُؤنِف ظُلْمٌ يُقطِرُ[٢] الدَّم؛ لا أُصبحُ إلّا على بابٍ يُردَم، وساكنٍ يُعدَم، ولا أُمسي إلّا على دارٍ تُهدَم، ومخدومةٍ[٣] تُستخدم. في كلِّ دارٍ ديوان، وعلى كُلِّ بابٍ أعوان، وفي كُلِّ يدٍ ميزان، وكلُّ أحدٍ سُلطان، وإذا أُطلِقَ غَوْرُهُ ولَعَنَ اللهُ أبا فُلان، لا أراهُ في النّوم، إلّا أُصابُ ذلك اليوم.

وممّا أُبِثُّ الشّيخَ الجليل أنّ مَبلغَ خَراجي بهَراة ألفان، وعلى المُخِفِّ[٤] من الجربان[٥]، ثلاثةٌ مُدوَّرة، بِيضٌ مُقشَّرة، وعلى المُثقَلِ[٦] تِسْعةٌ وعشَرة[٧]. ووَدِدتُ لو أمكَن التبلُّغُ بأقلَّ من هذا فأفعَل، ولكنَّ أفواهاً فاغرةً، وأضراساً طاحِنة، وعِيالاً وأذيالاً، اللهُ وكيلُهم، وأنا رَبُّهم وأكيلُهم[٨]، وإنْ أمكنَ تحويلُ هذا المِقدارِ من الخَراجِ ببُوشَنْج[٩] لتتوفَّرَ حُقوقُ بيتِ المال، وأُصانَ عن مُجازَفاتِ العُمّال وتَبِعاتِ المحال، فتلك غايةُ الآمال. وإنْ تعذَّر[١٠] فكِتابٌ إلى كُلِّ واحدٍ من الأعمالِ ينبِضُ له على[١١] العُروق السَّواكِن، ويُسكِّنُ العروقَ النَّوابِض.

---

(١) ي: ويعرفون.

(٢) ي: يعطر.

(٣) ي: ومرومة.

(٤) أي: الفقير.

(٥) ص: الجرمان؛ ي: الجريان. ولعل الأرجح ما أثبتناه، وهو جمع جريب، وحدة قياس للمساحة.

(٦) أي: الغني.

(٧) عشرة، يريد: عشرة دراهم، وهكذا تسعة، أي: اجعل على المليء تسعة دراهم وعشرة. كشف المعاني، ص٣٠٥.

(٨) ي: وإكلتهم.

(٩) ي: وسخ. وبوشنج: بلدةٌ من نواحي هَراة. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٠٨.

(١٠) ي: ولن يعند هذا.

(١١) ي: عليه.

ومن مِحَن هذا العام أنّ أبا البَخْتَرِيّ[1]، وهو من عُيونِ التُّجّار، وأعيانِ الأحرار، عامَلَني مُعامَلةَ الطَّرّار؛ طلبتُ منه مالاً أستفتحُ بعْضَهُ إلى بَلْخ، فأبى أنْ يُطلِبَ حتى يحصُلَ المالُ عندَ شريكِه، فإذا وصَل الكِتابُ بوُصولِه إليه، خرَج حينئذٍ ممّا عليه. وكتبتُ إلى صاحبي ببَلْخ، فوفَّر عليَّ صاحبُهُ المالَ، واستخارَ الله أبو البَخْتَرِيّ[2] في السُّكوت[3]، وابتلَعَهُ ابتلاعَ الحوت. وأيّامَ سَلامة صَدْري وتَهاوُني بأمْري، تَرَكتُ هذا الحديثَ وراءَ ظَهْري، مُقدِّراً أنّ مالي عند صاحِبي، حتى وَرَد الآنَ كِتابُه، فذكرَ أنّ هذه القِصَّةَ فُعِلَتْ[4]، قبَّحَ الله الخائنَ وأخزاه، وأضعفَ له إذا جازاه. عَمْرِي، لقد شَكوتُ العِلَّةَ إلى طبيب، وأنْزَلْتُ الحاجةَ بكريم، وللشَّيْخ الجليلِ الرأيُ العالي، والسَّلام[5].

(١) ي: البحتري.

(٢) ي: البحتري.

(٣) (في السكوت) ساقط في ص. والسكوت يريد به: سكوت أبي البختري على ما كتب أبو الفضل إلى صاحبه ببلخ. والضمير في صاحبه يعود إلى أبي البختري، ويعني بالخروج ممّا عليه: تأدية المال الذي طلبهُ منهُ أبو الفضل حيث لا يريد أن يدفع له شيئاً قبل وصول المال إلى شريكهِ، أي: لا يؤذي الحوالة حتى يصل مقدارها إلى شريكه. كشف المعاني، ص٣٠٦.

(٤) ي: فقلت.

(٥) من ص، ي.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه[1] - إليه أيضاً[2]

الشّيخُ الجليلُ - أدامَ اللهُ عزَّهُ - يعلَمُ حالَ هَراة وأهلِها في استقصاءِ النَّقْد، وكثرةِ الردّ، وشِدَّةِ الاحتياطِ في المَدْح، وجراءَةِ الإقدامِ على الذمّ، وأنّ الجميلَ عندَهم من وراءِ جِدار، والقبيحَ عندَهم نارٌ على مَنار، ولهم في اللَّوْزينج[3] قَوْلان، فإذا مَدَحوا سِيرةَ رجُلٍ وحَمِدُوا[4] عِشْرتَهُ لم يَبْقَ فيه طمَعٌ للسَّبْك[5]، ولا مَوضِعٌ للشّكّ.

ووَرَدْتُ هَراة، فوَجدْتُ الألسُنَ مُتَّفِقةً على تقريظِ أبي فُلان، والنّفوسَ بَخيلةً[6] بفِراقِه، تسألُهُ المُقامَ بينَ أظهُرِهم، وتجزَعُ لخروجِهِ من بلَدهم، ثم وجدتُهُ من بعدُ غالياً في العُبوديَّةِ للشّيْخِ الجليل، مُستظهراً بأيّامِه، وسألني تقريرَ حالِه، وإقامةَ الشّهادة له، فخرجتُ من عُهْدتها[7].

وللشّيْخ الجليلِ فيما أنهاهُ عبدُهُ وخادِمُهُ العينُ العالية.

---

(١) الدعاء بالعفو ساقط في ص، ي.

(٢) (أيضاً) من: ص، ي.

(٣) حلوى تصنع من اللوز والجوز والسكر وغير ذلك. عن طريقة عملها، انظر: ابن سيار، كتاب الطبيخ، ص٤٠٩.

(٤) ي: ومدحوا.

(٥) ي: طمع السيل.

(٦) ي: مخيلة.

(٧) ي: عقدتها.

وله - تغمّده اللهُ بغُفرانه[1] - إليه أيضاً

وفي الحديثِ المرفوع - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليل - أنّ شرَّ القُرون قَرْنٌ[2] يُحلَفُ فيه قبلَ[3] أنْ يُستحلَف، ويُشهَدُ[4] فيه[5] قبلَ أنْ يُستشهَد[6]. وقد نَوَيتُ[7] إنْ وفَّق اللهُ تعالى أنْ لا أبتدِئهما ذاكِراً، ولولا هذه الحالةُ لحَلَفْتُ أنّ اللهَ تَعالى وإنْ صانَني عن اليُتْم صَغيراً، وعن الثُّكْل[8] كبيراً، فقد أذاقَني من فِراقِ الشّيخ الجليلِ أمرَّ منهما كأساً.

وحُكيَ[9] أنّ رَجُلاً قعَدَ للفاحشةِ مَقعَدَها، ثم أفْكرَ فقال: إنّ مَن باعَ جَنّةً عَرْضُها السّمواتُ والأرضُ بهذا الفِتْر، تحتَ هذا السِّتْر لَواسعُ رُقْعة الرَّقاعة، خَليقُ البِضاعةِ بالإضاعة، قليلُ البَصَر بالمساحة، مَغبونُ الصّفقةِ[10] في التِّجارة، جديرٌ[11] الحَبْس بالحِجارة. وذلك مَثَلي إذ[12] بِعتُ مَكاني من مجلِسه المعمور، واعتَضْتُ

---

(١) الدعاء ما بين الشرطتين من س فقط.

(٢) ي: قرون.

(٣) (فيه قبل) في ي: فيقبل.

(٤) ي: وشهد.

(٥) من ص.

(٦) متفق عليه من حديث عمران بن حصين: البخاري (٣٦٥٠) و(٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٧) ص: قويت.

(٨) ي: الثقل.

(٩) ي: وعلى.

(١٠) ي: الصفة.

(١١) ي: صبر.

(١٢) ي: إن.

منه[1] عَرَضاً من الدُّنيا يَسيراً ومَتاعاً قليلاً:

فـإنْ تُرجِـع الأيّـامُ بَينـي وبَيـنكمْ بِذِي الأثْـل صَيْفاً مِثْـلَ صَيْفي ومَربَعي

أشُـدُّ بأعنـاقِ النَّـوَى بعـدَ هـذه مَرائـرَ إنْ جاذبْتُهـا لمْ تَقطَّـعِ[2]

على أنّي أصبتُ سِداداً للخَلَّة، ومِداداً للخِدْمة، وصَواناً للوَجْه، وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعض.

ولله الحمْد، ثم للشّيْخِ الجليلِ من بَعْد، فلولا كُتُبُه المتواتِرة، ونِعَمُهُ الظّاهِرة المتظاهرة، لأقمتُ طويلاً، ولم أُصِبْ فَتيلاً[3]. فالآنَ قد آذَنت الحالُ ببعض النِّظام، وستَنظِمُ على الأيّام إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

ووَرَدْتُ من الشّيخ الرّئيس على كريم، والعَربُ وإنْ كانتْ أكبادُها غِلاظاً، أكثرُ الأمم حِفاظاً، وضَبَّةُ[4] وإنْ كانتْ كاسِمِها أحقاداً وأكباداً، أوفرُ العَربِ أحلاماً وأكثرُها كِراماً. والشّيخ الرّئيس طَوعٌ لمخاطباتِ[5] الشّيخ الجليل، يَتَصرَّفُ معها تصرُّفَ الظِّلال، عن اليمينِ وعن الشِّمال، فالشَّهْدُ[6] إذا أعرضَ عنهُ[7]

---

(١) ي: واقتضت عنه.

(٢) لقيس بن الملَوَّح (مجنون ليلى). الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج٢، ص٧٥.

(٣) الفتيل: ما يخرج من بين الإصبعين إذا فتلتهما، والفتيل: السحاة في شق النواة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥١٤ (فتل). وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. سورة النساء، من الآية ٤٩.

(٤) في ي: ومنة. وأمّا ضَبّة فهم جماعة، ففي مضر: ضَبّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، وفي قريش: ضَبّة بن الحارث بن فهر بن مالك، وفي هذيل: ضَبّة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد، وجماعة ينسبون إلى كلّ واحد من هؤلاء. السمعاني، الأنساب، ج٤، ص١٠.

(٥) ي: لخطاب.

(٦) ي: ما لشهد.

(٧) ي: عليه.

سُمٌّ ما بذَلَ الجَهْد، والسُّمُّ إذا نظَر إليه شَهْد.

وقد وَرَدْتُ فلم يألُ مَقدَمي[1] إكراماً ومنزلي أنزالاً. وحديثٌ، ما حديثٌ؟ حديثُ[2] الشَّيْخينِ السَّيِّدين[3]: ابن أبي القاسم وأبي الحُسين، فأراني اللهُ[4] طَلعتَهما، وأمتَعَني بهما وبقُرْبهما، فلا عيشَ إلّا في ذُراهما، وبحيثُ أراهُما، وضالّةُ الأمل كلاهُما، وبَرْدُ الفُؤادِ هُما، ما فَعَلا وأينَ بَلَغا، فما يُقصِّرُ نَفاذُهُما[5]، إنْ لم يُقصِّرْ أُستاذُهما، ولا يُضيِّقُ مَكانُهما[6]، إنْ لم يُضيِّقْ زَمانُهما، وما أخافُ عليهما إلّا عارضَ الكَسَل، وحادثَ المَلَل[7]، إنّ الطِّينَةَ بحمْدِ الله قابلة، والغَريزةَ حُرَّة، والهِمَّةَ صاعدة. وليتَ شِعْري، مَن المختلِفُ إليهما؟ ووَدِدْتُ لو أقمتُ عَمَلَهما فأخرُجُ من عُهْدةِ بعضِ النِّعَم، والعَوْدُ إنْ شاءَ اللهُ أحمد.

إنّما هو انسلاخُ صَفَر، وابتداءُ سَفَر، وطِيَرةُ الهمِّ وُقوعُها بإذن الله، وغاشيةُ[8] المجلسِ العالي - أدامَ اللهُ بهجتَه - أعُدُّهم[9] أمناءَ على نصيبي منه، فإنْ أحسَنوا فإنّ الله يَجزي المحسنين، وإنْ خانُوا فإنّ اللهَ لا يُحبُّ الخائنين[10].

---

(١) ي: تعدي.

(٢) سقط هذا التكرار في ي.

(٣) ص: السيد.

(٤) اسم الجلالة المعظَّم ليس في ي.

(٥) ي: بقاؤهما.

(٦) في الأصول: إمكانها. ولعل الأرجح ما أثبتناه، بقرينة قوله بعدُ: (زمانها).

(٧) سقط هذا اللفظ في ص.

(٨) غاشية الرجل: أصدقاؤه وجُلّاسه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٢٦ (غشا).

(٩) ي: وعندهم.

(١٠) من قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ سورة الأنفال، الآية ٥٨.

السَّيِّدُ الفاضلُ فُلان، وإنْ كان له اليدُ واللِّسان، فمنهُ الحُسْنُ والإحسان، وإنْ كان قد أخلفَهُ الغَريم، فلن يُخلِفَهُ الخُلُق الكريم، وإنْ حرَّكتُهُ[1] بالمال هَمْلجةً[2]، أنفَذْتُ إليه سُفْتجةً[3]، عن قريبٍ وعمّا قليل:

وما شغَفي[4] بالماءِ إلّا تذكُّراً ... لماءٍ به أهلُ الحبيبِ نُزولُ

وما عِشتُ من بَعْدِ الأحبَّة سَلْوةً ... ولكنَّني للنّائباتِ حَمولُ[5]

وللشَّيْخ الجليلِ - أدامَ اللهُ عزَّهُ - في تشريفِ عَبدِه وخادِمه بالجَواب[6]، وتَصريفِهِ على الأمْرِ والنهي، رأْيُهُ العالي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: لمراثه.

(٢) ي: همَلجدت. والهَمْلجة: سير الدابة السريع. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٩٣ (هملج).

(٣) هي ما يُعرف في المعاملات التجارية اليوم بالحوالة المالية. انظر: القونوي، أنيس الفقهاء، ص٨٢؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٢٤٥.

(٤) ي: تشعفي.

(٥) هذان البيتان لأبي الطيب المتنبي. ديوانه، ج٣، ص٩٥، ص٩٧.

(٦) ي: بالحراب!

ولـه - تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[١] - إليه أيضاً[٢]

وَصَل للشّيْخِ الجليلِ السَّيِّد كتابٌ خشِنُ البُرْد، حافّاتُهُ كالأَسَل يَدُقُّ دَقَّ[٣] القَصّار، ويَشُقُّ شقَّ البَيْطار، ويَقرُضُ قَرْضَ الفار، ويحُكُّ بالأظفار، ويَشُكُّ بالشِّفار[٤]. فلو كنّا على السَّواء، ولكنْ أحدُنا في الأرضِ والآخرُ في السَّماء،

ولـو كـان وافانـا[٥] وللكـفِّ بَسْطـةٌ ولكـنْ أحاطـتْ بالرِّقـابِ السَّلاسـلُ[٦]

آخر:

[وأطرقـتُ إطْـراقَ الشُّـجاعِ][٧] ولـو رأى مَسـاغاً لِنابَيْـهِ الشُّـجاعُ لَصَـمَّما

ولكنَّ الرِّماحَ أجرَّتِ[٨]

---

(١) الدعاء من س فقط.

(٢) الأيض من ص فقط.

(٣) ي: وقف.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الشفار بالكسر: جمع شفرة وهي السكين العظيم، وشفرة السَّيْف: حدّه».

(٥) في الأصول: أدركنا، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: وافانا»، وبه اعتددنا. وفي مصدر التخريج: «ولو كان إذ كنّا».

(٦) صدرُ البيت للفرزدق. العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٢٠٩. وعجزُه لأبي خراش خويلد ابن مرة الهذلي (ت١٥هـ). ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٧٣. لفّق بينهما بديع الزَّمان بموهبته الفنية.

(٧) بياضٌ في الأصول الثلاثة، والإضافة من: الأصمعيات، ص٢٤٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص٢٠٣، ج٢٤، ص٢٤٦؛ ابن المبارك، منتهى الطلب، ج٨، ص٦١. ويُنسب للمتلمّس الضُّبَعي خال طرفة بن العبد، ولعمرو بن شأس الأسدي.

(٨) من بيتٍ لعمرو بن معدي كرب، وتمامه:

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحُهم نطقتُ ولكنّ الرّماح أجرتِ

الأصمعيات، ص١٢٢.

ولولا أنْ يَنبِطَ دمي، لَفاضَ فمي، وخيرُ ما في هذا[1] البابِ قولُ الأوّل:

لــئنْ ســاءَني أنْ نِلْتِنــي بمَســاءةٍ   فقــد سَرَّني أنّي خطَــرْتُ ببالِــكِ[2]

وما ظننتُ أحداً يعبَثُ هذا العَبَثَ بِطُومار الحِمار، ويَستخفُّ هذا الاستخفافَ بِلحى الأحرار.

زعمَ - أدامَ اللهُ تمكينَهُ - أنّي أُخلِفُ المواعيد، وأرُدُّ العُذْرَ البَعيد، ومتى ادَّعيتُ أنّ قَوْلي يُكتَبُ في المصاحف، أو يُتلى في المحاريب، ومتى تبرَّأْتُ مـن الأحاديـث؟ واللهِ إنّي لأكذِبُ الكِذْبَةَ أظُنُّها لحُسنِها صِدْقاً، وليس الشّانُ في اللِّسان، الشّان فيما يَعرُجُ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدُّنيا، ولو شِئْتُ لَعددتُ[3] عليه كما عدَّ عليَّ، ولكـن لا نحـرِّكُ السّـاكنَ وإنّـما يُلامُ المرءُ على مَوعِدٍ يُخلِفُهُ إذا استفاد بخُلْفِه جَمالاً أو مالاً أو راحةً، فأمّا مُـواتَرةُ الكتُـبِ ومُواصَلةُ الرُّسُل فلا في الوَفاءِ بها قُربةٌ[4] إلى الله تَعـالى، ولا في الإخـلالِ حـرَجٌ مـن الله تَعالى، ولو كنتُ[5] وَعدتُهُ فُصوصاً ثم لم أُتْبع الوَعْدَ وَفاءً لاستُهدِفتُ لِسِـهامِ العِتـاب، لكنَّ اللهَ يَشهَدُ أنّي على الإخلال بالمُكاتبة، أحبُّ له منّي[6] لأيْري، وعيني ويَـدِي، وكـلِّ نِعمةٍ أنعمَها اللهُ عليَّ بَيْدَ[7] الإسلام، ولو أنصفَ ناظرُهُ لجَبَرَ[8] بإفْراطي في هـذا الجانـب تَقْصيري[9] في ذلك الجانب، فجعَل بَدَلَ العِتابِ شُكْراً، والسَّلام.

---

(١) اسم الإشارة من ي فقط.

(٢) لعبد الله بن الدُّمَيْنة، وقد تقدّم في ص١٠٠.

(٣) ص: عددت.

(٤) من ص.

(٥) ي: كتب!

(٦) (له مني) في ي: ارمني.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «بيد - ها هنا - بمعنى غير، وتكون بمعنى: من أجل، ويحتمل الوجهين قوله عليه السَّلام: أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش».

(٨) موضع هذه الكلمة في ي: ناظر الخبر.

(٩) ي: يقصرني.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

قد بَسَط مَوْلاي[2] باعَ الفَصاحة، وملأ أسفارَ البَلاغة، وبهَرَني ببيانِه كما غَمرني بفَضْلِه وبِرِّه، وكما لا[3] عُذرَ للسّيفِ إذا لمْ يمضِ، ولا للنَّجمِ إذا لمْ يُضِ، وهو بحَمْدِ الله يزدادُ زيادةَ الهلال، ويتقدَّمُ كلَّ يومٍ في محاسنِ الآدابِ والأخلاق، وأرجُو أنْ لا تَقِفَ به هِمَّتُهُ دونَ إعلاءِ مَنزِلته، ولا يَرضَى لِنفسِهِ الكريمةِ إلّا بأقصَى غايتِه.

وما[4] تفضَّلَ به من الاعتذار فقد أغناهُ اللهُ تَعالى عنه، ففضلُهُ[5] الظّاهرُ فاضلٌ عن كلِّ حقّ، وخُلُقُه الطّاهرُ بالغٌ به مدَى كُلِّ بِرّ، وبَقي أنْ يوفِّقَ اللهُ بمُقابلتِه ما[6] ألتزِمُهُ له، وأوجبُهُ فيه.

وقد عمِلتُ[7] في أمْرِ الدّواءِ ما أشرَحُهُ له شِفاهاً، وجُملةُ الأمْرِ أنّي أؤمِّلُ[8] النَّفْعَ في تناوُلِه، وأرجو حُسْنَ عاقبتِه، وحالي الآنَ صالحةٌ لولا ما ذُكر من فُتورِ الشّيخ الجليل، فقد شغَلَ قلبي، وأقلقَ نَفْسي، وإنْ كانَ لا[9] يُنكَرُ الضُّعْفُ

---

(١) العنوان في ص، ي: وله أيضاً رقعة إليه.

(٢) ي: سبط موالي.

(٣) (وكما لا) في ي: وقلا.

(٤) ص: مما.

(٥) ي: بفضله.

(٦) ي: بها.

(٧) ي: علمت.

(٨) ص: أوصل، ولا معنى لها.

(٩) حرف النفي ساقط في ي.

عُقْبَ[1] المُسْهِلِ.

ولَعلَّ سببَ هذا العارضِ ما وقَعَ من الحركةِ إلى أنْ عادَ إلى الدّارِ وتعرَّضَ للشّمسِ في طَرِيقِه[2]، فاللهُ تَعالى يُعافِيه ويُبقيه، ولا يُرينا مَكروهاً فيه، إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: عقيب.

(٢) بعده في ي: الوقوع عليه.

وكَتَب إلى الشّيخ أبي القاسم
- أدام اللهُ تأييدَه وسُؤددَه[١] - رَحِمه الله[٢]

أنا أصونُ ذلك المجلِسَ الكريمَ عن الزُّكامِ والسُّعال، وجميعِ أخَواتِ الفُعال. ولو استطعتُ أنْ أنْفِي من جُملتي أنْفي، لَرضيتُ لخدمةِ المجلِس - أعلاهُ اللهُ - سائري، ولكنْ هو منّي وإنْ ذَنَّ[٣]. وكأنّي بالشّيخ الجليلِ يقولُ: الأمثالُ لا تُغيَّر[٤]، وفي الحُدود المعطَّلة، والثُّغور المهمَلة، والرُّسوم المبدَّلة، والسُّنن المحوَّلة، والبِدَع المستعمَلة.

هذا الخطأُ خَلَلٌ يَسير، وغَلطٌ قَريب، وما أسُدُّ استظهاري بخلافتِه، وإنْ لم يكن من وُلْدِ العَبّاس، واللهُ يُبقيهِ عَلَماً للفَضْلِ وعالماً فيه، والسَّلام.

---

(١) هذا الدعاء من ص، ي.

(٢) الترحُّم من ص فقط.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «ذَنَّ، بالذال المعجمة. أنفه يذِنُّ بالكسر، فهو ذانٌّ، وذننَت. بالكسر تذِنُّ ذَنَناً فأنت أذنّ وهي ذنّاء، والذَّنين: مخاط يسيل من الأنف».

(٤) علّق الأستاذ الأحدب هنا فقال: قولهم: «الأمثال لا تغير»، يعنون بذلك أنها إذا استعملت لا يغير منها شيء، كقولهم: «الصَّيْفِ ضيعتِ اللبن» بكسر الفاء، فإذا استعملناه لا نغير منه شيئاً، فيقال للأنثى والمذكر والمثنى وجمعها: «الصَّيْفِ ضيعتِ اللبن»، بتاء الخطاب للأنثى؛ لأنه في الأصل خطاب لأنثى. فحضرة الشّيخ فهم أن ذلك مطرد في كل فعل وإن كان قبيحاً فلا يسوغ تبديله، وهذا الزعم باطل، ولذلك قال أبو الفضل: «هذا الخطأ خلل يسير...» إلخ. كشف المعاني، ص٣١٦.

جوابُ الشّيخ أبي القاسم

وهذه الرّسالةُ جوابَ «أنا أصونُ ذلك المجلسَ»[1]

وَصَلَتْ رُقْعَةُ الأُستاذِ وشَغَل قلبي تنبيطُ تلك الفِقْرة، نَسَخَ اللهُ حُكْمَها، ومحا أثَرها. ولو قبِلَ الفِداءَ لكنتُ عنه، ولما صانَني - أيّده اللهُ - عمّا يَصونُني، ورَفَعني عمّا يرفَعُني. وهل جَمالٌ[2] أتمُّ ملابسَ من كريمِ[3] عادتِهِ في التَّنَخُّم إليّ[4]؟ وما حقُّ عِرنين[5] رَتٍّ[6] يَرِدُ عِرْنينُهُ الماءَ قبْلَ الشّفاه، إلّا أنْ تُشمِّتَهُ - إذا عطسَ - الكِرامُ البَرَرَة، ولا عطَسَ إلّا بأشمَّ من الطِّراز الأوّل، ولولا التطيُّرُ من سمةِ العِيادة لخَفَّ رِكابي إليه.

والشّيخ أبو الحسَن فمُوفٍ شروطَ الخِلافة، فإذا كان المُستخلَفُ تَغلُبيّاً، جاز أنْ يكونَ الخالِفُ كِسْرَوِيّاً.

---

(١) العنوان في س: جواب الشيخ أبي القاسم إليه، وما هنا من ي، وهو الأتمّ والأولى. وفي ص: جواب الشّيخ أبي القاسم، وهذه الرسالة جواب. وقد وقعت هذه الرسالة في ي قبل سابقتها ! وهذه الرسالة جوابٌ على الرسالة السابقة لها، والتي تبدأ بـ«أنا أصون».

(٢) ي: كمال.

(٣) تحرّفت هذه اللفظة في ي: كثيم.

(٤) كذا مضبوط في س، ولم أفهم (تنخمّ إليه) في تعبير بديع الزمان هذا على وجه التحديد.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «عرنين القوم: سيّدهم وجمعه عرانين، وعرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين يكون فيه الشمم، يقال: هم شُمّ العرانين».

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «الرتّ بفتح الراء والمثناة الفوقية مشددة: الرّئيس، ويجمع على رتوت».

وكتَبَ[1] إلى الشّيخ السَّيِّد[2]

أبي الحسَن عليّ بن الفَضْل الإسْفَراييني رَحِمه الله[3]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ السَّيِّد - والخطيبُ أبو فُلان قد توجَّه وَفْداً[4] إلى الحضرة، ويُريدُ أنْ يَقرِنَ بينَ الحجِّ والعُمْرة، ولا يقتصِرُ على الشّمسِ دُونَ الزُّهَرة، ولا يقنَعُ بالماءِ[5] إلّا مع الخُضرة[6]، وقد قصَدَ من الشّيخ الجليل بَحْراً، والشّيخُ السَّيِّد سَفينةُ نَجاتِه، وذَريعةُ حاجاتِه، وسبَبُهُ إلى كُلِّ مُرادٍ يَتعذّر، وجُنَّتُهُ دونَ ما يَخافُ ويَحْذَر، ومَفزِعُهُ في كلِّ ما يأتي ويذَر، وهو وَديعتي حتى تَرُدَّهُ سالماً.

وقد جهَّزتُ[7] معهُ من السَّلام، ما يَجلُو دُجى الظَّلام، ويُدِرُّ أخلافَ الغَمام، ويُهدي العافيةَ إلى السَّقام، وينشُرُ النِّعْمة بالتَّمام، ويَربُطُ عليها بالدَّوام، وتَرفَّعتُ[8] إليه بأُهْبة شوقٍ يُؤَدِّيها وَصْفاً وشَرْحاً، ويُصوِّرُها[9] شِدَّةً وتَرْحاً، ورسَمتُ له أنْ يُقبِّلَ عنِّي يدَهُ العاليةَ، إنَّما يُقبِّلُ سَبْعَةَ أبحُرٍ وسَبْعَةَ أنجُم، وأوصَيْتُهُ أنْ يَتّخِذَ وَجْهَهُ قِبْلَة، ويَعتقِدَ طاعتَهُ مِلَّة، وأُوصي الشّيخَ السَّيِّد أنْ لا يَألُوَهُ بَسْطاً وتقريباً، ونشْداً وتوجيهاً، والسَّلام.

---

(١) ص: وله.

(٢) من ص فقط.

(٣) لفظ الترحُّم من ص فقط.

(٤) ي: وفداء.

(٥) ي: بالمآل.

(٦) ي: الحضرة.

(٧) ي: خمرة.

(٨) ي: وزفرت.

(٩) ص: ويصوّر.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ السَّيِّد العالِمِ[2] أبي أحمد

كتابي، وقد أنعمَ اللهُ تَعالى على الشّيخ السَّيِّد العالِمِ نِعَماً إنْ عدَّها لمْ يُحْصِها، وأمرَهُ أنْ يَلبَسَ شِعارَها، ويُحسِنَ جِوارَها، لِيقرَّ قَرارَها.

وليس بعدَ الإيمانِ باللهِ خَصْلةُ خَيرٍ هي أوفرُ من رُضْوانِ اللهِ حَظّاً، ومن تَقويةِ[3] المُسلِمِ ومَعُونته، وليس بعدَ الشِّرْكِ باللهِ خَلَّة سُوءٍ هي أقربُ إلى غَضَبِ الله من شَدِّ على عَضُدِ ظالمٍ وتقويةِ يدِه.

وقد عَلِم الشّيخ ما مُنِيَ به أهلُ هَراة من محَن الخانيّة[4]، ثم ما أرهقَهم من الحُقوقِ الدِّيوانيّة، ثم ما زيدَ عليهم من علاوةِ المُصادَرةِ الحادثة، ثم ما كشفَ الأستار، وأظهرَ العُوار، وقبّحَ النَّوار[5]، من غَلاءِ هذه الأسعار.

حقّاً، لقد أُكِلَتِ الجيفةُ وهي خائسة[6]، وطُحِنتْ عِظامُ الميْتةِ وهي يابسة، وعُدِمَ القُوتُ وثَمنُهُ موجود، وتُرِكت العِبادات، وهُجِرت النِّياحات، وأُفرِدت الجنائز، وتُخُطِّي المَوتَى وهم بالشوارعِ مَطْرُوحون.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) من ص.

(٣) ي: معونة.

(٤) يقصد دولة الترك القَرخانيين، وقد ذكرهم سابقاً، وتقدّم التعريف بها، ص٢٢.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «النَّوار (كسحاب) بالفتح: المرأة النافرة من الرِّيبة والقبح، والجمع: نُوْر، كقَذال وقُذُل، إلا أنهم كرهوا الضمة على الواو فسكنوها، يقال: نسوة نور، أي: نُفر من الرِّيبة».

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «خائسة أي: مُروحة مُنتنة، يقال: خاست الجيفة تخيس خيساً، أي: أروحت».

ولقد دخَلْتُ المسجدَ الجامعَ يومَ أمسي، فرأيتُ تحتَ[1] كُلِّ أسطوانةٍ عَليلاً، وكلّمتُ أحدَهم فلم يفقَهْ إلّا قليلاً.

فيا عِبادَ الله، تَعاوَنوا على البرِّ والتَقْوى ولا تَعاوَنوا على الإثمِ والعُدْوان[2]، إنّكم تُنشَرون، ثم إليه تُحشَرون.

ومن الواجبِ على السُّلْطان - أعزَّ اللهُ نَصْرَهُ - في مِثْلِ هذا العام، أنْ يَتَعهَّدَ النّاس بالطّعام، ويَتخوَّلَ الرّعيَّةَ بالإنعام، ويَبذُلَ فيهم الرّغائبَ، ليُؤمَنَ السّاكن، وليتألّفَ الغائب. والبلاءُ كلُّ البلاء، إنْ طلَبَ هذا المالَ الموظَّفَ فتَذهبُ الحاسّةُ الباقية.

فأنشُدُ اللهَ الشّيخَ ليَبْذُلنَّ في هذا الأمرِ مجهودَه، وليُنجِزَنَّ مَوعودَه.

وكرِهتُ أنْ أخلطَ بهذا الكِتابِ غيرَ التماسِ هذا النظَر، وفي الرأسِ فُصُول، وفي الدِّماغِ فُضُول، ورأْيُ الشّيخ السَّيِّد في مُلاحَظةِ فُلان بالعينِ التي كان يُلاحِظُني بها، وتمكينِه من مجلِسِه وبساطِه، أوقاتَ نَشاطِه، وتَهديتِه إلى ما عَساهُ يُخطىءُ فيه وَجْهَ رَشادِه، أو يَضِلُّ عن سَبيلِ مُرادِه، عالٍ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: بحيث.

(٢) من قوله تعالى اسمه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ سورة المائدة، من الآية ٢.

وله - تَجاوَز اللهُ تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

أجِدُ بالشّيخ السَّيِّد وَجْداً يَقُضُّ العِظام، ويَنقُضُ النِّظام. أذكُرُ تلك الأخلاقَ الكِرام، وتلك الشِّيَمَ الحِسان، وتلك اللَّيالِيَ القِصار، وما كُنّا نَتجاذَبُهُ من حديث، ونَتنازَعُهُ من جِدال؛ فأتصدَّعُ زَفَرات، وأتقطَّعُ حَسَرات، وأموتُ كلَّ مَمات، فسقَى اللهُ عَهْدَه عَفْوَ السَّحابِ وجَهْدَه، وأنجزَ اللهُ في اجتماعِنا وَعْدَه، فما أقبَحَ عَيشي بَعْدَه.

وشتّانَ ما حالي ولُبْثي وارتحالُهُ[2]، لَبِثتُ بعيشٍ ناصِب، في عَذابٍ واصِب، وخرَج فاستراحَ من فُصولي، وأصْحَتْ سَماؤهُ من غُيومي، ومَصائبُ قومٍ عندَ قومٍ آخرينَ فوائدُ[3].

وقد جَعَلتُ الشّيخ أبا فُلان وَلِيَّ عَهْدِي في خِدْمتِه، وأقمتُهُ مُقامَ نَفسي في مَضانِّ[4] نِعْمتِه، ووَلَّيتُهُ خِلافتي فيما كنتُ أتولّاهُ من مَجلِسِه، إلّا التّبجيل، فإنّه لا يَبْلُغُ كُنْهَ مقدارِه، وليس ذلك من شأنِه.

---

(١) الأيض من ي، والعنوان فيها ثلاث كلمات هي: وله إليه أيضاً.

(٢) عبارة ي: وسار ما حالي وحاله، وابثي (كذا) وارتحالي.

(٣) اشتمال من الهمذاني لشطر من بيت المتنبي السائر المشهور:

بذا قضت الأيامُ ما بينَ أهلِها ... مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ

ديوانه، ج١، ص٢٧٦.

(٤) المضان: جمع مضَنة بفتح الضاد، وتكسر، وهي: الشيء النفيس الذي يضن به. أي: يبخل به. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٢٦١ (ضنن).

وأسألُ الشّيخ السَّيِّد أنْ يَنظُرَ إليه بعَيني، ويحفَظَ ما بَينَهُ وبَيْني، ويتخوَّلَهُ دائباً، ولا يُعرِضَ عنهُ جانباً، ويمكِّنَهُ من بِساطِهِ كُلَّ وقْت، ويَخُصَّهُ بجُمْلته[1]، ويُمتِّعَ سَمْعي بشارتِه[2]، ويُظهِرَ على صَفَحاتِ حالِه، آثارَ إفضالِه، ويُشرِّفَني كُلَّ وقْتٍ بأمْرِهِ ونَهْيِهِ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) عبارة ي: ويخلصه عملته.

(٢) ي: سائرة.

وله

إلى المذكور رُقْعة أخرى[1]

كان - أيّد اللهُ الشّيخ العالم - بينَ أميرَيْنِ[2] خِلافٌ كصَدْعِ الزُّجاج، وشَرٌّ[3] بطيء السُّكون، ولا مكاتَبَةَ ولا مُجامَلة. وانبَعثَ رجُلٌ طالبُ فَضْلٍ بكتابٍ مُزوَّر من أحدِهما إلى الآخر يَسألُهُ فيه العنايةَ بمُوصِلِه، فتعجَّب المكْتوبُ إليه وخَيَّرهُ بينَ العَفْو عنه ولا صِلَةَ، أو يُعرِّفَ الحالَ، فإنْ كانَ صادِقاً فلهُ حُكْمُه، وإنْ كان كاذِباً فَدَمُه، فاختارَ المُزوِّرُ تَعرُّفَ الحال، فكتَب إلى وَكيله هنالك، أنْ يُعَرِّفَ الأمرَ في ذلك، فقَدْ خَيَّرتُ مُوصِلَ الكِتابِ بين حُكْمِه، وإراقةِ دَمِه، فتعرَّفَ الحال، فقال الأميرُ لنُدَمائه: ما تَرونَ في هذا الرجُل؟ فقال أحدُهم[4]: يُضرَبُ، وقال الآخرُ: يُصلبُ، فقال الأميرُ: أو خيراً من ذلك أنّني أصَدِّقُهُ ليُعطَى حُكْمَهُ فلا نَعدَمُ[5] مكرُمةً أو مَثوبة، فصدَّقهُ هذا الأمير[6]، وخيَّرهُ ذلك الأمير، فاختارَ أنْ زَوَّجه ابنتَهُ وصلَحَت الحالُ بين الأميرَيْن[7]، وجلَبَ ذلك التَّزويرُ صَلاحَ ذاتِ البَيْن.

وقد زوَّرتُ على الشّيخ تَزويراً آمُلُ أنْ يَنفَعَهُ اللهُ به في الدّارَيْن، وغداً أُعرِّفُهُ الحديثَ إنْ شاءَ الله، وإنْ أحبَّ أنْ يعرِفَ الحديثَ فمُوصلُها على عِلْم، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وكتب إليه رقعة أخرى.

(٢) ي: أمرين.

(٣) ي: وشرط.

(٤) ي: أحصنهم.

(٥) ي: يعد.

(٦) المراد بهذا الأمير: الأمير المكتوب إليه زوراً. كشف المعاني، ص٣٩٣.

(٧) ي: الأمرين.

وله، تغمّده اللهُ تَعالى بغُفرانِه[1]

لعلَّ مَثَلي مع الشّيخ الإمامِ مَثَلُ التّاجرِ مع وَلَدِهِ، إذ جهّزهُ من بلَدِهِ، بما أصحبَهُ من مال، وقال: يا بُنيّ، أنا وإنْ وَثِقتُ[2] بمتانةِ عَقْلِك، وطَهارةِ أصلِك، لستُ آمَنُ عليك النَّفْسَ وسُلطانَها، والشّهوةَ وشَيطانَها، فاستعِنْ عليهما نهارَك بالصّوْم، ولَيلَك بالنّوم، إنّه لَبوسٌ ظِهارتُهُ الجوع، وبِطانتُهُ الهُجوعُ، وما لبِسهُ أسَدٌ[3] إلّا لانَتْ سَوْرتُه، أفهِمْتَها يا ابنَ المَشْؤومة ؟ ستُحدِّثُك النّفْسُ بمعنىً اسمُهُ القَرَم[4]، وتُخبِرُك السُّفَهاءُ عن عن شيءٍ يُقالُ له: الكَرَم، وقد جرَّبتُ الأوّلَ فوجَدتُهُ أسْرعَ في المالِ من السُّوس، ونَظرتُ إلى الثاني فوجدتُهُ أشأمَ من البَسُوس[5].

ودَعْني من قولِهم: أليس اللهُ كريماً ؟ بَلَى، ولكنَّ كرَمَهُ يَزيدُنا ولا يَنقُصُه، ويَنفَعُنا ولا يَضُرُّه، ومَن كانت هذه حالُه، فلتُكرَمْ خِصالُه. فأمّا كرَمٌ لا يَزيدُك حتى ينقُصَني، ولا يَرِيشُك حتى يَبرِيَني، فخِذلانٌ، لا أقول: عَبْقَريّ[6]، ولكنْ بقَرِيّ. إنّه المالُ عافاك الله، فلا تُنفِقَنّ إلّا من الرِّبْح، وعليك بالخُبزِ والمِلْح. ولك في البَصَل والخَلِّ رُخْصةٌ ما لمْ تَذُقْهما، واللَّحْمُ لحَمُك، وما أراك تأكُلُهُ يا ابنَ الخَبيثة، إنّما التّجارةُ صَرْفٌ، وبينَ

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: دبغت.

(٣) س، ي: أشر، والمثبت من ص لأنه اللفظ بالمقتضى.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «القرم بالفتح نزو (كذا) شدّة شهوة اللحم، والفعل منه: قرِم، بالكسر».

(٥) من أمثال العرب. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٧٤.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «عبقري: نسبة إلى عبقر، زعموا أنها قرية يسكنها الجنّ، فنسبوا إليها كل شيء تعجبوا من حذقه، أو جودة صنعه وقوته فقالوا: عبقري. وعبقريّ القوم: سيّدهم وكبيرهم، مفرده وجمعه سواء».

الأكْلةِ والأكَلات[1] صُروفٌ، رِبْحُ البَحْر، بَيْدَ أنْ لا خَطَر، والصِّينُ غيرَ أنْ لا سَفَر، والحَلْواءُ[2] طعامُ مَن يعيشُ ليأكُل، فكنْ مِمَّن يأكُلُ ليعيش. وأخرى يا ابنَ اللَّئيمة، ما للتُّجّارِ[3] ولفُضُول العَيش، خُذْ هذا وحَسْبُكَ، ثم أنتَ الآن وكَسْبُك[4].

فلمّا فصَلتِ العيرُ[5] لجَّتْ بالفتى همَّةُ العِلْم، فأنفقَ ما صحِبَهُ في طلَبه. فلمّا انسلخ من طارِفِه وتالِدِه رَجَع[6] بالقرآنِ وتفاسِيرِهِ إلى والدِهِ، فَقيراً، لا يَملِكُ نَقيراً، وقال: يا أبتِ، جِئتُك بسُلطانِ الدّهرِ، وعزِّ الأبد، وحياةِ الخُلْد، جِئتُك بالقُرآن وتفاسيرِه، والحديث بأسانيدِه، والفقهِ بأبازيرِه، والكلام بأفانينِه، والشِّعْر بغَريبِه، والنّحو بتَصاريفِه، واللُّغَة بأُصولِها، فاجْنِ العِلْمَ نَوْراً ونُوراً، والآدابَ حُرّاً وحُوراً؛ فأتَى به إلى السُّوق، وقدَّمَهُ للصَّرّافِ والبزّاز، والعَطّارِ والخبّاز، والقَصّاب، وانتهى إلى البَقّال[7]، فساومَهُ عن باقةِ بَقْل[8] وقال: انتقِدْ تَفسيرَ أيِّ سُورةٍ شئْتَ، فتنحَّى البَقّالُ وقال: إنَّما نَبيعُ بالكِسْرة[9] المكَسَّرة، لا بالسُّورةِ المُفسَّرة؛ فأخَذَ الوالِدُ تُراباً بيدِه، ووضَعَهُ على رأس وَلَدِه، وقال: يا ابنَ المشؤومة، ذهَبتَ بقَناطير، وجِئتَ بأساطير، لا يَبيعُ بها ذو عَقْل باقةَ بَقْل.

---

(١) ي: والأكلة.

(٢) ص: والحلو.

(٣) ي: البحار.

(٤) ي: وكتبك.

(٥) تأثر بأسلوب القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ سورة يوسف، من الآية ٩٤.

(٦) بعده في ي: إلى.

(٧) ص: بغال.

(٨) ص: بغل.

(٩) يعني أن ما معه من الفنون لم ينفعه بأن يبدل به باقة بقل. كشف المعاني، ص٣٩٦.

والقِصّةُ - أيّد اللهُ الشّيخ الإمام - فهي قِصَّتي معه، أنفقتُ عُمْري ورُوحي وقَلْبي ونَفْسي على صَداقةِ مَن لم يُثمِرْ لي في كتابِ شُكْر.

هَبْني أتأوّلُ في الخاتمَيْن فأقولَ: الفَصُّ ياقوتٌ أحمر، والفِضَّةُ جَوْهَرٌ أزهر، والفَيْرُوزَجُ عِلْقٌ يُذْخَر، فما أقولُ في دَرْجٍ كاغد؟ أقولُ: لم أُساوِه، أم لمْ أبلُغْ كُنْهَ شَأوِه؟ لولا [أنْ][1] أكُونَ صديقَ صَداقة، لَسُقتُ هذا العتابَ سِياقة، تَحُلُّ عُرَى[2] الرَّقْدة.

قبّح اللهُ الطّمَعَ، لولا أنّ الوُدَّ شارَكَهُ، والأنفَ تَدارَكَهُ. لقد كان يُوجِدُ الحُسّادُ مقالاً، القافلةُ راحلةٌ غداً أو بعدَهُ[3] فلْيُنْجِز في الكتاب وَعْدَه، مُوفَّقاً رأيُهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) إضافة منّا.

(٢) ي: عيني.

(٣) ي: وبعده.

وله - رحمةُ الله عليه ورضوانُه - أيضاً[1]

إنّه - أيّد اللهُ الشّيخ - ما بي[2] الحيطان، لكن القُطّان، ولا المكان، لولا السُّكّان. وقد كنتُ أسمَعُ النّاس يقولون: إنّ الإنسانَ لِوَلَدِه أحبُّ منه لوالِدِه، فأنكرْتُ ذلك طَبْعاً، وأعظمتُهُ شَرْعاً، فيُقالُ لي: إنَّك لمْ تَذُقْ حَلاوةَ الأولاد، فأقولُ: لعلَّ ويُوشِكُ، وأنسُبُ ذلك إلى[3] لُؤْم الفِطْرة، وسُوءِ الخِلْقة، وخُبْثِ الطِّينَة، والقِشْرِ المطيُون[4]، بالحمأِ المسنُون، حتى ولَدْتُ، وحَسْبُ العاقلِ نَصُّ الكتاب حُكْماً، أنّ البَناتِ ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[5].

لَعمري، إنّ لي بها شَغَفَ الوالِدِ بالواحِد، وما أوَدُّ أنّ لي بَدَلاً، ولا عَشَرةً لي[6] مَثَلاً، ومع ذلك، فليس في حِلٍّ مَن ظَنَّ أنّي لا أجعَلُها لِسيِّدِنا - أدامَ اللهُ عزَّهُ - فِداءً، وأنتظرُ دُعاءً ونِداءً، لا ابتداراً ولا ابتداءً. عليَّ بذلك ميثاقٌ من الله غَليظ، واللهُ على ما أقولُ حَفيظ.

---

(١) ص: وكتب أيضاً.

(٢) ي: مائي. ولم أهتد لتحقيقه.

(٣) سقط حرف الجر في ي.

(٤) المطيون: اسم مفعول من طان يطين: إذا لطخهُ بالطين، وقد جاء مصححاً على لغة تميم الذين يصححون اسم المفعول من الأجوف البائي فيقولون: مديون ومعيون، ولغة الحجاز الإعلال فيقال: مَدِين ومَعِين ومَطِين. كشف المعاني، ص٣٩٧.

(٥) في الآية ٨١ من سورة الكهف: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ والضمير في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ يعود على الغلام المذكور في الآية السابقة. وفي تفسير الطبري، ج١٨، ص٨٨: «وقيل: إن الله عزّ وجلّ أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية». وانظر أيضاً صحيح البخاري (٤٧٢٦).

(٦) من ص.

وأجدُني إذا قرأتُ قِصَّةَ الخليل، إبراهيم في الـذَّبيحِ إسـماعيل، صـلواتُ الله عـلى نبيِّنا وعَليهما[1]، أحسُّ لنفسي من سيِّدنا - أدام الله عزَّهُ - بتلك الطَّاعة، لو وَقَع الـبَلاءُ، والعافيةُ أوسعُ، وأظنُّهُ لو تَلَّني للجبين، أو أخذ منِّي باليمين، وقَطْعِ الوَتين، لَصُنْتُهُ عـن الأنين. وبينَ الضَّمانِ والوَفاءِ عِلْـمُ الله المُحيط، وبَيـنَهما مـن التَّرجيح، مـا بَيني وبـينَ الذَّبيح.

ورُبَّما نظرَ في كتابي هذا مَن لم يعرِفْ بَعْدُ الضَّمانَ من الوَفاء، وبينَهما ما بين الأرْضِ والسَّماء، فيراني أهرِفُ[2]، وما أراهُ يَعرِف.

إنّه - وإنْ بَعُدَ المثَلُ - اختلفَ قومٌ في عُمَرَ بنِ عبدِ العزيـزِ والحَسَـن بـنِ يَسـار[3] أيُّهما أفضل؟ فقال أولو التَّمييز: عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز[4]، وقال أهلُ الأمصـار[5]: الحَسَـنُ بنُ يَسار، وإنَّما أردتُّ بأولي التمييز: نَظَّارةَ القُلوب، وبأهـلِ الأمصـار: نَظَّـارةَ العُيـون. فسُئل الحسَنُ عن ذلك فقال: عُمَرُ خيرٌ منّي؛ لأنّه مَلَكَ فعَفَّ، ووَجَـدَ فـأخفَّ. ولعـلَّ الحسَن لو وَجَد لأخَذ.

وصَدَق رَحِمه اللهُ: ليس الزّاهدُ عن جِدَة، كالزّاهدِ عن عِدَة[6]، وليسَ مَن فعَل كَمَن وَعَد[7] أنْ يفعَل.

---

(١) ص، ي: عليها، وما هنا أحسن كما لا يخفى.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «أهرف: من الهرف وهو الإطناب في المدح، والثناء على الشيء إعجاباً به، يقال: لا تهرف بما لا تعرف».

(٣) الحَسَن بن يسار هو الحَسَن البصري.

(٤) (والحسن .... عبد العزيز) ساقط في ي.

(٥) ص: الأبصار، وليس يفرق في المعنى غير أولي التمييز، فهو كأن لا شيء.

(٦) أي: ليس من زهد مع غناه وثروته واقتداره كمن يزهد في الدنيا لعدم نيله ذلك. كشف المعاني، ص٣٩٩.

(٧) ي: بُعد.

وشدَّ ما أتعرَّفُ برَكاتِ دُعاءِ سيّدِنا، وأستظهرُ بها على الخطوب، فليُمـدَّني بها أدبارَ الصّلوات وإدبارَ النُّجوم، إنّ دُعاءَ الفجْرِ كان مَشهوداً[١]، وعَليَّ لسيِّدنا - أيّده اللهُ - وِرْدُ صَباحٍ ومَساء، من صَلاةٍ ودُعـاء. فليُرَقِّني إنّي إلى حَرَكاتِ لسانِهِ[٢] لَفقير[٣]، وهو بأنْ يَفعَلَ جَدير، واللهُ على أنْ يستجيبَ قدير[٤].

---

(١) إشارة إلى قوله تَعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، سورة الإسراء، من الآية ٧٨.

(٢) المراد بحركات لسانه: أمره وفيه وما يصدرهُ من الإنعام لراجيه. كشف المعاني، ص٤٠٠.

(٣) س، ي: فقير، وما هنا من ص، واقتران الخبر هنا باللام المزحلقة أليق.

(٤) ص، تباعاً: لجدير، لقدير.

وله – سامحه اللهُ تعالى[1] – إليه أيضاً

يَبسُطُ سَيِّدُنا لي سَمْعَهُ، ويَقِفُ عليه مَن لا يُتَّهَمُ[2] عَقلَهُ، أنّ هذا السُّلْطان لما ارتحَلَ عن بلادِ خُراسان إلى دارِ الهنْد، وهي سيفٌ، وأصبحَ السَّيْف وهو دمٌ، فِتَنٌ[3] تَشَظّى، ونارٌ تلَظّى، وناسٌ يأكُلُ بعضُهم بعضاً، وبَعث الفسادُ أهلَهُ، فالنّهارُ مُصادَرة، واللّيلُ مُكابَرة، وقُتِل[4] عَمْرو وقُتِل زيد، وانْجُ سَعْد فقد هلَكَ سُعَيْد[5]، وثمَنُ الرَّأْسِ مِنْديل، والبَيِّنَةُ العادلةُ سِكِّين، ودارُ الحُكم بَيتُ القِمار[6]، واليمينُ الغَموسُ فُلانٌ الحِمار[7]، والجامعُ حانةُ الخَمّار، وخَيرُ الأسواقِ ما يُسرَق، وشرُّها ما يُحرَق، والسَّعيدُ مَن سُلِب، والشّقيُّ مَن صُلِب، ولا شيءَ إلّا السِّلاحُ والصِّياح، وكُلُّ شيءٍ إلّا السُّكونُ والصَّلاح.

وأنا إذ ذاك حاضرٌ نَيسابُور، وداري بين القُبَّةِ الرّافضة، وكُلَّ يومٍ تَهديد، ورُعبٌ جديد؛ فقُلتُ:

ولكنْ أخُو الحَزْمِ الذي ليس نازِلاً ... بهِ الخَطْبُ إلّا وهْو لِلقَصْدِ مُبصِرُ[8]

فلَقِيتُ صُدورَ نَيسابُور وقلتُ: حَتّامَ هذا البَلاءُ، والعِلاجُ قَريبُ المأخَذ، وهَلّا

---

(١) سقط الدعاء في: ص، ي.

(٢) ي: ينيم.

(٣) ص: نتن.

(٤) ي، هنا وفي الموضع الآتي: وقيل.

(٥) مثلٌ يضرب في الاستمساك عن الباقي عند فوات الماضي. الزمشخري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٣٨٤.

(٦) يعني: الحكم لمن غَلَب. كشف المعاني، ص٤٠١.

(٧) الحمار: البليد، وإنما جعل يميناً لحلفهم به. كشف المعاني، ص٤٠١.

(٨) لثابت بن جابر الفَهْمي المعروف بتأبّط شرّاً. الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص١٥٢.

نَفَرَ طائفةٌ من الغُزاة، إلى هؤلاءِ الغُواة، وآزرَهم أهلُ الصَّلاح؟ وأنا أوَّلُ مَن دعا إلى هذا الأمْر وأجابَ إليه، وبذَل فيه وأنفَقَ عليه، ففعَلوا، وما كان سَوادُ ليلةٍ حتى عَلَت كلمةُ الحَقِّ، وبادَ أهلُ[1] الفَساد.

وإنّ جُرْحَ الجَوْر قَريبُ الغَوْر، وإنّ نارَ الحَلْفاءِ سريعةُ الانطفاء، وإنّ كَيْدَ الشيطانِ ضَعيف.

ثم أسمَعُ[2] الآنَ بهَمَذان من خَرابٍ واضطراب، وبأموالِها من ذهابٍ وانتهاب، وبأسواقِها من فَسادٍ وكَساد، وبأسعارِها من غَلاء، وبأهلِها من خَلاء[3].

أفليسَ فيهم رَجُلٌ رَشيدٌ[4] يجمَع كلمةَ أهلِ الصَّلاح؟ عَجَباً من تعاوُنِ المُفسدِينَ على أخْذِ ما ليسَ لهم، وتخاذُلِ المسلمينَ عن مَنْعِ ما لهم، وأعجَبُ من ذلك تَدبيرُ خُراسان! إنّه – والله – يَحْزُنني ما أسمَعُ، فيُنطقُني بما تَسمَعُ[5]، وقد كنتُ هَممتُ[6] من من قبلُ بالقُفُول، فما رَدَّني عن تلك الدِّيار، إلّا مُؤْلِمُ الأخبار.

إنّي – وإنْ كنتُ بهذه الأمصار، أمشي على الأبصار، قَبُولاً عندَ السُّلْطان، ووَجاهةً عندَ العَوامِّ – مَقْصوصُ جَناحِ المسار، أطيرُ إلى الأوطانِ كلَّ مَطار.

كان العمُّ يَصِلُ رَحِمي كلَّ عامٍ بكتاب، ثم قطَع عادةَ برِّه، وأراهُ محَا اسمي من صَحيفةِ صَدْرِه. وقد أهديتُ له فأرتَيْ مِسكٍ[7] تَصِلان بوُصولِ كِتابي هذا إليه، وبَينَهما

---

(١) ساقطة في ص.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) س، ص: جلاء.

(٤) تأثر بقول الله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾. سورة هود، من الآية ٧٨.

(٥) ي: أسمع.

(٦) ص: سمعت.

(٧) فأرة المسك: وعاء المسك. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٦٠ (نفق).

من السَّلام أطيبُ مِنْهما عَرْفاً، وسيِّدُنا يُوصِلُهما إليه ويَصِلُهُ بهما.

و[1] القاضي مَوْلاي أبو فُلان لا يَذكُرُني إلّا سِرّاً، ولا يَأْتيني إلّا نَزْراً، وهو الخِلْبُ[2] وما يُحجَب، والنَّفْسُ وما تُخدَم، وقد أهديتُ إليه فَأرةَ مِسكٍ معَها أختُها من السَّلام.

العَمُّ مَوْلاي أبو القاسمِ في سَعةٍ من العُقوق يركُضُ، وإنْ كان سَيّدُنا يعتذِرُ عنه بما يعلَمُ عبدُهُ[3]، وقد أتحفتُهُ بفأْرةِ مِسكٍ تصِلُ إليه.

الفَقيهُ فُلان إذا نسِيتُ النّاسَ أذكُرُهُ، وإذا طوَيتُ الجميعَ أنشُرُهُ، البَرُّ قديماً وحديثاً، الزَّكيُّ أوّلاً وآخِراً، قد بعثتُ إليه فأرةَ مِسْكٍ كأنَّها اشتُقَّتْ من أخلاقِه.

سَيِّدي فُلان ضالَّتي التي نَشَدتُها، وعُدَّتي التي ذَخرتُها[4]، وله فأرتا مِسْكٍ وعليه قَبولُهما.

سَيِّدي أبو فُلان له من صَدْري شِعْبٌ فارغ، ومن قَلْبي محَلٌّ عامر، وعليه السَّلام، وله فأرتا مِسْكٍ يصلُه بهما سيِّدُنا.

سَيِّدي أبو فُلان وكَريمتُهُ العَمَّةُ يُصبحان مثالاً لعيني، ويُمْسيان خيالاً لِقلبي، وقد أهديتُ لهما فأرتَيْ مِسْكٍ وما طابَ وعَذُبَ من السَّلام.

العمّاتُ مخصوصاتٌ بالسَّلام، وقد وصَلْتُهنَّ بفأرتَيْ مِسْكٍ يُقسَمُ بينَهُنَّ[5].

---

(١) سقطت الواو في ي.

(٢) الخلب: حجاب القلب، وقيل: لُحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٦٤ (خلب).

(٣) ي: غيره.

(٤) ي: أدخر.

(٥) ي: منهنّ.

سَيِّدي أبو فُلان قد سرَّني إقبالُهُ على العِلْمِ وتوسُّطُهُ الأدبَ، واشتدَّ عَضُدي به، والله يُبقيه، وله فأرةُ مِسْكٍ ولمن وراءَهُ - سترَهم اللهُ - مِثْلُها.

وقد خَدَمْتُ مَجلِسَ سَيِّدِنا بخَمْسٍ وعشرينَ نافجةً تُبَّتِيَّةً[1] خالصةً لِخاصَّتِهِ، وأوصيتُ شيخي أبا نَصْرٍ العَطّارَ أنْ يتأنَّقَ في ابتياعِها واختيارِها، ويَحتاطَ في إنفاذِها وإيصالِها، وقرَنْتُ من العُودِ الهنديِّ[2] الرَّطْب بها نِصْفَ رِطْلٍ، ويَصِلُ بُوصولِها جُبَّةُ حُلَّةٍ مُعيَّنةٌ، وزَوجُ خاتَمٍ أحدُهما[3] مَنقوشٌ بلا إلهَ إلّا اللهُ، والآخرُ بَذَخْشانيٌ[4] لَطيف. وسيِّدُنا يَعتذِرُ[5] عنِّي إلى الأخ في تأخير ما طلَب من الزَّبيب الطّائفي[6]، فإنّ ذلك أمْرٌ يَتَّصِلُ بفَراغِ البال، وسَعةِ الوقت، وإذا وجَدتُهما أهدَيْتُ له مائةَ وِقْر[7].

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «تبتيّة، نسبة إلى تُبُّت بضمّتين والباء مشددة: أرض ينسب إليها المسك الزكي». والضبط الصحيح للباء فتحة مشددة. عن بلاد تُبَّت (المعروفة ببلاد التبت الآن في الصين) ومِسْكها المشهور، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٠.

(٢) من ص.

(٣) ساقطة في ي.

(٤) نسبةً إلى بَذَخْشان، بلدة في أعلى طَخارستان من بلاد أفغانستان، وهي مشهورةٌ بإنتاج الأحجار النفيسة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٦٠.

(٥) ي: معتذر.

(٦) الزبيب الغالب عند العرب هو الطائفي، وهو من أجود أنواع الزبيب. البغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص٤٢٥.

(٧) الوقر، بالكسر: الحمل الثقيل، وعمّ بعضهم به الثقيل والخفيف وما بينهما، ووقوله عز وجل: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾، سورة الذاريات، الآية ٢ يعني: السحاب يحمل الماء. وجمعه: أوقار. وقد أوقر بعيرَه، وأوقر الدابة، ودابّة وَقْرى. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٨٩ (وقر). وهو من المكاييل التي كانت مستعملة.

سَيِّدي ما له قَطَع عادةَ[1] فَضلِهِ في إهداءِ السَّلام والكتابِ المُفرَد، وسيِّدُنا أولَى مَن عاتَبَه ليَعُودَ إلى الحُسْنى بمَكانةٍ مُعتَدَّة[2]، وقد أهديتُ له فأرةَ مِسْكٍ لِيُوسِعَهُ تَذْكِرةً، ويُوسِعَني مَعْذرةً، ولسيِّدِنا في الوُقوفِ[3] على ما كَتَبتُ به وتَشريفي في الجَوابِ[4] رأيُهُ المُوَفَّقُ إنْ شاءَ الله تَعالى.

(١) ي: عبادة.

(٢) عبارة ي: إلى الحبشي مكانه معتد.

(٣) ي: الوقف.

(٤) ص: بالجواب.

وله

تغمّده اللهُ تَعالى برحمته[1]

كَتبتُ - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الجليل - وأنا في هِياطٍ ومِياط[2]، ووَجَعِ[3] اختلاطِ بُزاقٍ مَـمْزوجٍ بمُخاط، وسُعالٍ مَعْجونٍ بضُراط، فإنْ نَشِط لي في هذه الحالةِ فالقَذَرَ القَذَر، وإنْ لم يَنشَطْ[4] فالحَذَرَ الحَذَر، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «الهياط: الصياح والجلبة، والمياط: الزجر والدفع ومنه: وقع القوم في هياط ومياط». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤١٠ (ميط)، ص٤٢٤ (هيط).

(٣) ي: ومع.

(٤) ي: يبسط، وهو اختيار حسن، لو كان فعل الشرط الأول مثله.

وكَتَب إلى الشيخ أبي نَصْرٍ ابن المَرْزُبان[١]

كنتُ - أطال اللهُ بقاءَ سيّدي ومَوْلاي - في قديمِ الزّمان، أتَمَنّى للكُتّابِ الخَيرَ[٢]، وأسألُ اللهَ أنْ يُدِرَّ عليهم أخلافَ الرِّزْق، ويمُدَّ لهم أكنافَ العَيش، ويُوطِّئهم أعرافَ المجْد، ويُؤْتِيَهم أصْنافَ الفَضْل، ويُرْكِبَهم أكْتافَ العِزّ[٣]. وقُصاراي أنْ أرْغَبَ إلى الله تَعالى في أنْ لا يُنيلَهم فوقَ الكِفاية، ولا يمُدَّ لهم في حَبْلِ الرِّعايةِ[٤]، فشَدَّ ما يَطغَون للنِّعمةِ ينالونَها، والدَّرَجةِ يَعلُونَها، وسَرُعَ ما ينظُرونَ من عالٍ، بما يَنظِمون من حالٍ[٥]، ويجمَعونَ من مالٍ[٦]، وتُنسيهم أيّامُ اللُّدُونة، أوقاتَ الخُشونة، وأزمانُ العُذُوبة، ساعاتِ الصُّعُوبة.

و[٧]للكُتّاب، مَزِيّةٌ[٨] في هذا الباب، فبينا هم في العُطْلةِ إخوان، كما انتَظم السِّمْط، وفي العُزْلةِ أعوان، كما انفرَجَ المِشط[٩]، حتى إذا[١٠] لحظهم الجدُّ لَحْظةً حَمْقاء

---

(١) ص: وله أيضاً إلى أبي نصر بن المرزبان. وقد تقدّم التعريف بأبي نصر في ص٧١، هامش (٣).

(٢) عبارة ي: وتمنى الخير للإخوان.

(٣) الدعاء في ي: ويؤتيهم أصناف الفضل، ويركبهم أكناف العزّ، وينيلهم أعراف المجد.

(٤) ما بين الفاصلتين ساقط في ي.

(٥) ما بين الفاصلتين ساقط في ي.

(٦) ي: عال.

(٧) سقطت الواو في ي.

(٨) ي: مؤيد.

(٩) موضع (العطلة... المشط) في ي: فبيناهم في العزلة أعوان، كما انفرج المشط، وفي العطلة إخوان، كما انتظم السمط.

(١٠) زيادة مستحسنة أسعفت بها ي.

بمنشورِ[1] عَمالـة، أو صَـكٍّ[2] جَعالـة[3]، فيعـودُ[4] عـامرُ وُدِّهـم[5] خَرابـاً، ويَنقلِـبُ[6] شرابُ عَهدِهم سَراباً، فما علَتْ أُمورُهم حتى[7] أُسْبِلتْ سُتورُهم، ولا غلَـتْ قُـدورُهم إلّا خلَتْ بُدورُهم[8]، ولا اتَّسعتْ دُورُهم إلّا ضاقتْ صُـدورُهم، ولا أُوقِـدتْ نـارُهم إلّا انطفـأ نُـورُهم، ولا زادَ[9] مـالُهم إلّا[10] نقَـصَ مَعـروفُهم، ولا وَرِمـتْ أكياسُـهم إلّا[11] وَرِمَـت أُنـوفُهم، ولا تبجَّلـت[12] عِتـاقُهم إلّا فَظُعـت أخلاقُهـم، ولا صـلَحت أحـوالُهم إلّا فسَـدت أفعـالُهم، ولا حسُـنت حـالُهم إلّا قبُحـت خِلالُهـم، ولا فـاضَ جـاهُهم إلّا غاضـت مِيـاهُهم، ولا لانـت بُـرودُهم إلّا صَـلُبت خُـدودُهم، ولا عَلَتْ جُدودُهم إلّا سَفُلَ جُودُهم، ولا طالت أيـدِيهم إلّا قصُـرت أيـاديهم[13]. حتـى إنّهم لَيصيرونَ على الإخوان – مع الخطوب – خَطْباً، وعـلى الإخـوان – مـع الزمـانِ –

---

(١) ي: ميسور.

(٢) ي: ومنشور.

(٣) الجعالة: الجُعْل والجِعال والجَعِيلة والجُعالة والجِعالة والجَعالة ؛ كل ذلك ما جُعـل للرجـل عـلى عمله. والجَعالة، بالفتح: الرَّشْوة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١١١. (جعل).

(٤) ي: عاد.

(٥) ي: مودتهم.

(٦) ي: وانقلب.

(٧) ي: إلّا.

(٨) (إلا ...... بدورهم) ساقط في ي.

(٩) ي: كثر.

(١٠) بعدها في ي: (قل جمالهم)، وهو زائد.

(١١) (لا ...... إلا) ساقط في ي.

(١٢) ي: اهملحت (كذا).

(١٣) (ولا حسنت ...... أياديهم) ساقط في ي.

ألِباً[1]. وقُصارى أحدِهم من المجدِ أنْ ينصِبَ تَخْتَهُ تحتَه، ويُوطىءَ اسْتَهُ دَسْتَه، ويَقِفَ غُلامَهُ أمامَه، ونائبُه من الكَرَم[2] دارٌ يُصَهْرِجُ[3] أرضَها، ويُزَبْرِجُ[4] بعضَها، ويُزوِّقُ[5] سُقوفَها، ويُعلِّقُ شُفوفَها، وكفاهُ من الفَضْل أنْ تُحمَلَ الغاشيةُ[6] قُدّامَه، وتعدوَ الحاشيةُ أمامَه، وناهيهِ من الشَّرف[7] ألفاظٌ قِفاعيَّة، وثيابٌ مِشقاعيَّة[8]، يلبَسُها مَلوماً، ويَحشُوها لَوْماً و[9] لُؤماً. وهذه صِفةُ فاضلِهم.

(١) (حتى إنهم... ألباً) من ي فقط. والألب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان. تألّبوا: تجمّعوا. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢١٥ (ألب)؛ وانظر: الفارابي، ديوان الأدب، ج٤، ص٩١.

(٢) (ويقف... الكرم) ساقط في ي.

(٣) الصهرجة: طلاء الأرض بالصاروج أو النورة. والمراد بنيابة الدار عنه بالكرم: أنها تكرمهم بالنظر إلى ما فيها من المحاسن والتحف لكن بدون نيل شيء. كشف المعاني، ص١٤٧.

(٤) ي: ويزحزح. والزَّبْرَجة: تحسين الشيء. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٨٥ (زبرج).

(٥) ي: ويرسل.

(٦) تقدّم تعريفها في ص ١٤٢.

(٧) موضع (ويعلق... الشرف) في ي: وناهيه من الشرف أن تعدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، وكرم، وكفاه من الكرم.

(٨) علّق الأستاذ الأحدب هنا بقوله: قفاعية، مشقاعية: من التهكّم. أما المشقاعية فلعلّها منسوبة إلى مشقاع: اسم آلة تصيب العين. وأما القفاعية فهي نسبة إلى قفاع، جمع قفعة، وهي وعاء للتمر والرطب، أو الدوارة التي يجعل فيها الدهانون فيها السمسم المطحون بعضه فوق بعض حتى يسيل منه الدهن، فكأنه يشبّه ألفاظه بذلك، أي: كوعاء مبتذل، لأنها لا تشتمل على معان ذات شيء. كشف المعاني، ص١٤٧. وانظر كذلك: لسان العرب، ج٨، ص٢٨٩ (قفع)؛ الثامري، معجم النخلة، ص١١٩. ولعل الكلمة مصحّفة من (فقاعية) وهي الضراط، وكذلك فقاعات الهواء. انظر: لسان العرب، ج٨، ص٢٥٦ (فقع).

(٩) (لوماً و) ساقط في ي.

ومنهم مَن يَحتمِلُ[1] الوُدَّ أيّامَ خُشْكارِه[2] حتى إذا أيسر جعَل ميزانَهُ وَكيلَه، وأسنانَهُ[3] أكيلَه، وأليفَهُ رَغيفَه، وأنيسَهُ كيسَه، وأمينَهُ[4] يَمينَه، ودَنانيرَهُ سَميرَه، ومَفاتيحَه[5] ضَجيعَه، وصَناديقَهُ صديقَه، وخاتَمَهُ خادمَه[6]. ثم جَمعَ[7] الذَّرَّةَ إلى الذَّرَّة، ووضَعَ البَدْرَةَ[8] على البَدْرَة، فلَمْ يَضَع النَّظرَ[9] من طَرْفِه، ولا الصُّرَّةَ من كفِّه، ولا يُخرجُ مالَهُ من عُهدةِ خاتِمه، إلّا يومَ مَأتَمِه، فهو يجمَعُ لِحادثِ[10] حياتِه، أو وارثِ[11] مماتِه، يَسلُكُ في الغَدْرِ كُلَّ طريق، ويَبيعُ بالدِّرْهَم ألفَ صديق.

وقد كان الظَّنُّ بصَديقِنا أبي سعيدٍ - أيّده اللهُ - أنّه إذا أخصَبَ آوانا[12] كَنَفاً من ظِلِّه، وحَبانا من فَضْلِه، فمَن لنا الآنَ بعِدْله؟ إنّه - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ - حينَ طارتْ على رأسِه[13] عُقابُ المخاطَبةِ بالرّئيس، وجلَس من الدِّيوان، في صَدْر

---

(١) ي: يمتحل.

(٢) المراد بأيام خشكاره: أيام فقره وإفلاسه، كما يشعر السياق، وقد جزم الأستاذ الأحدب أن هذه الكلمة لا وجود لها في كتب اللغة. كشف المعاني، ص١٤٧. وهذا يُجانب الصواب، فالخشكار يرد كثيراً في كتب التاريخ والأدب، ومنها كتابات الجاحظ على سبيل المثال، ويعني الخبز الأسمر الخشن غير النقي، وهو من لوازم الفقر، كما لا يخفى.

(٣) أي: وأسبابه.

(٤) أي: وابنه.

(٥) س، ص: ومفاتحه.

(٦) (وخاتمه خادمه) من ي.

(٧) ي: وجمع.

(٨) البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٩ (بدر).

(٩) ي: يصنع النظرة.

(١٠) ي: بحادث.

(١١) ي: ووارث.

(١٢) تحرّفت هذه الكلمة الواحدة في ي كلمتين: إذا أتى.

(١٣) ي: ابنه.

الإيوان[1]، افتضَّ عُذْرةَ السّياسةِ ببعض المُختلفةِ إليّ، وجعَل يُعرِّضُهُ للهلاك[2]، ويُسبِّبُ عليه بمال الأتراك[3]، ويشحَنُ دارَهَ بالدَّجّالة، ويُكدُّهُ بالفُرسانِ والرَّجّالة، وجعلتُ أكاتِبُهُ مَرّةً، وأقصِدُهُ أُخرى، فأذكُرُ له أنّ الرّاكبَ رُبّما استُنزِل، والوالي رُبّما عُزِل، ثم يجفُّ ريقُ[4] الخجل على لِسان العُذْر[5]، وتَبْقى الحزازةُ في الصَّدْر، فلا[6]، وما يَجمَعُني والشّيخ ؟ إنْ[7] زادهُ قولي إلّا غُلوّاً[8] في تهكُّمِه، وعُلوّاً في تحكُّمِه، وجَعَل يمسُّني الجَمْرُ في ظُلْمِه، ويبْرأُ إليَّ من عِلْمِه، وأقولُ إذا رأيتُ ذِلّة السُّؤَال وعزْمةَ الرَّدِّ منه :

[أفعِشْتَ حتى عبتَهم][9] قُلْ لي متى   فرزَنْتَ سُرْعَةَ ما أرَى يا بَيْدَقُ[10]

---

(١) ي: الهوان.

(٢) ي: تعرضه للحلال.

(٣) ي: عالالأنزال

(٤) سقط في ي ومكانه واو.

(٥) ي: القدر.

(٦) (فلا) منفيها محذوف، أي: فلا يجدي ذلك نفعاً، ونحوه. أو هي حرف جواب هنا تقابل (نعم)، وما: استفهامية. ولفظ: (إنّ) إمّا: شرطية، أو نافية بمعنى: ما. كشف المعاني، ص١٤٩.

(٧) ي: وإن كان مكان حرف النفي أو الشرط.

(٨) ي: عثوراً.

(٩) إضافة من العباسي، معاهد التنصيص، ج١، ص٤٣. والبيت لأبي تمام.

(١٠) البيدق: معروف في رُقعة الشطرنج، وهو أحد بيادقه. وفرزن البيدقُ: إذا صار فرزاناً، وهي القطعة التي تلي رتبة الشاه في الشطرنج ولهُ فيها اعتبار عظيم، ويقال: إنه وزير الشاه. وهو يضرب للحقير إذا صار عزيزاً، والدنيء إذا صار شريفاً. كشف المعاني، ص١٤٩.

وما أضيعَ[1] وقتاً بذكْرِه قَطعتُه[2].

هَلُمَّ إلى الشّوق[3] وشَرْحِه، فقد نكأ القلبَ بقَرْحِه، وكيفَ أكادُ أصِفُ شوقاً لا يقرَعُ[4] الدّهرُ فَرْوةَ[5] حالِه، ولا ينقُضُ[6] عُرْوةَ انحلالِه، فما أَوْلاني أنْ أذكُرَهُ مُجملاً، وأترُكَه مُفصّلاً[7]، والسَّلام[8].

---

(١) ص: أضيق.

(٢) ي: قطعت.

(٣) ي: الشيخ. وهو تحريف فاسد، لغرابته أولاً، ثم لتكراره «شوقاً» بعد قليل.

(٤) ي: يفرغ.

(٥) ي: مروءة.

(٦) ص، ي: يقص.

(٧) ي: معضلاً.

(٨) من ي.

وكَتَب إلى [1] فَقيه نَيْسابُور

وَصَلتْ رُقعتُك، وشكرتُ في الذَّبّ عنّي فَضْلَك، ومثلُكَ مَن ذَبَّ عمَّن أحبَّ. و[2]لكنِ الذَّبُّ أبواب[3]، ولكلِّ امرئٍ جواب[4]، ولو آثرتَ الحِلْمَ لكان أوْلى بك وأحبَّ إليَّ، وإذا أبيتَ إلّا أنْ تُعطِيَ المروءَةَ مُرادَها، كان الصّواب أنْ تحفظَ تلكَ الأبواب، أوّلُها: أنْ تَعْلَمَ أنّه ليس في أبوابِ الذَّبِّ أضْعَفُ من السَّبِّ[5]، وإذا تَلوتَ قولَ الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾[6] عَلِمت أنّ سَلاحَ خَصْمِك أقوى، والنّاسُ رَجُلانِ: كريمٌ ولئيمٌ، وكُلٌّ بأنْ لا يُسَبَّ حقيق، إنّ الكريمَ لا يُنكِرُ الفَضْل، وإنّ النَّذْلَ لا يألمُ العَذْل:

يُبيحُكَ منهُ عِرْضاً لمْ يَصُنْهُ ويَرْتَعُ منك في عِرْضٍ مَصونِ[7]

وهلمَّ أفرُضْ لك مسألةَ الذَّبِّ في الذُّباب، لتَعْلَم أنّ اتّقاءَهُ[8] بالمكبَّة خيرٌ من اتّقائهِ بالمذبَّة، وأنّ ذبَّهُ بالمظلَّة أبلغُ من ذبِّهِ بالمَذَلَّة، فإنْ كانَ لا بُدَّ من انتقامٍ

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) من ي.

(٣) ي: أبواباً.

(٤) ي: جواباً، وهو أعجب من الأول!

(٥) ي: من أبواب السبب.

(٦) سورة الأنعام، من الآية ١٠٨.

(٧) البيت لأبي الحَسَن علي بن الجهم. ديوانه، ص١٨٧.

(٨) ي: إبقاءه.

واستيفاء[1]، فأُعيذُك[2] بالله[3] أنْ تجهَلَ[4] أنّ آذانَ الأنذال في القَذال[5]، وهي آذانٌ لا تسمَعُ إلّا من ألسِنةِ النِّعالِ الأدَم[6]، أو ترجُمةُ أكُفِّ الخَدَم. وعَلامةُ فهْمِها : جُحوظُ العَينين، وخَدَرُ اليَدَيْن. فإنْ تاب، وإلّا كرَّرت هذا العتاب.

ووَجَدتُكَ - أيّدك اللهُ - تعجَبُ أنْ يَجحَدَ لئيمٌ فَضْلَ صديقِك، فخفِّضْ عليكَ رَحِمَك الله، إنّ الذي تَعجَبُ منهُ يسيرٌ في جَنْبِ ما يجحَدُهُ الإنسان، إنّ اللهَ تَعالى خَلق أقواماً وشَقَّ لهم أسماعاً وأبصاراً، فغاصُوا بها على عِرْقِ الذّهَبِ حتى قَصَدُوه، ولمْ يَزالوا بالنّجْم حتى رَصَدُوه، واحتالوا للطّائر فأنزلُوهُ من جَوِّ السَّماء، والحُوتِ فأخرجُوهُ من جَوْف الماء، ثم جَحدوا مع هذه الأفكار الغائصةِ والأذهانِ الناقدةِ صانِعَهم، فقالوا: أين وكيف؟ حتى رَأَوُا السَّيْف.

فلمَ تَعجَبُ يا فقيهُ إنْ جَحدوا فَضْلاً ليست الأرضُ بِساطَه، ولا الجبالُ أسْماطَه، ولا السَّماءُ فُسْطاطَه، ولا اللّيْلُ رباطَه، ولا النّهارُ سِراطَه، ولا النُّجومُ أشراطَه، ولا النّارُ شِياطَه[7]؟ وأراكَ - أيّدك اللهُ - تَغلُو إذا وصَفتَني ودُونَها فيحصُلُ المُرادُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) هذه الكلمة والتي قبلها صورتها في ي: أسقام وإسفاف.

(٢) ي: عندك.

(٣) ص: الله.

(٤) (أن تجهل)ساقط في ي.

(٥) ي: العذال.

(٦) الأدم والأديم هو: الجلد، وفي ألسنة النعال استعارة بالكناية، فإنه شبّه النعال بحيوانٍ له لسان، واستعاره له.

(٧) ص: شباطه، وي: شياطينه.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ العَميد أبي الحسين

ما أُشبِّهُ وَعْدَ الشّيخ العَميد في الخِلافِ إلّا بشجر[2] الخِلاف[3]: خُضْرةٌ في العَين، ولا ثَمَر في اليَدين، فإلّا[4] يَنفع الموعد، وإلّا[5] إنجازٌ لمن يَعِد[6]. ومثَلُ الوعْدِ مَثلُ الرّعْد، ليس له خَطَر ما لم يَتْلُهُ[7] مَطَر.

كان - أيّد اللهُ الشّيخ[8] - في جِيرانِنا رجُلٌ فارِهُ الأفراس، فاخرُ اللِّباس، لا يُعَدُّ من النّاس، فلا تَظُنَّنَّ أنّ الإنسانيةَ بِساطٌ قُوني[9]، ولا ثَوبٌ سَقْلاطونيّ[10]. ولا تُقدِّرْ أنّ المكارمَ ثوبانِ من عَدَن، ولا قَعْبانِ[11] من لَبَن.

المجدُ وراءَ هذا الصّفّ، وقد طالَ مُقامي، وامتدَّتْ أيّامي، فلا تَذكِرةٌ من فِعْل، ولا مَعْذِرةٌ من قَوْل.

---

(١) ص: وله.

(٢) ي: كشجر.

(٣) شجر الخلاف: شجر الصَّفْصاف أو صنف منه، وهو بأرض العرب كثير، والواحدة: خلافة. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٩٧ (خلف).

(٤) ي: خالا.

(٥) ي: ولا.

(٦) ي: بعيد.

(٧) ص: ينله.

(٨) من ص.

(٩) منسوبٌ إلى مدينة قونية في تركيا. عنها، انظر: القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص٤٤١؛ موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص٤١٢.

(١٠) كتب ناسخ س في الحاشية: «سقلاطون: من نواحي الروم ينسب إليها الثياب». وانظر: المحبي، قصد السبيل، ج٢، ص١٤٠.

(١١) القَعْب: القدح الكبير. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٨٣ (قعب).

وكَتَبَ[1] إلى أبي نَصْر الطُّوسي

كِتابي عن سَلامةٍ ونِعمة، وأحوالٍ على النّظامِ جارية، وشوقٍ إليك، وتَواجُدٍ عليك، واعتدادٍ بك، وعَلْقٍ فيك، واستيحاشٍ منك، وخُلوصِ مِقَةٍ لك. والحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ على سيِّد المُرسلينَ محُمّد، وآله أجمعين.

ولك يا سيِّدي - أيّدك الله - خِلالُ خَيْرٍ، وخِصالُ فَضْلٍ، لا يدفَعُك عنها أحد، ولك في أكثر المكارمِ لسانٌ ويَد، ولا تَخلو معها من حُزونةٍ[2] طُوسيَّة، ورِجْلٍ طاوُوسيّة، ولو عَرِيتَ منهما لكنتَ الإمامَ الذي تَدَّعِيه الشِّيعة، وتُنكِرُهُ الشّريعة.

وكنتُ عزمتُ عزْمَ يَقينٍ أنْ لا أُكاتِبَك عاماً، عُقوبةً لك على إخلالِك بما عوَّدتَني من خِلالِك، ثم وَجَدْتُ مِبْراة شَوقي إليك جَديدة، ووَطأةَ الفِطامِ عنك شَديدة، فاستَخرْتُ اللهَ تَعالى في نَقْضِ العَزيمة، ولا يَسَعُك ديناً ومروءةً أنْ لا تَتَدارَك حظِّي منك، وحظَّك منّي بما وَجَدْتَ إليه سَبيلاً، فافعلْ ذلك قبْلَ أنْ أدكُمَ[3] الحالَ بيني وبينك، فأرميَها من عال، فلا تجدَ إلّا فُتاتاً.

وقد كلَّفتُ فُلاناً أشغالاً[4] قِبلَك، ومُهمّاتٍ نُصوِّرُها لك، فلا تألُهُ[5] فيها مَعُونةً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ي: تورية.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «أدكم بالمهملة من الدكم، وهو الدفع في الصدر، يقال: دكمه دكماً، أي: دفعه». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٠٤ (دكم).

(٤) ي: اشتغالاً.

(٥) في النسخ: تألوه، خطأ.

وكنتُ رسمتُ لِفُلان أنْ لا يُخليَني أسبوعاً من كتاب، وإن استطاعَ أنْ يَزيدَ زاد، فجزاهُ اللهُ عن الإنسانيّة جَزاءَه، وأحسنَ عنها عَزاءَه، وإنْ لمْ ترَ أهلاً للمُكاتبة فما وَراءَها عليك قياسٌ، واللهُ المُستعان. ورأيُكَ سيِّدي في إسْعادي بكُتْبِكَ إلى أنْ تُسعِدَني بقُرْبِك، موفَّقاً إنْ شاء اللهُ تَعالى.

وله إلى الشّيخ الرّئيس أبي عامرٍ عدنان بن مُحمّد

مَعاذَ الله لا أشفَعُ[1] لِضاربِ القَلْب[2]، ولا أرضَى له غيرَ الصَّلْب، وأعتقِدُ في دارِ الضَّرْبِ أنّها دارُ الحَرْب، ولكنْ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[3].

وما أرى يَخفى[4] على الشّيخ الرّئيس - أطالَ اللهُ بَقاءَهُ - أنّ ضَرْبَ[5] القَلْب من ضَرَبانِ القَلْب بحيثُ لا يتّسِعُ للرّقيعة، ولا يَتفرَّغُ للوقيعة، ورَضِي من صاحب دارِ الضَّرْب رأساً برأس. لا، ولكنْ هذا البائسُ كان يتعيَّش من دار الضّرْب عِيشةَ أمثالِه من العُمّال، فحُرِمَ منها قُوتَهُ، فهدَّدَهُ صاحبُ دارِ الضَّرْب بإنهاءِ خَبرِه، ونَهاهُ أبو الحَسَن - أيّده اللهُ - ونهيتَهُ، فأبَى إلّا الإصرارَ، وخافَ صاحبُه منه فألصقَ به هذه السِّمَة.

ثم أنا طوعُ الشّيخ الرّئيس السَّيِّد أدام اللهُ عزَّهُ، فإنْ رأى غيرَ ما رأيْتُهُ ووَلّاني قَتْلَهُ[6]؛ تَولَّيتُه، والسَّلام.

---

(١) ي: أتشفّع.

(٢) بعده في ي: الدراهم النحاس. وكتب ناسخ س في الحاشية: «أراد بضارب القلب: ضارب الدراهم من النحاس».

(٣) سورة الحجرات، من الآية ٦.

(٤) ي: لحقي.

(٥) ي: ضراب.

(٦) ي: قبله.

وله

عفا اللهُ تَعالى عنه(١)

قد عَلِم الأستاذُ الزّاهد أنّ أهلَ(٢) هذا الشَّطْر من البلد رَجُلان: هذا مَوْتور وهذا مَسْتور. فمصالحةُ الموتور غنيمة، والظَّفرُ بالمستور هزيمة.

والحربُ(٣) صفقةُ سُوء، الجاسرُ(٤) عليها مَن يربح، والمذبوحُ فيها مَن يُذبح. وقد وضَعَتْ أوزارَها، فالجاني مَن طَلَب ثارَها، والباغي مَن شبَّ نارَها، وقد محا الصُّلْحُ آثارَها(٥).

وفي الجانبَيْنِ رجالٌ مؤمنون، ونساءٌ مؤمنات، مَن لقي اللهَ فيهم(٦) من غير عُذرٍ فقد هَلَك، وإنّما الحربُ عليك أو لك، وتَرْكُ النُّهى في بعض(٧) المواضع أمر، وربّما كان تحت الرّماد جَمْر.

وقد أمسَكَ هؤلاء القومُ، لا عن ظاهرِ ضَعْف، ولا عن بَيِّن عَجْز، فليُمسَك

---

(١) هذه الرسالة في س، ي نسخةٌ مختزلة من رسالةٍ له أولها: «أهل هذا الشطر من البلد رجلان: هذا موتور وهذا مستور...»، وقد جاء نصُّها في ص أوفى وأتمّ فيما رأينا، فاكتفينا بها في ص فأثبتناها منها، مع ذكر الفروق بينها وبين روايتي النسختين الأخريين. والعنوان في ي: وكتبت إليه أيضاً.

(٢) بهذه الكلمة تستهلّ س، ي هذه الرسالة، وتضربان عمّا قبلها.

(٣) ي: والخوف.

(٤) س: الخاسر.

(٥) موضع (فالجاني ...... آثارها) في س، ي: فالباغي من شبّ نارها وقد محا الصلح آثارها، فالجاني من طلب أوزارها (ي: آثارها)، وهي عبارة مضطربة، كما ترى.

(٦) ي: منهم.

(٧) ي: وترك الري في هذا.

أولئك. إنّ الثقة بالصُّلْح شُؤمٌ، والاسْتظهارَ بالرِّيحِ خُرْقٌ[1]، فكم رأينا الشمالَ هَبّتْ جَنوباً، ووَجَدْنا الخَبر قد صَحَّ مَقْلوباً، وسَمِعنا بالقاتلِ فوَجدناهُ قتيلاً، وبالطّمَعِ استحكمَ لم يُصِب فَتيلاً[2]. لَعلّ اللهَ يَصونُنا[3]، فإنْ رأيتَ أيّها الفقيهُ - أدام اللهُ عزّك - أنْ تصونَنا[4] في هذه الأيّام الكرام، وهذا الشهر الحرام، عن[5] الدَّم الحرام، فعلتَ إنْ شاء اللهُ تعالى[6]، والسَّلام[7].

---

(١) ص: خرف.

(٢) الفتيل: ما يخرج من بين الإصبعين إذا فتلتهما، والفتيل: السحاة في شق النواة. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٥١٤ (فتل). وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾. سورة النساء، من الآية ٤٩.

(٣) (فليمسك ...... يصوننا) ساقط في س، ي.

(٤) (فإن رأيت..... تصوننا) ساقط في ص.

(٥) ي: من.

(٦) (فعلت إن شاء الله تعالى) ساقط في ص.

(٧) كلمة التسليم سقطت في ي.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ الرّئيس أبي عامر[1]

لم يكنْ - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس السَّيِّد - على عَهْدِ رَسول الله صلّى الله عليه وسلَّم للأنصار والمُهاجرين، ما في وَقْتِنا هذا للمُؤاجِرين[2]، وما جازَ لعِلْيَة الأصحاب، ما يجوزُ الآنَ لأزواج القِحاب.

وقد نبَغَتْ نابغةٌ، ونجمَتْ زنابغة[3]، لا يَرُدُّ رؤوسَهم شيء، فلو شاءَ الشّيخ الرّئيس - أطال اللهُ بقاءَهُ - أراحَني منهم، وأغناني عنهم.

وقد كثُر تردُّدُ أصحابي إلى فُلان، فما يُعيرُهم إلّا أُذناً صمّاء أو ناباً أصمَّ، وإنَّما يَتولّى[4] حارَّها مَن تولّى قارَّها[5]، ومَن لم يَتولَّ[6] مَنافِعَها لمْ يَتولَّ مَضارَّها، وإنْ كان لا بُدَّ من صاحبٍ[7] يُثقِّلُ[8]، فعلَّ غيري من النّاس، على هذا القياس، إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(١) ي: وله، ص: وكتب إليه أيضاً.

(٢) تقدّم تعريف المؤاجرة في ص٦١.

(٣) قال الشيخ الأحدب: لم أجد لهذه المادة معنى في كتب اللغة التي بين يدي. ولعله محرف من زغازغة جمع زغزغ كهدهد، وهو القصير الصغير والولد الصغير، والزغزغة: ضعف الكلام والسخرية، وهي مناسبة للمعنى المراد، لأن معناه: ظهرت جماعة صغار، ويعني به أنهم صغار المقدار كالأولاد. وأؤكد كلام الشيخ الأحدب، فقد بحثتُ كثيراً في مظانّ مختلفة ومعاجم متنوعة، فلم أجد هذه اللفظة.

(٤) ي: تولّى.

(٥) قاله عمر بن الخطاب أو الحسن بن علي، وذهب مثلاً، ويعني: احمل ثقالك على مَن انتفع بك. الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٦٩؛ الزمخشري، المستقصى، ج٢، ص٣٨١.

(٦) ي، هنا وفي الموضع الآتي: يولّ.

(٧) ي: صحاب.

(٨) الضبط من س. وفي ي: ينقل.

وله

وكتَبَ به[1] إلى الشّيخ أبي الحسين[2] أحمد بن فارس
جواباً عن كتابٍ كان وَرَد عليه منه يذُمُّ الزَّمانَ فيه ولا يشكرُه[3]

نَعَم - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الإمام - إنّه الحمَأُ المَسنُون، وإنْ ظُنَّت الظُّنون، والنّاسُ يُنسَبون[4] لآدم، وإنْ كان العَهْدُ قد تَقادَم، وارتبكتِ[5] الأضدادُ، واختَلط الميلاد.

والشّيخُ الإمامُ يقول: فَسَد الزَّمان، أفلا يقول: متى كان صالحاً؟ أفي الدَّوْلةِ العَبّاسيَّة؟ فقد رأينا آخِرَها وسمِعْنا أوَّلَها! أم المُدَّةِ المَرْوانيَّة[6]؟ وفي أخبارها ما يكسع[7] الشولَ بأغبارِها[8]! أم السنين الحربيَّة[9]؟

---

(١) (وكتب به) من ي فقط.

(٢) في النسخ الثلاث: الحسن. تحريف، فهو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) وهو من أئمة اللغة والأدب، ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر، ج٣، ص٤٦٣؛ ياقوت، معجم الأدباء ج١، ص٤١٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٧٤٦؛ وللأستاذ عبد السلام هارون ترجمة له في مقدمة تحقيقه لكتابه (معجم مقاييس اللغة).

(٣) العنوان من ص، ي. ونصه في س: وكتب إلى الشّيخ أبي الحَسَن أحمد بن فارس، جواب كتاب ورد منه.

(٤) من ص.

(٥) ي: وركبت.

(٦) نسبةً إلى مروان بن الحكم.

(٧) ص: لا تكسع، ي: لا يتسع. وسيشرحها ناسخ س في ص٣٥٧.

(٨) ي: بأعندها.

(٩) نسبةً إلى معاوية بن أبي سفيان بن حرب.

والــرُّمْحُ يُركَــزُ في الكُــلى　　　والسَّـيْفُ يُغمَـدُ في الطِّــلى

ومَبيــتُ حُجْــرٍ في الفَــلا　　　والحرَّتــانِ وكَــرْبَلا

أم البَيْعـةِ الهاشـميَّة ؟ وعـليٌّ يقـول: ليـتَ[1] العَشَـرة مِـنكم بِـراس، مـن بَنـي فـراس ! أم الأيّـام الأمويَّـةِ ؟ والنَّفـيرُ إلى الحجـاز، والعُيـونُ إلى الأعجـاز ! أم الإمـارةِ[2] العَدَويَّـة[3] ؟ وصـاحبُها يقـول: وهـل بَعْـدَ البُـزول[4]، إلّا الهُـزول[5] ! أم الخِلافـةِ التَّيْميَّـة[6] ؟ وهـو يَقـول: طُـوبى لمـن مـاتَ في نَأْنـأة[7] الإسـلام ! أم عـلى عَهْدِ الرِّسالة ؟ ويوم الفتح، قيلَ: اسكُتي يا فُلانه، فقد ذهَبت الأمانة ! أم في الجاهلية ؟ ولَبيدٌ يقول:

ذهَـب الـذينَ يُعـاشُ في أكنـافِهمْ[8]　　　وبَقِيتُ في خَلْـفٍ كجلـد الأجـربِ[9]

أم قبلَ ذلك ؟ وأخو عاد يقول:

---

(١) (علي يقول ليت) من ي.

(٢) ص: الإمارات، ي: العمارة.

(٣) نسبةً إلى الخليفة عمر بن الخطاب العَدَوي القرشي.

(٤) س، ي: النزول، ولا معنى له. والبزول: قمة القوة.

(٥) ص، ي: النزول. وإنما هو الهزال، فلعلّه راعى المزاوجة.

(٦) نسبةً إلى الخليفة أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة التَّيْمي القرشي.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «أهل النأنأة: الضعف، وطوبى لمن مات في نأناة الإسلام، أي: أول الإسلام».

(٨) سقط صدر البيت في ي.

(٩) ديوان لبيد، ص٢٤.

بِـــلادٌ بهـــا كُنّـــا[1] وكُنّـــا نُحِبُّهـــا إذِ النّـــاس نـــاسٌ والزّمـــانُ زَمـــانُ[2]

أم قبلَ ذلك ؟ ورُويَ عن آدمَ عليه السَّلام :

تغـــيَّرت الـــبِلادُ ومَـــن عَلَيهـــا ووَجْـــهُ الأرضِ مُغْـــبَرٌّ قبـــيحُ[3]

أم قبـلَ ذلـك؟ فقـد قالـت الملائكـة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[4] ! وما فَسَد النّاس، وإنَّـما اطَّـردَ القيـاس، ولا أظلمـت الأيـام، وإنَّـما امتـدَّ الظّلام، وهل يَفسُدُ الشيءُ إلّا عن صَلاح، ويُمسي المرءُ إلّا عن صَباح؟

ولَعمري، لئن كان كرَمُ العَهْدِ كِتاباً يَرِدُ وجَواباً يَصدُرُ، إنّه[5] لَقريبُ المَنال، وإنّي عـلى على تَوْبيخه لي لفقيرٌ إلى لِقائه، شَفيقٌ على بقائه، مُنتسِبٌ إلى وَلائه، شاكرٌ لآلائه، لا أُحلُّ حَريداً عن أمْره، ولا أقِفُ بعيداً عن قَلْبه، ما نَسِيتُهُ ولا أنساه، إنّ لـه - أيّـده الله - عـلى

---

(١) (بها كنا) تحرّفت في ي: الصنابها !

(٢) قال الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الكوفي، وهو راوية وأخباري، كان مختصّاً بمجالسة الخلفاء: المنصور والمهدي والهادي والرشيد: استُعملت على صَدَقات بني فَزارة، فجاءني رجلٌ منهم فقال: أريك عجباً؟ فقلتُ: بلى، فانطلق إلى جبل شاهقٍ فإذا فيه صدع، فقال لي: ادخل، فقلت: إنما يدخل الدليل، قال: فدخل، فاتبعته، ودخل معنا أناس... وإذا خَرْقٌ ذاهبٌ في الأرض، وإذا عكاكيز في الجبل، فجذبناها فإذا هي سهام عاد، وإذا كتابٌ منقور في الجبل، وهو بالعربية، وهو:

ألا هل إلى أبيات سفح بذي اللّـوى لوى الرّمل فاصدقن النفوس معـادُ

بـــلادٌ لنـــا كانـــت وكنّـــا نحبّهـــا إذ النـــاسُ نـــاسٌ والـــبلادُ بـــلادُ

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١١١. وقد أبدل الهمذاني (والبلاد بلاد) بقوله: (والزمان زمان).

(٣) هكذا تنسبه معظم المصادر إلى آدم عليه السلام. انظر على سبيل المثال: البصري، الحماسة البصرية، ج١، ص٢٠٤؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج١١، ص٣٧٨.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٣٠.

(٥) ص: إنا.

كلِّ نِعمةٍ خَوَّلنيها اللهُ ناراً، وعلى كلِّ كلمةٍ[1] عَلَّمنيها مَناراً، ولو عرَفتُ لِكتابي مَوقِعاً من قَلْبه لاغتنمتُ خِدْمتَهُ به، ولرَدَدْتُ[2] إليه سُؤرَ كاسِه، وفضلَ أنفاسِه، ولكنّي خَشيتُ أنْ يقول: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾[3]. وله - أيّده اللهُ - العُتْبى، والمودَّةُ في القُرْبى، والمِرباعُ، وما نالهُ الباعُ، وما ضَمَّهُ الجِلْدُ وضَمِنَهُ المِشْط،

وليستْ رضايَ .... ولكنَّها جُلُّ ما أملِكُ[4]

واثنتان - أيّده الله - قلَّما تجتمِعان: الخُراسانيَّةُ والإنسانيَّة، وأنا[5] وإنْ لم أكنْ خُراسانيَّ الطِّينة، فإنّي خُراسانيُّ المدينة، والمرءُ من حيثُ يُوجَد، لا من حيث يُولَد، والإنسانُ من حيثُ يَثبُت، لا من حيثُ يَنبُت، فإذا انضافَ إلى خُراسان، وِلادةُ هَمَذان؛ ارتفعَ القلمُ، وسقَط التكليف، و«الجُرحُ جُبار»[6]، والجاني حمار، ولا جَنَّة ولا نار، فليحتمِلْني[7] الشّيخ على هَناتي، أليس صاحِبُنا يقول:

لا تَلُمْني على رَكاكةِ عَقْلي إنْ تيَقَّنتَ أنّني هَمَذاني

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه حكمة».

(٢) ي: ولترددت.

(٣) من الآية ٦٥ من سورة يوسف.

(٤) أخلّت النسخ بهذا البيت، الصدر خصوصاً، على ما ترى، كأن الهمذاني أخطأ فيه ولم يحفظه، وجاء على الصواب في يتيمة الدهر للثعالبي، وقد أورد هذه الرسالة:

ووالله ما هي عندي رضا ولكنّها جُلّ ما أملكُ

ج٤، ص٣١١.

(٥) ساقطة في ي.

(٦) مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «العجماء جرحها جبار»، المرويّ في صحيح البخاري (٦٩١٢)؛ وصحيح مسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة.

(٧) ي: فليحملني، وهو تحريف فاسد.

وكَتَب[1] إلى القاضي أبي الحسين عليِّ بن عليّ

أنا أمُتُّ إلى القاضي - أطالَ اللهُ بَقاءهُ - بقَرابة، إنْ لمْ يكن عربيّاً، فأبي وأبوهُ إسماعيل، وعمِّي وعمُّهُ إسرائيل. فإنْ لم تجمَعْنا هذه الرَّحِم، فبآدمَ عليه السَّلام نَلْتحم. وأُدِلُّ عليه بذمَّةِ[2] جِوار، هو خُراسانيّ، وأنا عراقيّ، وليس بينَ الدّارَين، إلّا مَسيرةُ شَهْرَين، وعُبورُ نَهْرَين.

وقد رافقْتُه في الدَّرِّ، وصاحبتُه في المُستودَعِ والمُستقَرّ، وعاشَرتُه في الجُنود، وشاركتُه في الخُلود، ولا بُعْدَ أنْ أُشرِّقَ ويُغرِّبَ بتَجْديد[3] العَهْد ويطوي المعرفة، وأدْنى هذه الوسائل، بُلغةُ السّائل، أنّه ليست الوسيلةُ جَملاً[4] له سَنامان، ولا هَوْدجاً فيه غُلامان، ولا شيئاً يُجلَبُ من البحْر، فيُعلَّقُ في النَّحْر، إنَّما هي العِشْريَّةُ والبَلَدِيَّة، والجِوارُ والعَصَبيَّة، وإنّا[5] قد أخَذْنا بحَمْدِ الله من كلٍّ بحَظٍّ[6].

ولي مع الشَّيخ أبي نَصْر دَوْس قصَّةٌ في ضَيْعةٍ كرَمُهُ بالإحسان فيها زَعيم، ورُبَّما ارتقت إلى القاضي - أيّده الله - وبعضُ الظَنِّ إثْم، ولكنّ بعضَ الإثْم حَزْم.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ساقطة في ص.

(٣) ي: يتجدد.

(٤) ي: جمل، بالرفع، خطأ.

(٥) عبارة ي: وهو أنا.

(٦) ي: بخيط.

وبلَغني أنّ القاضيَ - أيّده الله - يُريد أنْ يُسجِّل[1]، فأريدُ أنْ لا يُعجِّل، حتى أحضُرَ فَينْظر كيفَ الخصومة، وأنظر كيفَ الحكومة، فالحكمُ رأيُهُ سَعيد، وهو رأس أسْعد، والشَّيطانُ مع الواحِد، وهو من الاثنين أبْعد، والسَّلام[2].

(١) ي: يستحيل.

(٢) من: ص، ي.

وله أيضاً[1]

إلى الشّيخ الرّئيس أبي عامرٍ عدنان بن مُحمّد

أشهَدُ، لو خُيِّرَ الشّيخُ الرّئيس - أطالَ اللهُ بقاءَهُ - لما اختار فَوقَ ما اختيرَ له، ولما في الغيْبِ أكثرُ ممّا في الجَيْب، ولما بقي أحسنُ ممّا لقي.

هذا الأميرُ عُمْدةُ الدَّوْلة[2] أبو إسحاق مَلِكُ العِراقَيْنِ بالأمس، وأشهَر بهما من الشّمس، ما أظُنُّ اللهَ تَعالى أخَّر مُدَّتَه، إلّا ليَحذرَ شِدَّتَه[3]:

وزاد الإلـهُ[4] صـيتَهُ اليـومَ[5] سُـؤدداً   وذلـك مجـدٌ يمـلأُ العـينَ واليَـدا

لـك اليـومَ أسبابُ السّمواتِ مظهـرٌ[6]   ومـا اليـومُ ممّـا أنـتَ بالِغُـهُ غَـدا

عُمدةُ الدَّوْلة أخو عزِّ الدَّوْلة ابنُ مُعزِّ الدَّوْلة، ابـن أخـي: عـمادِ الدَّوْلـة، ورُكْـنُ الدَّوْلة، وابنُ عمّ: عَضُدِ الدَّوْلة، ومُؤيِّدِ الدَّوْلة، وفخـرِ الدَّوْلـة، وعـزُّ الملـوكِ الغُلْـب، والجبالِ الشُّمْخ، والنُّجومِ المُثْل، والبُحورِ الطُّفْح، شَرابٌ مَـن ذاقـهُ أَخَّـخ[7]، وصِـيتٌ مَن سمِعَهُ بَخْبَخ[8]، وشرَفٌ مَن نالَهُ أَرَّخ.

---

(١) س: وكتب. وما هنا من: ص، ي، لتكرار اسم المرسل إليه قبلُ.

(٢) أحد الأمراء البُوَيهيين، وسيعرّفه الهمذاني بعد قليل.

(٣) ي: شرته، وبعدها: يتسا (كذا).

(٤) س: الله.

(٥) من ص.

(٦) ي: مظهراً.

(٧) ي: أذحج. أخّخ: صاح (آخ) من الألم والوجع.

(٨) أي قال: بخٍ بخٍ، وهو أسلوب مدحٍ وإعجاب عند العرب.

عَمْري، لقد زان اللهُ هذا البيتَ بكلِّ زينة[1]، وساقَ إليه العزَّ من كلِّ مدينة، وما أحوجَ هذا البيتَ إلى عمادٍ من الشُّكْر وَثيق، وما أفقَرَ هذه النِّعْمةَ إلى حَرَسٍ[2] من الصّدقاتِ كثير. إنّ اللهَ قد احتَجَّ على هذه الأمّةِ بهذا البَيت الكبير، واحتجَّ على هذا البيتِ الكبير بهذا الأمير.

عرَفَ الأميرُ كيف يُجاوِرُ النِّعَم وينفي[3] الغِيَر، وعرَّفكم أنّ النِّعْمةَ إنْ لم تُعمَّدْ بالشّكر لم يؤْمَنْ زوالُها، فالسّعيدُ مَن وُعِظ بغيره[4]. ألا وإنّ في صَدْري لَغُصَّة، وإنّ في رأسي لَقِصَّة، وإنّ لكلِّ مُسلِمٍ فيها لحِصّة، وإنّ في هذا المقام فيها لَفُرْصة[5].

قد سمِعَ الشّيخُ الرّئيسُ أخبارَ عَضُدِ الدَّوْلة أبي شُجاع[6]، وما أوتيَ من بَسْطةِ مُلْكٍ وباع، ويدٍ في الفُتوحِ صَناع، وخَطْوٍ في الخُطوبِ وَساع، إنْ كان ليقولُ: مَلِكان في الأرضِ فَساد، وسَيْفانِ[7] في غِمْدٍ مُحال، ولمْ يرضَ أنْ يَليَ الأرضَ بطاعةٍ مَعروفةٍ حتى يَجْعَلَها قبْضتَه، فأعَدَّ للبحر مَراكب، وللبرّ مَصانع، وللحُصونِ مَكائد، وكادَ وهمَّ، ولو عُمِّرَ لَتَمَّ.

ثم عَجز - والقُدرةُ هذه - أنْ يعمُرَ التُّربتَينِ الخبيثتين، أو يُصلحَ البَلْدَتين

---

(١) ي: رتبة.

(٢) ي: جهر.

(٣) ي: ويبقي.

(٤) انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٥١٢.

(٥) ي: لفرجة.

(٦) فنّاخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي، أحد أهم أمراء البُوَيْهيين، استطاع دخول بغداد والتحكّم بالدولة العباسية، وظل كذلك إلى أن مات سنة ٣٧٢هـ. انظر بعض جوانب سيرته عند: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٤٠٤؛ والذهبي في كتابيه: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٣٧٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٩.

(٧) ي: وسفيان !

المشؤومتَيْن: قُمّ والكُوفة[1]، فعُلِم أنّ ذلك لخُبْثِ نِحْلتهما، فهمَّ أنْ يَسبيَ ويُبيح، ثم فَرَضَ الجِزْيَةَ عليهم أو يُقيموا التَّراويح[2].

ورَجَع صاحبي آنفاً من هَراة، فذكَر أنّه سمِع في السُّوقِ صبيّاً يُنشِدُ أنّ مُحمّداً وعليّاً لعَنا تَيْماً وعَدِيّاً، فقلتُ[3]: إنّ العامَّةَ[4] لو علِمت مَعنَى تَيْم وعديٍّ لكفَتْني شُغلَ الشِّكاية، ووليَّ النِّعْمة شُغلَ الكِفاية. ويلَ أمِّ هَراة، أنَصبَ الشيطانُ بها هذه الحِبالة، وصِرْنا نشكُو هذه الحالة؟ والله ما دخلَتْ هذه الكلمةُ بلْدةً إلّا صُبَّتْ عليها الذِّلّة، وفُسِختْ عنها الملّة، ولا رضِيَ بها أهلُ بلدةٍ إلّا جعَل اللهُ الذُّلَّ لِباسَهم، وألقى بينَهم باسَهم. هذه نَيْسابُور، منذ فَشَتْ فيها هذه المقالةُ في خَرابٍ واضطراب، وأموالُها في ذَهابٍ وانتهاب، وأسواقُها في[5] كَسادٍ وفَساد، وأسعارُها في غَلاءٍ وخَلاء، وأهلُها في بَلاءٍ وجَلاء، ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[6].

وهذه قُهُسْتان[7]، منذ فَشَتْ فيها هذه المقالة جُعِلتْ مأكلةَ النُّغَص، ونُجعةَ الأكدار[8]، ولُحمةَ السَّيف، ومَزارَ السِّنان، مرَّةً يُهدَمُ سُورُها، ومرّةً تُنهَبُ دُورُها، وتارةً

---

(١) ربما وصفهما الهمذاني بالمشؤومتين لأن أكثر أهلها من غلاة الشيعة. وسيذكر الكوفة خصوصاً بعد صفحتين. لكن لا أدري ما المقصود بالتربتين الخبيثتين، فمن المستبعد أن يكون قصده تربة علي بن أبي طالب، وتربة فاطمة بنت موسى الكاظم في قم.

(٢) هذه الأخبار لم أجدها فيما اطّلعت عليه من المصادر التاريخية. وهي أخبارٌ يرفضها الواقع التاريخي، حيث إن عضد الدولة كان يعتنق المذهب الشيعي، فكيف يقوم بهذه الأفعال!

(٣) ي: فعلمت.

(٤) ص: العمامة.

(٥) ساقطة في ص.

(٦) سورة التوبة، الآية ١٢٦. والكلمات الثلاث الأولى من الآية ليست في ص، ي.

(٧) تعني أرض الجبال، وهي ناحية من خُراسان، يتصل طرفها بنواحي هراة، ثم تمتد في الجبال طولاً حتى تصل بنهاوند وهمذان وبروجرد، أي هي الجبال التي بين هراة ونَيْسابور. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٦.

(٨) ي: الأكراد.

تُقتَلُ رِجالُها، وأُخرى تُهتَكُ حِجالُها[1]، فالشّيطانُ لا يَصيدُ هَراةَ صَيداً، إنّما يَستدرجُها رُوَيداً.

وهذه الكوفةُ ممّا اختطَّ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطّاب رضيَ اللهُ عنه، وما ظَهَر الرَّفْضُ بها[2] دَفْعة، ولا وَقَع الإلحادُ فيها وَقْعة، إنّما كانَ أوّلُهُ النِّياحةَ على الحسين بن عليّ عليهما السلام[3]، وذلك ما لمْ يُنكِرْهُ الأنام[4]، ثم تناولوا[5] معاويةَ فأنكرَ قومٌ وتساهلَ آخرون، فتدحرَجُوا إلى عُثمان، فنَفرتِ الطِّباع، ونَبتِ الأسماع، وكان القِراعُ والوِقاع، حتى مضَى ذلك القَرْنُ، وخَلَف من بعدهم خَلْفٌ لم يحفَظوا حُدودَ هذا الأمْر، فارتقى الشَّتْمُ إلى يَفاع، وتناولَ الشّيخين رضي اللهُ عنهما[6].

فلْينظُر النّاظرُ أيَّ[7] زَنْدٍ قَدح القادحِ، وأيَّ خَطْبٍ بلَغ النّائح؟ لا جَرَمَ أنّ الله تَعالى سَلَّط عليهم السَّيْفَ القاطع، والذُّلَّ الشامل، والسُّلْطانَ الظّالم، والخَرابَ المُوحِش، ولـما أعدَّ اللهُ لهم في الآخرةِ شرٌّ[8] مَقاماً.

وأنا أُعيذُ بالله هَراة أنْ يجدَ الشّيطانُ إليها هذا المجاز، وأُعيذُ الشّيخَ الرّئيسَ أنْ لا يهتَزَّ لهذا الأمرِ اهتزازاً يَرُدُّ الشيطانَ على عَقِبه.

---

(١) الحجال: جمع حجلة بالتحريك، وهي ستر يمد فوق ما يصنع من قصب ونحوه وتكون في داخله النساء، ويراد بهتك الحجال: افتضاح من فيها ومسه بالسوء. كشف المعاني، ص٤٢٥.

(٢) ص: بهما.

(٣) س، ص: رضي الله عنهما، وما هنا من ي، وهو اللائق بالسجعة.

(٤) ي: يتلوه للأيام.

(٥) ي: ينالوا.

(٦) ي: رحمهم الله تعالى.

(٧) في الأصول: أية. والزند (مذكّر) والزندة (مؤنّث): خشبتان يُستقدح بهما، الأعلى زند، والسفلى زندة. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٩٥ (زند).

(٨) ص: شراً، خطأ.

وله تَجاوَز اللهُ تَعالى عنه[1]

الخيرُ - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ - مَحلُّ الدِّين، وهو على الشِّمالِ، والرُّوحُ على اليَمين.

ويَعلَمُ ما عليَّ من فرائضِ النّفقَة ونوافل المُروءَة، كما يَعلَمُ ما لي من وُجوهِ الدَّخْل وأبوابِ المنافع. وقد وَرَد غُرَمائي من مَوضِع كذا وعليهم تَبِعاتٌ ديوانيَّة، وحُقوقٌ سُلطانيَّة، فماذا تأْمُرُ أنْ أصنَع؟ وفيمَ تَرى أنْ أشرَع؟ وبماذا تأمُرُ أنْ أقْنَع[2] ولو رأيتُ لمحنتهم آخراً لَصبرتُ[3] حتى يَستوفيَ الدِّيوانُ حقَّه.

على أنّ عَهْدي بالشّيخ الجليل[4] أنْ لا يُؤخِّرَ مالي عن مالِ السُّلْطان، ولا يَقعُدَ بحقّي عن حُقوقِ الدِّيوان، وإنْ ألقيتُ دَلْوي في الدِّلاء، وأمدَّني الشّيخُ الرئيسُ[5] ببعض الاعتناء، قَضمتُ إلى أنْ أخضِم، وقَنصتُ إلى أنْ أقبض، وتَطرَّفتُ حتى يُمكِنَ التوسُّط، وإنْ خذَلني فقديماً نَصَر، وطالما راش وطيَّر، وأنا أنشُدُه اللهَ وعَهْدَ[6] صَديقِه الكريم العزيز، ثم واجبَ خادمِه السّامعِ المُطيع، فما[7] أقدَرَه إنْ نَشِط[8]، والسَّلام[9].

---

(١) ص: وله إليه أيضاً.

(٢) (وبماذا ..... أقنع) من ي.

(٣) ص: آخر الصبر.

(٤) ساقطة في ص.

(٥) من: ي.

(٦) عبارة ص: أنشد الله وعد.

(٧) ي: بما.

(٨) ي: بسط.

(٩) من ص.

وله

عَفا اللهُ تَعالى عنه ورَحِمه[1]

الماءُ[2] - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ - إذا طال مُكثُه ظَهَر خُبثُه، وإذا سَكَن متنُه تحرَّكَ[3] نَتْنُه. وكنتُ من قبلُ أُصان عن قَبيح الابتذال، وأصونُ نفسي عن شَطَطِ السّؤال، فأصبحتُ – ولله الحمد – يَطأُني الخطأُ والعَمْد.

والأميرُ أبو القاسم قد أخَذ وَكيلي فقيَّده[4] بعِلّةٍ[5] أنّ رجلاً ادَّعى أنّ ابنَه تعرَّض لامرأتِه، ولا أظنُّ أنّ أحداً ادَّعى هذا ولا خَلَق اللهُ له أصلاً، وإنْ كان قد حضَر خصمٌ فالحُكمُ في ذلك أنْ يُجلَد ثمانينَ، حدَّ المفتري.

أفيَرْضى الشّيخُ الرّئيس - أدام اللهُ عزَّه - لي هذه الخُطّة ؟ واللهِ ما أجدُني إلّا أصدقَ ولاءً[6]، وأنصَعَ ثناءً، أفكلّما قَدُمْتُ صُحْبة رَجعَتْ رُتبة ! أم كلّما طالت خِدْمة قصُرت حِشْمة ! أسألُ اللهَ حُسنَ الخاتمة، والسلام[7].

---

(١) هذه الرسالة برمّتها ساقطة في ص. والعنوان في ي: وله أيضاً.

(٢) ي: المال.

(٣) ي: تحوّل.

(٤) ي: ففنّده.

(٥) ي: بعده.

(٦) ي: لو أنصع.

(٧) من: ي.

وله

تغمَّده اللهُ تَعالى برحمته[1]

أنا - وأنا غَرْسُ الشّيخ الرّئيس - أُلَفُّ العِمامة، على فُضولٍ لا تُقلُّها جبالُ تِهامة، ثم أسبَحُ في الماءِ الغزير، ثم أعتضِدُ بالأميرِ والوَزير، ثم أستظهِرُ بسِجلِّ القاضي، ثم الشّيخ الرّئيس المتغاضي[2].

ثم لا حولَ ولا حيلة مع ابن جَميلة[3]. العارُ - والله - والنّار، والقتلُ والدّمارُ[4]، والثارُ والتُّرابُ المُثار. عزَّ والله ابنُ جَميلةَ أنْ عازَّ اللهَ ورَسولَهُ، ثم أدركَ سُؤلَهُ، إنّ امْرَأً ترجَحُ كِفَّتُهُ على كِفَّةٍ فيها خَصْمُهُ، والإسلامُ وحُكْمُهُ، والسُّلْطانُ وأمْرُهُ، والوزيرُ وشَفاعتُهُ، والرّئيسُ وعنايتُه، لَموفورُ الحظِّ من الجلالة، وإنّ خَصْمَهُ لَبعيدُ الضَّرْب في الضَّلالة.

عَجَباً لذلك الخبيث، وأفٍّ من هذا الحديث، ولا أُعاودُ بعدَها الشّيخَ الرّئيس، والسَّلام.

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) كتب ناسخ س الضاد في هذه الكلمة: ظاءً.

(٣) كأن ابن جميلة هذا رجلٌ أساء الصحبة مع بديع الزَّمان. والحول هو الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف، كالاحتيال والتحول والتحيل.

(٤) ي: والقتلى والزنار.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ الرّئيس عدنان بن مُحمّد[2]

عَجِب النّاس – أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس – من ثَلاثةٍ، وهُنَّ: فَرْحةُ القَوّاد، وغَضْبةُ الجلّاد، ونَشاطُ السُّهاد.

والاستدراكُ على أبي الحسَن ابنِ غِياث، أعجبُ من هذه الثلاث. واعجباً، أتريدُ جهنَّمُ حَطَباً ! واعجباً، أيريدُ أسوأ منها مُنقلباً ! والله ما بجَريحِ أبي الحسَن[3] جِراك، ولا على شَفقةِ أبي الحسَن استدراك، وما أظنُّ الملائكةَ تحصِي إحصاءَهُ، ولا تبلُغُ الزّبانيةُ استقصاءَه[4].

وتَدَكْدَكَتْ[5] تلك القَريةُ بالرَّجّالةِ والفُرسان، واستُلَّ نَصيبُها من العَدْل والإحسان. ولا عليه – أيّده الله – أنْ يَحتَمِلَ غلَطاتِ أبي الحسَن[6] فيجعَلَ ما أصّلَهُ قانوناً ليعجِّل أذاءَه[7]، ويَحسِمَ داءَهُ، فأستَريحَ وأُريح.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) بدّل ناسخ ي عنوان هذه الرسالة، فجعله للتي تليها، والعكس بالعكس، فوضع رسالة الإباق الآتية قبل هذه.

(٣) ي: الحسين.

(٤) هاتان كنايتان زاد فيهما أبو الفضل وبالَغَ.

(٥) ي: وتذكرت.

(٦) ي: الحسين.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: ليقمع».

وله - تَجاوَز اللهُ عنه[1] - إليه أيضاً

أبَقَ - أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - عَبْدان، أحدُهما: الذي أُنبتَ عليه شجرةٌ من يَقطين[2]، والآخرُ الذي قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[3]. فأُنجيَ هذا من الظُّلُمات، ومُدَّ لِذلك في الحياة، فعُرف لكلٍّ على[4] مقدارِ حقُّ خِدْمته.

وأنا أمُتُّ إلى الشّيخ الرّئيس - أطالَ اللهُ بَقاءَهُ - لِيستأْنِفَ الوُدَّ، فإنْ كان قد عرَض في البَينِ عارضُ العَين، وأعُدُّني وليّاً من أوليائه، فهَبْني الآنَ عدوّاً من أعدائه. ليس الشّيخُ الرّئيس في تلك الأسباب، وخَرابُ تلك الضِّياعِ شِفاءُ صَدْر، ولا لي[5] في بَقائها زيادةُ قَدْر. فإنِ استطاعَ أنْ يُحسِنَ فيها الخِلافةَ فَعَل.

---

(١) كلمة الدعاء ساقطة في ص، ي.

(٢) هو يونس عليه السلام، وخبر شجرة اليقطين في سورة الصافات الآية ١٣٩.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٢. والمعني: إبليس، كما هو معروف.

(٤) حرف الجر من ي.

(٥) شبه الجملة من ي.

وله إليه أيضاً[1]، تَجاوَز اللهُ تَعالى عنه[2]

ولما وقَع بخُراسانَ ما وقَع من حَرْب، وجرَى ما جرَى من خَطْب، واضطرَبتِ الأمور، واختلفتِ السّيوف، والتقَتِ الجُموع، وظَفِر مَن ظَفِر، وخَسِر مَن خَسِر، كتَبني اللهُ في الأعلَينَ مَقاماً، ثم ألْـهمني من الامتدادِ عن تلك البِلاد، والإقلاعِ عن تلك البِقاع.

واعترَضَتْنا في الطّريق الأتراك[3]، وأحسنَ اللهُ الدِّفاعَ عن خير الأعلاقِ وهو الرّاسُ، بما دونَ الأعراضِ وهو اللِّباسُ، فلم نجزَعْ لمرضِ الحال، مع سَلامةِ النُّفوس، ولمْ نحزَنْ لذَهاب المالِ، مع بقاءِ الرّؤوس، وسِرْنا حتى وَرَدنا عَرَصةَ العَدْل، وساحةَ الفَضْل، ومَرْبعَ[4] الحمْد، ومَشْرَعَ المجْد، ومَطْلَعَ الجُود، ومَنْزِعَ الأصْل، ومَشْعَرَ الدِّين، ومَفْرَعَ الشُّكْر، ومَصْرَعَ الفَقْر، حَضْرةَ الملِكِ العادلِ أبي أحمدَ خلَف بنِ أحمد[5]، فكانَ ما أضعناهُ، كأنّا زَرَعْناهُ، فأنبَت سَبْع سَنابل، وكانَ ما فقَدناهُ، كأنّا أقرضْناهُ[6].

هذا الملِكُ العادل، وكأنّما سُمّي خَلَفاً، ليكون عن كلِّ فائتٍ خَلَفاً، وعن كلِّ ما مضَى عِوَضاً، وكأنّما جئْناهُ ليُضيّقَ علينا العالَم، ويُبغِض إلينا بَني آدمَ، فيجعَلَ حَبْسَنا سِجِسْتان، وقيدَنا الإحسان، وكأنّما خُلِقَ للدّنيا تَجميلاً، وللملوك تَخجيلاً، وكأنّ هذا العالَمَ قد أحسنَ عَمَلاً، فجُعِل هذا الملِكُ ثوابَه. وكأنّ هذا المُلْكَ قد أذنَبَ مَثلاً، فجُعِل

(١) من ص.

(٢) الدعاء ليس في ص.

(٣) ي: الأنزال.

(٤) ي: ومرتع.

(٥) تقدّم التعريف به في ص ٢٥٧.

(٦) ي: افترضناه.

هذا العالمِ عقابَهُ، وكأنّه جسمٌ والعَرَضُ عُفاتُهُ[1]، وكأنّه ذاتُه والمكارمُ صِفاتُه، فهو البَحْرُ يَمشي على رِجْلين، والمجدُ يُتصوَّرُ في العَين، والعدلُ يتقسَّم[2]، والجُودُ يتجسَّم، والنّجمُ يتكلَّم.

فلمّا التقينا فرَشتُ الأرضَ بيَدي فَرْشاً، ونقَشتُ التُّرابَ بفَمي نَقْشاً، وخَطا إليَّ خُطُواتٍ كادت الأرضُ لا تَسَعُها، وكادت الملائكةُ تَرفَعُها. ثم إنّه زيَّفَ بلُقيايَ وُفودَ الكلام، كما زيَّفتُ بلُقياهُ مُلوكَ الأنام، وأفسدني على النّاس من جَميع الأجناس، فما أرضى غيرَهُ أحداً، ولا أجِدُ مِثلَهُ أبداً، وإنْ طلَبتُ مَلِكاً في[3] أخلاقِهِ، مُتُّ ولم أُلاقِه، أو كريماً في جُودِهِ، عُدِمتُ قبلَ وُجودِهِ.

فحرَسَ اللهُ سُلطانَهُ من مَلِكٍ وَسَّع أرزاقي، فَضيَّقَ أخلاقي، وأغلَى ثَمني فما يَشتريني أحد، وعظَّم أمري فما يَسَعُني بَلَد. وهذا وَصْفٌ إنْ أطلتُهُ طالَ، ونَشَرَ الأذيالَ، واستغرقَ القِرْطاسَ، بل الأنقاسَ[4]، واستنفدَ الأعمارَ، بل الأعصارَ، ولمْ يَبلُغ المِعشارَ، وأفنَى الأقلامَ، بل الكلام، ولم يبلُغ التَّمام.

ما ظَنُّ الشّيخ بمَلِكٍ شهِدتْ له الفِراسةُ رَضيعاً بأنْ لا يكونَ وَضيعاً، والمحافلُ فَطيماً بأنْ يكونَ سَمْحاً كريماً، والشَّواهدُ صَبيّاً بأنْ يَنْزِلَ مَكاناً عليّاً، والشّمائلُ غُلاماً أنْ يكونَ مَلِكاً هُماماً. فلمّا أيفع وارتفَع طالبتْهُ الهِمَّةُ العُليا، برَفْضِ الدُّنيا، حتى يُؤدِّيَ فرْضَ اللهِ في الحجِّ، فقامَ عن سَريرِ المُلْك، إلى سَبيلِ النُّسْك؛ فحجَّ البيتَ ودرَس العلْم، حتى

---

(١) ي: عقابه.

(٢) ي: ينقسم.

(٣) ي: من.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الأنقاس يحسن أن يكون بالقاف: جمع نقس بالكسر وهو الجزء الذي يكتب به، وأن يكون بالفاء: جمع نَفَس». وهو بالفاء في ي. والنِّقْس: المداد. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٤٠ (نقس).

عَرَفَ[1] ناسخَ الكِتاب ومَنسوخَهُ، ومُباحَهُ ومحظورَه، ومَتْنَ[2] الحديث وصَدْرَه.

وكان استخلفَ على رَعيَّته بعْضَ خَدَمِهِ، وأوْصَى بهم كَبيراً، لا يَظلِمُهُم نَقيراً، فبَسَطَ[3] ذلك العاملُ[4] يدَهُ في المَظالمِ يحتقِبُها، والمَحارمِ يرتكِبُها، فكرَّ عليهم كرَّةَ القَمر، ورجَع إليهم رَجْعةَ المَطَرِ، فحارَبهُ وقَهرَهُ، ومَحا اللهُ أثَرَهُ[5].

ثم حَمَلتْ له الأعداءُ العِصيَّ، وحَنّتْ إليه القِسيَّ، واللهُ من وَرائهِ، يكلأُهُ من أعدائهِ. فما مرَّ يومٌ من تلك السنينَ إلّا نقصَهم وازدادَ، فكم[6] رُكنٍ هَدَم، وجَيشٍ هَزَم، وكَيْدٍ عَدَم. فلمّا أقاموا طويلاً، ولم يُغنُوا فَتيلاً، لمْ يكنْ أكثرَ من أنْ جاءوه أُمَراءَ، فعادُوا فُقَراءَ، ولبِثُوا أُسراءَ، ورجَعوا صاغرين، وانقلبوا خاسرين، وتَبِعهم كَيدُهُ النافذ، ومَكْرُهُ الآخذ، يَقفُو آثارَهم، ويَكسَعُ[7] أدبارَهم.

واشتملت جَريدةُ ما لَقيَ من الحُروب، مع أبناء الذُّنوب، وأولادِ الدُّروب، على بِضْعةَ عَشَرَ حَرْباً، أخَفُّها مع بِضْعةَ عَشَرَ ألفَ رجُلٍ، وكتَبَ الله له في جَميعِها النَّصْر، عادةً في مَلِكٍ صحبَ الدَّهْر، فلمْ يَشرَب الخمْر، ولمْ يَسمَع الزَّمْر، ولمْ يعرِف النَّقْر، ولم يلْعَب القَمْر. تُشحَنُ دُورُ[8] المُلوكِ بالمعازِف، ودارُهُ بالمَصاحِف؛ وتأْنَسُ مجالسُهم بالقِيان

---

(١) ص: علم.

(٢) ي: ومن.

(٣) ي: فنشط.

(٤) ص: العالم.

(٥) تفصيل ذلك رواه العتبي، اليميني، ص٤٤.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «من الكسع بالمهملات، وهو أن تضرب دبر الإنسان بيدك وبصدر قدمك، وكسع فُلان أدبارهم بالسَّيْف يكسعهم، أي: طردهم».

(٨) ي: دار.

ومجلِسُهُ[1] بالقُرآن ؛ ويألَفُ أبوابَهم حَمَلةُ الظُّلْم وبابَهُ حَمَلةُ العِلْم ؛ وتعبَثُ أيديهم بالعُودِ ويدُهُ بالجُود ؛ وتَلعَبُ أناملُهم بالمزامِر وأناملُهُ بالدّفاتر ؛ يَدَّخِرُون الدّراهم ويَدَّخرُ المكارم؛ ويَقْتَنونَ الجواهر ويَقتني المآثر ؛ ويُعِدُّون نفيسَ الأعلاقِ ويُعِدُّ نفيسَ الأخلاق، وكثيراً ما يُنشِدُني :

فهُـــنَّ إذا جَمَّعْــتَهنَّ دَراهـــمُ   وهُــنَّ إذا فَــرّقتَهنَّ مكــارمُ

ألمّ[2] بهـذهِ الشِّـدّة، في[3] هـذه المـدّة، فُـلان، فرَجـعَ بثلاثـينَ ألْـفَ دينـار، وقـد نزلتُ[4] بهذا المقام، في هذه الأيّام، فاختلتُ بين الخيل والخَوَلِ، ومَجلِســي[5] بـين الحَلْي والحُلَل، وسيأْتيه العَمُّ بتفصيلِ ما أجْملتُ.

ثم إنّ لهذا الملِكِ عندَ الله تَعالى دُعاءً مُستجاباً يَصعَدُ بلا حِجاب، واعتُبِر ذلك في خَطبٍ وَقَعَ في هذه السنةِ فكشَفَهُ اللهُ بدُعائه، وردَّ الكيدَ في نَحْرِ أعدائه.

وكان بعضُ أولادِهِ - كرَّمهم الله تَعالى - يَشرَبُ[6] في السرّ، شرْبَ المصرّ، فبلَغَهُ الخبرُ، فقصَّهُ على مَن اختصَّه، وذهَبت النفْرةُ طُولاً وعَرْضاً، وجرَّ الحديثُ بَعْضُهُ بَعضاً، وأفضَى إلى استهالةِ[7] قُلوبِ العَسْكر، لركوب المُنكَر، من إظهار العصْيان والعُقوق، برَفْعِ المَنجوق[8]، وضَرْبِ البوق. وطابَقهُ على ذلك جُملةٌ من الجُنودِ ليَسْعَوْا[9] في الظُّلْم

---

(١) ي: ومجالسه.

(٢) ي: المرء.

(٣) ي: إلى.

(٤) ي: تركت.

(٥) ي: ومحتبسي.

(٦) ي: شرب.

(٧) ي: استحالة استهالة.

(٨) يقصد المنجنيق.

(٩) ي: ليشيعوا.

فلا يُؤخَذوا بالجُرْم[١]، ويَنْسلوا عن لجام الشرْع، ويأْمَنوا عليه ألمَ الرَّدْع[٢].

ودبَّ الشيطانُ بينَهم ودرَج، وأدلَجَ[٣] هذا الابنُ وخرج، وأتبَعَهُ المِلكُ العادلُ بأكثرِ حُجّابِه، وزُعماءِ بابِه[٤]، ونفَرٍ من غِلْمانِه، ليَرُدُّوهُ إلى مكانِه. فلمّا بلغوا مُعسكَرَهُ صارُوا[٥] معهُ يداً واحدةً، وقَدَماً قاصدة، وأظهَروا شِعارَ الدَّوْلة[٦] والعِصيانَ على وَليِّهم ووَليِّ نِعمِهم، ومالِك لَحمِهم ودَمِهم.

واتَّصل الخبرُ، فكادت العُقولُ تَطير، والقلوبُ تَطيش، ولم يُؤْمَنْ من الحاضرينَ أنْ يكونوا مع الغائبين[٧]، ومن المُقيمين أنْ يكونوا كالذاهبين. فلمّا جَنَّ اللّيلُ، أردَفهم بجماعةٍ من الأعراب، وقامَ إلى المِحراب، يَستنجدُ اللهَ تَعالى على وَلدِه، ويسألُهُ أنْ يجعلَهُ في يدِه. فلمّا التقتِ الفِئتان أوْحى اللهُ تَعالى إلى الرُّعبِ أنْ يُدهشَه، وإلى الرَّمْل أنْ يوحِشَه، فقُهِر ذلك الجمْعُ وقُسِر[٨]، وقُصَّ جناحُه وكُسِر، وأفلتَ الكلُّ وأُسِر. ولجأ مَن أفلتَ إلى ابنِ سِيمْجور[٩] وحارَب في عَسكَرِهِ.

فلمّا التقى الجَمْعانِ ببابِ هَراةَ وفي عَسكَرِهِ الحاجبُ النّادب، وزعيمُ بابِه[١٠] الذّاهب، أوحَى اللهُ تَعالى إلى فَرَسَيْهما فوَقَفا، فأُسِر كُلُّ واحدٍ منهما وَحْدَه، وأُسِرَ مَن كان مَعَهما بَعْدَهُ، فكُبِّلُوا في الحديد ورُدُّوا إلى مَوْلاهم. فلمّا مَثُلَ الحاجبُ بينَ يديه قال:

---

(١) ص: فلا يؤخذ في الجرم، ي: فلا يوجد في الحرم.

(٢) صحّح عليها ناسخ س.

(٣) ص: وأولج.

(٤) ي: زعيمٌ بأنّه (كذا).

(٥) ي: حاروا.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه الرَّولة». وهو غريب.

(٧) ي: القابلين.

(٨) ي: وقرّ، ولها وجه.

(٩) س، ص: سمجور. وقد تقدّم التعريف بآل سيمجور في ص١٧.

(١٠) عبارة ي: وزعيمٌ بأنه.

كيفَ رأيتَ اللهَ يا ظالمَ نفسِهِ؟ ألمْ أسْتَرِكَ وحيداً، ألمْ أُرَبِّكَ وليداً، ألمْ أُغنِكَ فقيراً، ألم أرفعْكَ حَقيراً، ألمْ تهرُبْ مُستجيراً، ألمْ تكنْ للظّالمين نصيراً، ألمْ تأتني أسيراً، ألستَ به جَديراً، ألستُ عليكَ[1] قديراً ؟

فما أجابَ بأفصحَ من السُّكوت، فلـمّا سمع الملكُ العادلُ صَليلَ الحديد في رِجْلَيهِ[2]، بعدَ وَسْواسِ المِنطقة عليه، رَثى لِشِقْوتِه، فعفا عن قُدْرتِه، وتلك عادتُهُ فيمَن خصّهُ بجُرْم، ولا يعفو عن مُستوجب حَدّاً، ولو عزَّ جداً. ثم إنّه أطلقَ عن وَلَدِهِ، وحَبَس مَن كان يَسعى في الدَّوْلة لفسادِه.

وذكَر الشّيخُ أبو فُلان، أنّ أبا فُلان زادَ على خَراجِهِ توابعَ ونوافل، وضعَّفَ عليه مُؤناً ولَواحق، وأمَرَني أنْ أكاتبَهُ لِيرفعَ من الزّيادةِ ما أثبتَ، ويحصِدَ من النّكاية ما أنبتَ، فقلتُ: اللّهمَّ غَفْراً ! كيفَ يحتشِمُني، وهل يُوقِّرُ فَضْلي مَنْ لا يُوقِّرُ أصْلي؟ وكيفَ أكاتِبُ سُلْطاناً لا يعْلَم أنّ الدِّرْهَم يُؤخذُ من مالي خَبيثَ الأحْدُوثةِ قليلَ المَغُوثة؟ إنْ رأى الشّيخُ أنْ يُعفيَني من مكاتَبته، وهَلُمَّ إلى مَلِكٍ وجَد خَراجَيْن[3] لم تزَلِ الملوك من أسلافِهِ يَستأدونَها[4] ويُسمُّونَ الأوَّل أصيلاً، ويتأوَّلُون في الثاني[5] تأويلاً. ويُسمُّون أحدَهما فَرْضاً، والآخر قَرْضاً، فعمدَ إلى الخراج الأوَّلِ فتحيَّفَه، وإلى الآخر فحذَفَهُ.

فأمّا أبو فُلان فإن استصوبَ الشّيخُ أنْ يَعرِضَ عليه الفصْلَ من كتابي عرَض، ولا يَستوحشْ من خُشونةِ الأقوال، فهي من خُشونةِ الأفعال، من جِهتِه، فإنْ جازَ له أنْ يَفْعَلَ جازَ لنا أنْ نقولَ، ثم إن استأْنفَ الحُسَنى عرَّفني لأُحْسِنَ الخطابَ، وأعرفَ ما خبُثَ ممّا طاب، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب[6].

---

(١) س، ص: عليه.

(٢) ي: حليه.

(٣) تحرّفت هذه الكلمة الواحدة في ي كلمتين، هما: حرّاً حين.

(٤) ي: يستأذنونها.

(٥) ي: الباقي.

(٦) س، ي: ويتوب إلى الله من تاب، وما هنا من ص، ورجّحه ناسخ س في الحاشية.

وله إليه أيضاً [تجاوَزَ اللهُ][1] تَعالى وعَفا عنه[2]

عظَّم اللهُ تَعالى على الأبناءِ حقَّ الآباء؛ لعِلْمِه بأنّ الوالِدَ[3] يَصبُو إلى وَلَدِهِ جَنيناً، ولا يألوهُ حَنيناً، ويشُمُّهُ[4] وَليداً، ويُقَبِّلُهُ رَضيعاً، ويُغذيه فَطيماً، ويُربّيه غُلاماً، ويُؤدِّبُهُ ناشئاً، ويُعلِّمُهُ يافعاً، عِلْماً بظَنِّه نافعاً، ويُبيحه ذخيرةَ حَياتِهِ، ويَحْتبِسُها[5] عليه بعدَ وَفاتِهِ، ويَصدُقُهُ النُّصْحَ في حالاتِه. ثم لا يكادُ يَعْدَمُ هذه المبارَّ من أبيهِ إلّا الولدُ النادر. هذه الإبلُ على غِلَظِ أكبادِها، تَئطّ[6] لأولادِها، وإنّ الطّيرَ على خِفَّةِ أحلامِها، ترِقُّ لِفراخِها، وإنّ الهِرَّةَ لَتأخُذُ أولادَها بأنيابِها، فلا تَنْفُذُ في إهابِها، والناقةُ - على ثِقْلِها - تطأُ الحُوارَ بِرِجْلِها، فلا تُوجِعُهُ بوَطْئها.

فإذا شَبَّ الولدُ مَحفوفاً بهذهِ المبارِّ، مَغموراً بهذه المسارِّ، صَرَفَ وَجْهَهُ عن أبيه، فلا يَكادُ يَعرفُ نِعمةَ والدِهِ ويَقدُرُها قَدْرَها إلّا الشاذُّ النادر.

وفي هذا البابِ تحَيَّرَ أولو الألباب، ولا حَيرةَ، فإنّ عندي لهذه العُقدة حلّاً، إنّ اللهَ تعالى فطَرَ ابنَ آدمَ على ضدِّ ما أمرَهُ به؛ أمرَهُ بالصّلاة وخلَقَهُ كَسلان، وبالصّيام وجَبَلَهُ شَهوان، وبالزّكاةِ وحبَّب إليه المال، وبالحَجِّ وكرَّه إليه الارتحال، وبالعِفَّةِ وسلَّط عليه الهَوَى، وبالصّبْرِ ونَزَع منه القُوَى، وخَلَق الإنسانَ على حُبِّ وَلَدِهِ، ونَهاهُ عن ربِّيَته

---

(١) إضافةٌ منّا لتستقيم العبارة.

(٢) من: ص، ي، والعنوان في س ذهب أوله وبقيت منه ثلاث كلمات هي: «... تَعالى وعفا عنه».

(٣) ي: الولد.

(٤) ي: وشمسه.

(٥) س: يحتسبها.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «تنطّ، بالطاء المهملة، أي: تحنّ وترقّ». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٥٦ (أطط).

وخِلَّتِه[1] ليشقَّ[2] ذلك عليه ؛ فالوالِدُ يلتذُّ بما يتكلَّفُهُ من مَبرّة، والولَدُ يفعَلُ ما يفعَلُ من برٍّ مُخالفاً لما فُطِرَ عليه، غيرَ مُلتذٍّ بما يُسدِي إلى أبويه.

ولَعَمْري، لقد قضَى سيِّدُنا لَذّاتِه[3] في أمْري، وفَعَل ما لم يفعَلْهُ[4] غيرُهُ بغَيْري. ثم قَسا قلبُهُ، وجفَّت رَحِمُه، وانقطعتْ كتبُه، بعدَما تَواتَرتْ عِداتُه بالزّيارة، فإلى الله المشتكى، والصّلاةُ على نبيِّه المصطفى وآلِهِ وسلَّم[5].

(١) ي: وصلته.

(٢) ي: لشقّ.

(٣) ص: ذاته.

(٤) ص: يفعل.

(٥) (وآله وسلم) من ص، ي.

وله – تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[1] – إليه أيضاً

كتابي – أطالَ اللهُ بَقاءَ سيِّدنا – من بُوشَنْج، أسوةً بيعقوبَ في وَلَدِه، إذ ظعَنَ إليه من بَلَدِه. وليسَ العائقَ سُورُ الأعراف، ولا رَمْلُ الأحقاف، ولا جَبَلُ قاف[2]. فلمَ لا يَنشَطُ واللهُ لا يُضيعُ بذلك المكانِ دِرْهَماً إلّا عوَّضتَه ديناراً، ولا يَعدمُ هناك داراً إلّا أفدتَهُ دِياراً[3].

أخافُ – والله – أنْ أموتَ وفي النَّفْسِ حاجةٌ لم أقضِها، ومُنيةٌ لم أحظَ بِبَعْضها[4]، لا يفعل سيِّدُنا الشَّيخ، والضَّنُّ بالولدِ أوْلى من الضَّنِّ بالبَلَد.

وقد رسَمتُ لموصِل كتابي هذا أنْ يَنقُدَهُ مائة دينارٍ، بشَرطِ أنْ يَخرُجَ، وأنْ يُرتِّبَ[5] له عِمارةً شَتَويّة، تَسَعُهُ والشَّيخَ الفاضلَ العمَّ، فلْيتفضَّلا، ولْيقوما ويرحلا، ويستصحِبِ الأخَ أبا سَعيدٍ ولْيأتِني بأهلِهِ أجمعينَ، فما يُعجبُني لِقاء، ليسَ له بقاء، ولا وَصْلٌ بعدَهُ فِراق، فإنْ لم يمكن استصحابُ القومِ، فلا يتأخَّرْ بنفسه، فسَيرِدُ[6] على خمسمائة نيرانٍ[7] وألفِ أكّار[8]، وأحوالٍ مُنتظمة وأسبابٍ مستقيمة.

---

(١) ما بين شرطتين من دعاءٍ ساقط في ص، ي.

(٢) جبلٌ في الجغرافية الأسطورية، وكانوا يعتقدون أن هذا الجبل يحيط بالأرض، وهو أصل كل الجبال فيها. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٨؛ الزبيدي، تاج العروس (حجب).

(٣) ي: أقربه دثاراً.

(٤) قبلها في ي: بها.

(٥) س، ي: يزيّن، وقد كتب ناسخها في الحاشية: «لعلّه: يرتّب»، وهو الموافق لما في ص.

(٦) ص: فترد.

(٧) كتب ناسخ س في الحاشية: «نيران: جمع نير الفدّان، وهو الخشبة المعترضة في عنق الثورين، ويرجع أيضاً إلى أنيار».

(٨) الأكّار: الفلّاح، وقد تقدّم تعريفه.

وله

رَحِمه الله تَعالى وسامَحه[1]

يا شِبْر، ما هذا الكِبرُ؟ ويا فِتْر، ما هذا السِّتْر[2]؟ ويا نَـرْد، كـم هـذا الـبَرْدُ؟ ويـا يَأْجُوج، متَى الخُروجُ؟ ويا فُقّاعُ، بكم[3] تُباع؟ ويا فَراني، متى تَراني؟ ويا لُقمةَ الحَجَـل، نحنُ ببابِك[4]، ويا بيضةَ النُّغَيْلة، مَن أتى بك؟ ويا دَبّة ويا حَبّة، ويا مَـن خَلْفَـهُ المسبَّة، ويا دُمَّلُ، ما أوجعَك؟ ويا قُمَّلُ، لنا حديثٌ معَك. فإنْ رأيتَ أذِنتَ، والسَّلام.

---

(١) العنوان في ص: «وله، إلى الشّيخ الإمام أبي الطيّب سَهْل»، ولا يُعقل أن يخاطب الشيخ أبا الطيب بهذا الأسلوب، وله في هذا الكتاب رسائل غاية في الاحترام والتبجيل. وقد جاءت هذه الرسالة في الأصول قبل عشر ورقات تقريباً، لكننا آثرنا نقلها إلى ها هنا لأنها تقطع تواصل عناوين الرَّسائل في مكانها، إذ إن تلك الرَّسائلَ كلّها مُوجّهةٌ إلى عدنان بن محمّد الضَّبّي رئيس هَراة.

(٢) ي: البشر.

(٣) ي: فكم.

(٤) في س: بنابك.

ولوالدِه إليه كتُبٌ ورِقاعٌ

أنشأها هو و[1] نَسَبها إلى أبيه[2]

ليَراها[3] أفاضلُ[4] الكُتّاب[5] فيستدِلّوا بها على فَضْل والدِه

جَعلني اللهُ فِداك، لا تَزالُ الأرضُ تَلْفِظ رَحْلَك، والنّوَى تطرُدُ راحلتَك، حتى تقتُلَك[6] أرضٌ بمِنْجلِ مائها ومَرْعاها، وهَيْهاتِ أنْ يكونَ ذلك ونارُ جَزعي وراءك[7] مُوقَدةٌ، وأبوابُ الرّجاء دونَك مُوصَدة.

وقد بعثتُ[8] إليكَ بما يصِلُ إنْ شاءَ الله تَعالى، فإنْ شِئتَ أجعَلْهُ جَهازَ طريقك في انصرافك، وإنْ شئتَ أمضِ على عُقوقِك في خِلافك، ردَّ اللهُ غائبَ نأيِك، وعازِبَ رأيِك، وهو حسْبي ونِعْمَ الوَكيل.

---

(١) موضع (هو و) في ي: ثم.

(٢) ي: والده.

(٣) ي: ليقراها.

(٤) ي: الأفاضل من.

(٥) موضع (أبيه ...... الكتاب) في ص: والده ليقرأها الأفاضل من الكتّاب.

(٦) ي: تعتلك.

(٧) ي: وزال.

(٨) ي: أجبت.

ولأبيه إليه

عَفا اللهُ تَعالى عنهما

تأتيني الأخبارُ عنك بما ترتجُّ منهُ الأضالع، وتستَكُّ[1] منهُ المسامع؛ يَبلغني أنَّك - سَحابةَ نَهارِك - هائمٌ، ومَسافةَ لَيْلِك نائمٌ، قُصاراكَ آلةٌ تصوغُها، ودابَّةٌ تَروضُها، وجاريةٌ تستعرِضُها. وما مكَّنك[2] من هذا العَبثِ إلّا يسيرٌ ما أنتَ فيه كثيرٌ، وقليلٌ ما أنتَ معه جَليلٌ، ولَعلَّ هذه الأحرُفَ آخرُ ما تَتأذَّى به من وَعْظي، وتتقذّى[3] باستماعِهِ من لَفْظي:

يـــا لـــكِ مـــن قُـــبَّرةٍ بمعْمَـــرِ
خلا لكِ الجـوُّ فبيضـي واصْـفري
ونقِّـري مـا شـئْتِ أنْ تُنقِّـري[4]

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «تستكّ بالسين المهملة، يقال: استكّت مسامعه، أي: صمّت وضاقت».

(٢) ي: منك.

(٣) س، ص: تتغذى، ولعل الأصح ما أثبتناه. والعبارة في ي أغرب، نصها: «وتعدني بأستاذي».

(٤) مثلٌ يُضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها. وأول مَن قاله طَرَفة بن العبد، وذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو صبيّ، فنزلوا على ماء، فذهب طَرَفة يصطاد القنابر بفخ، وبقي طول يومه ولم يصطد شيئاً فرجع، وغادروا المكان، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب، فقال هذه الأبيات، وبعدها: «قد رحل الصيّاد عنك فابشري». الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٣٩.

وله أيضاً إليه

تَجاوَز اللهُ عنهما[1]

جَعَلني الله[2] فداكَ، أنْشدُكَ اللهَ، أنْ تُلِمَّ بخُراسان ؛ إنّها مَغرِبُ شُموسِنا، ومَسْقَطُ نُفوسِنا. وقد سمِعتُ في مُجمَلِ ما رأيتُ في حالِك كذلك، والسَّلام.

(١) ص: وله إليه أيضاً، ي: وله أيضاً.

(٢) موضع (جعلني الله) في ي: خطبي.

ولأبيه أيضاً[1] إليه
عَفا اللهُ تَعالى عنهما[2]

جَعَلني اللهُ فداكَ، إنْ كانت[3] لِلفِراق غايةٌ فقد بلَغتَها وزِدْتَ، أو للعُقوقِ[4] مَطيَّةٌ فقد ركِبتَها أو كدتَ[5]. وإنْ كان صدرُك يَنْبوعَ صَبْر، وقلبُك جُلْمودَ صَخْر[6]، فقد آنَ له أنْ يَلينَ[7]، ولكَ أنْ تذكُرَني في الذّاكرين.

جُعلتُ فِداك، ما كانَ أبوكَ امرأ سَوْءٍ[8] يُعامِلُ بما عامَلتَ؛ ولا مُسْلِفَ شَرٍّ يُقابلُ بما قَابلتَ. فما هذه البَذاءة، على حينَ أسمَعني الشيبُ نِداءَه، وغشّاني رِداءَه. ولمْ ترضَ الأيّامُ بما جرَّعَتْنِيهُ من ثُكْلِ فِراقِك حتى ألحقتْ بك عمَّك، وحرَجٌ على الدّهرِ مؤكَّدٌ إنْ لم يَنقُضْني عُرْوةً عُرْوة[9]، ويحُلَّني عُقْدةً عُقْدة[10].

وَرَد كِتابُك بذكر أحوالِك واستقامتِها، وأنت فيها ذكرتَ بين طَرَفَيْ جِدٍّ ولَعِب،

---

(١) (ولأبيه أيضاً) من ص.

(٢) ي: وله أيضاً.

(٣) ص: كان.

(٤) ي: وللعقوق.

(٥) ي: وكدت.

(٦) ي: صحن.

(٧) موضع (فقد..... يلين) في ي: قعد أن لن تلين.

(٨) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾. سورة مريم، الآية ٢٨.

(٩) التكرار ساقط في ي.

(١٠) التكرار ساقط في ي.

وحَذَّيْ صِدْقٍ وكَذِبٍ ؛ فإنْ قلتَهُ مُزاحاً فالفرْعُ لا يُمازِحُ أصلَهُ، أو كذِباً فالرّائدُ لا يَكذِبُ أهلَهُ. وإنْ كانَ جدّاً ما ذكرتَ، وصِدْقاً ما أوْردتَ، فاسْتدِم الوَسيلة التي نِلتَ بها الفَضيلة، واستبْقِ الذَّريعةَ التي أسكَنتْكَ المنزِلَة الرَّفيعة. وهذه نَصيحتي لك، ووَصيَّتي إليك، واللهُ حَسْبي فيك وخَليفتي عليك، والسَّلام.

وله – عفا الله عنه – إلى أخيه أبي سَعيد [1]

كِتابي – أطال اللهُ بقاءَك – مَعدولاً به إليك عن سيِّدنا، وللخَصْم إذا[2] تَركُوا البابَ، وتسوَّرُوا المِحرابَ، فدَخلوا على داودَ، سِرٌّ سِوى الخُصومة، ومَرادٌ دون الحكومة. وتحتَ الفُتْيا بَلايا[3] أوَّلُها مَلامةٌ، على أنّ آخرَها سَلامةٌ، ولها فاتحةُ فَتْح، على أنّ لها خاتمةَ صُلْح.

ولأمْرٍ ما صرَفتُ الخِطابَ إليك، وقصَرتُ الكِتابَ عليك، وزَوَيتُهُ عن سيِّدنا، والشوقُ إليك شديدٌ، وهو إلى غيرِك أشدُّ، وأنتَ الشقيقُ العزيزُ، والمُشتقُّ منهُ أعزُّ، ولكنِّي افتتحتُ هذا الكِتابَ مَصْدوراً، ورقَّقتُ له قلَمي مَغيظاً، ونَوَيْتُ أنْ أنْفُثَ تَنفيساً عن صَدْري، وتَخفيفاً عن صَبْري، فخشيتُ أنْ يَغلُظَ كَلامي أو يَطْغَى قَلمي، وقِشرُ الأبوَّةِ رَقيقٌ لا يَحتمِلُهُ، ومَجالُ العَتْبِ ضَيِّقٌ بينَ العبْد وسيِّده ؛ والوالِدِ ووَلَدِه، فاستخرتُ اللهَ عندَ ذلك في صِيانتِه وابتذالك، إذ وجدتُني بك آنَسَ، وعليك أقدَرَ، ولك أمْلَكَ، وفيك أنطقَ، ومعك أجرأ وأجرَى، فلا عليك أنْ تَسمعَ ولا تضجَر والكِبَرُ[4] سلاحي عَليك، والسِّنُّ عَذيري منك.

يأبى اللهُ يا أبا سَعيدٍ[5] أنْ أسْعَدَ من بلَدِك بحظٍّ، أو أفُوزَ من رَحِمك[6] بصِلَةٍ، أعْمامُكَ في الجَفاءِ قُدْوةُ أصْهارِك، وذوو[7] سَوآتِك كذَواتِ أستارِك، والنيَّةُ كالأعمال

---

(١) العنوان في ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: إذ.

(٣) ي: بلاء.

(٤) ي: والكبير.

(٥) تحرّفت الكنية في ي: أبا سعد.

(٦) ص، ي: رحمتك.

(٧) ي: وذروا.

فَساداً، واللّيلةُ كالبارحةِ سَواداً. تحاسُدٌ والمالُ قليلٌ، وتَهاجُرٌ والعُمُرُ قَصيرٌ، والشَّبيبةُ تُحقَرُ، والشَّيبُ[1] لا يُوَقَّر، والصَّغيرُ لا يَعرِفُ لِكبيرِه، والكبيرُ لا يَعطِفُ على صَغيرِه، والدُّورُ بَعيدةٌ والقُلوبُ أبعدُ، والحالُ ضَيِّقةٌ والأخلاقُ أضيقُ، واللّقاءُ عن عُقْر، والسَّلام عن عُذْر، والزّيارةُ تاريخٌ، والابتسامُ فتحُ الرُّوم، والاجتماعُ حِلفُ الفُضول.

ما هذه الطِّباعُ وفيمَ هذا النِّزاع، ولو كانَ في قَميص الخلافة، أو سَرير الإمارة لكان شَنيعاً، وبئْسَ صَنيعاً ؟

وكنتُ أظُنُّ بنَشْءِ العشيرةِ إذا انتهتْ إليَّ النَّوْبَة، نَصَحت[2] التَّوْبة، فقد عمَّت الجفوة، أفي الله أنْ أبتديَكم شَغَفاً، ولا تجيبوني سَرَفاً! وكلَّما ازْدَدْتُ[3] بكم خَلَفاً، ازْدَدْتم عليَّ صَلَفاً ! أكلُّ هذا لفقْري[4] إليكم؟ وكُلُّ هذا لِغناكم عنِّي؟ يدُ المَصُون[5] منّا في التُّراب. وحديثٌ، ما حديثُ سيِّدنا وبثُّه القول: إنّي قاصدٌ قَصْدَكم[6] العامَّ، وعَدِّي له الأيّامَ :

وشُكري لأعقابِ الشُّهور إذا انتهتْ وشَوقي إلى أعجازِها حينَ تُقبِلُ

فلمّا جاشتِ النّفسُ، واختلجت العينُ، وظنَّتِ الأذنُ، لِقُربِ القافلةِ وَرَدت خاليةً من كتابِهِ، فخسَأتُ الأملَ حَسيراً، وعجبتُ لِذلك كثيراً، ولم أعجَبْ من تأخُّر رِكابه، عَجَبي من تأخُّر كِتابه.

---

(١) ي: والسبب.

(٢) ي: مصحب. وقوله: نصحت التوبة، أي: أصبحت توبةً نصوحاً، أي: صادقة لا يرجع صاحبها إلى ما تاب عنه. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦١٦ (نصح).

(٣) ي، س: أردت، وقد كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: ازددت».

(٤) ي: العقري. وهو تحريف.

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: المغبون».

(٦) ي: أصدقكم قاصد.

أرأيتَ يا أبا سَعيدٍ كاليوم ؟ أسمِعتَ بالتي نقضَتْ غَزْلَها أنكاثاً[1]؟ أقرأتَ قِصَّةَ التي وَهبَت لِواحدِها أثاثاً ؟ أتبغي[2] بعد هذا مِيراثاً ؟ أرأيتَ الذي أتبعَ عُقدةَ النكاح ثَلاثاً ؟ أعجبتَ مِمَّن وَعَد الغريقَ في القابل غِياثاً ؟ غَرْوٌ، وإنّ قَضيّتَك[3] مع أخيك أظْرفُ، وحالَ أخيك معَك أعْجَبُ، عسَى اللهُ أنْ يجمَعَ الشّمل، إنّه قديرٌ كريم.

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾، سورة النحل، من الآية ٩٢.

(٢) تحرّفت هذه الكلمة في ي كلمتين: إن بقي.

(٣) ي: نصيبك.

وكَتَب - سامحه الله تَعالى - إليه أيضاً[1]

لا يكادُ خَيالُك يُغِبُّني نَوماً[2]، فما لِكتابِك لا يَسُرُّني يَوماً، وكما لا يُعجِبُ أباكَ أنْ تكونَ ابنَهُ فقط، كذلك لا يُعجِبُني أنْ تكونَ أخي فحَسْب، فهاتِ واقِفْني بعُذْرِك، فما أضعتَ من عُمْرِك: عَلامَ أنفقتَ وفيمَ أنفدتَ وما الذي أفدتَّ؟

واعلمْ أنّ للمرءِ سَهْماً[3] من المكارِه مَوْفوراً، ونَصيباً من النَّصَب[4] مَقْدوراً، هو لا بُدَّ لاقيه، فكُنْ كأخيك لعلَّ أباك يُوفيكهما في صِباك، فإنْ لم يَضرِبْكَ صغيراً، لمْ تَعدَمْ مَن يَضرِبك كَبيراً، وإنْ لم يُتعِبْك صَبيّاً، أتعَبَك الدّهرُ مَليّاً، وإنْ سئمتَ[5] وأنتَ طِفْلٌ، نَدِمْتَ[6] وأنتَ كهْلٌ.

وابدأْ بالقُرآن قبلَ كلّ محفوظٍ ثم بتفْسيرِه، واللهُ وَليُّ تَيسيرِه، ولا تُشغِلْك كُتُبُ اللّغة عمّا رسمتُ لك، ففيها إضاعةُ الزَّمان، ولا خيرَ في لُغةٍ ليست في القرآن.

---

(١) العنوان في ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: يوماً.

(٣) ي: فيها.

(٤) ي: التعب.

(٥) ي: نمت.

(٦) ي: سرت.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

كِتابي، والأخُ على ما أتاهُ اللهُ من جُرأةِ قلْبٍ وقَدَم، وبَسْطِ لِسانٍ وقَلَم[2]؛ يُقدِمُ على الأسد فلا يَخشاهُ، ويقولُ المُحالَ فلا يتحاشاه، والمحالُ لا يَلطِمُ[3] الخدَّ، إنَّما يَتجاوَزُ الحدَّ، ولا يَشِجُّ الراسَ، إنَّما يرفَعُ القِياس.

ذكَر أنّي كسِلتُ عن إجابته فاتّخذتُ ذلك الفَضْلَ ذَريعةً إلى رِضاه، وإنَّما سمِعَني أشتِمُ عِرْضَ الأثَطّ[4]، وألعَنُ زَغبَ البطِّ، وأقولُ: لمْ يَرجِعْ عليَّ، ولمْ يُرجِعْ إليَّ، ولمْ يَحُمْ حَواليَّ، كأنّه العَتْبُ لو رَجَع صاحبُهُ، فأمّا إذا لمْ يَرجِع فلا عَتْب، وإنْ كان فلا عُتْبَى. وذَكر اعتدادَه بما فعلتُ وقلتُ، وثِقتَهُ بما أعتقدُهُ من مَودَّتِه، وإنَّما كتبتُ ذلك لتعلَم لا لِتَعتدَّ، وأُنهِيَ لا لأمتَنَّ.

وأمّا ما وَصَف من شَوقِهِ فَمعْلومٌ؛ لأنّ الصَّبْرَ عن مِثلِه[5] لُومُ. والعَجبُ شَوقي إليه[6] والوَجْهُ فُلوسٌ، والرأسُ رُؤوس، والجُملةُ شَيطانٌ، والتفصِيلُ سُلطانٌ، وأنا مع ذلك أفديه عُضواً عُضواً، إلّا المَجدودَ المورود، كيلا يَحفَظ عليَّ الحُدود. وتُبلِّغُ سَلامي إلى فُلان وإلى فُلانة، ولها من قلْبي ما لا يحلُّ الزّمانُ عُقدتَهُ، ومن السَّلام ما لا تُـخلِقُ الأيّامُ جِدتَهُ.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: وقلّما.

(٣) ص: يلتطم.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «الأثط: الكوسج، يقال: رجل ثطة وأثط، وهم ثط وثطاط». وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٢٦٧ (ثطط).

(٥) ي: مثلي.

(٦) اضطرب ناسخ ي، فكتب: (إليك إليه)، وهو برهان آخر على ما ذهبنا إليه من كون هذه النسخة مستنسخة عن نسخة تامّة جيّدة، لكن ناسخها ضعيف جداً.

وله رَحِمه الله تَعالى[1]

إلى أبي الفَتْح والد[2] أبي طالب

أراني أذكُرُ الشّيخَ إذا طلَعت الشّمسُ، أو هبَّت الرِّيحُ، أو نجَم النَّجمُ، أو لَمَع البرقُ، أو عرَض الغيثُ، أو ذُكِرَ اللّيثُ، أو ضَحِك الرّوض.

إنّ للشمس مُحيّاهُ، وللرِّيح رَيّاه[3]، وللنّجم حُلاهُ وعُلاه، وللبرقِ سَناءَهُ وسناهُ، وللغيثِ نِداءَهُ ونَداه، وفي كُلِّ صالحةٍ ذِكْراه، وفي كُلِّ حادثةٍ أراه ؛ فمتى أنساه، واشدَّة شَوقاه، عسَى اللهُ أنْ يجمَعَني وإيّاه.

---

(١) الدعاء بالرحمة ساقط في ص.

(٢) س، ي: ولد، ولم أقف على تحقيقه.

(٣) ي: فيّاه.

وكَتَب - سامحه اللهُ تعالى - إليه أيضاً[1]

حُثُّــوا المَطــيَّ فهــذهِ نَجــدُ غلَــب الهــوَى وتطلّــعَ السَّــعْدُ

وقـد بَـرَّح[2] الشـوقُ بَرْحـاً[3]، لا أسـتطيعُ لـه شرْحـاً، وغـلَى الوَجْـدُ غليـاً، لا يَرُدُّهُ صَبْر، ولا يَسَعُهُ صَدْر:

وأبـرحُ مـا يكـونُ الشـوقُ يومـاً إذا دَنَـتِ الـدِّيارُ مِـن الـدِّيارِ[4]

فحيّا اللهُ طلعةَ الشّيخ، وبـارَكَ في مَقدَمِـهِ، بَرَكـةً تعُمُّـهُ مـن فَرْقِـهِ[5] إلى قَدَمِـهِ، ووَصَل له الخيراتِ بهذه السَّفْرةِ حتى تُسفِرَ له عن كلّ مَحبوب.

وقد أصْحت السَّماء قَليلاً، وصَفا الجوُّ يَسيراً، والحمدُ لله كثيراً. فلْيجعل اهتمامَهُ أمامَه، ولْيُعدَّ اعتزامَه قُدّامَه، ولْيُفرّجْ بين الخُطى حتى يَشفِيَ عِلَّةً، ويجلوَ ظُلْمةً، ويَسُدَّ ثُلمةً، ويُؤنِسَ وَحْشة، وهو بذلك يستوجب شُكراً.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً. لعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى المرسل إليه في الرسالة السابقة.

(٢) ي: رحا.

(٣) ي: رحاً.

(٤) لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت٢٣٥هـ). الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٣٦٩، ج٩، ص٣٢٦.

(٥) ي: شرب.

وكَتَب - تَجاوَزَ اللهُ عنه - إليه أيضاً[1]

ولو أنّ ما أوْدعتُهُ من مَحَبّةٍ أودِعَهُ الجَبلانِ لالتبسا التباساً ؛ يجعَلُ رأسَيهما راساً، وأساسَيهما أساساً. وإنّي لأذكُرُهُ يَقْظانَ فأتصوّرُ مِثالَهُ، وأحلُمُ به نائماً وأواصِلُ خَيالَهُ. وله على كُلِّ خطَراتي[2] رَقيبٌ، وعلى كلِّ نظَراتي حَسيبٌ، ولا يقدَحُ في الحال بينَنا أنْ يتأخّرَ كِتابٌ مُتوقّعٌ، إنّما يُوجِبُ ذلك عُذْراً لو[3] وقَع، كحالِنا العام، إنّي أثبتُّ هذه الأسطرَ ونِضْفي راحِلٌ وإبلي مُقيمةٌ، وكتَبْتُها والأحمال تُشَدُّ، والعُلوفاتُ تُعَدُّ، والحَميرُ تُؤكَفُ[4]، والمُكارِي يُزلِف[5]، والدّوابُّ تُسرَجُ، والجِمالُ تُقدَّم، والجَمّالُ يَشْتِم، وفي أثناءِ هذه الأحوالِ تضِلُّ الآراء.

وأنا - إنْ شاءَ اللهُ - وارِدٌ غَزْنة، وراجعٌ عنها إلى هَراة، فمُكاتبُ الشّيخَ بما يُجدِّدُه اللهُ من حال ، ويُقرّبُهُ مِن مَنال ، ويُفيضُهُ من جاهٍ ومال ، ويُبلِّغُنيهُ من أماني وآمال ، ويُحسِّنُهُ إليّ من دارٍ ومآل[6]، وما ذلك على الله بعَزيز.

وقد طالت مُراجعاتُ الشّيخ في حديث أبي طالبٍ جَعَلني اللهُ فِداءهُ، وأبو طالبٍ جلدةُ بين العينِ والأنفِ[7]، ولا يُمَسُّ بَعدي إلّا مِنّي بأكثرِها، فإنّه قُرّةُ عَيني، وبَصَري

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً. لعلّ هذه الرسالة موجهةٌ إلى المرسل إليه نفسه في الرسالة السابقة.

(٢) ي: خطواتي.

(٣) ي: إذا.

(٤) كتب ناسخ س في الحاشية: «تؤكف أي: يشدّ عليها الإكاف، وهو لها بمنزلة السرج للفرس».

(٥) كتب ناسخ س في الحاشية: «يزلف من: أزلفة إذا أسلفه وقرّبه وقدّمه».

(٦) عبارة ي: ويحسنه من مآل إليّ دار.

(٧) هذا قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقد كان يُلام في شدة حبّه لولده سالم، فقال:

يلومونني في سالمٍ وألومهم   وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٧، ص١٩٥.

وسَمْعي، ولِساني ويدِي، وأُنْسُ يَومي، وذَخيرةُ غدي، وفِلْذُ كَبِدي، وقطْعةٌ من جسَدي، والزِّيادةُ على التَّمامِ فُضولٌ، وليسَ بعدَ الغايةِ سُولٌ، فإنْ رأى الشّيخُ وابْتِ الكريمةُ عندَهُ إلّا تَرداداً، فشَرْطُ ذلِك أنْ يَبعُدَ شَأْوُهُ في العِلْم، ويَرسَخَ قَدَمُه في الدِّين، ويَتحامى من أخلاقِ الشّيخ تَعاطِيَ الشُّرْبِ، ويَقتدِيَ به في سائر أخلاقِ الفَضْل، ويَزورني لأخبُرَه عاماً. فإنْ[1] بعثتَ الكريمةَ - جَمع اللهُ بينَها[2] وبَيني، وأقرَّ بلِقائها عَيني - أعْظمتُ قدْرَها، وفخَّمتُ أمْرَها، وأقررْتُ بكلّ مُرادٍ عَيْنَها، ووَصَلْتُ أبا طالبٍ رحمه اللهُ تعالى[3]، واستعنتُ بالله تَعالى على ما أنويه فيه.

---

(١) س: وإن.

(٢) ص، ي: فجمع الله بينهما. وهو فاسد، لقوله بعدُ: بلقائها.

(٣) الترحُّم من ص، ي.

وكَتَب

عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1]

وَرَد العامَ من هَراةَ أبو فُلان، وهو مِنّي بمنزلة السَّمْع والبَصَر. والشّيخُ يَعرِضُ عليه[2] نفسَهُ ذاهباً وجائياً، ويُصلِحُ شؤونَه عائداً وبادياً.

ويَرِدُ مِن بُوشَنْج[3] فُلان، وهو أخو الرّئيس بها، فلْيُحسن خِدْمتَه متحقِّقاً بين يَديه، عارضاً نفسَهُ عليه.

والحاكمُ أبو عثمان[4]، وهو لي بمنزلة العمِّ، فلْيخصِّصْهُ من العناية بالأهمِّ.

ويَرِدُ من بَيته فُلان، وهو من صُدورِ خُراسانَ وكُبَرائهم، والشّيخ يُحسِن خِدْمتَهُ فيما وجَد[5] إليه سَبيلاً.

ويردُ من بَلْخ وَلِيُّ نِعْمتي أبو جعفر، وهو ابنُ الشّيخ الجليل أبي العَبّاس، فليؤمَّ سُدَّته[6]، وليغتنمْ خِدْمتَه، وأوصيتُ[7] به خيراً، وأَسْتوصي خيراً. وإنْ عَرَض له بالرَّيّ عارضُ شُغْلٍ تَولّاهُ هذا الشّيخُ وبلَغ مُرادَهُ منه، ويَكفي من الخِدْمةِ قَدْرُ الطّاقة، فلا يَحمِلْ على نَفْسِهِ كَعادتها في الأعوام قَبْلَها.

---

(١) ص: وله أيضاً.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) عبارة ي: ويروم بوشنج. وبوشنج: بلدةٌ من نواحي هَراة. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٠٨.

(٤) تقدّمت رسالةٌ بشأن قتله، ص٢٨٩.

(٥) ي: أوجده.

(٦) من قوله (ابن الشيخ) إلى هنا حوّره ناسخ ي، فجعله: أنّ الشيخ الجليل أبا العباس قليلاً أمّ سدّته.

(٧) ي: وأوصيته.

ويَرِدُ أبو فُلان، وهو العالِمُ الفَرْدُ، والكوكبُ الفَذُّ، ويَصِلُ مَعَهُ إنْ شاء اللهُ تَعالى ما خَدَمتُ به سيِّدَنا الشَّيخَ ووَصَلْتُ[1] به أبا طالب، فلْيُعنَ بخِدْمتِه فَضْلَ عنايتِه، وسلامٌ عَليه وعلى مَن تَشمُلُهُ جُمْلتُهُ، وتَضُمُّه قَبيلتُه من صَغيرٍ وكبيرٍ، ولهُ - أيّده الله - فيما يُؤْنِسُني به من كُتُبِه ويُعرِّفُنيه من سارِّ أخبارِهِ رأيُهُ المُوَفَّقُ إنْ شاءَ الله تَعالى.

(١) ص، ي: فوصلت.

وكَتَب - رَحِمه اللهُ تَعالى - إليه أيضاً[1]

أنا - منذُ أَسْعدَني اللهُ بما أساوِمُهُ على الأيّام وأقترِحُهُ على الزَّمان، من لِقاء الشّيخ، وجاءت البشاراتُ بمِقدَمِه وَشيكاً - أعدُّ الأنفاسَ، وأستخبرُ النّاس، وأشكُرُ أعقابَ الأيّام، وأستبطِيءُ سُرَى اللّيالي؛ فأهلاً بالقادم، ومَرْحباً بالوارد، والعيشِ البارد، والظِّلّ الدّائم، والأُنس الكامل، والرُّوح الواصل، ويا شوقاه، متى أراه، وحَتّام ذِكراه، سَهَّلَ اللهُ جَمْعَنا وإيّاه.

خيرُ المواهب - أدامَ اللهُ عِزَّ الشّيخ - ما شابَهُ بعضُ الأذى، ليكونَ مَصرفةً لِعَيْنِ الكَمال، ولولا اختلافُ[2] السُّيوف، والتقاءُ الجموع، واضطرابُ الجيوش، واختلالُ الأمور، وفَسادُ الطّريق، وتَصاوُلُ المُلوك، وما يَتْبع هذه الأحوالَ من الأهوال، لاستقبلتُه بنفسي مائةَ فَرْسخٍ وبأصحابي[3] مِثْلَه، لكنَّ العَوائقَ ظاهرة، فلا يَحمِلنَّ ذلك على جَهْلٍ بمقدارِ[4] نعمةِ الله في لِقائه، ولا يَستوحِشْ لِتأخُّري عن استقباله.

إنّ الأمرَ على ما وَصَفْتُ، ولا آمَنُ - إنْ خرَجتُ - عيناً تطرُقُ بسوءٍ، أو يداً[5] تمتدُّ بشرّ، فيَضيقَ لذلك قلْبُهُ، فإذا وَرَد إنْ شاءَ الله، وَرَد على الأسماع والأبصار، ومشى على الفروقِ والهام، ووَصَل إلى الفؤاد، وتَمَشَّشَ[6] في العِظام، وحَظيت به الصّدورُ

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: أخلاف.

(٣) ص: وبأحبابي.

(٤) ي: لمقدار.

(٥) ي: ويداً.

(٦) كتب ناسخ س في الحاشية: «تمشش العظم، أي: أكل مشاشه، والمشاش بضم الميم: رؤوس العظام اللينة التي تمضغ، وقيل: المفاصل، واحدها: مشاشة».

حُظوةَ البلدِ القَفْر، بصائب القَطْر.

ووَرَدت كُتبُ فُلان مَشحونةً بشُكره، مملوءةً من الثناءِ عليه، فازددتُ لها قامةً، وزِدتُ[1] بها قيمةً، وشكَرتُ اللهَ تَعالى على ما وفَّقَ له الشّيخَ من التحنُّفِ[2] بينَ يديه، والتَقرُّبِ إليه.

ووَرَدت الكُتبُ بخطِّ فُلان، وقد كنتُ أخْللتُ بحديثِهِ في الكَتْبِ[3] إليه سَهْواً وغَلَطاً، ثم اعتمدتُ ذكاءَ الشّيخ وفِطْنتَهُ في الأمور، فكان كما ظَننتُ.

ووَرَدتْ كُتبُ السّادةِ من الحُجّاج بمثْلِ ما وَرَد به كتابُ فُلان، وأجبتُ عن كلِّ كتابٍ وَرَد، وأرجُوهُ وَصَل إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: وأزدت.

(٢) ي: التخفف.

(٣) ص: الكتاب، وهما بمعنى.

وله - سامحه اللهُ تَعالى[1] - إليه أيضاً

ولما نَزَلْنا مَنزِلاً طَلَّهُ النَّدَى[2]   أنيقاً وبُسْتاناً مِن النَّوْرِ حاليا

أجدَّ لنا طيبُ المكانِ وحُسْنُه   مُنًى فتمنَّينا فكنتَ الأمانِيا[3]

اليومُ طَلْقٌ، والهواءُ رَطْبٌ، والماءُ عَذْبٌ[4]، والمَكانُ رَحْبٌ، والسَّماء مُصْحِيَةٌ، والرّيحُ رُخاءٌ، فأينَ سيِّدي أبو الفَتْح؟ أشهَدُ ما اليومُ جميلاً، ولا الهواءُ طَليلاً، ولا الماءُ يُبرِدُ غليلًا. وأقسِمُ، ما الرّوضُ إلّا ثقيلاً[5]، ولا الأُنسُ إلّا دَخيلاً، ولا الزّمانُ إلّا بَخيلًا:

وإنّي لَتَعرُوني لِذِكراكِ هِزَّةٌ   كما انتفَضَ العُصفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ[6]

وليس الشوقُ إلى مَوْلاي بشوقٍ[7]، إنّما هو وَقْعُ السِّهام، ولا الصّبْرُ عن لُقياه

---

(١) الدعاء بالمسامحة ساقط في: ص، ي.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «طلّه الندى، أي: سقاه الطّل، وهو أضعف المطر».

(٣) لأبي بكر بن عبد الرحمن الزهري عند: الأصفهاني، الزهرة، ج١، ص٣٧٨؛ ولعبد الرحمن الزهري عند: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص٩٢٥. وينسبان لابن نباتة السعدي، ولمالك ابن أسماء بن خارجة، ولغيرهما. ولم أهتد لمصدر جزم بنسبتهما.

(٤) ي: رطب.

(٥) ي: مقيلاً.

(٦) لأبي صخر عبد الله بن سلمة الهذلي (ت٨٠هـ). السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص٩٥٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٤، ص٣٣٤، ج٧، ص٧٥. وعجز البيت أخذه من بيتٍ لقيس بن الملوح هو:

إذا ذُكرت ليلى أُسَرُّ بذكرها   كما انتفض العصفورُ بلَّلهُ القطرُ

ديوان قيس ابن الملوَّح، ص٨٥.

(٧) ي: موالي تشوق.

بصَبْر، إنّما هو كأسُ الحِمام. وما للسَّمِّ سُلْطانُ هذا الهمّ، ولا[1] للخَمْرِ طغيانُ هذا الأمْر. ولو شاءَ اللهُ لاجتمعَ الشّمْلُ[2]، ولاتّصل الحبْلُ، ولكنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُريد.

وَرَد كِتابُه مع فُلان لَطيفاً حَجْمُه، ظريفاً طيُّه، مَليحاً شكْلُه، بـارّاً عُنوانُـه، سـارّاً صَدْرُه، حَسناً خَطُّه، سَديداً معناهُ ولَفظُه، وفَهِمتُ مُودَعَهُ، وحَمِـدتُ اللهَ تَعـالى عـلى مـا خصَّني مِن سَلامتِه، وسألتُه المَزيدَ له من فَضْلِه.

فأمّا ما شكاهُ من تأخُّر كُتُبي عنه، فـما علمـتُ أنّ سـيِّدَنا الشّـيخَ تُـذْخَرُ عنـدَهُ[3] فُصولي، ولا علمتُ أنّ مَوْلاي يَعتَدُّ بكُتُبي، ولا أنّه يعاتِبُ في قُصـورِها عنـه، وظننـتُ الفَصْلَ بَلاغاً، وله العُتبى من بعد.

وأمّا ما وَصَف من حال الشوق وبَرْحِه، فأنا في غنىً عن شرْحِه، لما انطوَى عليـه له، ولا عجَبَ[4] أنْ يَتطرَّقَهُ[5] وقد توسَّطني، وأنْ يكِدَّه وقد هدَّني، والقَلْبـانِ - بحَمْـد الله - قلْب، والرُّوحان - على ذلك - ألْب[6].

ووَصَل ما أتحفني به من الأُتُن[7]، والرّسمُ في مِثْلها أنْ تُرَدَّ إلى الوَطَن، وتُنقَل إلى المأمَن[8]. وليتَ الذي هُنا هُناك، على أنّه حسُن موقعُهُ ولطفَ مَورِدُهُ، فليكنْ ما يَصِلُني

---

(١) ي: وما.

(٢) ص: الشمل.

(٣) ي: عنه.

(٤) ي: يجب.

(٥) ي: نتطرفه.

(٦) الألب: الجمع من الناس. ويقال: ألب فلان مع فلان. أي: صَفْوة معه. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢١٥، ٢١٦ (ألب).

(٧) ي: والأنين. وقوله: (من الأتن) مجاز، يريد: من صلات حملت على ظهورها، وقد جعل يعدّدهما بعدُ، فتأمل

(٨) ي: الماء من.

به من تلك الدّيار طَيِّبُ الجُبْن، ومُبرّزُ الزّبيب[1]، وفائقُ الزّعْفران، وما يَقرُبُ من هذا الباب، فأمّا أنواعُ الثياب فالكُلفةُ[2] في إهدائهِ ظاهرةٌ، والله لا يحبُّ المتكلّفين[3].

ولو أقامَ أبو فُلان إلى شَهْر لأفردتُ لِكلِّ واحدٍ من ولَدَيّ: أبي طالبٍ وأبي فُلان خِلْعةَ جَمال، وسِلْعةَ مالٍ، وتَذْكرة حال، ولكنّه أقامَ عَشْرَ لَيال، ولَقِيَني فيها[4] ثَلاثَ مَرّاتٍ لُقيا خَيال، فأصحبتُه مُقتضى مُقامِه ؛ ومُوجبَ أيّامِه، وهو الطَّلُّ يَتبَعُه الوابلُ؛ والمَوعِدُ إنْ شاء اللهُ القابِل.

أردتُ أنْ أختِمَ هذا الفَصْل بطيّ الكتاب، ثم أتتْ جائشةُ[5] الصّدْر، وغَلَت حاميةُ الصّبْر؛ فسأنفُثُ قليلاً إنْ لم أَبُثَّ[6] طَويلًا. ما ظننتُ النأيَ يَثني[7] والداً عن وَلَدِه، حتى يقطَعَ رَحِمه، وينسى اسمَهُ إلّا اتّفاقاً، والله المُستعان.

أنا واثق من مَوْلاي بجميلِ الحصانة، وكريمِ الرِّعْية، وإنّما يَشتمِلُ سترُه على شِقّةٍ من قلبي، وقِطْعةٍ من كَبِدي، وجزءٍ من رُوحي. ولعَمْري، ما الوَديعةُ عِندَهُ بمُضيَّعةٍ، ولا الأمانةُ عندهُ بمُضلَّةٍ، وكُلُّ سِترٍ فعبدٌ لِسترِه، وكلُّ صِهْر فداءٌ لِصهْرِه[8]، وإنّما هو طِيبُ المولِد، وكرَمُ المحتدّ، وصدْقُ الفتوّة، ونُصحُ المروّة، ونافعُ الحميّة، وناصعُ الأمانة. فالله يَجزيه خيراً، ولا يُريه فيما يَليهِ سُوءًا برحمتِه.

---

(١) ي: الزمن.

(٢) ي: فأتكلفه.

(٣) من قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾. سورة ص، الآية ٨٦.

(٤) ي: وليتني فيه.

(٥) ص: جاشية.

(٦) ي: أنت.

(٧) في ي موضع هاتين الكلمتين: الداليلي !

(٨) موضع (ستر .... لصهره) في ي: سرّ مقيَّد بسيره، وكل صهر حدّ الصهرة.

ما سرَّني فَضْلٌ[1] من كتابهِ كالفَصْلِ[2] الذي أبلَغني فيه سَلامَ فُلانٍ وبشَّرني بسَلامتِه، واللهُ يُسبغُها عليه. واعتددتُ[3] بما أهداه من سَلامةِ الأخوَّة، ولئن كان لأبي فُلان - حرَسَ اللهُ رُوحَه - الشِّعْبُ الأوسعُ من قلْبي، والنّصيبُ الأوفرُ من نَفْسي، فإنّ لكلٍّ من سادتي لمكاناً من كَبِدي مَكيناً، وحِصْناً من قلْبي حَصيناً، ولسيِّدي أبي فُلان من التحيّة ما يجعلُ ليلَهُ نهاراً.

وليت شِعْري بمَوْلاي[4] أبي فُلان! كيف اقتصر على الفَصْل، على أنّه كان بلاغاً من الفَضْل، ولو أفردَ كِتاباً، لأفردتُ جواباً، وعليه من السَّلام ما يرُدُّ شَبابَهُ طريّاً.

ووَجَدتُ في فَصْلِه أثَراً عن مُرْضِعتي[5] فارتحتُ لحديثها، وما علمتُ حَياتَها حتى حتى الآنَ، والآن فما علِمتُ إلّا ظنّاً، ولا أتحقّقُها إلّا رَجاء، فإنْ كانت في كَنَفٍ من الحياة فأنشُدُ اللهَ مَوْلاي لَما أحسنَ إليها، ووفَّر[6] عليها، وقضَى من[7] حقّها مدّةَ حَياتِها. وسأبعَثُ - إنْ شاءَ اللهُ - لها سِداداً من نَفَقَة، ومِداداً من مَعونة، وإلى حينِ وُصولِها فمَوْلاي خَليفتي على تَعهُّدِها، وحُسْن تفقُّدها، ونعْمَ الخليفةُ والوَكيل.

ولولا ما مُنيتُ به من فَسادِ[8] هذا المِداد، ونُصولِ هذه الدَّواة[9]، لأحببتُ أنْ

---

(١) ي: فضل.

(٢) ي: فالفضل.

(٣) ص: وأعدت، ي: واعتدت.

(٤) ي: لمولاي.

(٥) ي: أبراض من صعني! (كذا).

(٦) ي: وتوفر.

(٧) ي: عن.

(٨) ي: فسادي.

(٩) ي: الرواة.

أطيلَ، ولكنّ شجوبَهُ[1] قد أضْجرَني.

وَرَد هذا العامَ هَمَذانَ في جُملةِ الحُجّاج: أبو فُلان وأبو فُلان، فأمّا ابنُ أحمدَ قاضي هَراة وإمامُ خُراسان، فلْيحسِنْ حقوقَهُ له، واختلافَهُ إليه، وتعرُّضَهُ لحاجاته.

وأمّا أبو الفَضْل فمن أفاضل هَراة ومَعْدوديها في الجَلالة، فلْيقْضِ حقَّه بالزّيارة ذاهباً وعائداً. ورأيُ الشّيخ في مُواصَلتي بكُتبِهِ كلَّ وقت، وتَصْريفي على حاجاته مُوفَّقٌ[2] إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

(١) تحرّفت الكلمة في ي: سخونة. والشجوب: نعيق الغراب يكون شديداً، كما في العين، للخليل، ج٦ ، ص٣٩، وهو شجيب أيضاً. هذا أصله، وهو هنا مجاز، لم أعلم على أي شيء يعود، ولا يبعد أنه يقصد صرير الدواة أو القلم الذي يكتب به، وهو أقرب عائد في السياق.

(٢) ي: موفقاً، وهو جائز أيضاً.

وكَتَب - عَفا اللهُ تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

ما زلتُ أعرفُ الشّيخَ ظريفَ الجملة، كريمَ الخِلْقة، واسعَ العَطَن، عذْبَ المورد، وما عَلمتُهُ يَبلُغُ من الفَضْلِ فوق غايتِه، ويسَعُ من المجدِ أكثرَ من قلّتِه[2].

لقد قفَلتْ قافلةُ الحُجّاج، وأثنوا[3] عليه ثَناءً لو رُقي به الشَّبابُ لَعادَ سريعاً، أو صُبَّ على الفراقِ لانقلبَ شَمْلاً جَميعاً. وما زلتُ مُعتدّاً بفَضْلِه، واثقاً بكريمِ فِعله، وأنا اليومَ به أكثرُ اعتضاداً، وأقوى ظَهْراً وفُؤاداً.

وكتَبتُ هذه الرُّقْعةَ على حدّ شُخوصي إلى حَضرةِ السُّلْطان، ولم أتَّسِعْ[4] فيه، وسَترِدُ عليه إنْ شاءَ اللهُ تَعالى بَقيَّةُ ما في الصّدْر. ووَصَل ما أنفذَهُ وحَسُن موقِعُهُ، فإنّما قُرَّةُ العَيْن، وقُوَّة[5] الظَّهْرِ، ومُسكةُ النَّفْسِ، ومُنَّةُ الأمَلِ: نجابةُ وَلدي أبي طالبٍ حَرَسهُ اللهُ تَعالى، وقد نَويتُ له غيرَ ما كنتُ عليه، وسَتُسْفِرُ له الأيّامُ عن كلِّ مُراد، فليُواظب الشّيخُ على تَهذيبِه وتأديبِه، والسَّلامُ عليه.

ولمْ يَرِدْ من الشّيخ سيِّدنا كتابٌ في هذه السّنة، ووالله ليفيَنَّ بوَعْده، وليَلْحَقَنَّ بولدِه بل بعَبْدِه، أو لأقطَعَنَّ مُكاتبتَهُ ما عِشتُ، ومُواصلتَه ما بقيتُ، ولي فيها أفعَلُ أسوةٌ بيوسفَ عليه السَّلام. ثم إنْ قَصَدني واصلاً، وحضَرني زائراً، لأخدُمَنَّهُ خدمةً يَتحدَّثُ بها الرُّكْبانُ بَرّاً وبَحْراً، وتَسيرُ بها الأخبارُ شَرْقاً وغَرْباً.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: ملته.

(٣) ي: وأثنى.

(٤) ي: أسعَ.

(٥) ي: وقرة. تكرار.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1] - إليه أيضاً

وما أُشبِّهُ نَفسي - أدامَ اللهُ عِزَّ الشّيخ[2] - في هذه الأسفار إلّا بالخيالِ الطّارق، أو بلمْعِ البارق، أو الغُلامِ الآبِق، أو الجَوادِ[3] السّابق، أو بهَرَبِ السّارق[4]، أو السَّهْم الخارق. وإنّما هو الشَّدّ والتِّرْحال، والخَيْلُ والبِغال، والحُمُرُ والجِمالُ. وبينَ المَقيلِ والمَبيتِ بَوْنٌ بعيدٌ، وبينَ المُصبِحِ والمُمْسَي نأيٌ طَويلٌ[5]، وبينَ المَضربِ والمقصِدِ طيُّ المَراحِلِ بالبيد.

والشّيخ يَستقصِرُ[6] كُتُبي، ويَستبطِىء رُسُلي، وما بي إغفالٌ، ولكن إمكانٌ، وقد استقرَّت - بحمدِ الله - القَدم، وكلَّ وقتٍ رَسولٌ قاصدٌ وكِتابٌ نافذٌ إنْ شاء اللهُ تَعالى.

والشّيخ أبو فُلان لا يزالُ يُسلِفُني يداً غرّاءَ يَرتهِنُ بها شُكري، ثم لا يَلبَثُ قدَرَ ما اقتنى[7] من مِنَّةٍ حتى يُتبِعَها أختَها، لا جرَمَ أنّي أستخيرُ اللهَ في الكسَل. وله - أيّده اللهُ - من قَلْبي الحبَّةُ السّوداءُ، ومن صَدْري شِعْبٌ فارغٌ إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) الدعاء ليس في ص.

(٢) عبارة ص: أعز الله الشّيخ.

(٣) ي: الجود.

(٤) (أو بهرب السارق) ساقط في ص. ي: السابق. وهرب السارق، بالتحريك: فراره، كطلب طلباً. الرازي، مختار الصحاح، ص٧٠٥ (هرب).

(٥) ي: نأي طرح.

(٦) ي: يستنصر.

(٧) ي: ما أقدر قتنى. (كذا).

وله – تَجاوَز اللهُ عنه – إليه أيضاً[1]

مضَى العيدُ – أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس – فلا صَدقاتُ الفِطْر، ولا صَدقاتُ العِطْر، ولا فَضَلاتُ[2] القَطْر، ولا لَفَظاتُ الذِّكْرِ. وأسمَعُ النّاس يقولون: إنّ الشّيخَ الإمامَ مُستبرِدٌ[3] لي، مُستوحِشٌ مِنّي، وأنا سليمُ نَواحي القَوْل والفِعْلِ والنيَّة، وإنّما أنا كالحيَّةِ أضمَنُ أنْ لا ألسَعَ، ولا أضمَنُ أنْ لا يُفزَعَ[4]، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: قصلات. وهو جائز. قال الرازي: «القَصَل – بفتحتين – في الطعام: مثل الزؤان». مختار الصحاح، ص٥٦٠. ولا يخفى علاقة المجاز بينهما.

(٣) ي: مستريد.

(٤) أو: لا يقرع، على ما في ي.

وله - رَحِمه اللهُ تَعالى[1] - إليه أيضاً

الصّدقُ - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - حَسَنٌ جَميلٌ، والجنّةُ مِيعادُهُ. والكَـذبُ سَـيّىءٌ قبـيح، وأسـوأُ منـهُ مُعـادُهُ. ومـن فَسـيحِ العـار[2]، ونَسـيجِ[3] الـدَّبارِ[4]، ودَواعـي البَـوارِ[5]، ومُوحِشـاتِ الـدّار، ومُوجبـات النّـار: حَلِـفُ المـرءِ قبـل أنْ يُستحلَفَ، فاسمع: اللّهمَّ إنْ كانتْ سَنةُ إحدَى واثنتَينِ اشتَملتا بعِلمي على يـومٍ وليلـةٍ واحدةٍ أخليتُ الشّيخَ الرّئيس فيهما مـن وِرْدِ دُعـاءٍ نهـاراً، ووِرْدِ دُعـاءٍ لَـيْلاً، فأنـا مـن حَولِك وقُوَّتِك بَريء، وعلى مقْتِك ولَعْنتك جَـريء. ومـا أعتـذِرُ بهـذا، إنّي لَــمَصُونُ الأطرافِ مَحفوظُ الأسباب. وإنّ امرَأً صَلاحي في ناصِيتِه، ومَعاشي في ناحيتِه، وبقائي في عافِيتِه، لحقيقٌ بـالأكثر مـن صـالح الـدُّعاء، ولـو نالـت اليـدُ الثُّريّـا[6]، والـذي أحـبَّ أنْ يَعلَمَني شَكوراً، ويتصوَّرَني مُخلِصاً، ومـا بي تَسْـويةُ[7] الخَـراج، وتَهْيئـةُ الضِّـياع[8]، إنّـما أنا المرءُ لا يشفيني القيلُ، ولا يُرويني النِّيلُ، ولكن عبْدُ تلـك الأخـلاق، وفِـداء ذلـك الحِلْم، ولو أنّ الذي خوَّلنيه سَلَبنيه ما نقَصْتُهُ محَبَّةً :

---

(١) ساقط في: ص، ي.

(٢) ي: نسيج الغار.

(٣) كذا في الأصول.

(٤) ص، ي: الأدبار.

(٥) ي: البرار.

(٦) ساقطة في ي.

(٧) ي: تسويع (كذا).

(٨) ي: الصيح (كذا).

وأقسمُ لو رَوَّيتَ سيفَك من دَمِي لأثْمَرَ بالوُدِّ الصَّحيحِ فجرِّبِ[1]

وأستغفِرُ اللهَ على إفْراط الشِّعْر على أنِّي له نِعْم العَبْد.

(١) لأبي علي الحسن بن أحمد الجوهري الجرجاني، لكن الهمذاني غيّر بعض الشيء. أورد الثعالبي في (الإعجاز والإيجاز) قول الجوهري، وقد أرسله للصاحب بن عباد:

قدرت على قتلي بعدلك فاقتصد وكنت على قتلي بسيفك أقدرا

وأقسم لو روّيت سيفك من دمي لأورق بالود الصريح وأثمرا

وكَتَب - عَفا الله تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

سُئل بعضُ الفُقهاء - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - عن لَحم الذُّبابِ الميِّت، فقال: مَن اشتهاهُ حيّاً طريّاً، ليأكلْه[2] هنيّا مريّاً.

أنا لا أعلمُ للسُّلْطان في مالي حاجة، ولا للشّيْخ الرّئيس في خَرْفي[3] نُجْعة، وأبو فُلان به ما بي، فلمَ لا يَرحَمُ شَبابي؟ والغلطُ الواقعُ في ابن أبي اليَقظان، واحَرَبا وإليك أشكو الحرب. أظنُّ - والله - أجَلي قد اقتربَ، ويا لله. لَلموتُ في وَقْته خيرٌ من الحياة في غير وَقْتها، اللّهمَّ توفَّني مُسلِماً وألْحِقْني بالصّالحين[4]، ربَّ العالمين.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: فيأكله.

(٣) الخرف هنا: كناية عن الثمار، وأصله قطع الثمار، وكذلك اخترافها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٦٤ (خرف).

(٤) نسج على قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾. سورة يوسف، من الآية ١٠١.

وكَتَب - تَجاوَز اللهُ عنه - إليه أيضاً(1)

أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس، طالتِ الأذيال، وكَثُرَ العيـال، وضـاقَ الاحتيـال، فالحلالُ قلَّما يُنال، والحرامُ حِمَى الله، ومَن أخفرَ اللهَ وجَدَ اللهَ قويّاً عزيزاً.

بَقيت شُبُهاتٌ هُنَّ مَواقفُ العِثار، بينَ الجنَّةِ والنّار، حـدٌّ منهـا(2) إلى بـأسٍ(3) الله، وأخرى(4) إلى عَفْو الله، أنا عَليها أدور، وفيها أخوض، وحولَها أحوم، وهي إنْ(5) لم تكن طُعْمُةَ الأخيار، فليستْ بمَأْكَلةِ الأشرار، وأحقُّ مَـن أعـانَ عـلى صـالحِ النيَّـة، وطيِّـب الطُّعْمة: مَن صَلَحتْ نِيّتُه، وطابت طُعْمَتُه.

وأخذُ الدَّهْقة(6) في زَماننا هذا(7) خيرُ المَطاعم، وأبعَدُها من المَـلاوِم. فـإنْ ضـمِنَ لي مَضارَّها، تولَّيتُ مَنافعَها، فكان لي تَثميرُها وارتفاعُها، وعليـه عُشْـرُها وخَراجُهـا، وإلّا أكلتُ اللَّحْمَ نَضيجاً، وأخذتُ الثّوبَ نَسيجاً، ولزمتُ التّجارةَ المأمونـة، والحِرْفـةَ الميمونة، فلْيُغَلِّبْ فيهما(8) رأيَهُ الموفَّق إنْ شاءَ الله تَعالى.

---

(1) العنوان في ص: وله أيضاً.

(2) ي: خدمتها.

(3) ي: بين.

(4) س، ص: وآخر لي. ولعل التأنيث أكثر صواباً، لقوله بعد: أنا عليها أدور.

(5) مكانها في س: وإن. وفي ي: إنّها وإنْ.

(6) ي: الدهقنة. ويقال: دهق لي دهقة من المال، أي: أعطاني منه صدراً. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢، ص٦٧٨.

(7) ساقطة في ي.

(8) ي: فيها.

وكَتَب - عَفا اللهُ عنه - إليه

يُعزّيه في بعض مَسْتوراتِه[1]

كتابي، ولا إخلالَ بفرْضِ[2] الخدْمة، ولا رغْبةَ[3] عن مُشاركةِ وَليِّ النِّعْمة. إنّ مأتَمَ قوْمٍ في الصُّدورِ أشدُّ من مأتَمِ آخرينَ في الدُّور. إنّ المُصيبةَ لَتشُقُّ من قومٍ ظاهرَ الجُيوب، ومن قومٍ باطنَ القُلوب، وللخليل إبراهيمَ بالذّبيحِ إسماعيلَ وَجْدٌ يفعَلُ الأفاعيل، وإنْ لم يكن للتُّراب على الرّأس نَقْعٌ، ولليدَيْنِ على الأرضِ وَقْعٌ، لكُنّا[4] عَلِمْنا أنّ القُعودَ على هذا الموقِفِ أبلغُ في الخِدْمةِ من القِيام، والسُّكوتَ عن هذا المُصاب أفصحُ من الكلام، حتى لقد سَخُفَ قومٌ وسَفِهتْ أحلامٌ، قال الفَرَزْدق[5]:

وجَفْنِ سِلاحٍ قدْ رُزِئتُ فلمْ أَنُحْ ... عليه ولمْ أبعَثْ عليه البَواكيا

وفي جَوْفِهِ من دارمٍ ذُو حَفيظةٍ ... لوَ انَّ المنايا أنسأتهُ لَياليا

فأثار هذا الشّجَنَ العَجيب[6]، وأطارَ هذا اللّفظَ الغَريب، وطرَّبَ هذا التّطريب، ولِيمَ مع ذلك وعِيب[7]، على أنّه قال: لم أَنُحْ عليه ولم أبعَث البَواكي.

وعزّى المتنبّي بالأمس سَيْفَ الدَّوْلة عن بَعْض مَسْتوراتِه، فعُدَّتْ في هناته. ورَثى

---

(١) صن: وله إليه يعزّيه عن بعض مستوراته. ي: وله إليه تعزيةً عن منشوراته. (كذا).

(٢) ي: والإجلال يعرض.

(٣) ي: والرّغبة.

(٤) في الأصول: ولكنا، حذفنا الواو.

(٥) في جاريةٍ حملت منهُ ثم ماتت قبل أن تضع حملها، فرثاها بأبيات منها هذان البيتان. الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٣٢٠.

(٦) ي: الغريب.

(٧) ي: وعتب.

ابنُ الرُّومي أمَّهُ فنُوقِضَ بما نُوقِضَ، وعُورِضَ[1] بما عُورِضَ.

ثم سَمِعتُ من[2] بَعْدُ آنّه أقيم المأتَمُ، وحضَر[3] العالم، فخشيتُ أنْ أُنسَبَ إلى الإخلال، وما أردتُ غير الإجلال. ولقد جادلتُ[4] الزَّمان في غيرِ هذا الموقِفِ حتى وقَفَ الجدالُ، أنشدتُه :

مـا لِلزّمانِ وصَرْفِه لا ينتحي[5] ... إلّا العُلا ومَنازلَ الأشرافِ

فأنشدني :

لا تعتَبنَّ على الزَّمان وصَرْفِهِ ... ما دامَ يقنَعُ[6] مِنك بالأطرافِ[7]

فقلتُ له :

صَرْفانِ في أيّامِ عامٍ واحدٍ ... يا فَرْطَ ما أخذتْ بهِ الأقدارُ

فقال لي :

هل تنقِمونَ على اللّيالي حُكْمَها ... لا سيّما[8] نُذِرتْ به[9] الأعمارُ

فألزمتُهُ قولي :

هلّا سِوَى الأغصانِ إنْ يكُ آخذاً ... والفَرْعِ إنْ يكُ لا محالةَ فاعِلا

---

(١) ي: وعوض.

(٢) ساقطة في ي.

(٣) ي: وحضن.

(٤) ي: جارات، وكأن الناسخ أراد: وجاريت، فلم يوفّق إلى كتابتها صواباً.

(٥) ي: يستحي.

(٦) ي: يقع.

(٧) لأبي الفضل السكري المروزي. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٤، ص٩٩.

(٨) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: إلّا بها».

(٩) موضع (نذرت به) في ي: وارته.

فانفصَل بقولِه :

إنّ الأشـــاءَ إذا أصـــابَ مُشَـــذِّباً[1] منــهُ أغَـــلَّ[2] ذُرىً وأثَّ أســـافِلا[3]

ورجَحْتُ بقولي :

الـدّهْرُ أدهَــى نَظـياً[4] كـان مُنفــرِداً وفي الثُّريّــا فريــدُ الحُسْــن مُطَّــرِدُ

وقابلَ بقولِه[5] :

إنْ يَبْــقَ مُنفــرداً فالبَــدْرُ[6] مُنفــرِدُ والسَّـيْفُ[7] مُنفــرِدٌ واللَّيْــثُ مُنفــرِدُ[8]

ولو لم أهِب الجِدال[9]، وأخفِ[10] المَلالَ، لقلتُ وقال[11].

أيّـد اللهُ الشَّـيخ الـرّئيس، لـو كـانَ أحـدٌ دونَ أنْ يُـذكّر بـالله، وأحـدٌ فـوق أنْ يُذكَّر بالله، لكنت وكان، ولكنّه - بحمدِ الله - ممَّن إذا ذُكّر بـالله هضَـمَتْه بيّنـةُ العِلْـم، ولمْ تأْخُــذْهُ العِـزَّةُ بــالإثم[12]. وأنــا أُذكِّــرُه اللهَ الــذي خَلَقَــه مــن قبـلُ ولمْ يــكُ

---

(1) ي: تشذّب.

(2) ي: أتمّهل.

(3) لأبي تمام، وقد تقدّم تخريجه في ص٢٣٧.

(4) ي: الدرّ أوهى نظماً.

(5) سقطت هذه العبارة في ي.

(6) ص: فالسيف، ي: فالشمس.

(7) ص: والشمس.

(8) لجذل بن أشمط العبدي، كما جاء في التذكرة السعدية للعبيدي، ص١٥٤ (مع بعض الفروق).

(9) ص: الجبال، ي: الجلال.

(10) ي: وآخذ.

(11) ي: وباك.

(12) ي: العز بها لاثم. وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾، سورة البقرة، من الآية ٢٠٦.

شيئاً[1] مذكوراً، ثم جعَل جَمْرةَ العرَبِ قبيلتَه، ثم جعَل أشرفَ تلك القَبيلةِ فَصِيلتَه، ثـم اصطفاهُ من[2] بينهم، وفضَّلَهُ عليهم، ثم جعَل أبناءَ ملوكِ العَجَمِ خَوَلَه، ثم أوطأ سـادةَ العربِ عَقِبه، أنْ يَنسَى[3] الكثيرَ من نعمِ الله لقليلٍ من بَـلاءِ الله، لا تَزيـدُهُ النِّعْمـةُ[4] إلّا شُكراً، والمُصيبة إلّا صبراً، أو يَضيقَ بترادُفِ هاتينِ المُصيبتين ذَرْعاً، ويسوءَ بالله ظنّاً.

إنّ السّعيدَ مَن وَرَّثَ أولادَه، وقدَّمَ أحبابَـه، وأنـا أرجُـو أنْ يكـونَ أوَّلَنـا للـدُّنيا إصابةً، وآخرَنا إلى الآخرةِ إجابةً، وأنْ يوصِلَ ما أوتِي مـن نعمـةٍ في العاجـل بخـيرٍ منـه في الآجل.

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾. سورة مريم، الآية ٦٧.

(٢) ي: ثم.

(٣) ي: إن سبى.

(٤) ي: النقمة، وهو من شنيع تحريف الناسخ.

وكَتَب - تَجاوَز الله عنه - إليه أيضاً[1]

نِعْمَ العَونُ على عزَّةِ الشّيخ الرّئيس دِينُه الأبيضُ النّاصع، وإسلامُهُ الصّادقُ النّافع. لقد عجَمْتُ[2] عودَهُ في أمرَيْن مُنكَرَين ؛ فوجَدتُهُ طيِّبَ المكسر، فوالله لأقولَنَّ ما دامَ يسمَع، ولأُدنِدَنَّ ما وجدتُهُ ينتصِح، عسَى اللهُ أنْ يُوفِّقَني قائلاً، ويُوفِّقَهُ قابلاً.

هذا الذي يستخرجُ فِعلُهُ الأحداثَ لو سمَّى مالَ النِّثارِ أو مالَ الخِوانِ أو اسماً آخر غيرَ مال الأحداثِ، كانت الحاجةُ تُدرَكُ، والدِّينُ وافرٌ قويٌّ، والكُفْرُ صاغرٌ قَمِيٌّ، ولكان المُرادُ يَرتفِعُ[3]، والإسلامُ سالم، والشيطانُ راغِم.

إنّه ليس المسؤول: لِمَ أخَذْتَ ؟ كالمسؤول: لِمَ كَفَرْتَ ؟ وسأضربُ مثلاً ومِثالاً لما قدَّمتُ. إنّه قَضَى اللهُ أنْ لا ربا، فقالتْ قُريش: ضاقَ علينا العيشُ، فأُمروا أنْ يشتَروا ويبيعوا، فقالتْ طائفةٌ: إنّ الذي أُمرنا به كالذي نُهينا عنه، فأنزلَ الله سُبحانَهُ تَسْخيفاً لِكلامِها، وتَسْفيهًا لأحلامها : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[4]. صدَق اللهُ وكَذَبَ القياس، وأمرَ اللهُ فلْيطِعِ النّاس.

إنّه ليسَ بينَ الحرامِ الموبِق والحلالِ الطَّيِّب إلّا نظَرُ المُسلِم لِنفْسِه، وهل بينَ الجنَّةِ والنّار إلّا حجابٌ من كلام، أو حجازٌ من صدَقةٍ أو صيام؟ وهل بينَ الزّنا والنّكاح، إلّا ما بين الرّبا والبيع المُباح؟ قولٌ مَعْروفٌ يفتَحُ رِضْوانَ الله وحُسنَ مآب، وتهاوُنٌ يُثمِرُ لعنةَ الله وداراً لها سَبعةُ أبواب.

---

(١) العنوان في ص: وله أيضاً، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: عجبت.

(٣) ي: مرتفع.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٧٥.

وهَراةُ اليومَ - بحمدِ الله - مَدينةُ السَّلام، وخِطَّةُ الإسلام، ودارُ السُّنَّةِ ومَدارُها، ونارُ الهِداية[1] ومنارُها. ولو فسَد المِلْحُ لَفَسَد اللّحْم، ولو وَهَنَ الرّأسُ لوَهَنَ الجسْمُ، وإنّما الشّيخُ الرّئيس إمامُها وقِوامُها، ولا يتمُّ صَلاحُها حتى يتمَّ صَلاحُهُ، ولا ينعَمُ صَباحُها حتى ينعَمَ صَباحُهُ[2]. وكما نِيطَ بسَلامةِ[3] الرأسِ سَلَامةُ الجسَد، كذلك نِيطَ بصَلاحِ الرّئيس صلاحُ البَلَد، وكلٌّ يُسأَلُ عمّا يفعَل، وهو - أيّده اللهُ - يُسأَلُ عمّا فعَلوا، وقد سَمِعَ وَعيدَ الله على الحدود، وأخْذَ الله على اليَهود، فيما[4] آتاهم من كتابٍ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنّاس ولا يكتمونَهُ[5]، ثم أخَذَ على هذه الأمَّةِ من العُهود، أوثَقَ ممّا أخذَ على اليَهود.

وإنّ المسلِمَ لَينشَطُ إلى الفِسْق مُغترّاً[6] بعَفو الله، مُتّسِعاً في حِلْمِ الله، ولا يَنشَطُ إلى الكُفر. إنّها الحالةُ التي لا تُقنِعُها[7] الإطالة[8]، والقالةُ التي لا تسَعُها الإقالة، والمَهْواةُ التي لا يبلُغُها عفوُ الله، ولا تُدرِكُها رحمةُ الله، عزْمةٌ من عَزَماتِ الله أبرَمها في الكُفّار، أنّهم من أصحابِ النّار.

ومَعْنى مالِ الأحداثِ: أثمانُ الحُدود، وحُدودُ الله لا تُباعُ، ورُسومُ الله لا تُضاع. فإنْ قَبِل فالرُّشْدَ أصابَ، والحقَّ أجابَ، خار اللهُ له الخِيرَةَ، ووَفّقَهُ لصالح القَوْلِ والعَمَل.

---

(١) ي: الهدى.

(٢) ي: صاحبه.

(٣) ي: سلام.

(٤) ي: فما.

(٥) في الآية ١٨٧ من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

(٦) ي: معتبراً.

(٧) كذا الكلمة في الأصول، ولعلّ المصنف يريد بها الكناية عن استحالة التغيّر، ويقال: أقنع رأسه: إذا رفعه.

(٨) ص، ي: المحالة.

وكَتَب - رَحِمه اللهُ تَعالى - إليه أيضاً[1]

قَسَماً لئن استَرَقَّني الشّيخُ الرّئيس حَديثاً، لقد استحقَّني قَديماً، ولئن اشتراني طَريفاً، لقد مَلَكني تَليداً، ولقد أجلَّهُ الله[2] بينَ أعاديه، فلا تَنالُهُ يدُ أحدٍ بسُوءٍ.

ولقد جَعَلهُ عُرضةَ يانعِ الوَلاء، وطيّبِ الثناء، وصالحِ الدُّعاء، آية[3] أحلام ضَبَّةَ[4] وأهلاً بأحْلامِها:

هـنَّ العُروقُ عليها ينبُتُ الشَّجَرُ[5]	هـنَّ الأرومُ ومنها ذلك الثَّمَرُ

السَّيْفُ - أدامَ اللهُ عزَّ الشّيخ الرّئيس - خاملٌ، حتى يوجد[6] له حاملٌ:

وكنتُ كمثلِ النَّصْلِ فارَقَ غِمْدَهُ	فأحدثتِ الأيّام في حَدِّهِ وَهْنا
فصادَفَهُ الشّيخُ الرّئيسُ مُعطَّلَا	بأيدي رِجالٍ لا يَرَوْنَ له وَزْنا
فجاذَبني سِنّاً وأحدثَ لي سَناً	وجدَّد لي جَفْناً وحَلّى[7] لِيَ الجَفْنا

---

(١) العنوان في ص: وله إليه أيضاً، ي: وله أيضاً أيضاً (كذا).

(٢) لهذه الرسالة في ي مقدّمتان، إحداهما طارئة ينقطع الكلام منها بعد لفظ الجلالة، فتقتحم النصّ رسالة أخرى غيرها، والثانية مبدوء بها النصّ التام للرسالة، وهو بتمامه: «وله أيضاً إلى مُحمّد بن ظهير رئيس بَلْخ وعميدها. كتابي، والشيخُ الرئيسُ رحمه [الله] في الرياسة مخوَّل، وله في الفضل آخرٌ وأول، وما يخلو له طرف من شرف، يناله يدُ الحُرّ»، ثم تمضي بقية الرسالة على ما هنا.

(٣) في الأصول: آية، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: إنه».

(٤) انظر ما تقدّم ص٢٩٨، هامش رقم (٣).

(٥) لعلّ قائله أخذه من المثل القائل: إن العروق عليها ينبت الشجر، وهو مثلٌ يُضرب في شبه الفرع بالأصل. الزمخشري، المستقصى، ج١، ص٤٠٨؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٧، ص٨٩.

(٦) ص، ي: يجد.

(٧) ص: وسلى.

وليست الأبياتُ لي، ولكنّي أصبتُها، فاستطبتُها، والبزُّ لمنْ بزَّ، والعِزُّ لمنْ عزَّ :

وما أنكحونا طائعينَ فَتاتَهم ولكنْ خَطَبناها بأرْماحِنا قَهْرا

ولي صاحبٌ لما أتاني جَوابُهُ نثرتُ على عُنوانِهِ قُبَلي نَثْرا

سَرَقْتُ له شِعْراً ولو وَصلتْ يَدِي سَرَقْتُ له الشِّعْرى ولم أسرِقِ الشِّعْرا[1]

أعوذُ بالله من الحَوْر، بعدَ الكَور، وأستقِيلُ اللهَ عثراتِ الكِرام.

كنتُ نوَيتُ أنْ لا أقولَ الشِّعْر، فأبتِ النّملَةُ إلّا الدَّبيبَ، وأجِدُني قد اكتَهلتُ، والكهْلُ قبيحٌ به الجَهْلُ، ولاحَتِ الشّعَراتُ البِيضُ، وجعلتْ تُفرِخُ وتبيضُ.

وآن لعازبٍ أنْ يؤوب، وإنّما اختارتِ الحكماءُ الزاويةَ، والأماكنَ الخاليةَ ؛ لأنهم وَجَدوا الغاشية[2] تَهيجُ الآنية[3]، وما أهنأ هذه العافية، لو لم أُحرَم الخِدْمةَ العالية؛ وَرقاتٌ تُدرَس، وشُجيراتٌ تُغرَس، وشُويهاتٌ تُحرَس، واللَّبنُ الرّائب، والبُرُّ الخليط، وعَريشٌ كعَريش موسى، ولَلشأنُ أقربُ من ذلك :

لَعَمْري لئِن قَيَّدتُ نَفسي لَطالما سعيتُ وأوضعتُ المطيَّةَ بالحَبْلِ

ثلاثينَ عاماً ما أرَى مِن عَمايةٍ إذا برَقَت إلّا أشُدُّ لها رَحْلي[4]

فجزى اللهُ الشَّيبةَ خيراً إنّها لأناة، ولا ردَّ الشَّبيبةَ إنّها لَهناة، وبئسَ الدّاءُ الصِّبا، وليس دَواؤه[5] إلّا انقضاؤُهُ، وبئسَ المثلُ: النّارُ ولا العارُ[6]، ونعْمَ الرّائضانِ اللّيلُ

---

(١) البيت الأول فقط، أورده الزمخشري في أبيات. ربيع الأبرار، ج٣، ص٣٤٧. وفيه أنه لعلي بن المغمر.

(٢) ص: العاشية.

(٣) ص: الآبية.

(٤) للفرزدق. العباسي، معاهد التنصيص، ج١، ص٢٦٠، وعنده (في الجهل) مكان (بالحبل).

(٥) كذا، بالرفع فيها وفي التي تليها. اسماً وخبراً، مراعاة للمزاوجة.

(٦) العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص٢٥٣؛ الزمخشري، المستقصى، ج١، ص٣٥١.

والنّهارُ، وأظنُّ الشّبابَ والشَّيبَ لو مُثِّلا لكان الأوَّلُ كَلْباً عَقوراً، والآخَرُ شَيْخاً وَقوراً، ولاشتعل الأوَّلُ ناراً، وانتشَرَ الآخَرُ نوراً.

والحمدُ لله الذي بيَّضَ القار، وسمّاهُ الوَقار، وعسَى اللهُ أنْ يَغسِلَ الفؤاد، كما غسَلَ السَّواد. إنّ السّعيدَ مَن شابتْ جُملُتهُ، والشّقيَّ مَن خُضِّبتْ لِحيَتُهُ.

وكفى اللهُ الشّيخَ الرّئيسَ كلَّ محذور، لقد كفاني كلَّ مَكروه، ووَفّقني لشُكْرِهِ وخِدْمتهِ، آمين، وصلَّى اللهُ على محُمّد وآلِه الطّاهرين.

اللّهمّ غُفرانَك لنا أجمعين، فإنّ أبا جعْفرٍ العَلَويّ أخذ عليَّ العَهْدَ الثقيل، والميثاقَ الغليظَ أنْ لا أكتُبَ إلّا أجمعين، فقلتُ: وما أنكرتَ من الطّاهرين؟ فقال: لأكونَ من جُملة القوم، فقد أخرجتَني من زُمْرة الجدّ، بهذا الحدِّ، والسَّلام.

وكَتَب - عَفا اللهُ عنه - إليه أيضاً[1]

والله - أطالَ اللهُ بَقاءَ الشّيخ الرّئيس - ما سكَنتُ هَراةَ اضطراراً، ولا فارقتُ غيرَها فِراراً، وإنّما اخترتُها قَطَناً وداراً، واخترتُه سَكَناً وجاراً، لتكونَ أرفقَ بي من سِواها، ولأزدادَ به عزّاً وجاهاً، فإنْ كانَ قد ثقُلَ مَقامي فالدُّنيا أمامي، وإنْ كانَ قد طالَ ثُوائي فالانصرافُ وَرائي.

لستُ - والله - ذُبابَ الخِوان، ولا وَتِدَ الهَوان، والشامُ لي شام، ما دامَ يُكرمُني هِشام، وهَراة لي دار، ما عُرف لي[2] فيها مقدار، وقِرَى الضّيف، غيرُ السَّوْطِ والسَّيْف.

مَرِضَ أبو العَيْناءِ[3] مَرَضَ وَفاته، فقال له بعضُ عُوّادِه: يا أبا العَيْناء قُلْ: لا إلهَ إلّا الله، فقال: إنّا لله، وجُدَّ بِنا[4]، والله، صار أبو سفيان، بعد أمان، مَن لجأ إلى داره، ولاذَ بجداره، يُؤخَذُ بجُرم جارِه، ويَصْلَى بحرِّ نارِه.

شدَّ والله ما انتكسَ العَزُّ، وانقلَبَ الأمرُ. هذا الخليفةُ يزعُم أنّي طعام، فلا والله إنّ لَـحْمي لَـحَرامُ، وفيه عُروقٌ وعظام، ولو كنتُ طَعاماً لكنتُ الأكْلَةَ التي تَمنَع[5] الأكلات، ولو كنتُ ألْيةً ما كنتُ إلّا في الفَلاة، ومَن شَتَمني في خَلْف، فجزاؤُهُ مائةُ ألْف. وإذا انتهتِ الدّعْوةُ إليَّ فقد عُزِل عَزْرائيل، ولمْ يَبقَ من ولايتِه إلّا القليل.

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ساقطة في ص.

(٣) مُحمّد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليَمامي البصري، مولى أبي جعفر المنصور. كان أخبارياً، وهو من أصحاب الجاحظ. توفي سنة ٢٨٢هـ. الصفدي، الوافي، ج٤، ص٢٤٢.

(٤) ي: وحدباً.

(٥) س، ي: منع، وكلاهما فاسد، والتصويب من ص، ووافقه ناسخ س فكتب في الحاشية بإزائها «لعلها: تَمنعُ».

والله، ما يصلُحُ لَـحْمي لِلقَديد، ولا يحْسُنُ فوق الثَّريد، وإنّه لَيأبى عن[1] المضْغ، وينشَبُ في الحلْق، ويَقلَقُ في البَطْن، ولا يَخْرُجُ من المعَى إلّا معَ الأمعاء. وكانوا لا يَصيدُون ابنَ آوَى، وإنْ كانوا شَهاوى. ومَن حلَف أنْ لا يأكُلَ مَضيرةً فأكل زبَّ كَلْبٍ بلَبن قِرْدٍ لم يحْنَثْ.

وساءَني أنْ تَرَكهُ الشّيخُ الرّئيس[2] يقول فيمَن أُخِذ: إذا لم يُؤْخذْ أكَرَةٌ[3] المحتشمين بجُرمِ مُحْتَشم، يؤخذُ أكّارُهُ إذا جنى جارُهُ، وحرَجٌ عليه إذا لم يذبَحْهم بشَعر السَّخْل، ويُصَلِّبهم على جُذوع النَّخْل[4].

وأسألُ اللهَ خاتمَةَ خيرٍ وعاجلَ وفاة، إنّ بطْنَ الأرض أوسعُ من ظهرِها، وأرفقُ بأهلها، ولا عليه أنْ لا يُنبِّهني[5] إنّي نائماً[6] أسْكَنُ منّي يَقظان، وجائعاً أخْبَثُ منّي شَبعان، والذئبُ لا يُصادُ عَدَداً، والصّوابُ في الوُقوف، والطّاسُ إذا نُقِر فعليه[7] بالصّوت.

---

(١) ص: من.

(٢) ساقطة في س.

(٣) في حاشية ي: «الأكرة: جمع أكّار، وهي الحرّاث. قاموس». إكّارو Ikkaru (m): فلّاح، كلمة مستعارة من السومرية LU.ENGAR: رجل المحراث، ويبدو أنها تعود إلى الشعوب التي سكنت جنوبي بلاد الرافدين قبل السومريين، بالعبرية «إكّار»، وبالسريانية «أكّارا»، وبالعربية «أكّار». بالعربية: الأكر: الأُكْرةُ بالضم: الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فيُغرف صافياً. وأكر يأكر أكراً، وتأكَّر أكراً: حفر أُكْرةً، والأُكَرُ الحفر في الأرض، واحدتها أُكرة. والأكّار: الحرَّاث والزرّاع، والجمع: أكَرَة. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٦ (أكر)؛ وانظر: مرعي، اللسان الأكادي، ص١٧٦.

(٤) تأثّر من الهمذاني بقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾. سورة طه، من الآية ٧١.

(٥) ي: يتهمني.

(٦) ي: نائم، ولا يسوغ، فهذه حال معترضة توجب النصب، ويعضده نصبه (وجائعاً) الآتية في النسخ كلّها.

(٧) س، ص: فعلته.

وكَتَب - سامحه اللهُ تَعالى - إليه أيضاً[1]

كتابي، ولعلَّ الأخبار قد وَرَدتْ تلك الدِّيار، وكيف شكرتَ النِّعْمة، وأدَّيتَ فَرْضَها، وإنْ عشتَ لَتبلُغَنَّ الرّاعي[2] ولو[3] على ماء مَدْيَنَ[4]، والرّاهب[5] ولو بعَدَنِ أَبْيَن[6]، فشَكرَ الغارسُ تثميرَ غَرْسِه، ومَن شكر فإنّما يشكُرُ لنفْسِه[7].

ولما حضَرني رؤساءُ نَيْسابُور ولمْ أشكُرْه ذلك الإحسان، بأوقَعَ من بيتِ حَسّان :

إذا ما الأشرباتُ ذُكرنَ يوماً فهُنَّ لطيّبِ الرّاح الفِداءُ[8]

فمنهم مَن سَرَّهُ فصاحَ، ومنهم مَن ساءَهُ فشاحَ، وما أنْسَ لا أنْسَ ارتياحَ الإمام أبي الطَّيِّب[9] وقولَهُ: أحسنْتَ، وأنفاسَ قومٍ آخرينَ جعل اللهُ نُفوسَهم فِداءَ ذلك النفسَ،

بجَبْهة العَيْر يُفدَى حافرُ الفَرَسِ[10]

---

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

(٢) ي: الداعي.

(٣) قوله: (الداعي ولو) جاء في ي: ولو الداعي!

(٤) ماء مدين هو المذكور في قصة النبي موسى في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾. سورة القصص، من الآية ٢٣. ولا أدري ما دلالة هذا هنا !

(٥) س، ص: والذاهب.

(٦) عَدَن وأَبْيَن مدينتان في اليمن.

(٧) من قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾. سورة النمل، من الآية ٤٠.

(٨) ديوان حسان، ج١، ص١٧.

(٩) لعلّه الصُّعْلوكي، وقد تقدّم التعريف به ص٤٤.

(١٠) عجزُ بيتٍ للمتنبيّ، صدرُه: يفدي بَنيك عُبيدَ الله حاسِدُهم. ديوانه، ج٢، ص١٨٨.

لا جرَمَ أنّي نظَرْتُ إلى الوَليِّ، وعطفتُ على العدوِّ، فأنشدتُهما :

مَــدَحتُ الأمــيرَ وأيّامَــهُ ... فضـاءَتْ وُجـوهٌ وسِـيئتْ وُجُـوهْ

وهلْ يجحَـدُ الشّـمسَ إلّا العَمِـيُّ ... وهــل يعــرِفُ الفَضْــلَ إلّا ذَووهْ[1]

أنا إذا فكّرتُ فيما يُمْليهِ[2] الزَّمان من خُطوبه مَشغولُ القلب، فإذا رجعتُ إلى مـا يحكيه[3] من كفايةِ الشّيخ الرّئيس قويَّ[4] الظهر، واللهُ يُبقيه ثمالاً وجَمـالاً، ولا نَزيـدُهُ إلّا القاضيَ أبا عاصم.

وما أحْسنَ هذه الأُحْجيَّة، وأمْلحَ هذه الخفيّة، وأوْفقَ لفظَها لمعناها، ولا يـذهَبَنَّ ذاهِبٌ إلى التَّكْنية، فغيرَها قصَـدتُ بالتَّعْمِيـة، ومـا هـذا التّعـريضُ، ومـا هـذا الهَـوَسُ العَريضُ، وهلّا شرحتَ، فقلتَ: المحبوبُ واسترحتَ ؟

وللشّيْخِ الرّئيس في تَشـريفي بالجواب، وتَعْريفـي بمسـارّ الأخبـار، وتَــكْليفي سَوانحَ الأوطار، وتَصْريفي على الأمْرِ والنّهْي، رأيُهُ المُوفَّقُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) س، ي: أولوه، وهذان البيتان لبديع الزَّمان، وما في ص مطابق لما في ديوانه، ص١٣٨.

(٢) ي: عليه.

(٣) ي: يليه.

(٤) كذا عبارته في الأصول جميعاً، وكأن الأتم أنْ يقول: رجعتُ قويّ الظهر.

ولـه - تجاوَز الله عنه[1] - إليه أيضاً

نَهْري[2] - أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس - لا يَزيدُ البَحْرَ عَدَداً[3]، وحَجَري لا يزيدُ الطَّوْدَ وَزْناً، وقد رأيْتُ أنْ لا أزيدَه شُغلاً، فلْيَسَرَ أنْ لا يُنقصَني فَضْلاً.

أنا العامَ أصدقُ عُبوديَّةً[4]، وأتمُّ فيها نِيَّةً، فإنْ نقصَني عَطيَّة، ولم أرْكبْ خطيَّة، سُؤتُ ظَنّاً، وضِقتُ ذَرْعاً، وما بي الغَرامة إنّ عليَّ لها مَحْمِلاً[5]، ولكنّ النّاسَ نَظّارةُ رأيه العامِّ لي، فإنْ صَدَق رَغِمَ الحُسّادُ، وإنْ تغيَّر ظهَر الفَسادُ، وكما لا يَنقُضُ شَرْطُهُ طاعةً، كذلك لا تَنقُضُ طاعتُهُ شرْطاً، وأنا إلى الزّيادةِ أحوجُ وهو بها أخلقُ، فإنْ لم تكنِ الزّيادة فلتكنِ العادة.

---

(١) الدعاء ساقط في ص، ي.

(٢) ي: هذي.

(٣) ي: لا يريد على النحر عذراً.

(٤) ي: عبوكيّة !

(٥) ي: مجملاً.

وله، رَحِمه الله[1]

إلى الوزير أبي نَصْر ابن أبي زَيْد[2]

قد عرَف الشّيخُ الجليلُ اتِّسامي[3] بعُبوديَّتِه، ولو عرَفتُ مَكاناً بعدَ العُبوديَّة لبلَغْتُهُ معَهُ. أفكلَّما بَعُدْتُ صُحبةً، رَجَعْتُ رُتْبَةً ! وكلَّما طالتْ خِدْمة قصُرت حِشْمة؟ ولستُ ممَّن يُرهَبُ عليه أنّ للسُّلطان أنْ يَرْفعَ عَبْداً[4] حَبَشياً، ويَضَع قُرشياً[5]، ولكنّي أحِبُّ أنْ أقِفَ[6] من مَكاني على رُتْبةٍ لَوْلبُها[7] لا يغورُ، ومنزلةٍ كَوكَبُها لا يَدورُ. فإذا عرَفتُ مَكاني وخطَّهُ، لم أتخطَّهُ، وإذا رأيتُ مَحلِّي وحدَّهُ، لم أتعدَّهُ، ثم إنْ قدَّمني يوماً عليها علمتُ أنّ عناية، وإنْ أخَّرني عنها عرَفتُ أنّ جناية.

---

(١) ساقط في ص، ي.

(٢) في الأصول: بريدة، ولا أعرف وزيراً بهذا الاسم، ولعلّ الصواب ما أثبتناه، وهو وزير الأمير نوح بن منصور السّاماني. وكان موصوفاً بالخير والصلاح. وللهمذاني قصيدةٌ طويلة في مدحه، منها:

أنا عبدُ مَوْلانا الوَزيـ ـرِ فما نَهاني أنْ أسودا

ديوانه، ص٦٥. وعنه، انظر: خواندمير، دستور الوزراء، ص٢١٧.

يذكر أن الأستاذ الأحدب لقّبه بالميكالي، وسار خلفه مارون عبود في كتابه بديع الزّمان، ص٢١، وهو وهمٌ منهما.

(٣) ص: التنامي.

(٤) ساقطة في ي.

(٥) ي: قريشياً.

(٦) ي: آنف.

(٧) ي: كوكبها.

قدَّم عليَّ اليومَ فُلاناً[1] ولستُ أنكُر سِنَّهُ وفَضْلَهُ، ولا أجحَدُ بيتَهُ وأصلَهُ، ولكنْ لم تجرِ العادةُ بتقدُّمِه، لا في الأيّام الخالية، ولا في هذه الأيّام العالية. وشديدٌ على الإنسان ما لمْ يُعوَّد، فإنْ يكنْ حاسدٌ قد همَّ، أو كاشحٌ قد نمَّ، أو خَطْبٌ قد ألمَّ، أو أمْرٌ قد وَقَع ثَمَّ، فالشّيخ الجليلُ أولى مَن تَعرَّفَه وعَرَّفنيه، وإلّا فما الرّأيُ الذي أوْجب اصطناعي، ثم ضياعي، والسّبَبُ الذي اقتَضى بَيْعي بعدَ ابتياعِي؟ أنا لا ألبَسُ الشّيخَ الجليلَ على هذه الخَصْلة، ولا أحتمِلُهُ على هذه الفَعْلة:

فإمّــا أنْ تكــونَ أخــي بحــقٍّ فــأعرِفَ منك غَثّي مـن سَـمِيني
وإلّا فـــــاطَّرِحْني واتَّخِـــذْني عَـــدوّاً أتّقيـــكَ وتتَّقينـــي[2]

لا أعدَمُ كريماً، ولا تَعدَمُ نديماً. ولي مع هذا الماء حالانِ لا واسِطةَ بينَهما: إمّا صَفْواً فأشرَبُه، أو كَدَراً فلا أقرَبُه، والسَّلام.

---

(١) ي: فلان.

(٢) للمثقّب العبدي. المرزباني، معجم الشعراء، ص١٦٧؛ ابن المبارك، منتهى الطلب، ج٤، ص٢٢.

وله، تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه ورَحِمه[1]

الكرَمُ - أطالَ اللهُ بقاءَ القاضي الإمام[2] - مَجان بقي أنْ يُفْطَنَ له، والفضْلُ عدنان بَقي مَن يَهتدي إليه[3]، وليسَ دونَ المجدِ حِجابٌ يُدفَع، ولا حِجازٌ[4] يُمنَع، ولا بَوّابٌ يُعبِّس، ولا شَرْيٌ يُحبِّس، ولكنْ عزَّ مَن ينالُه، ومَن شاء أنْ يعلمَ أنَّ النّاسَ ظِماء، فإنَّ[5] الكُرماءَ ماء، لكنَّ الشَّقاءَ يَمْنعُهم من قُرْبه، والقَضاءَ يحجُزُهم عن شُرْبه. فلينظُرْ، هل يُحبُّ أنْ يُدْعى كريماً، كما يُحبُّ أنْ يُبرِّىءَ سقيماً. ثم ليفكّر ما الذي يَمنَعُهُ عن مثلِ ما أتاهُ القاضي الإمامُ من المفاتحة بذلك الفَضْل، والابتداءِ بذلك الفَضْل ؟

ويا سُبْحانَ الله، ما علِمتُ أنّ هَراةَ تُنْسيني صَرْصَرَ والصَّراة[6]، حتى أنستْني دِجْلةَ والفُرات، على ظَهْر الغيب، نظرُ الرَّيْب، فكيفَ بنا إذا دَخَلْناها وحَلَلْناها، فسَقى اللهُ هَراةَ[7] من بَلَد، وأهلَها من عَدَد، والقاضيَ أبا القاسم من بينهم، وما نَصَصْتُ[8] إلّا على عَيْنِهم.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ساقطة في ص.

(٣) موضع (مجان .... إليه) في ي: مجان مع أن يفطن له، والفضل عدنان بقي أن يفطن له من يهتدي إليه.

(٤) ي: حجاب.

(٥) س، ص: وأن.

(٦) صَرْصَر: قريتان من سَواد بغداد: العليا والسفلى، وهما على ضفة نهر عيسى، وينسب هذا النهر إليهما، فيقال: نهر صَرْصَر. والصَّراة: نهران ببغداد أيضاً: الصَّراة الكبرى والصَّراة الصغرى. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٩، ص٤٠١.

(٧) س، ي: فسقاها الله من بلد.

(٨) ي: نصفت.

وحبَّذا كِتابُه واصِلاً، ورَسولُه حامِلاً، فلَقد أقرأنيهُ الشّيخُ السَّيِّد أبو فُلان بعد أنْ درَّجني إلى التّعمية، وغالَطني في كاتبِه، ونَسَبَهُ إلى بعض خدَمِه، ليرُوزَ[1] بنقْدِه عَقْلي، فحين صادَف امتداحي إحمادَهُ، ووافق انتقادي اعتقادَهُ، أطْلَع الكتابَ من سِتْرِه، وأبْرزَ السِّرَّ من خِدْرِه.

ونظرتُ من عُنوانِه في اسم القاضي الإمام، فحمِدتُ اللهَ تَعالى إذْ نبَّههُ للكَرَم، وأنامَني، ثم لا جَرَم، أنّي أخذتُ الفَضْلَ بجُملتِه، وبعَثْتُهُ إلى هَراةَ برُمَّتِه، وذاك[2] أخي أبو فُلان، وهو الفاضلُ الذي أكسَبَتْهُ بغدادُ لُطْفاً عِراقيّاً، وأفادتْهُ سِجِسْتان أدَباً شرْقيّاً. ولو قدَرتُ على عِلْقٍ أنْفَسَ منهُ لبَعثتُهُ هَديَّةً، لكنّي تصفَّحتُ الأعلاقَ، فوجدتُ الياقوتَ من جُملةِ الأحجار، وهذا الفاضلَ من جُملةِ الأحرار. والدُّرَّ مَنْسوباً إلى الصَّدَف، وهذا الفاضلَ مَنْسوباً إلى الشَّرف. والخَزَّ والبَزَّ نوعَيْنِ يُخلِقُ الدّهْرُ جِدَتَهما، وهذا الفاضلُ لا يُغيّرُهُ الزّمانُ عن عَهْد، ولا يُحيلُهُ حالٌ عن وُدّ. والدِّرْهَمَ والدِّينارَ جَوْهَرَيْن يَملِكُهما الأراذل[3]، كما يَملِكُهما[4] الأفاضل، وهذا الفاضلَ لا يُسبَكُ لشكّ، ولا يُضربُ في مَحكّ. والخيلَ العِتاقَ يَهتدي إليها الخِذْلانُ والجِماح، كما يلحقها العِضاضُ والطِّماح، وهذا الفاضلَ نقيَّ الجَيْب، من كلِّ عيب، وقد جُدتُ به بعدَ ضَنّ.

ولَعَمْري، إنّه عِلقُ مَضَنَّة، بقي أنْ يَقبَلَهُ القاضي الإمامُ بمُنَّة، وسلامٌ عليه ملءَ عَرْضِهِ وبَخْته، حَسَبَ إخلاصي وإخلاصِه، إنْ شاءَ اللهُ عزّ وجلّ.

---

(١) الرَّوْز: التجربة. رازه يروزه روزاً: جرّب ما عنده وخَبَره. والرَّوْز: الامتحان والتقدير والاختبار. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٥٨ (روز).

(٢) ص: وذلك.

(٣) ي: يمليها الأرذال.

(٤) ي: يمليها.

وكَتَب سامَحه اللهُ تَعالى[1]

كتابي، وقد توسَّطتُ الشَّباب، وتطرَّقتُ[2] الشَّيْب، وقبضتُ من أثر الزَّمان، ونظَرتُ في عَقب الأمور، وطرتُ مع الملوك ووقعتُ مع الخُطوب،

ورافَقْتُهـا والجِـنُّ تَنهَـى وتـأمُرُ وفارقتُهـا[3] والمـوتُ خزيـانُ يَنظُـرُ

وعددتُ من سِنِيَّ خَمساً وعشرين، وما عدَدتُ أشْهُرَها، حتى حَلبتُ أشطُرَها، ولا سَلَّمتُ رَسَنَها، حتى استوفيتُ ثمنَها، وأنا بما مَنَح اللهُ الأستاذَ كُلَّ يومٍ - من مَزيدٍ - مُنتظِمُ الأمور، مَوفورُ السّرور، والحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصّلاةُ على رَسولِه مُحمّد عبدِه.

وقولُ الأستاذ: نعمةٌ لو صادَفَتْ أرضاً، وصنيعةٌ لو أصابتْ موضعاً، فكأنني به يقول: هذا الكافرُ للنّعمةِ طَوانا حينَ نَشَرْناه، وجَفانا حينَ بَرَزْناه، وغابَ[4] سنينَ فلا[5] كِتابَ شُكْرٍ كَتَب، ولا قصيدةَ مَدْحٍ نَظَم، ولا يوماً من أيّامي ذَكَر، ولا يداً من أياديّ نَشَر، وإنْ فعلتُ فلأنّي خُراسانيٌّ، وأعزُّ موجودٍ في الخُراسانيّة الإنسانيّة.

ولو رآني الأُستاذُ وأنا في قميصٍ[6] بأُذُنين، وقَباءٍ ضيِّقِ الرُّدْنَين، وعِمامةٍ كقُبَّةِ الحَجّاج، وخُفٍّ فاسدِ المزاج، أعلاه جِرابٌ، وأسفلُه خَرابٌ، على بِرْذَونٍ عَبْديٍّ

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: وتطرفت.

(٣) ص، ي: ففارقتها.

(٤) ي: عاب، بعين مهملة، وله وجه.

(٥) ي: بلا، وليس يسوغ.

(٦) ي: قميصين.

التّقطيع، يرقُصُ[1] كالرّضيع، لَعَلِم كَيف تجري الفُرسان، وكيف يُمسخُ الإنسان.

وقد عَلِم اللهُ أنّني فارقتُ تلك الحضرةَ مفارقةَ أبينا الجنّة، ولكنَّ الحُرَّ لا يجنَحُ إلى النُّكُوص، إلّا إذا أُحْوِجَ إلى الشُّخوص، ولو من جَنّةِ الخُلْد، ولا يسأمُ الإقامة، إلى القيامة، على الدِّعامةِ بالهامة، إذا وجَد وَجْهاً خَصيباً، ومَرْعىً رَطيباً.

والله، لقد رأيتُ يَدِي مجّتْ أفواهَ الأمراءِ والوُزراء، وقد نظَرتُ يَمنَةً، فلمْ أرَ إلّا محنة[2]، وعطَفتُ يَسْرَةً، فلمْ أرَ إلّا حَسْرة[3]،

فإنْ مُتُّ لم أهلِكْ وفي النَّفْسِ حاجةٌ ... وفي العُمْرِ إلّا قد قَضَيتُ قَضاءَها[4]

---

(١) ص: يركض.

(٢) ي: فلم أر مجنة.

(٣) ي: فلم أر حسرة.

(٤) لم أجده، وإنما وجدتُ بيتاً مشابهاً له لقيس بن الخطيم، من شعراء ما قبل الإسلام، هو:

متى يأتِ هذا الموت لا تبق حاجةٌ ... لنفسي إلّا قد قضيتُ قضاءَها

وهو من قصيدة طويلة. ديوان قيس بن الخطيم، ص٤٩. وانظر: الأصبهاني، الزهرة، ج١، ص٢٠٠؛ الرامهرمزي، أمثال الحديث المروية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، ص٩٢.

وكَتَب عفا الله عنه[1]

إلى سَهْل بن مُحمّد[2]

إذا أنا[3] طَوَيتُ عن خِدْمةِ الشّيخ - أطال اللهُ بقاءَهُ - يوماً لم أرفعْ له بَصَري، ولم أعدُدْهُ من عُمُرِي، وكأنّي به إذا أغفلتُ مَفروضَ خِدْمتِه، من قَصْد حَضْرتِه، يقولُ: إنّ هذا الجائعَ قد تَشَبَّع، وتجلَّلَ وتَبرقَع، فما يَطورُ خُلُقُ ابنِ آدمَ خِلقةَ الفِراش، مُماتَهُ في المعاش، ومَسارَّهُ على المضارّ.

والأبينُ لِمِثْلي إذا خَرَجَ من بَلَدِه أنْ تُنبذَ خَلْفَهُ الحصاة، وتُكْنَسَ بعدهُ العَرَصات، وتُوقَدَ في أَثَرِهِ النّار، ويُثارَ في قَفاه الغُبار، ويُسْتَنْتَجَ لِفراقِه الكلْب، ويُصرَفَ عن ذِكْرِه القَلْب، وتُسدَّ لأَوْبَتِه الأُذُنان، وتُغمَضَ عن رَجْعتِهِ العَينان، ويُقال: كم سنةٍ تُعَدُّ، وسلامٍ لا يُرَدُّ.

وما قدَّرتُ الشّيخَ بعدَما كفاهُ اللهُ شرَّ مُقامِي، يَرتاحُ لأيّامي، وأصحتْ سماؤُهُ من أشغالي، يلتذُّ بمَقالي[4]، وصَفا جوُّهُ من ديمَتي، يَشتاقُ إلى طَلْعتي، شوقاً يبعثُهُ على العِتاب، ويهزُّهُ للاستعتاب[5]. ولا شكَّ أنّه اشتهاني كما يَشتاقُ الجربُ الحكَّ[6]، وله العُتْبَى، فستأتيه كُتُبي تِباعاً، ورُسُلي وِلاءً، وحاجاتي قطاراً. وإنْ شاءَ قَذَّيتُ عينَهُ بلقائي، وانصرفتُ وَرائي، والعافيةُ له أوسعُ وهو إلى العافيةِ أحوجُ، والسّلام[7].

---

(١) الدعاء ساقط في ص، ي.

(٢) هو: الصُعْلوكي، وقد تقدّم تعريفه في ص٤٤.

(٣) ص: أنا إذا.

(٤) ي: لمقامي.

(٥) س، ي: للاستعطاف، وما هنا من ص، ويعضده أنْ كتب ناسخها: «لعلّه: للاستعتاب».

(٦) موضع (كما ...... الحك) في ي: كما تشتهي الجرب الحلّ، وهو وجه حسن.

(٧) ساقطة في س.

وله - سامحه الله تعالى - إليه أيضاً(١)

كِتابي، وليسَ الشوقُ إلى لُقْياهُ بشَوقٍ، إنّما هو العَظْمُ الكَسير، والنَّزْعُ العَسير، والسُّمُّ يَسري ويَسير، والنّارُ تطيشُ وتطير، وليس الصّبْر عن رُؤياه بصَبْر، إنّما هو الصَّبِرُ(٢) مَعْجونٌ بالصّاب، وتشريحُ القُلوب والأعصاب، والغَلَبُ في المَيْسِر والأنصاب، والكَبِد على يدِ القَصّاب، وقد دارت الحَلْقَةُ إلّا قليلاً، وكاد اللّقاءُ إلّا يسيراً، والحمدُ لله كثيراً.

وَصَل كتابُ الشّيخ مُؤنِساً مَوْرِدُه، مُوحشاً مُودَعُه(٣). وهذه الأعمالُ، مَوازِينُ الرّجال، وهي الحِرْفة، حِمادُها(٤) الغنَى والعِفَّة. والشّيخُ بحمدِ(٥) الله المَوزونُ في الكِفَّة، لا تشيلُه الخِفَّة، حقيقٌ أنْ لا أغرَّهُ(٦) من نفسي، وأوطِئَهْ للعشْوة(٧) من أمري، وقد علم أنّ العَمَلَ لِعامِهِ، والعاملَ في عُهْدةِ أيّامِهِ، والقابلَ وِلايةٌ أخرَى ومنشورٌ جديد، فالكافي مَن استوفَى زَمانَهُ، ووفَّى ضَمانَهُ، والعاجزُ مَن أنفقَ أيّامَهُ، قبلَ أنْ يبلغَ تمامَهُ.

فلْيتّقِ اللهَ وحَرْبَ(٨) السُّلْطان، وصُعوبةَ الزَّمان، وليحذر الباقي،

---

(١) (سامحه ..... إليه) ساقط في ص، وفي ي: وله إليه أيضاً

(٢) الدواء المرّ. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٤٢ (صبر).

(٣) ص: موعده.

(٤) ي: كمادها.

(٥) ي: الحمد.

(٦) ي: أعزّه.

(٧) العَشْوة والعُشْوة والعِشْوة: ركوب الأمر على غير بيان. وأوطأني عشوةً: لبس عليّ. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص٥٩ (عشا).

(٨) ي: وعرب.

وليذكُر[1] القاضي، والأعور الماضي. ولتكنْ أموالُ النّاحية لديه أربعةَ أصنافٍ: خَراجاً بُذِلت به المحجَّة له، أو تَسْبيباً[2] أوصلَهُ، أو حَمْلاً حمَلَه، أو حاصلاً[3] قَبِلَهُ. ويبني الأمْرَ على أنّ[4] آخرَ دِرْهَم عليه مَطلوب، وأوّلَ دِرْهَم له محسوب، والمغبونُ والمكروبُ مَن طلَبَ الانتصاف، ولم يبذُلْ من نفسِه الإنصاف، فإنْ قصّرَ واللهُ يُعيذُهُ، أو عَجَز واللهُ يُعينُهُ، فجميعُ ما فعَل هَباءٌ وهواء، وهو والعاجزُ سَواء، ثم هو الدّاء، لا يحسِمُهُ إلّا الدّواء[5]، وليس الرّأيُ إلّا أنْ يتكلَّفَ بوافيه، والعَمَلُ في يده، إنّه - يومَ يَدَعُها والياً ليأخُذَها مَعْزولاً - لَبعيدُ الغَلَطِ مخذولُ الأمل.

وعرضتُ على الشّيخ الجليل كِتابَهُ، وما أقدمَ عليه البَغَوي[6]، فقال: ليس أبو الوَفاءِ بالبائعِ المَغبون، ولا المشتري الزَّبون، ولو رأيتُ السِّباعَ تُلجِمُه، والجِبالَ تَرجُمُه، ما كنتُ أرحِمه.

أفهذا الجزءُ مُستحَبٌّ؟ وَرَد النّاحيةَ بكِتابٍ ما طُوي عليه انتهَى إليه، وما عَداهُ، لم تَنَلْهُ يَداهُ، ويقولونَ: أرجفوا لعَزْلِهِ، فكان ماذا لو عُزِل وغايةُ الرّاكبِ أنْ يَنزِل، والوالي أنْ يُعزَل، وليس العَمَلُ ضَرْبَةَ لازبٍ[7]، ولا العاملُ فيه بخالدٍ، ولا

---

(١) س: وليحذر، مكررة.

(٢) التَّسْبيب هو أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليعين المسبب له العامل على استخراجه فيجعل ورداً للعامل وإخراجاً إلى المرتزق بالقلم. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٨٨.

(٣) س، ص: حاملاً.

(٤) من ي.

(٥) س، ي: الأداء.

(٦) لعلّه المذكور في رسالة لاحقة، ص٤٥٥.

(٧) اللزبة: الشدة، ومنه قولهم: هذا الأمر ضربة لازب أي: لازم شديد، ولزب الشيء يلزب بالضم، لزبا ولزوبا دخل بعضه في بعض. ولزب الطين يلزب لزوباً، ولزب: لصق وصلب. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٧٣٨ (لزب).

عَقدُهُ أوثقُ من عُقْدةِ النكاح ثم ينقُضُها الطَّلاق، ويجلُوها الشِّقاق[1] ويختمِهُا الفراق؛ فلْيعمَلِ الشّيخُ عَمَلَ مَن يلي أبداً، ولْيحتَطِ احتياطَ مَن يُعزَل غداً.

على أنّ جاهَه بالحضرة على غاية الوُفور، وحالَه في نهاية النّور، فلْيهذِ الهاذي ما استطاع من الهذاء، وليمدُدْ بسببٍ إلى السَّماء.

وَصَلَت التّحفة، ولم أجدْ إلى قَبولها سبيلاً حتى تنجلي غَيايةُ هذا العارض المتألّق، وأنا أعيذُه بالله أنْ يجعلَ عِرضَه جُنّةً لمرادِه، واللهُ وليُّ إرشادِه.

---

(١) بهذه الكلمة ينتهي اللوح (٩٤أ) من النسخة س، وما بعده مفقود بقدر لوحين اثنين هما: (٩٤ب) و(٩٥أ).

وله في شأنه أيضاً

وقد حُبس

إنّ هؤلاءِ العمّال لَيَعْلَقُون المال، كما تعلَقُ النّارُ الذُّبال[1]، والنّارُ لا تذرُ الفَتيل، وإن احتيل لها بما احتيل، حتى تُطفأ، وإطفاءُ العامل قتلُه[2]. وما أظنّ أبا الوفاء[3] إلّا تعرَّض للإطفاء، من الحاصل والباقي، إلّا ما وقَى اللهُ ونعمَ الواقي.

---

(١) الذُّبالة والذُّبّالة: الفتيلة، وجمعها: ذُبال وذُبّال. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٢١ (سلط)، ج١١، ص٢٥٦ (ذبل).

(٢) ي: قبله.

(٣) لعلّه المذكور في الرسالة السابقة.

وله أيضاً
وقد وَرَدت عليه رقعةٌ من بعضِ إخوانهِ
وقد نسختُها

قد طبختُ لسيّدي حاجةً إنْ قَضاها وأبلَغَ رضاها ذاق حلاوةَ العطاء، وإنْ أباها وقَلّ شباها ألقى مواده الاستبطاء، فأيُّ الجودَيْن أخفُّ عليه: جودُه بالعِلْق أم جودُه بالعِرْض ؟ ونزولُه عن الطَّريف أم الخلق الشَّريف ؟ والسَّلام[1].

(١) هذه الرسالة برمتها من ي فقط.

وله إلى الأمير أبي الحارث مُحمّد
مَوْلى أمير المؤمنين[1]

كتابي، والبحرُ وإنْ لم أرَه، فقد سمعتُ خبرَه، واللّيثُ وإنْ لم ألقَه، فقد تصوَّرتُ خَلْقَه، والملكُ العادلُ وإنْ لم أكُ قد لقيتُه، فقد بَلَغني صيتُه، ومَن رأى من السَّيْف أثرَه، فقد رأى أكثرَه.

وما زلتُ - أيّد اللهُ الأمير - أسمعُ بهذا البيت القديم بناؤه، الفسيح فِناؤه، الرّحب إناؤه، الكريم أبناؤه[2]، وأنشُدُ في هذه الحضرة ضالّةَ الآمل، والعوائقُ يَمْنةً ويَسْرة تُريني المنى حَسْرة، والزّمانُ العَثُور يَقْعدُ بي ويثور.

فما من عامٍ إلّا عزمتُ وأبتِ المقادير، ونوَيْتُ وعرَضَتِ المعاذير. والآنَ لـمّا وُفِّقتُ لهذه الزَّوْرة، اختلفتْ عليّ أخبارُ الملك في مُستقرِّه، واختلفتُ باختلافها، فمرّةً في قوس الطريق، ومرّةً في وَترِها، مُقتفياً أثرَه، حتى بلغتُ مَبْلغي هذا.

ثم وَسْوَس إليّ الشيطانُ تقديرَه[3]، مُقدّراً[4] أنّي أقصدُ هذه الحضرة طامعاً في

---

(١) العنوان من ي، وجاءت في ص بلا عنوان.

وأبو الحارث هذا هو أمير الجوزجان من آل فريغون. قال العتبي: «كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان، يتوارثها كابرٌ عن كابر». وقد ورث ملكه من بعده ابنُه أبو نصر أحمد بن مُحمّد. عنهم، انظر: العتبي، اليميني، ص٩٦، ص١٠٨، ص١٢٠، ص١٥٤، ص٢٩٢، ص٣٠٠، ص٣٠٢، ص٣٨٩.

(٢) ي، ص: إباءه.

(٣) ص: تعذره.

(٤) في ص: مقدار.

مال، أو طامحاً إلى نَوال. وعَظُم سُلْطانُ هذه الوَسْوَسة، حتى كاد يَثْنيني[1] عن دَرْك الحظّ من طَلْعتِه.

ولم أبعدْ ما ألقاهُ في خَلَدي أنْ يكون، وأنا أنشدُ اللهَ الظنون، أنْ تتصرَّفَ في قَصْدي إلّا إلى مَعْرفةٍ أُوقِعُها، أو خِدْمةٍ أُودِعُها، ومِدْحةٍ أُسمِعُها، ورَجْعةٍ أُسرِعُها، ثم أذخَرُ هذه الدَّوْلة لمملكةٍ أغصِبُها، أو رايةٍ أنصبُها، أو كتيبةٍ أغلِبُها، أو دَوْلةٍ أقلبُها.

وأمّا الدِّرْهَمُ والدِّينار، دَفْعُهما[2] إليّ، ونَزْعُهما من يديّ، سَواء، لا أشكرُ واهبَهما، ولا أشكو سالبَهما. إنّ لي في القناعة وَقْتاً، وفي الصّناعة[3] بَخْتاً، لا يُبعِدُ منالَ[4] المال إذا أردتُه، ولا يُحوجُني إلى ركوبِ العُقاب وسلوك الشِّعاب، بل يجيئُني فَيْضاً، ويتطفَّلُ عليّ أيضاً، وما كلٌّ يُرفعُ له الحجاب، ولا تُفتح له الأبواب.

وبعد ذلك، فهذه الحضرةُ وإنْ احتاج إليها المأمون، ولم يَسْتغنِ عنها قارون، فإنّ الأحبَّ إليّ أنْ أقصِدَها قصْدَ مُوال، لا قصْدَ سُؤال، والرّجوعُ عنها بجمالٍ أحبُّ إليّ من الرّجوع بمال.

وقد قدّمتُ التعريف، وأنا أنتظرُ الجوابَ الشريف. فإنْ نشِط الأمير لضيفٍ ظلُّه خفيف، ضالّتُه رغيف، فلْيَدْعُه[5] إليه[6] بالإقبال إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) ي: يثني.

(٢) ي: ورفعهما.

(٣) (وقتاً وفي الصناعة) ساقط في ي.

(٤) من ي فقط.

(٥) ي: فليوزعز.

(٦) ص: إلي.

وله إليه أيضاً

إنْ جاز للفقراء أنْ يصيروا فداءً للأمراء، فأنا فداءُ الأمير السَّيِّد من سوءٍ يلحقُه، ومكروهٍ يُرهقُه.

والمصابُ الذي أشار إليه خاتمةُ المصائب، على أنّ النساء كالصَّدَف، إذا انتُزِع منه درّةُ الشَّرف، لم يصلحْ إلّا للتَّلف. والسّعيدُ مَن حُمِل من دار السَّيِّد الأمير نعشُه، وأسعدُ منه مَن جُدِّد فرشُه.

ولا خَلّةَ بالرّجال أليقُ من الصّبر، ولا حصْنَ للنساء أحصنُ من القبر.

وأنا أسألُ اللهَ تعالى الذي سَلَبه الكَرْمة أنْ يمتِّعَه بعِنَبِها، ولا خيرَ في النّخلة من وراءِ رُطَبِها.

وأمّا كتابُ (الأصول) فما لي أراهُ بعيدَ الوصول؟ أيحتملُ حالي كلَّ هذا التَّناسي؟ فلْيُحسَنْ به إيناسي[1].

وأمّا أنا، فعبدُ الأمير، وقد بلغتني نَفَحاتُ فضلِه، ومثلي مَن قَصَد بابَ مثلِه، فعاد وحالُه أنطقُ من بيانِه، وحظٌّ يدِه أفصحُ من لسانه.

وقد شققتُ أطرافَ الأرض بأدراج الشكر، ولعلّ أجوبتَها ترِدُ عن قريب، فيعلمُ أيَّ حُرٍّ استرَقّ، وأيَّ مجدٍ استحقّ، وقد طوَّلت، وعلى الله توكّلت.

---

(١) هنا ينتهي السقط في نسخة س.

وكَتَب[1] إلى مُحمّد بن إبراهيم الشّاري[2]

لَعَمْري، إنّ أيّامي منذ[3] لم أرَهُ ليال، وإنّي من جِسْمي لفي طَلَلٍ بال، وإنّ العيشَ لا يبسِمُ إلّا بثَغْرِه، والعافيةَ لا تَطيبُ إلّا في ظِلِّه، ولكنّي وَقيذُ أَوْجاع، أنتقلُ[4] من حُمّى إلى صُداع، وأخشى أنْ يأخذَ منّي لَفْحُ الهوَى مأخَذَهُ؛ فلذلك لا أبرُزُ عن البَيْت، وأنا فيه حيٌّ كَمَيْت.

وأمّا إبطالُهُ ما ذكرتُ فصدَق، إنّ عِلَّةً لا يَسيلُ لها الدِّماغ، ولا تَذوبُ منها الأضلاع، ولا يَنقطِعُ بها النُّخاع، ولا يَتغامَزُ فيها العُوّاد، ولا يَنفِرُ منها الطّبيب، ولم يُبتغَ[5] لها الحفّار، ولم يُستسلفْ لها الحمّال، ولمْ يَجرِ فيها حديثُ النّائحة، ولم يُتداوَ منها بالرّائحة، حقيقةٌ أنْ لا يُساءَ بها الصّديق، ولا يَحتجبَ عن الطّريق، وعلى كلِّ حال، فإذا خفَّتْ وَطأةُ الهوَى، وحالَ وقتُ المسا، لَعِبت كَعْباني إلى حضرتِه، مُتزوِّداً من طَلْعته، إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ي: النيسابوري. ولعلّه المكنّى أبا عليّ، المذكور في ص٤٦٩.

(٣) ي: ند.

(٤) من ي.

(٥) ي: يبلغ.

وله

عَفا اللهُ تَعالى عنه[١]

والله إنّي[٢] لأرحَمُ عقلَ طَرَفة إذ قال:

وليـتَ لنـا مكـانَ الملْـكِ عَمْـرٍو رَغُوثـاً حَـوْلَ قُبَّتِنـا تَـدُورُ[٣]

كيفَ ضرَب المثَلَ في الشرِّ وقِلَّةِ الخيرِ بما هو خيرٌ كلُّه[٤]؟ إنّ الرَّغوث لَتَغذُوهُ برَسْلها، وتَحبُوهُ بنَسْلها، وتَكْسُوهُ بصُوفِها، وتنفَعُه ببَعْرِها، وتغيظ عدَوَّهُ بسَراحِها، وتُقِرُّ عينَهُ برَواحِها،

وتمـلأُ بيتَـهُ إقطـاً وسَـمْناً وحَسْـبُكَ مِـن غِنًـى شِـبَعٌ ورِيُّ[٥]

ثم أرجِعُ إلى دُرِّيِّ[٦] حديثِكَ، تَمنَّى مَكانَهُ رَغوثاً، وأنا أَتمَنَّى مكانَك بُرْغُوثاً، إنّ البُرغوث أجدرُ منك أنْ يَغوث.

كنتُ أعلَمُ أنّـك عَـرْشيّ، والعَـرْشيُّ[٧] تَـيْسٌ وَحْشـيّ[٨]، ومـا حَسِـبتُني أفقِـدُ مَنافعَ التَّيْس، فعلَى الله حُسْنُ الخَلَفِ منك، ومن الظنِّ كان بك، والسَّلام.

---

(١) ص: وله أيضاً.

(٢) ي: إني والله.

(٣) في ي موضع كلمة الروي: (تجوز)، وقد تقدّم البيت والتعليق عليه في ص١٢٠.

(٤) س، ص: له.

(٥) ي: بريّ. والبيت لامرىء القيس. ديوانه، ص١٣٧ (مع بعض الفروق).

(٦) من ي.

(٧) ي: والفرشي.

(٨) ي: وحشاً.

وله

سامحه الله تَعالى[1]

يا سيّدي، أسفارٌ[2] كَسَيْر السُّوقيّ، وأشغالٌ[3] كَنَـيْل الأمالي، وأيّامٌ كأنّها لَيالي، وآمالٌ كعهْدِ العَوالي، مَعاذيري إليك، واتّكالي[4] عليك لديك. إن استقصرتُ كِتاباً، أو ذممْتُ عَهْداً، أو أطلتُ عُتْبَى، ولك بَعدُ العُتْبَى، والمَودَّةُ في القُرْبى، والكَرامةُ والنُّعْمَى، والمنزِلةُ العُظمَى، والقلبُ وخِلْبُه، والصَّدْرُ ورَحْبُه، والعينُ وما سَقَتْ، والنَّفْسُ وما وَسَقتْ. وخيرُ أوقاتنا وقتُ ذِكراك، وخَيرٌ منه يَوم نَراك، ويا بَرْحَ شَوقاه إليك، وطولَ عَهْداهُ بك مَورِدُهُ.

ورهنتُ لساني بما أكْرَه ضَماني، وهو - أدامَ الله عِزَّه - يُخرِجُني عن عُهْدة ما بذَلتُهُ مشكوراً، إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) س، ص: أشعار.

(٣) ي: وأسفال.

(٤) ي: ووكلاني.

وكَتَب[1] إلى أبي القمرِ ابن شاه

أظُنُّكَ يا سيِّدي لمْ تَسْمَعْ بِبيتي القائل:

اسْمَعْ نصيحةَ ناصحٍ   جَمَعَ النَّصيحةَ والمِقَهْ
إيّاك واحذَرْ أنْ تكُونَ مِنَ الثِّقاتِ على ثِقَهْ[2]

صَدَق الشاعرُ وأجاد، وللثقاتِ خيانةٌ في بعض الأوقات.

هذه العينُ تُريك السَّرابَ شَراباً، وهذه الأذُن تُسمعُك الخطأ صَواباً؛ فلستَ بمعذور، إنْ وثِقتَ بمحذور، وهذه حالةُ الواثق بعينه، السّامع بأُذنه. وأرى فُلاناً يُكْثِرُ غِشْيانَك وهو الدّنيءُ دُخْلَتُهُ، الرّديءُ جُمْلَتُهُ، السيّئُ وُصْلتُهُ، الخبيث كِلْمتُهُ. وقد قاسمتَهُ في زِرِّك، وجعلتَه مَوضِعَ سِرِّك، فأرِني موضِعَ غَلَطِك فيه، حتى أُرِيَك مَوضِعَ تَلافيه، أفظاهِرُهُ غَرَّك، أم باطِنُهُ سَرَّك؟

وبلَغني أنّه عرَضَ على أخيكَ خِلْعةً فلبِسَها، أعيذُكما بالله، إنّها خُدعةٌ ظاهرةُ النَّوْر، باطنةُ الغَوْر، كامنةُ الحَوْر، كسَلْعةِ[3] السِّنَّوْر، عرَضَ على الجِرْذان[4] نقْلَها من جُحْرٍ إلى جُحْر، بوِقْرٍ من السِّمْسِم، فقالت الجِرْذان[5]: سَفَرٌ مُحتَضَر، والكَرَى خَطَر، لكنْ في الطّريقِ نَظَر.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) لأبي الحسين أحمد بن فارس، أستاذ بديع الزّمان. أورد البيتين الثعالبي في بعض كتبه، منها: الإعجاز والإيجاز، ص٢٠١؛ خاص الخاص، ص٢٣٤؛ يتيمة الدهر، ج٣، ص٤٦٩، ج٤، ص٣٣٠.

(٣) ص: كسعلة.

(٤) ي: الخيردان.

(٥) ي: الخيردان.

يا مَوْلاي، يُورِدُك ثم لا يُصدِرُك، ويُوقِعُك ثم لا يُعذِرُك، فاجتَنبْهُ، ولا تَقرَبْهُ، وإنْ حضَر بابَك فاكنُسْ جَنابَك، وإنْ مسَّ ثوْبك فاغسِلْ ثيابَك، وإنْ لصِقَ بجِلْدك فاسلخْ إهابَك. وإنْ كانَ ما أودَعَهُ صدْرَك قد تمكَّن من قلْبك، فليسَ إلّا شَرْبةٌ من المَطبوخ، تُتْبِعُها بحاذقٍ من اللّطوخ، يَرْحَضانِ[1] عن ظاهرك وباطِنك ما أودَعَهُ، ثم افْتَتح الصّلاةَ بِلَعْنِه، وإذا استَعذْتَ بالله منَ الشّيطانِ فاعْنِه، والسَّلام.

---

(١) س: يدحضان. والرَّحْض: الغسل. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٥٣ (رحض).

وله

في شأن عمّارِ بن الحسين [1]

ما أجِدُ لعمّار مثَلاً إلّا الغُراب، لا يَقَعُ إلّا مذموماً على أيِّ جَنْبٍ وقَع، إنْ نَعَبَ فَرَوْعةُ النذير، وإنْ حَجَلَ فمِشْيةُ الأسير، وإنْ شَحَجَ [2] فصوتُ الحمير، وإنْ أكل فدبرُ البَعير، وإنْ سرَق فبُلْغةُ الفَقير.

كذلك عمّار، إنْ حُذِفتْ عينُه فالحَين، وإنْ حُذِفت مِيمُه فالشَّيْن، وإنْ حُذِفت راؤُه فالرَّيْن، وإنْ صُحِّفَ خطُّه فالمَيْن، وإنْ لاصَقتَهُ فالمعاذيرُ الكاذبة، وإنْ استقصَيْتَهُ فالوجهُ العَبوس، وإنْ صدَّقْتَه فالظِّفرُ اللّئيم، وإنْ كذَّبْتَهُ فالعِقابُ الأليم، وإنْ زُرْتَهُ فالحِجابُ الثقيل، وإنْ لم تزُرْهُ فالعِتابُ الطويل.

---

(١) العنوان في ص، ي: وكتب إلى عمار بن الحسين.

(٢) الشَّحيج: صوت البغل والحمار. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٠٤ (شحج).

وكَتَب[1] إلى أبيه

عَفا اللهُ عنهما[2]

إنّ الإبلَ على غِلَظِ أكبادِها، لتَحنُّ إلى بِلادِها، وإنّ الطيرَ لَتَقْطعُ عُرْضَ البَحْر إلى مَظانّها.

وبلَغَنِي أنّ ذا اليَمينَيْن، طاهرَ بنَ الحسين لما وَلِيَ مصْرَ، وافاها مَضْروبةً قِبابُها، مفروشةً أرضُها، مُزخرَفةً جُدْرانُها، والنّاسُ رُكباناً ورِجالاً، والنّثارُ يَميناً وشمالاً؛ فأطرَقَ لا ينطق حَرْفاً، ولا يرفَعُ طَرْفاً، ولا يَهِشُّ إلى أحد، فقيل له في ذلك ! فقال: ما أصنَعُ بهذا وليس في النَّظّارة[3] عجائزُ بُوشَنْج ؟!

والعَجَبُ من حاضرِ أنطاكيةَ صاحبِ ياسين[4] وقد كُذِّب وعُذِّب، وقُتل وجُرَّ برِجْلِه، وأُهلِك قَوْمُهُ من أجله، و﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾[5]. فكأنّه تمنّى الجنَّة بلُقيا قومِهِ على سُوء جِوارِهم، وقُبْح

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) الدعاء من: س.

(٣) في س، ص: النظائر، وما هنا من ي، ويعضده ما في الثعالبي، وقد أورد هذا النص. يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٢٠. وانظر الخبر أيضاً عند ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥١٨. وبوشنج: بلد آبائه وأجداده.

(٤) وهم أصحاب القرية. اشتُهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية. انظر تفصيل الخبر وأقوال العلماء في ذلك عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٢٦٤.

(٥) سورة يس، الآيتان ٢٦-٢٧.

آثارِهم؛ فهذا أخو كِنْدة يزعُمُ أنْ لا يَنعُمُ مَن كان أقربُ عَهدِه ثلاثِينَ شهراً أو ثلاثةَ أحوال، فما ظنُّه بي لإحدَى عَشْرَةَ سنةً[1]؟ على أنّ لي برسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم أُسوةً حَسَنة، وعسَى اللهُ أنْ يأتِيَني بكم جَميعاً، أو يأتيكم بي سَريعاً إنْ شاء اللهُ تَعالى.

(١) يقصد امرأ القيس، القائل في لاميته:

ألا عِمْ صباحاً أيها الطلَلُ البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن من كان أقرب عهده ... ثلاثين شهراً أو ثلاثة أحوالِ

ديوانه، ص٢٧.

وله أيضاً

تجاوَز الله تَعالى عنه[١]

أنا – أطالَ اللهُ بقاءَ الشّيخ الرّئيس[٢] – وإنْ كنتُ أمشي بالنّهار على الماء، وأعرُجُ باللّيلِ إلى السّماء، وأزعُمُ أنّ الشّمسَ لا تخرُجُ لظلّي، وأنّ الماء ينبُع من تحتِ رِجْلي، فإنّي من جُمْلةِ هذا البَشَر، ومن عَرَضِ هذا المحْشَر، آكلُ ممّا يأكلون، وأشرَبُ ممّا يشربون، ولا غنىً بالمرء عن طُعْمةٍ طيّبةٍ أو خَبيثة، فالمحمودُ مَنْ تحرَّى طيّبَها، والمذمومُ مَن تناولَ خَبيثَها، وأُراني طَيّبَ الطُّعْمةِ كريمَ المأكل، وأنا على ذلك مَذمومٌ. وهذه الضَّيعةُ ارتهنتُ بعضَها بغَلَقٍ، وابتعتُ بعضَها بغَلَق[٣]، وقدّرنا نَنيك فناكونا، فلَعنَ اللهُ القَدَريَّة.

وبعدُ، فللحاسدِ العُتْبَى، وللكارهِ الرّضا، يَرِدُ على المالِ والبيعُ باطلٌ، والشأنُ أنّي أعيشُ عيشَ الجُعَل، بينَ السَّرْقينِ والعَمَل، وأنا على ذلك مَحسودٌ! إنّ من أشراطِ السّاعةِ أنْ تَرَى النّاس يَحسُدونَ الكنّاس.

فليتَ شِعري! ما يصنَعُ الأستاذُ – أعزَّهُ اللهُ – إذا نزَلَ ببابِ الأمير، وأخذَ بأذنابِ الحمير، وانتقلَ من العراق، فقعَدَ بالرُّسْتاق؟ ولعلَّ مُقدِّراً يُقدِّرُ أنّ لي في هذه الفِلاحةِ فَلاحاً، فأنا في العِمارةِ شَريكُ أبي العَنْبَس في التّجارة، وإنّما أنجُمُ[٤] للبَيع، لا للرَّيع.

---

(١) الدعاء من س.

(٢) ساقطة في ص.

(٣) جاء في لسان العرب: الغَلَق في الرهن: ضد الفكّ. ولعل هذا الغلق الأول. أما الغلق الثاني، فيقال لكل شيء علق في شيء، فلزمه: قد غلق، غلق في البيع. وقد أسهب ابن منظور في شرح هذه المادة. ج١٠، ص٢٩٢، ص٢٩٣ (غلق). ولم أهتدِ – وكذلك الشيخ الأحدب – لما قصده بديع الزمان.

(٤) ص: أحم.

أرأيتَ رجُلاً يندَمُ أنّ ولَدَه آدم، ويألَمُ أنْ يَسعَهُ العالَمَ ؟ يُحسَدُ في قرْيةٍ يشتريها ! والله، لولا يَدٌ تحتَ الحَجر، وكَبِدٌ تحتَ الخَنْجَر، وطفلةٌ كفَرْخٍ يَوْمَين قد حَبَّبتْ إليَّ العيشَ، وسَلَّتْ عن رأسِي الطَيْشَ، لَشمَختُ بأنفي عن هذا المقام، ولكنْ صَبْرٌ جميلٌ، واللهُ المُستعان[1].

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾. سورة يوسف، من الآية ١٨.

وله
عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1]

لي - أيّدك الله - على الكلْبِ ابنِ الكَلْبة، واليابس ابن الرّطْبة، والضَّيِّقِ ابن الرَّحْبة، والعِلْق ابن القَحْبة، مالٌ قد عَفا رَسْمُهُ لما نسجتهُ من جَنوبٍ وشمالٍ، وقد مَطَلَني مَطْلَ النُّعاسِ الكَلْب، ولا أعرفُ جُرْماً غيرَ أنّي منَعتُ دَمَهُ أنْ يُسفَك، وسِتْرَهُ أنْ يُهتَك، ودارَهُ أنْ تُخرَب، ومالَهُ أنْ يُنْهَب.

ولي عندَه تَذكِرةٌ تطْلع كلَّ يومٍ من جريانه[2]، فلا أدْرِي كيفَ نَسِيَها على قُربِ مَكانِها من مَكانِه، فلْيقتضِهِ[3] ما عليه، ولْيذكِّرْهُ التَّذكرة لَديه، إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً. وسيكرّر الهَمذاني كثيراً من ألفاظ هذه الرّسالة في رسالةٍ أخرى، تأتي قريباً، ص٤٥٠.

(٢) س، ص: جرمانه.

(٣) ي: فليقضه.

وكَتَب تَجاوَز الله تَعالى عنه[1]

كتابي - أطالَ اللهُ بقاءَ القاضي - كِتابُ مَن يَنسَى الأيّامَ وتذكرُه، ويَطوي العالَمَ ويَنشُرُه، ويَعْقِدُ من عَصْرِهِ عليه خنصرَه، ثم يَنبِذُ أبناءَ دهْرِه وراءَ ظهرِه، ويُخرِجُ أهلَ زَمانِه من عُهدةِ ضَمانِه، فإذا تسلَّمهم بيُمناه، وسلّمهم بيُسراه، تيقَّنَ[2] أنّ صَفْقتَهُ هي الرّابحة، وكفَّتَهُ هي الرّاجحة.

وإنّي - أيّد اللهُ القاضي - على قُرْبِ العَهْد بالمهْد، قطعتُ عَرْضَ الأرض، وعاشرتُ أجناسَ النّاس، فما أحدٌ إلّا بالجهْلِ تبعتُهُ، وبالحَيرةِ نعتُّهُ، وبالظَّنِّ أخذتُهُ، وباليَقين[3] نَبذتُهُ، وما من حَمْدٍ وَضَعتُهُ في أحدٍ إلّا أضعتُهُ، ولا مَدْحٍ صرَفتُهُ عن أحدٍ إلّا عرَفتُهُ. ومَن احتاجَ إلى النّاس وَزَنَهم بالقِسْطاس، ومَن طافَ نصْفَ الشّرْقِ لَقيَ نِصْفَ الخَلْق، ومَن لمْ يجدْ في النِّصْفِ لمحةً دالَّة، لمْ يجدْ في الكلِّ غُرَّةً لائحة.

كان لنا صَديقٌ يقولُ: ثَلَثْتُها[4] ولا أتملَّكُ ثُلُثَيه. وهذا - لَعمري - ياس[5]، يُوجبهُ قِياس، وقُنوطٌ بالحِجَّةِ مَنوط، ودُعابةٌ تكاد تكونُ جِدّاً، ووَراءَ هذه الجُمْلةِ مَوْجِدةٌ على قوم، وعَرْبَدةٌ على قوم.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) في ي موضع هذه الكلمة كلمتان: هي علم.

(٣) ي: وبالنفس.

(٤) مكانها في ي: عزّة.

(٥) في ي، موضع هذه الكلمة ثلاث كلمات رسمها: «إن عست طينتها»، أو نحو ذلك.

وله

من سِجِسْتان [1]

من سِجِسْتان[2]، والأميرُ السَّيِّد[3] واسعُ مجالِ الهِمَم، ثابتُ مَكانِ القَدَم، وأنا في كَنَفِه صائبُ سَهْمِ الأمل، وافرُ جَناح الجَذَل. والحمدُ لله على ما يُولِيه ويُولينا مَعاشرَ مَواليهِ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ومَوْلانا[4] مُحمَّد وعلى آلهِ وسلَّم.

وقد اعترَضتْني - أيَّد اللهُ القاضي - فُصولٌ لا أدري بأيّها أبدأُ ؟ أبالشَّوْق ؟ فهو أحرَى في الرّسم، وأصدَقُ على الحال. أم بالعَتْب ؟ فهو أحقُّ بالكَتْب. أم بالشُّكْر ؟ فهو أولَى بالذِّكْر. ولَعمري، إنّ شُكْرَ المولى هو الأولى، فهلمَّ حتى نَتسالَبَ سَرْدَه، ونتقاسَمَ بُرْدَه.

أقولُ: جزى[5] اللهُ هذا المِلكَ السَّيِّد أفضلَ ما جازَى مَوْلىً عن عبْدِه، ومَخدوماً عن خَدَمِه، ومُنعِماً عن نِعَمِه، وأعانَهُ على هِمَمِه. فلو أنّ البَحر مَدَدُهُ، والسَّحابَ يَدُهُ، والجبالَ ذهَبُه، لَقصَّرتْ عمّا يَهبُه.

حقّاً أقولُ: إنّ التّمْرةَ[6] بالبصْرة أقلُّ خَطَراً من البَدْرة[7] بهذه الحضْرة، ولا

---

(١) العنوان في س: وله عفا الله تعالى عنه.

(٢) شبه الجملة المكرَّر ساقط في ي.

(٣) يقصد خلف بن أحمد، وقد تقدّم التعريف به، ص٢٥٧.

(٤) من س.

(٥) ي: حسن.

(٦) ي: الثمرة.

(٧) البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٩ (بدر).

أراها تُحمَلُ إلى المُنتجِعينَ[1] إلّا تحتَ الذّيل، في جُنْحِ اللّيل، ولا شيءَ أكثرُ وُجوداً من الدِّينارِ بهذه الدِّيار، بينما المرءُ في سِنَةٍ من نَوْمِه، لِتَعبِ يَوْمِه، وقُصارَى هِمَّته، قوتُ لَيلته، إذ يُقرَعُ عليه البابُ قَرْعاً خَفِيّاً، ويُسأل سُؤالاً حَفِيّاً، ويُعطَى ألفاً خَلَفِيّاً[2]. هذا إذا لم تَنصُرْهُ وَسيلة، ولم تَصحَبْهُ فَضيلة. فأمّا أولو الآمال، فلا حَدَّ لما يصِل إليهم من المال، ابتدِ بخمسَةَ عشَرَ ألفاً[3]، وانتهِ إلى مائة ألف، غَرْفاً بخَذْف[4]، وعَطاءً بِغَيرِ صَرْف[5].

ومنهم شقيٌّ وسعيدُ، فالسّعيدُ مَن أغناهُ وعقِبَهُ بَعدهُ، والشّقيُّ مَن أغناهُ وحدَهُ، فإذا استأْذنَ ذو فَضيلةٍ للعَوْدِ إلى بلَدِهِ لم يرضَ بما سلَف من إنعامِهِ حتى يُتبِعَهُ بأضعافه، ثم يأذَنَ له في انصرافِه، فإذا وَصَل إلى الدّرْب فثَمَّ ناس، مَعَهم أفراس، وناسٌ مَعَهم لِباس، وناسٌ مَعَهم أكياس. فإذا وَصَل إلى المنزِل الأول فهُناكَ رجالٌ مَعَهم جِمال[6]، ورِجالٌ مَعَهم بِغال[7]، وآخرُونَ مَعَهم حَمير، وأعبُدٌ يَدفَعُها[8] كَبير[9]، يَرى أنّه[10] وقَعَ تَقصير، وأنّ ما حُمِلَ يَسير.

---

(١) ي: المنجعين.

(٢) النقود التي سَكّها خلف بن أحمد.

(٣) ي: بخمسة ألف (كذا).

(٤) ي: بخرف.

(٥) تختلف تتمة هذه الرسالة في ي عما هنا، فقد ركّب ناسخها تتمّتها من ذيل رسالة المصنف إلى أبي المظفر في شأن أبيه أبي الحسن البغوي الآتية، وجعلها هنا، وأولها: وحسب الغريم... إلى آخر النص هناك.

(٦) ي: كمال.

(٧) ي: نعال.

(٨) انطمست هذه اللفظة في ي.

(٩) ي: كثير.

(١٠) موضع هاتين الكلمتين في ي: أي بأنه.

وإذا وَصَل إلى المنزِل الثاني فالحمارةُ بنَفيسٍ من الأعلاق، وألفٌ خَلَفيٌّ للإنفاق، وكثيرٌ من المعاذير، أثناءَ الدّنانير، وهلمَّ جرّاً، إلى آخِرِ المملكة، في كُلِّ أرضٍ يطأها مِنحةٌ تَعْلَقُه، وهَديَّةٌ تلحقُهُ، هذه حالُ الظّاعنِ فما حالُ القاطن ؟ ثم إنّ الجُودَ أيسرُ خِصالِه، هُلمَّ إلى الدِّين المتين، فوالله لقد مَضتْ ليلةُ الوَقود[1] ولمْ يشعُر بمضيِّها، وأتى النَّيروزُ[2] ولمْ يُحسَّ بإتيانه.

فأمّا المُسكِرُ وشربُه، والمنكَرُ وقُرْبُه، والعُودُ وضَربُه، والنَّرْدُ ونَصْبُه، والشطرنجُ ولِعبُه، فقد نزَّه اللهُ هذه العتَبَةَ، وطهَّر هذه الجَنَبَةَ عنها، وعمَّن يُجالِسُها ويُجانِسُها، ويُلابسُها ويُمارسُها.

وأمّا المُلكُ وحِراستُهُ، والأمْرُ وسِياستُهُ، والدَّوْلة وإقبالُها، فكما عُرِفَ حالُها، وسارتْ أمثالُها، وأمّا البلدةُ فهي التي غيَّرتها الخِرابُ والحروب، وخرّبتْها الخُطّابُ والخُطوب.

ولا فَصْلَ أليقُ بما مضَى من تَهنئةِ القاضي بالنّصرِ الذي أتاحَهُ اللهُ للمسلمين، فقد عَلم أيّ حقٍّ حَقّ، وأيّ باطلٍ زهق، وأيّ خيلٍ كشفتْ أيّ خيل، بل أيّ نهارٍ فضَح أيّ ليل، وأيّ قَطْرٍ سِيقَ إلى أيِّ قَفْر، وأيّ مغوثةٍ أدركتْ أيَّ لُوثة، وأيّ ماءٍ أهديَ إلى ظِماء؟ فما نسجَت الرّياحُ تُوضِحَ فالمِقْراة[3]، كما نسجَت السِّيمْجُورية[4] هَراة؛ فالحمدُ

---

(١) في الأصول: الرقود، مجوّدة، والأصح ما أثبتناه، بدلالة ذكره (النيروز) بعد ذلك. وعيد الوقود من أعياد الفرس قبل الإسلام، وظلوا متمسكين به بعد إسلامهم. انظر ما تقدّم ص٢٦٨.

(٢) تقدّم التعريف به ص٢٦٩.

(٣) يشير إلى قول امرىء القيس في معلّقته:

فتُوضِح فالمقراة لم يعفُ رَسْمُها ... لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

ديوانه، ص٨.

(٤) في الأصول: السمجورية. والأصح ما أثبتناه. عنهم، انظر ما تقدّم ص١٧، هامش (٦).

لله الذي أراح، وسكّن تلك الرّياح، وانتضى من السُّلْطان الكَبير مَن إذا اعتلَّ[1] قدَّ، وإذا اعترَض قطّ، ومن الأميرِ العادلِ مَن إذا شاء رفَع، وإذا شاءَ حطّ، هَنيئاً لتلك الدّيارِ، نَيلُ الخيار.

ولكتُبِ[2] القاضي مَوْقعٌ[3] من قَلْبي لطيف، وشِعْبٌ من نفسي فارغ، فلِمَ لا يَسُرُّني بها، والسَّلام.

(١) كذا في الأصول، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: امتدّ».

(٢) ي: ولكنت.

(٣) ي: يوقع.

وله

تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[١]

ليسَ الشّوقُ إليك يا سيِّدي بشوق، إنّما هو النّار تَطِيشُ وتَطير، والسَّمُّ يَسْري ويَسير، وليست أياديك عندي بأياد، هذه في وادٍ وتلك في واد، وهُنَّ أطواقُ الحمام، وقلائدُ لكنَّهُنَّ من العِظام. وليسَ تَقصيري عنها بتَقصير، لكنّه حَياءٌ من مُقابلِتها بغَيرِ كُفئها وهَيهات! ليسَ التخلُّقُ في المكْرُماتِ بخُلُق.

وقد حمَّلتُ شيخي أبا فُلان رسالةً تُصغي إليها حتى يأتِيَك كتابي على أثرِها، وعلى أبي فُلان سَلامٌ يصحَبُهُ شوقٌ يَهضِمُ[٢] الجوانحَ هَضْماً، ويَبري لحماً وعظماً، ويأكلني خَضْماً وقضْماً، وأنفُثُه نَثراً ونَظْماً، وأنا في عُهْدةِ قَصيدَتِهِ الغَرّاء وأياديهِ الغُرّ وكأنْ قَد[٣]، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: يهضمه. وليس بشيء.

(٣) أي: وكأني قد أصبحت كذلك.

وكَتَب إلى صديقٍ له

جَواباً عن كتابٍ وَرَد منه إليه يومَ العيد[1]

كتابي يا سيِّدي كتابُ مَن لا هِمَّةَ له إلّا قُرْبُك، ولا غايةَ له إلّا حديثُك، فحرَجٌ عليك، وحَرامٌ لا يَحِلُّه إلّا الوَفاءُ أنْ تُقيمَ ساعةَ نظرِك فيه، أو تعرِّج على شيءٍ دون التأهّبِ للخروج، وحبَّذا العزمُ الذي نبَّهك اللهُ له وأسعدني به، ومرحباً بيوم لِقائك، ويا شوقَاهُ إلى وجهك، ولي بقُربِك عيدانِ ونِعْمَ الموعِدُ العِيد، إلّا أنّه بَعيد، والمَراحلُ أقلُّ من الأيّام، فلَو تَفضَّلتَ واختصرتَها.

وساءَني ما ذكرت في كِتابِك من الارتيادِ لِسيرك[2] بادية، والله إني أستبعدُك وأنتَ معي في إزارٍ، فكيفَ في دار؟ وفي دارٍ، فكيفَ في جوار؟ وهذه الحضرةُ من ضِيق المنازل وعوَزِها وعزَّتِها على غايةٍ لا يمكنُ عليها مَزيدٌ، ولا أعرفُ لك مسكِناً تأويهِ أوفقَ بك ولا أرْفقَ بي من صَدْري، ولا غُرْفةً أولَى بك، وأخبأ لك[3] من خِدْمتي[4]، وما ضاقتْ دار المتحابِّين، وأنا في حُجرةٍ تَسَعُنا وفيها مَرْبَطٌ للدّوابّ، وإليها الهجرةُ وعَليها النُّزول.

وأمّا الشّيخُ الذي وَصَفْتَ حالَه وتوسُّلَهُ بكتاب سيِّدي فُلان فأهلاً به، على أنّ الوَسيلةَ الأولى لا تَقصُرُ عن الثانية؛ فلْيرِدْ مُستجيراً بالله مُتوكِّلاً عليه، واللهُ المُعينُ على ما يَخرُجُ من عُهْدةِ وَسيلتِه، وهو حَسْبي ونِعْم الوكيل.

---

(١) ص، ي: وله إلى صديق جوابَ كتاب وَرَد منه يذكُر وصولَه إليه...

(٢) ي: ومسرّك.

(٣) ي: وأحباك.

(٤) س، ص: صدقي.

وله

سامحه اللهُ تَعالى وعَفَا عنه[1]

كتابي عن سَلامةٍ لولا ما يُنغِّصُها من فِراقِك، وعافيةٍ لو مُتِّعتْ بلقائك. يَكادُ كِتابُك يُرويني إنْ عطشتُ، ويَغْذُوني ما عِشتُ. لا أذكُرُ معه شُغلاً وإنْ أهمّ، وكأنّني أتأمَّلُ من سُطورِه صفَحات صَدْرِك، وأعلَمُ أنّ مَصدرَهُ عن صدرٍ زجاجيِّ الطّبْع باطنُهُ كظاهِره.

أمّا ما ذكرتهُ من حديث إقامتي وظَعْني، فالمقامُ ما أقامَ الشّتاء، والظَّعْنُ إذا ساعدَ القَضاء. وأمّا انصرافُ القومِ إلى نَيْسابُور فليسَ بصَواب، إنّي إذا أحْسَسْتُ من الهواءِ بطِيبٍ راحلٌ نحوَهم لا مَحالَةَ إنْ شاء الله.

وأمّا ما وَصَفْتَ من إنفاذِ ما أنفذتَ، وابتياعِ ما ابتعتَ، فما زِدْتَني علماً بما عرَفتُ، إنّي إذا شككتُ في الشّمس صَحْوةَ نهارٍ لم أشُكَّ في فَضْلِك.

وأمّا أبو فُلان فلو عرَف ما يَجري له في هذه الدّيار لقرَّ عيناً، ولو نَشِط فألمّ كان[2] خيراً.

وأمّا حديثُ أبي فُلان فقد أخبرتُهُ، وذكَر أنّ أصحابَ الجمالِ قبضُوا ما هم من المالِ. فإنْ رأى الصّوابَ أنْ يَخرُجَ فالأَمْرُ إليه، إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) ي: لكان.

وله

عَفا الله تَعالى عنه وسامَحه [1]

وَصَلت كُتُبُكَ بما شَرَحْتَهُ من حالِكَ، وقَصَصْتَهُ من حديثك، وقتاً لو غَشي ذاتَ حَمْل لوضَعتْ، ويوماً تَذهَلُ كُلُّ مُرضِعةٍ عمّا أرضعتْ[2].

وقد شاهدتُ بنَيْسابُور - يومَ غَضَبِ السُّلْطان، وتَوظيفِه على الدّيار ووُجوهِ التُّجّار، مائتَيْ ألفِ دينار [3] - كيف طَارت العُقولُ من ذاك الحديث، وزاغت العُيون، وطاشت القُلوب، وحَشْرَجَت النُّفوس، هذا ولم يتجاوَز القولُ إلى الفِعْل، ولم يتعدَّ الوَعيدُ إلى الإيقاع، فما ظنُّك بثلاثمائة ألف دينارٍ تُوجَّه وُجوهُها في ثلاثة أيّام، ثم تُحصَّلُ عن آخِرِها بتمام؛ فلمْ يمكنْ عرضُ تلك الحال في تلك الأهوال.

ولَعَمْري، ما أنت فيما تأتي بحازم، إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «سيِّدُ الشّهداءِ يومَ القيامةِ حمزةُ بنُ عبد المطلب، ورجلٌ قامَ إلى أميرٍ جائرٍ فأمَرَهُ ونَهاه»[4]. أفتُريدُ أنْ تكونَ سَهيمَ حمزةَ في الشَّهادة، وقَسيمَهُ في السِّيادة، وأنتَ تَألَمُ الضَّربَ، وتكرَهُ القيدَ، وتَعافُ الغُلَّ، وتخافُ الذُّلَّ، وتعاشِرُ النّاس، ويُعجِبُك أنْ تُناطَ بك الآمالُ؟ كلّا، وإنْ كنتَ مُشفقاً على نفسِك فقِفْ عندَ مقدارِك، إنّما ذلك لمنْ وَدَّع أهلَهُ، وخرج من بَيتِه

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾. سورة الحج، من الآية ٢.

(٣) كلمة (دينار) مطموسة في ص فلم نتبيّنها.

(٤) أخرجه أبو حنيفة في مسنده (١٧) برواية الحصكفي، من حديث ابن عباس، وعنه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٠٧٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣، ص١٩٥ (٤٨٨٤) من حديث جابر.

مُستعدّاً للموت لِيشرَبَ كأسَهُ، والسَّيْف يُلجِمُهُ رأسَهُ. فإنْ سلِمَ فنادِرٌ يُؤَرِّخ حَديثَهُ، وإنْ قُتِل فشَهيدٌ تُقسَّمُ مَوارِيثُهُ. وإنّما تَرْكُ الأمر بالمعروف، لهذه الحروف، والصَّوابُ، أنْ لا يُطلَبَ هذا الثوابُ، والجوابُ، أنْ لا يُغادَرَ هذا البابُ، إنّما ينبغي هذا الأمر، لمن يُصابرُ الجمْر، ويولي الرُّمْحَ عَرْضاً، ويقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1].

ما أعرفُ مَقاماً أخلقَ بالعِثار، وأقربَ من الثار، والتُّراب المُثار، من المَقام الذي يَقومُهُ، في المَرامِ الذي يَرومُهُ. ولا يَغُرَّنَّك مَنشُورُ الخليفة، وذكرُ المسلمينَ في الصّحيفة. إنّ كِتابَ الله حرَّم ذلك المَنشور، وليس بينَ الأخماس والعُشور، إلّا تَقويةُ يدِ الآمر بالمعروف، وإغاثةُ الملهوف. وقد نَبذوهُ وَراءَ ظُهورِهم، واشتروا به ثمناً قليلاً. وإنْ كنتَ تُريدُ صَلاحَ دُنياكَ، فأنا أعبّر رؤياك. إنّ الآمرَ بالمعروفِ إذا قصَد جاهاً يعرُضُ أو مالاً يكثُرُ أو صِيتاً يبعُدُ، وقُتل دُونَ أمره، حَبِط عَمَلُهُ، وخابَ أملُهُ، وإنْ أرادَ الآخرةَ وشابَ بها شيئاً ممّا عدَدْت، ونُبَذاً ممّا ذكرتُ، كُتِبَ في المشركين.

وأنا أنشدُكَ اللهَ في نفسك، إنّها عليك عزيزةٌ، وإليك حبيبةٌ، وفي مالِك، إنك أخرجتَهُ من لَهواتِ الأسود، وجَمعتَهُ على الأيّام البِيض واللّيالي السُّود، أنْ تَعرضَهُ للتفريق، وفي أطفالِك أنْ تدعَهم على قارعةِ الطريق، ودارِ سُلطانَك، وأقِمْ حِيطانَك، واعرفْ زمانَك، واقطَع لِسانَك، إنّه سَبُعٌ بينَ فكَّيك، فاحذر أنْ يَنِمَّ عليك.

فأمّا شكرُكَ للشّيْخ الإمامِ فشكرٌ أنا مُجاوِرُهُ مجاوَرةَ النّار للعود، ومُلابسُهُ مُلابسةَ الوُجودِ للجُود، ومُقارنُهُ مُقارنةَ الوَفاءِ للعهود، ومُخالِطُهُ مخالطةَ الحُدودِ للأصداغ السُّود، ومُعاشرهُ مُعاشرةَ البدرِ للسُّعود، وأنا أجاهدُ نفْسي فأستنزلُها عن لَجاجِها إجابةً لك، وأكاتبُ حضرتَهُ أجلّها الله.

---

(١) سورة طه، من الآية ٨٤.

وأمّا شكرُكَ لفُلان فشكرُ فُضُول، إنّه ليس من[1] الدّنيا، وما يَتعاطاهُ أهلُها في شيء، وإنّما يَقومُ لله ويقعُدُ لله، وما يكادُ مثلُهُ يصنَعُ بكِتاب مثْلي، وإنْ أبيتَ إلّا ذاكَ، لمْ أرضَ إلّا رِضاك.

وأمّا فُلان فما يخفَى عنّي فَضْلُه، والخيرُ الذي هو أهلُه، وإنْ لمْ يَحظَ بعضُنا من بعض بعِشْرة، ولم يجرِ رَسْمي بمفاتحة.

وقليلٌ في الواجب أنْ أبلغَ مرادَك، فانتظِرْ في الجُملة كُتبي، فإنّها تصِلُ عن قريب، ورأيُك في مَعرفةِ ما كتبْتُه والمُواظَبة على العادةِ التي أحمدتُها منك، وقراءة السَّلام على الإخوان مُوفَّقاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) س: لدة.

وله

تَجاوَز الله تَعالى عنه[1]

سَيِّدي، وَجَدْتَ قَلْباً فارغاً فتمكَّنْتَ، ومَعْقِلاً من صَدْري فتحصَّنتَ، فكيف أزعجُك وقَلْبي حصارُك ؟ أم كيفَ أغلبُك وكُلِّي أنصارُك ؟

وما دُمنا ظِماء، وكنتَ لنا ماء، فنحنُ نشربُك، فارفُقْ بنا، لا قُرْبُنا يُخاف، ولا وِرْدُنا يُعاف، والسَّلام[2].

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) السلام سقط في س.

وكَتَب[1] إلى أبي الوفاء[2]

صاحبِ ديوانِ بُسْت[3]

لو يَجعَلُ رأسينا رأساً لما زدتُهُ وُدّاً، ولو حال بيني وبينَهُ سُورُ الأعرافِ ما نقّصتُهُ حُبّاً. ولقد اختلفت عليَّ مَواضِعُهُ حتى ظننتُ أنّ القَضاءَ يُكابِرُ، وأردتُ زِيارتَهُ بالأمس، ثم وقع من الاضطراب ما ثَنى العَزْم، فإنْ نشِطَ إليَّ هذه اللّيلةَ عرَّفني مُستقرَّهُ لأحضُرَه، إنْ شاءَ الله تَعالى، والسَّلام[4].

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) لعلّه المذكور في رسالتين سابقتين، ص٤١٧، ص٤١٩.

(٣) بُسْت: مدينة بين سِجِسْتان وغزنين وهراة. عنها، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.

(٤) السلام سقط في س.

وكَتَب[1] إلى الفقيه أبي سَعيد

وَصَلتْ رُقْعةُ الفَقيه، ولولا وُدُّهُ - وأنا أسْتبقيه - لَشتمتُ العامَّ والخاصّ، وذكَرتُ العاضَّ والماصّ[2]، ولَتجاوزتُ دارَ الرّجال، إلى حُجْرةِ العِيال.

ما هذه الأسْجاعُ التي كَتَبها، والفصاحةُ التي عرَضَها، بكرٌّ وتألَمُ الطَّلْق، أعلى رأسي يَتعلَّم الحَلْق، أم لم يجدْ غيري يُجرِّبُ سيفَهُ عليه:

أُعلِّمُــهُ الرّوايــةَ كــلَّ يــومٍ   فلــمّا قــالَ قافيــةً هَجــاني[3]

(١) ص، ي: وله.

(٢) من الشتائم القبيحة عند العرب.

(٣) لمعن بن أوس المزني (ت٦٤هـ). الثعالبي، لباب الآداب، ص٢٩٥.

ولهُ[1] - عَفا اللهُ تَعالى عنه[2] - إليه أيضاً

يا فَرَحاً بيومٍ لا يُحَيَّى بوَجْهِك، وبَلِيّةٍ تُطوَى بفَقْدِك، وبضَميرٍ يَخْلو من ذِكْرِك، وما يُرْمَى بمحيّاك، ويا شوقي إلى أنْ لا ألْقاك، أو لا يَكفِيني الاكتحالُ بالقَذَى من طَلْعتِك حتى سُؤْتَني بقَذاةِ رُقعتِك؟ فخلِّني من نَصائحِك، حتى إنْ رأيتَ السَّيلَ يَسيلُ بي فلا تُنْذِرْني، وإنْ رأيتَهُ يُغرِّقُني فلا تُنقِذْني، وإنْ عاودتني بعدَ ذلك بشَفقاتِك البارِدة، ظهَر شُؤمُ شَفقتِك، على عَنْفَقَتِك[3]، وقدْ أعْذَرَ مَن أنذَرَ.

(١) وقع نصّ هذه الرسالة في ي في آخر رسالة المصنف إلى أبي المظفر في شأن أبيه أبي الحسن البغوي، ممتزجاً بها دونما عنوان، وتأتي قريباً.

(٢) الدعاء ساقط في ص.

(٣) العَنْفَقة: ما بين الشَّفة السفلى والذَّقن، كان عليها شعر أو لم يكن. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٧٧ (عنفق).

وله

رُقْعةُ إشخاص

سِيرا على اسم الله وعَونِه إلى الكَلْب ابنِ الكَلْبة، واليابس ابنِ الرَّطْبة، والضَّيِّق ابن الرَّحْبة، والقَوّاد ابن القَحْبة، وألزماهُ دارَهُ، وعرّفاهُ مِقدارَهُ، وامنَعاهُ طِيبَ الغذاء، وريحَ الهواء، وباردَ الماء، حتى يؤدّيَ ما عليه، أو يُـجرَّ برجلَيه، إنْ شاء الله تَعالى.

وله تَجاوَزَ اللهُ تَعالى عنه[1]

كِتابي وكنتُ أقعُدُ بحالي، عن مُطالعَةِ المجلسِ العالي، وأقتصِرُ على خِدْمةِ الدّار، طَرَفي النّهار، وللنفْس آمِرٌ من فرطِ الصّبابة، وناهٍ من ظلِّ المهابة، وللعَزم باعثٌ من الانبساط، ومانعٌ من الاحتياط، والصّدرُ بما يُمسِكُهُ حرَج، وبما يبُثُّه فرَج، لكنّي عرَفتُ مكاني عِندَهُ فلَم أتَعَدَّهُ، ومحلّي وخَطَّهُ فلمْ أتخَطَّهُ.

فلمّا وَرَد كتابُ الأمير في مَعنَى استزارةِ العَمّ إيايَ لم أجِد بُدّاً من المُطالعة. وبالله، ما أعرِفُ لاستزارتِه سَبَباً، يَقتضي هَرَباً، وما أعلَمُني عملْتُ حالاً، أوجبت ارتحالاً، وما أبرّىءُ نَفسي إنَّها لَعَيبة عَيب، لكنَّها في غَيب، ولستُ بمَعْصومٍ عن كلّ لُوم، ولكنّي أتصوَّن، ولا محجوبٍ عن كلِّ حُوب، ولكنِّي أتجمَّل.

فليت شِعري، أيُّ عيوبي ظهَر، وكيف اشتَهر، ولمَ نظَر؟ وإنْ كان خبر، فهلّا ستَر؟ وإنْ كانَ عثَر، فهلّا غَفَر[2]؟ وأين رفقُ العُمومةِ وسِترُ الأبوّة ! وما هذه الشّناعةُ والإشاعةُ، وهلّا تقدَّم الإيقاعُ بإنذار، وهلّا سُمِع منِّي اعتذار !

وبالله أقسِمُ، وبنعمةِ الملكِ أحلفُ، إنْ كنتُ أتّهِمُ نفسي بجُرمٍ تطرَّقتُ أطرافَه، وأمرٍ قَصدتُ خلافَه، أو شيءٍ لمْ يُوافِقْ مُرادَه، أو حالٍ أقلقتْ فُؤادَه، أكثرَ من ضَجَرٍ بالمقام، وكان يُمكنُهُ أنْ يضَعَ لِنَفْسه عُذراً أحسنَ ممّا وضَع، ويتحمَّل وجهاً أجملَ ممّا تحمَّل[3].

---

(١) الدعاء من س فقط. وبعده في ص، ي: أيضاً.

(٢) ص، ي: عذر.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعلّه: أو تمحّل وجاء أحمل ممّا تمحّل»، ولم توافقه ص، ي في ذلك، فالعبارة في النسخ هي هي.

وأريدُ أنْ أذكُرَ قصّةً يلعَنُني سامِعُها، ويمقُتُني ناقلُها، إذ كان لا تَجاوُزَ لما يفعَلُهُ مِثلي بمثلِه، وأنا فَرعٌ من أصلِه، وجُزءٌ من كلِّه، ولكن لا بُدَّ من أنْ أرخي وأمُدَّ، وأجذُبَ وأشُدَّ، حتى يعْلَم الملكُ أنّني في استزارتِه مَظلوم، وأنّني من ظُلمه مَرحوم.

وقد علِمَ أنّا وَرَدْنا هذه الحضْرة بجِلْدةٍ لا تُظاهِرُ ببُرْدة، وأبدانٍ لا تخطرُ بأرْدان. وأنّني قاسَمْتُ هذا العَمَّ نِعَمَ مَوْلانا عليَّ إلّا نعمة، لا تحتملُ قسمة، وصلةً لم تحتمِل تَفصِلة، من فرَسٍ لم يُمكن قطعُهُ نِصْفَين، وعَبدٍ لمْ يَجُزْ تَوزيعُهُ بين اثنين.

ولعلَّ هذا العَمَّ نَقِمَ عليَّ هذا الجُرمَ وإنْ كان نَسَبني إلى محظورٍ رَكِبتُهُ، أو مُسكرٍ شَرِبتُهُ، أو مُنكَرٍ قَربتُهُ[1]، أو قِمارٍ لَعبتُهُ، أو عودٍ ضَربتُهُ، أو نَرْدٍ نَصَبْتُهُ، أو بيتٍ نَقَبْتُهُ، أو شيءٍ سَلَبْتُهُ، فقد صبرَ على هذه الهَناتِ عشر سِنين، فما هذا الضَّجَر اليوم، وإنْ لم أتعاطَها[2] فلا لوْم. ولم يبقَ - أيّد اللهُ الأميرَ - من انقلابِ الزَّمان، إلّا أنْ تَطْلُعَ الشّمسُ من مَغرِبها، واللهُ المستعان[3].

ولخادِمه بهذِهِ الحضرةِ رُتْبةٌ يَحسُدُها[4] القاصي عنها، ويخافُهُ الفارغُ لها، ويُزاحِمُهُ النازلُ بها، ويَمقُتُهُ الطّامعُ فيها؛ فهو من جِهاتِها مَحسودٌ، ومن أجلها بالتشيُّع مَقْصودٌ، والمرء لا يَخْلو من ذَنْبٍ صغيرٍ يُورَّى عن جِهتِه فيُرَى كبيراً، وخَطْبٍ يسيرٍ متَى يُوصَل به كذبٌ صارَ عظيماً. وربَّما شُيِّع إلى بابِ جَهنَّمَ مَن لا يدخُلُها، وإنِّي لأظهَرُ في سائرِ الأخلاق، إلّا النّفاق، فإنْ لم أخَفِ اللهَ العليَّ الكبيرَ، لم أرْهَب الأميرَ، والسَّلام[5].

---

(١) س: ركبته.

(٢) كتبها ناسخ س: أتعاطاها.

(٣) هذه الفقرة مكرّرةٌ في رسالةٍ سابقة، ص٢٥٤.

(٤) كذا في النسخ، بالضمير المؤنث، وما بعدها من العبارات جاء على الضمير المذكر، العائد إلى قوله: (ولخادمه).

(٥) سقط السلام في س.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه - إليه أيضاً[1]

كتابي، ومن شَرْط العُبوديَّةِ الكَتْبُ إلى وَليّ النِّعْمة بأمورٍ سَليمة، وأحوالٍ مُستقيمة، ثم يبُطُّ عن قَرْحةِ الحال، بصِدْق الانتحال. لكنَّ العَبدَ يكرَهُ أنْ يقول: أمْري مُستقيم، وهو بالبُعْد منهُ مُقيم، بينَ نهارٍ ينسُفُهُ حُمّاهُ، وليلٍ يُفرّقُهُ حُماهُ، وبلَدٍ لا يُوافِقُهُ ثَراهُ، ووَليِّ نِعمةٍ لا يَراهُ، فلو كانَ العَبْدُ حَجَراً، لَماتَ ضَجَراً بينَ هذه الأحوال، أو حديداً، لَسالَ صَديداً تحت هذه الأثقال.

ويعِزُّ على العَبْدِ أنْ يَزيدَ الحَضْرَةَ العالية ثِقَلاً، ولكن لا طاقةَ للمَحْموم بِحَرِّ السُّموم، ولا قِبَلَ للمَحْرورِ بفَيْح الحرور، ولا سيَّما إذا كان هَمَذانيّ المولِد، جَبَليّ المَنبت، ناريَّ المزاج، ضَعيفَ البُنية، يابسَ العِظام، حادَّ الطَّبْع، حديثَ السِّنّ. وعبدُهُ يجمَعُ هذه الأوْصاف، وقد مال مِزاجُهُ إلى الانحراف، بأشرّ ما باشرَ من الحرّ، بهذا المستقرِّ، ولم يهجمْ حَزيران، ولا ألقى جِرانَهُ تَمُّوز، ومَوْلانا - أدامَ اللهُ سُلطانَهُ - رأيُ العَيْن، على مَسيرةِ يَومين، فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشْراً، ونشَرتْ حَزيرانُ فَيْحَها نشراً ؟ ولو أنعَمَ على عَبْدِه، وأذِنَ له في قَصْدِه، لجَمَعَ أسبابَ السَّعادةِ له في سِمْط، وأرجو أنْ لا يَرُدَّهُ عن هذا الأمَل، ويسلِّمَه إلى العِلَل، ولا يَحرِمَهُ بَرْدَ النظر إلى الغُرَّةِ المَيمونَة،

فلَــولا أنّــهُ مــرَضٌ ... ورُوحٌ مــا لــه عِــوَضُ
ولا في خَرجتــــي ضَرَرٌ ... ولا بإقــامتي غَــرَضُ
ولــيسَ عَقيــدهُ بيــدِي ... إذا مــا غِبــتُ يَنــتقِضُ
ولي في قَصْــــدَتي شرَفٌ ... وعَــينُ القَصْــد مُعــترِضُ
إذاً لَقبضــتُ مــن أمَــلي ... ولكــن فــيمَ أنقــبِضُ
أيــأْمُرُ بالمُقــامِ وهــل ... يَقــومُ بذاتِــهِ عَــرَضُ

(١) ص، ي: وله إليه أيضاً.

ومَوْلانا - أدامَ اللهُ سُلْطانَهُ - أبسَطُ رأفةً على الخدَم كافّة، وعليَّ من بَينهم خاصّة.
ألا يرحَمُ لَحْمي الضّعيف، في هذا الهواءِ الكثيف؟ والأمراضُ لا تَعبَثُ من عَبْدِه بشحْمٍ ولحْمٍ، إنَّما تصِلُ إلى العَظمِ فتَقُصُّهُ، وإلى الرُّوحِ فتستخلِصُهُ، وله - أدامَ اللهُ قُدرتَهُ - في الإنعام رأيُهُ العالي إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

وكَتَب[1] إلى أبي الحسَن البَغَوي

كتابي، وجزَى اللهُ الشّيخ خيراً عن بَطْنِ السّاغب، وكفِّ الرّاغب[2]، وأعانَهُ على هِمَّتِه ووَفَّقَهُ، وأخلفَ عليه خيراً ممّا أنفقَهُ؛ فليسَ لمثْلِ هذا العام، إلّا مِثْلُ ذلك الإنعام، والبذل العام، فلو انتقَر[3]، لهلَكَ مَن افتقَر، ولكنّه أجْفل، وعمَّ الأعلى والأسفل، فكأنّه كان رَبيعاً، وكأنّما أحيا النّاس جميعاً[4].

وممّا يدُلُّ على شكرِ الله لسَعيهِ في الحجِّ أنْ جعلَهُ كعْبَةَ المُحتاج، لا كَعْبَةَ الحُجّاج. وجعلَ دارَهُ مَشْعَرَ الكرَم، كما ودَّعَ مَشْعرَ الحرَم، ولمْ يُفضِلْه عن مِنى الخَيْف، حتى عقَد بناصيتِهِ مُنَى الضَّيْف، وكما جعَل البيت قِبلةً للصَّلاة، جعلَ بيتَه قِبلةً للصِّلات[5].

والشَّيخُ إذا لم يَختِمْ بهذا الخِتام، لم يكن بالحجِّ التّام، فالحمدُ لله الذي مكّنَهُ ووفَّقَه، واللهُ بتَمامِ النِّعْمة كفيل، وهو حَسْبنا ونعم الوكيل.

رجَعَ فُلان فوَصَف ما صدَقَهُ الشّيخ من اعتناءٍ واهتمام، وذلك لائقٌ بفَضْلِه فلْيُتْبِع الفرَسَ اللِّجام، إنّ الصّنيعةَ بآخرِها، والسّلام.

---

(١) ص، ي: وله. والبَغَوي هذا كان عاملاً على قصبة كَنْج رستاق للسلطان محمود الغزنوي. ذكره العتبي – وقد عُيّن على البريد في كَنْج رستاق – بكثيرٍ من المساوىء والثلْب. اليميني، ص٤٤٩ وما بعدها. وسترد رسالةٌ إلى ابنه أبي المظفَّر في ص٤٨٠.

(٢) (وكف الراغب) ساقط في ص.

(٣) كتب ناسخ س يشرح في الحاشية: «انتقر، أي: خَصّ بعطائه، من النقرة، وهي الدعوة الخاصة، وقد نقر بفُلان وانتقر به، وأصله من نقر الطير».

(٤) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾. سورة المائدة، من الآية ٣٢.

(٥) بعض عبارات هذه الفقرة ذكرها الهمذاني في رسالةٍ سابقة، ص١٥٣.

وله

تَجاوَز الله تَعالى عنه ورَحِمه[1]

يا شيخُ، والفاضلُ فَضْلةٌ، والسَّيِّدُ بِدْعةٌ، ولو رأى كُلٌّ حَدَّهُ، لم يَتَعدَّهُ، وأبصرَ خَطَّهُ، لم يَتَخَطَّهُ. وإذا لم تسخُفْ أقوامٌ، ولم تسفَهْ أحلامٌ، ولستَ والله لرُتبةِ الشّيخ أهلاً، وإنْ كُنّا نراكَ كَهْلاً، فما الذي دَعاكَ إلى الزِّيادة، وانتحالِ السِّيادة؟ أسِرْبالُك أم خشونةُ سِبالك، أم مَرَضُ فؤادِك، أم صحَّةُ سَوادِك، أم طَهارةُ أصْلِك، أم صَرامةُ نَصْلِك[2]، أم حَصانةُ أهلِك، أم رَجاحةُ عَقْلِك، أم مَلاحةُ شَكْلِك، أم غَزارةُ فَضْلك، أم نظمُ كلامِك وسَلامِك، أم خبَرُ قُعودِك وقِيامِك، أم كنَفُ جنابِك وخيامِك، أم حُسْنُ وَرائك وأمامِك؟!

يا شيخُ، حقيقٌ أنْ لا أغـرّك بنفسِـك، إنّـك بالتَّمْسـيح أخلَـقُ منـك بالتَّسـبيح، وبالقِلادة أليقُ منك بالسِّيادة. كذَبك مَن ناجـاكَ، إنّ أخـاك مَـن نـاداك، وخانَـك مَـن سوَّدك، إنّ الصّادقَ مَن قوَّدَك، وأضـلَّك مَـن فضَّـلك، إنّ المُرشِـد مَـن ضـلَّلَك، وقـد نصحتُك وإنْ أوحشتُك، وإنْ شئتَ غَشَشْتُك وآنستُك، وشـتَمتُ الفَلَـك، إذ لم يكـن عبداً لك، وسئمتُ دَهْرَك، إذ لمْ يُوَفِّ مَهْرَك، فقَعَـد بـك عـن مُلْـك العِـراق، وحِيـازة الآفـاق، فـالرّأيُ في الحـبْس والإطـلاق، والأمـرُ بـالغِنى والإمـلاق، والحُكْـمُ في الرُّؤوس والأعناق، فأكون أيضاً من جملة مَن أجلُوك، حتى أذلُّوك، فلا أحبُّ أنْ أكونَ هناك.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) في النسخ: فضلك. وكتب ناسخ س بهامشها «لعلّه نَصْلك» وهو اقتراحٌ سديد، كما أن (فضلك) ستكرر في السطر اللاحق، فلا يعقل أن الهَمَذاني يعجز عن إيجاد لفظة تماشي السجع.

ووَرَد كِتابُك ووَقَفتُ منه على حديثٍ خفيٍّ، وما قدَّمتَهُ في تَحصيلِه من النِّكاية، حتى التجأتَ فيه إلى الشِّكاية، فالحَينُ ولا ذلك الدَّيْن، والموتُ ولا هذا الصَّوْت، فقد وَهَبتُ ذلك وأضعافَهُ لقلبك، وإنْ شئتَ رفَعتُه لكَلبك.

وله

عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1]

أُفارِقُ الشّيخَ مُفارَقَةَ العَبيد، ثم أُعلِّلُ نَفْسي بالمَواعيد. فإذا سهَّل اللهُ العسير، وقرَّب البَعيد، وأعادَ لي العيد، كانت المتعةُ خطفةَ البارق، والسّهْمَ الخارق، ووِقْفةَ السّارق، والخيالَ الطّارق، ولَفتةَ الآبق، والجوادَ السّابق:

لا أستَتِمُّ عِناقَهُ لِلِقائِهِ   حتى أرُومَ عِناقَهُ لوَداعِهِ[2]

ولو شاءَ اللهُ جَعَلني ظِلَّهُ، ولو جَعَلني ظلَّهُ لَربطني مَعهُ وعِندَهُ؛ فحسدتُ عليه جِلدَهُ، ولكنتُ المنهومَ الذي لا يشبَع، والحريصَ الذي لا يقنَع.

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتها   وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقنَعُ[3]

هذا والرّحيلُ غداً، وإنْ رغِم أنفُ أبي الدّرْدَاء، وقرَّت عُيونُ الأعداء، وعلا نَفَسُ الصُّعَداء، وانطوَى القلبُ على الدّاء.

ويا ويحَ نفْسي من غدٍ، إنْ رأى أنْ يُنفِذَ إليَّ تذكرةً بأمرِه ونَهْيِه، وجريدةً بعَوارِضِه وحاجاتِه، فعَل.

وقد كان الشّيخُ كتَبَ خَطّاً عن فُلان بقَدْرٍ[4] من الحِنْطةِ إلى بعضِ وُكلائه، وانتظرتُ به حرَكةَ سِعْر، فرَجع القَهْقَرى، وتحرَّكَ إلى وَراء.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) لأبي الفتح كشاجم. ديوانه، ص٣٤٠ (مع بعض الفروق).

(٣) لأبي ذؤيب خويلد بن خالد بن محرِّث الهذلي. أسلم لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي قالها في رثاء أولاده الذين أودى بهم الطاعون. السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص١١.

(٤) في النسخ: بصدر، وكتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: بقدر»، وما أثبتناه هو الصواب.

وقد حمَّلتُ أبا فُلان في مَعناهُ ما يُنعِم بالإصْغاءِ إليه، ويأتي قضيَّةَ كرَمه فيه ثم أبو فُلان، تَمَرَةُ الغُراب[1]، وفَرحةُ الإياب، وتَوصُّلُه بخِصالِه، آكدُ ممّا معهُ من كتاب.

وللشّيْخِ الرأيُ الموفَّقُ فيما يأتي ويذَر.

---

(١) أصاب تمرة الغراب: مثل يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس، لأن الغراب يختار أجود التمر. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٠٤، ج٢، ص٦٣، ص٣٦٢.

وكَتَبَ إلى رئيس بَلْخ وعَميدِها
مُحمّد بن ظهير[1]

كتابي، وللشّيْخ[2] الرّئيس رَحِمٌ في الرّياسةِ[3] مُخوَّل، وله في الفَضْلِ آخرٌ وأوَّل، وما[4] يخلو له طرَفٌ من شرَف.

ومَن انتهتْ إلى المجْدِ حُدودُه، وعطَسَت بأنفٍ شامخٍ جُدودُه، ونَـبَت[5] في مَغرِس الفَضْلِ عُودُه، وقَف الثناء على مُتصرَّفاتِه، وأقامَ عليه بعدَ وفاتِه، وما زالتْ جَفْنَتُهُ تَدورُ على الضَّيف، في الشّتاءِ والصّيْف، حتى عبَرَتْ بحَسّان[6]، فارتهنتْ منه اللّسان، وحبَّر فيهم القَصائدَ الحِسان، فهذا الزَّمان يَخلَقُ وهي جديدةٌ، وتلك العِظامُ تَبلَى في الثّرَى، وهذه المحاسنُ تَبقى بينَ الورَى، وحقٌّ على الله أنْ لا يُخليَ كَرَماً من لِسانٍ يَبُثُّ أحدوثتَهُ، وما أثبتَ دَوْلة الشّيخ الرّئيس برميٍ في هذه القوس. وقد خَطَب القاضي ولِسانه مقراضُ الخفاجيّ[7]، يَضَعُهُ حيثُ يشاءُ، وبحرٌ لا تُكدّرُهُ الدِّلاء، وصدْرٌ كأنّه الدَّهْناء، وقلبٌ كأنّه الأرضُ والسّماء، وشرَفٌ دونَهُ الجوزاء، وحولَهُ الخلفاء، وخلْفَهُ العَوامل والقُصور، والسَّفّاحُ والمنصور.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً إلى مُحمّد بن ظهير رئيس بَلْخ وعميدها.

(٢) ي: الشيخ.

(٣) ص: الراسيات.

(٤) ص: ولا.

(٥) ص: وثبت.

(٦) يقصد حسّان بن ثابت، وسيشير بعد أسطر إلى قوله:

لِسـاني صـارمٌ لا عيـبَ فيـه ... وبَحْـري لا تكـدّره الـدِّلاءُ

(٧) كأنه شاعر هجّاء، لكني لم أتوصل إلى التعريف به.

فما ظنُّ الشّيخ بثناءٍ يَصدُرُ عن هذه الجملة، وقد حضَر هَراة فزانَها، وآنَسَ سُكّانَها، وملأها شكراً له، وثناءً عليه، ثم رَحَل عنها يَسلُبُها جَمالاً، إلّا ما أبقَى لها من ثناءٍ على الرّئيس خَلَّفه فيها، وله في التمسُّك بالعادة، التي أنتجتْ هذه السّعادة، والشيمةِ التي أثمرتْ هذه الأثنيةَ الكريمة، رأيُهُ المُوفَّقُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

وله

سامَحه اللهُ تَعالى وعَفَا عنه[1]

شاهدتُ من طَلْعةِ الشّيخ دارَةَ القمَر، وجنيتُ من حَديثِه طَيِّبَ الثَّمَر، وانتهى إليّ من أخلاقِهِ مُؤْنِسُ الخبَر، واقتصر الزَّمان منه على هذا المِقدار، وصنَع له تلك الأسفار، ومصائبُ قومٍ فوائدُ آخرين.

ومضَى فقضَى حجَّه المبرور، ورجع فعاوَد منزلَهُ المعمور. وعَدَت عَوادي هذه المِحَن عن أنْ أزورَهُ مُهنِّئاً، أو أُكاتِبَهُ مُعتذِراً، وكان شيءٌ إلى شيءٍ، فانعقدتْ خجلةٌ سدَّت الباب، وتوالى رَبعي السُّعاةُ فتوقَّحتُ بهذا الكتاب، واعتقدتُ بالقاضي وعَقَدْتُهُ جِسْراً إلى رِضاه، ووَجَدْتُهُ من مَوْلاه الشّيخ بحيثُ يُطاعُ الشّفاعة، ولا يدّخِر السَّمع والطّاعة. فإنْ كان لهذا الكتاب موقعٌ فما يَتلوهُ عَريضٌ طويل، وإنْ لم يكن له موقع فالتطويلُ ثقيل.

وشدَّ ما اقتنص الشّيخ جُملةَ هذا القاضي، فما ينتمي إلّا إليه، ولا يُرفرِفُ إلّا عليه، ولا يَطمئنُّ إلّا لديه، ولا يَرى الشّرفَ إلّا من يديه، ولا الحياةَ إلّا من حَواليه. أمْتَع اللهُ بعضَهما ببعض، وزادَهما من كلِّ خير، إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) العنوان في ص، ي: وله أيضاً.

وكَتَب[1] إلى إسماعيل بن أحمد الدِّيواني

ولا يَزالُ[2] يستخفُّني إلى الشّيخ الأمير شوقٌ ونِزاع، لولا العَوائقُ تُطاع، فيذكّرُني طُلوعُ الشّمس مُحيّاه، ونسيمُ السَّحَر رَيّاه، وعسَى الله أنْ يجمعنا وإيّاه، إنّه على ذلك قديرٌ.

والمكارمُ - أدام اللهُ عزَّ الشّيخ - كوامِنُ في الأحرار، ككُمُون النّار في الأحجار، وكُمُونِ الماءِ في الأشجار، ثم لا تُقدَحُ تلك النّار، ولا يَنبطُ ذلك الماء بمثْلِ هذه الأعمال السُّلْطانيَّة، إنَّما تُمكِّنُ اليدَ من بَسطَتِها، وتُعينُ الهِمَّةَ على مُرادِها، ومُحالٌ[3] أنْ أحظَى من الشّيخ بحُظْوتي، ويبلُغَ هو من الرّفعة[4].

---

(١) في ص، ي مكان هذه الكلمة: وله أيضاً.

(٢) ص: ولا زال.

(٣) ي: فمحال.

(٤) بعده في ي: الرطب والفالوذج.

وكَتَب[1] إلى ابن مِيكال رئيس نَيْسابُور

أعجوبةٌ، لكنّها محجوبةٌ، حتى تُصلّي على النبيّ بنَشاط، وتنزِلَ عن قِيراط. ما هي يا خبيثُ؟ إليك يُساقُ الحديثُ ! إنْ عِشْنا وعشتَ رأيتَ الأتانَ تركَبُ الطّحّان. روحٌ ولا جسَد، وصَوْتٌ ولا أحد، والعَوْدُ أحمد.

ومتى فَرْزَنْتَ يا بَيدق[2]؟ وأفٍّ لقومٍ سُدْتَهم، ويا بُؤسَ عصرٍ أحوجَهم إليك، ويا سُخفَ من يافدٍ على راقد، وشرُّ دهرِك آخرُهُ. أشهَدُ: لئنْ صَدَق البُحتريُّ في اللّاميَّة[3]، لقد صَدَق الأعشَى في الصّاديَّة، وإنْ وَصَف الدُّرَيديّ في المقصورة، فلقد تغيّرَ الأميرُ عن الصُّورة، وإنْ كان كالآخرِ الأوَّل، فما أحوجَ الكتبَ إلى المِقراض، وأكذبَ السَّواد على البَياض، إفراطاً في الامتداح، وقصْداً في السّماح، إنْ ظُلم ابنُ الرُّوميّ في الطّائية، فالقولُ قولُ السُّوفِسْطائية.

يا عجباً ! يلِدُ الأغرُّ البَهيم، ووَلَد آزرُ إبراهيم، وليتَ الذي أخرجَ الميتَ من الحيِّ، ردَّ هذا الثوبَ إلى الطيِّ:

يـا أيُّهـا العـامُ الـذي قـد رابَنـي أنـتَ الفِـداءُ لكـلِّ عـامٍ أوّلِ

وما أفدي العام، لكن الإنعام، وما أشكو الأيّام، لكن اللّئام. عامُ أوّلَ عِرفان، والعامُ هذا الفرقان، لنا في كُلِّ قرارٍ أميرٌ يَملأ بطنَهُ والجارُ جائعٌ، ويحفَظ مالَهُ والعِرْضُ ضائعٌ،

---

(١) في ص، ي، مكان هذه الكلمة: وله أيضاً.

(٢) من قول أبي تمام:

أفعِشْـتَ حتـى عبـتَهم قُـلْ لي متـى فرزَنْـتَ سُرْعَـةَ مـا أرَى يـا بَيْـدَقُ

العباسي، معاهد التنصيص، ج١، ص٤٣

(٣) سيعرّفها الهمذاني هي والتي بعدها جميعاً بعد قليل.

لَبُـدِّلَتِ الأشـيـاءُ حتـى لَخِلتُهـا ستُبدي غُروبَ الشّمس من حيثُ تَطلعُ

كانت السّيادةُ في المطابخ، فصارت في المطاطخ[1]. أشهَدُ: لَئِنْ كثُرت مَزارعُكم، لقد قلَّت مَشارعُكم. ولئن سَمِنتْ أنفُسكم، لقد هَزُلتْ أقيسُكم. أفٍّ لكم يا رُذالةَ الزّمَن، والرّاغبين عن تقليدِ المِنَن:

رأيتُكمْ لا يَصُونُ العِرْضَ جارُكُمُ ولا يَدُرُّ على مَرْعاكمُ اللَّبَنُ[2]

اللّامية قولُ البُحْتري:

ثَلاثةٌ عجَبٌ تُنْبيكَ عن خَبَري فيها وعن خَبَرِ الشاهِ ابنِ مِيكالِ[3]

والصّاديةُ قولُ الأعشى:

كلا أبَوَيْكم كان فَرْعا دِعامةٍ ولكنَّهم زادوا وأصبحتَ ناقِصا[4]

والمقصورةُ قولُ ابن دُرَيد[5]:

إنّ ابنَ ميكالَ الأميرَ انتاشني مِن بعدِ ما قد كنتُ كالشيءِ اللّقا[6]

والطّائيةُ قولُ ابن الرُّوميّ:

يا آلَ وَهْبٍ حدِّثوني عنكُمُ لِمَ لا تَرَوْنَ العَدْلَ والإقساطا

ما بالُ ضَرْطتِكم يُحَلُّ رِباطُها عَفواً ودِرهمُكُم يُشَدُّ رِباطا

(١) المطْخ: اللّعق. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٦ (مطخ).

(٢) للمتنبي. ديوانه، ج٤، ص٢٣٦.

(٣) لم أجده فيما اطّلعت عليه من مصادر.

(٤) ديوانه، ص١٤٩.

(٥) ص: الدريدي، ي: والمقصور قول الدرّي.

(٦) شرح مقصورة ابن دريد، ص٧٣.

صُرُّوا ضُراطَكُمُ المُبَذَّرَ[1] صَرَّكُمْ[2] عندَ السّؤالِ الفَلْسَ والقِيراطا

أو فاسْمَحوا بنَوالكم وضُراطِكم هَيْهاتِ لَسْتم للنَّوالِ نِشاطا

لكنّكم أفرطتُمُ في واحدٍ وهو الضُّراط فعدِّلوا الأسْفاطا[3]

---

(١) في الأصول: المبدد، والتصحيح من ديوانه.

(٢) س، ص: ضركم، تصحيف، والتصحيح من ي، وهو الموافق لما في ديوانه.

(٣) ي: الأقبياطا (كذا). والأبيات في ديوانه، ج٢، ص١٤٤٣.

وكَتَب إلى الخطيبِ يُمازِحُه[1]

المجلسُ - أطال اللهُ بقاءَ الخطيب - لا يَطيبُ إلّا بالمسامرة، فَضيحة الدّنيا ونَكال الآخرة. وقد حضَر الخطيبُ كان، فلْيحضر الخطيبُ الآن، لنحرثَ على فَدان[2]، تَصْديقاً لقول الله تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[3].

---

(١) هذه الرسالة خلت منها ص.

(٢) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: فدانين». وقوله: (فدان) فيه مراعاة الازدواج والسجع. والفَدان: الآلة التي تجمع الثورين في الحراثة. أما الفَدّان بالتشديد فهما الثوران اللذان يُقرنان في الحراثة. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٢١ (فدن).

(٣) سورة الأنعام، من الآية ١٤٤.

وكَتَب[1] رَحِمه الله تَعالى[2]

إلى قَيْس بن زُهير

أعْوزَ الصُّوفُ فبعَثْتُ إليكَ بفَرْو؛ فطَفِقتَ تَلوم، وظِلْتَ تقعُدُ في العِتابِ وتَقوم، وأراني ما بعُدتُ في القِياس، ولا خرجتُ عن مُتعارَف النّاس ؛ فالصُّوفُ نَفْسُ الفَرْوِ إلّا أنّه نَسيج، والفَرْوُ نَفْسُ الصُّوف إلّا أنّه حَدِيجٌ، فكلُّ فرْوٍ صُوفٌ، وليس كلُّ صوفٍ فرْواً. فإنْ أنْصفْتَ وَجَدْتَ الفَرْوَ فِطْرةً، والصُّوفَ بدعة، وإنْ نَظَرْتَ رأيتَ الفَرْوَ صُوفاً وزيادة، فكان نُعمَى وسَعادة.

والفَرْوُ وَبَرٌ في الشّتاء، ونَطَعٌ في الصّيْف، فإنْ قَرَّسَك البَرْدُ فالبَسْهُ وأنْتَ قَيْس، وإنْ غَشِيَك المطرُ فاقلِبْهُ وأنتَ تَيْس.

(١) ص، ي: وله.

(٢) الترحُم من س.

وله إلى أبي علي الشّاري[1]
جواباً عن رسالةٍ كتبها يعتذرُ إليه فيها

وَصَلتْ رُقعتُك يا شيخ، وحضَر رَسولُك فأدّى رسالتَك، وسَرَد مَقالتَك، وسأل إقالتَك. وقد صانَك اللهُ عمّا ظننتَ، فما فرّقتْنا وَحْشةٌ فتجمَعَنا مَعذِرةٌ، ولا قطَعنا جُرْمٌ فتَصِلَنا مَغْفِرةٌ. أمّا ما اعتذرتَ عنه من حقٍّ لم تَقضِه، وواجبٍ أخللتَ بفَرْضِه، فما جعَل اللهُ للصِّلةِ فَرْضاً، حتى تصيرَ قَرْضاً، ولم أقرضك مَكْرُمةً أنتظِرُ بإزائها، أنْ تشمّر لجزائها. وقد كان يُوجِبُ فضْلك، أنْ آخُذَ نَفْسي لك بما تأخُذُها لي، فإنّي على السَّعْي أقوى[2] وأقدر، والاعتذارُ من جانبي أوْلى وأجدر.

وأمّا ما ذكرتَ من غَفْلتك يومَ اجتيازي عن القيام، فقد علِمتُ أنّ على ذلك الباب الرّفيع عالماً كبيراً، وجمّاً غفيراً، ولم يَقُم لاجتيازي إلّا نفَرٌ مَعدودون، فإنْ كان قِيامُ القائمِ يَسُرُّ، فقُعودُ القاعدِ لا يَضُرُّ.

وأمّا ما ذكَرتَ من مَنْزلتك - كانت - عندَ الأمير من قبلُ وتغيُّرِها الآن، فإنّ الزّمان يُقلِّبُ الأعيان، فكيف الألوان؟ هذا عَيْبُهُ العَتيق، وطبْعُهُ العَريق. وقد لبِسْناهُ على هذا العَيْب، ولو أنصفَك خلّفَك، ولو أحسنَ عِشْرَتك، ما غيّر قِشْرَتَك. ولكنّه كما أشابَ هامتَك، أشابَ كَرامتَك، وكما أوهنَ رُكنَك، أوهنَ رُتبتَك ،

ومن ذا الذي يا عَزَّ لا يَتغيّرُ[3]؟

---

(١) لعلّه محمد بن إبراهيم الذي تقدّم في ص٤٢٤.

(٢) في الأصول: أولى، مكرّر العبارة التي بعدها، وأخذنا باقتراح ناسخ س الذي كتب بالحاشية: «لعله أقوى». وهو اقتراحٌ وَجيه.

(٣) عجزُ بيتٍ لكُثيِّر عزّة، صدرُه: لقد زَعَمت أنّي تغيّرت بعدها. ديوانه، ص٤٦١.

وقد حضَر لي يا شيخُ خاطرُ نُصْحٍ لك في قَبولِه حَظّ، ولي في إيرادِه وَعْظ، ومِثلي لا يَعِظُ مِثْلَك، ولا يَعيبُ فِعْلَك. ولكنَّ للحداثةِ قَريحةً، وللمُسلِم نصيحةً. فاسمَعْها، وإنْ لم تَرْضَها فَدَعْها.

وقد تَوجَّهت تلقاءَ أمْرٍ أرَى لك أنْ لا تأْتِيَهُ أو تَمُدَّ إليه يداً، فقد أوجعَني الآنَ ما يُوجِعُك غداً. أراك تلقى هذا الأمير بدَلال، وتنسُبُه إلى مَلال. وهُما مَركَبانِ خَليقانِ بالعِثار، فاجعَلْ قُصاراكَ تَحسينَ أمرِ مَوْلاك، وتَباعَدْ إذا أدناك، وتَواضَعْ إذا أعلاك. إنّك إنْ دَنَوْتَ وأدناكَ صِرتَ في حِجْرِه، فتعرَّضتَ لِهَجْرِه. وإنْ علَوتَ وأعلاكَ ألجأْتَهُ إلى دَفعِك، وأحوجتَهُ إلى وَضْعِك. ثم اشكُرْهُ إذا رفَعَك، ولا تَشكُهُ إذا وضعَك.

على أنّي أراك تُرفَعُ فوقَ حدِّك، ويُتجاوَزُ بك قَدْرُ مِثْلِك، أفتسمُو هِمَّتُك إلى أبعدَ من حيثُ رُتبتك؟ أرأيتَ لو أنّ صاحبَك الشّار[1]، وَرَد إلى هذه الدِّيار، ما كان يَصنعُ بهذا الأمير؟ أكانَ يُجلِسُهُ على السَّرير؟ أرأيتَ لو كانتْ غَرْشِسْتان مِيزانَك، وكان الشّارُ خَزّانَك، أينَ كنتَ تروم، أنْ تقعدَ وتقوم؟

وَجَدتُك تذكُرُ عظيمَ حقِّك في هذه الدَّوْلة، فلَو اتّصلتْ هذه الدَّوْلة بلِسانٍ وفَمٍ لَناقَشَتْكَ الحِساب، وقالتْ: يا أبا عليٍّ، حقَّك حقَّك، إنّك شيخٌ فقط، لا اللّفظُ يُسعِدُك ولا الخَطّ، ولا الرّأي يصحَبُك ولا السَّيْف، ولا الأصلُ يَعضُدُك، ولا النَّفْسُ ولا المالُ يرفَعُك، ولا الدِّينُ ولا الجدُّ يقوِّمُك، ولا المَزْحُ يُفَضِّلُك، فما هذا الحقُّ العظيمُ؟ ما كنتَ تَراك قائلاً، هل هي إلّا الصُّحْبةُ الطّويلةُ الثقيلةُ، فتَنقلِب عليك الوسيلةُ، فيلزَمُك أكثر ممّا يلزَمُ لَك صُحبتها، فلمْ ترتق فَتْقاً ولم تَشدُدْ لها إزراً؟

---

(١) لقبٌ لكلّ مَن يملك غَرْشِسْتان. العتبي، اليميني، ص٣٣٤. وغرشستان: ولاية واسعة تقع بين الغُور شرقاً، وهَراة غرباً، ومَرْو الروذ شمالاً، وغزنة جنوباً. وتسمى غرج الشار أيضاً، ويسميها العوام غرجستان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٣.

وصحبتُك، فأشبعتُ جوفَك، وأمّنتُ خَوْفك. فالحاصلُ عليك لا لك.

أبا عليٍّ، هذه كلماتٌ مُرَّةٌ إلّا أنّها حقٌّ، ولو لم أرِدْ نُصْحَكَ، لحسَّنتُ قُبْحَك، ولو كنتُ لك عدوّاً أو أردتُ بك سوءاً لقلتُ: لا تَرْضَ برُتبتِك، وطالِبْ بحقّ صحبتك، وألْق هذا الأميرَ بإدلالك، ومُنّ بإذلالك. ولو فعلتَ ذلك، أو أخطرتَهُ ببالِك خَرَيْتُ على سِبالِك، وكنتُ سببَ الجناية.

وأيضاً، فإنّ نسبتَك وَليَّ نِعْمتك إلى الملالِ نوعٌ من أنواع الإخلال، لأنّ ذلك يُنفِّرُ مَن لا يعرفُ خُلْقَهُ من الزُّوّار، ويَرْدَع مَن يُريدُ قصْدَهُ من الأحرار، ويُعرِّض في العاجِل للعار، وفي الآجلِ للنّار. فلا تُعرِّض بما صرَّحت، وقد نصحتُك إن انتصحت.

وأمّا أخوكَ الذي تَصِفُه، فمَنْ هو لا أعرِفُه؟ إنْ كنتَ عَنيتَ الأُستاذَ أبا فُلان، فاسأل اللهَ تَعالى سِتْراً يمتدُّ، ووَجْهاً لا يَسودُّ. سبحانَ الله ! أقلُّ ما في البابِ، أنّ تَرْتيبَهُ في الخِطابِ ترتيبُ مَوْلانا.

يا شيخُ، هذه الألفاظُ وإنْ حميتْ على الأعضاء، حَميَ الرَّمْضاء، فإنّها تعمَلُ في الأمعاء عملَ الدَّواء. وافتَحْ لها حِجابَ أُذنِك، وافسَحْ لها فِناءَ صدْرِك، فقد - والله - نصَحتُك وإنْ أوحشتُك. وإنْ شئتَ غَشَشتُك، فقد ظَلَمك الدّهرُ بما بخسَك، والسُّلْطانُ بما نقصَك، وأساءَ الأدبَ مَن زاحَمك، والعِشرةَ مَن تقدَّمَك، وأخطأ الرّأيَ مَن لم يتصرّفْ على أمْرِك ونَهيك؛ لأنّك نسيجُ وَحْدِك، وسَوادُ العراقِ بُستانُ جَدِّك، وعليُّ بنُ عيسَى[1] خادمُ عَبْدِك، وعبيدُ الله غَرْسُ يدك، وذو الرّياستَين[2] في كُمِّك، وذُو العَلَمينِ في جَيبِك، والمُقتدِرُ بالله وَليُّ عَهْدِك، ولِلفلَكِ الأمرُ مِن بَعدِك[3].

---

(١) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب، وزير الخليفة المقتدر والخليفة القاهر. توفي سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام، ج٤، ص٣١٧.

(٢) هو الفضل بن سهل السرخسي وزير المأمون، لقب بهذا لتوليه رئاسة الوزارة ورئاسة الجيش. عنه، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام، ج١٤، ص٢٩٨.

(٣) تهكّمٌ من بَديع الزّمان.

وغَباوةٌ من الأيّام تأخيرُ مِثْلك، وجَهْلٌ مـن الأقـدارِ إضـاعةُ فَضـلِك، وعمـىً بالخلافةِ عن محلّك، وغَفلةٌ بالملوكِ عـن كفايتـك، وشَـينٌ عـلى السّـرير قُعـودُ غـيرِك، والشّمسُ تزدادُ ضوءاً بطَلْعتِك، والدّهرُ مُعتزٌّ بكونك من أهله.

فأمّا ابـنُ العَميـد[1]، فأحسـنُ العبيـد ببابِـك، والمهلّبـيّ[2] صَـبيُّ كُتّابِـك. وإنّـما اضطربتْ أمورُ خُراسان حين خذلَها تَدبيرُك، وما استقامتْ حتى وَسِعَها ضَميرُك. ومـا شئتَ من هذا الباب، واكتلتَ من هذا الجِراب. فاختَرْ من القَوْلَيْنِ أحـبَّهما إليـك، وأنـا على ما تَرى من فَراغي مَشغولُ الضّمير، ضَيِّقُ الأوقاتِ، حرجُ البال، فـلا عليـكَ أنْ لا تزيدَني شغلاً.

وذكرتَ حِرْصَك على عِشْرتي، وأسفَكَ على الفائت منها، فلا بـأس، وإنْ فاتَـك كلِّي فلا يأس. وإنّ لك في عِشْرةِ غـيري مُتَّسَـعاً، وبـأخلاقِ سِـوايَ مُسـتمتَعاً. فـأهوِنْ بمَن أهوَنَ بك، واخلِط لأخيك شيئاً من الوَحْشةِ بهذا الأُنـس. ونَعيـاً مـن المـأتَم بهـذا العُرْس. واجعَلْني آخرَ خُطاك، وأوّلَ مَنساك. وإنْ رأيتَ أنْ لا تراني حتى أراك، فعلتَ ذلك إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) أبو الفضل مُحمّد بن الحسين. قال عنه الثعالبي: «عين المشرق ولسان الجبل (يقصد إقليم الجبل) وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوحد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة، وآلات الوزارة، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها». يتيمة الدهر، ج٣، ص١٨٣.

(٢) أبو مُحمّد الحسن بن مُحمّد من ولد المهلّب بن أبي صفرة. قـال عنـه الثعـالبي: «كـان مـن ارتفـاع القـدر واتسـاع الصـدر ونبـل الهمـة، وفـيض الكـف، وكـرم الشـيمة عـلى مـا هـو مـذكور مشهور، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة، وتدبيره أمور العراق، وانبساط يده في الأمـوال، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله، وكان يترسل ترسلاً مليحاً، ويقول الشعر قـولاً لطيفـاً، يضرب بحسنه المثل، ولا يستحلي معه العسل، يغذي الروح، ويجلب الـروح». يتيمـة الـدهر، ج٢، ص٢٦٥.

وله

تَجاوَز الله تَعالى عنه وسامَحه[1]

لا والله لا أظلِمُك، إنّك الشّيخ الفاضلُ وزيادةٌ، والفاصلُ وكَرامةٌ، وليس من الإنصاف أنْ تُخاطَبَ بالكاف. إنّ عمَل البَريدِ إليك، ومَدارَ الإنهاءِ عليك، وأولى ما يجبُ لِعامل الإنهاء، أنْ يخاطَبَ بالهاء. ولكنَّك طَفِقتَ لا تهابُ سُلطانَ العِلْم، فأعْلَمْناكَ أنّ سُلطانَ العِلْم لا يَهابُك، ولو اتَّصَلَتْ بأسباب السَّماء أسبابُك.

أنت - عافاكَ اللهُ - إذا قُلِّدتَ البريد، فبرَّدْتَ هذا التبريد، يُؤذِنُ أنّك لو وُلِّيتَ الدِّيوان، لقَتَلتَ الإخوان. فلو قُلِّدتَ الوِزارةَ ما كنتَ تصنَع؟ أكنتَ أوَّلَ مَن يُصقَع؟ وإذا بيلَ على سَبيل الطّائع، وهو الخليفةُ، فمَن الجيفةُ؟

يا شيخ، حِشْمةٌ في الرّأس، وعِشْرةٌ بينَ النّاس، فإذا رُفِعتَ فالإنهاءُ نَميمة، وليس للنّمامِ قيمة، ولو نسَجتَ الدُّرَّ في الذَّهَبِ ما كنتَ إلّا الحائك، ومن جُملةِ أولئك.

ولما خرَجتُ من مجلِس الشّيخ إسماعيل، ورأيتُ قِيامَك الثَّقيل، ونُهوضَك العَليل، صعِدتُ السّطحَ أتصفَّحُ أعلى المواضع، فرأيتُ منارةَ الجامعِ أشرفَ المَطالِع، فبدرتُ أنْ أقصِدَها، ونَوَيتُ أنْ أصعَدَها. فإذا صِرْتُ منها في الدّرجة العُليا خَرِيتُ على الدّنيا، والسَّلام[2].

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) من: ص، ي.

وكَتَب[1] إلى أبي الفَوارس الأصمّ

يُعجبُنِي أنْ يكونَ الشّيخُ فصيحَ اللّسان طَويلَه، حسَن البَيان جَميلَه. ولا يُعجبُني أنْ يطولَ لِسانُهُ حتى يلحَسَ به جَبينَهُ، ويَضرِبَ به صَدْرَهُ، ويحكّ به قفاه، فخيرُ الأمور أوْساطُها، وأمامَ السّاعةِ أشراطُها، والغايةُ شُؤم، والاستقصاءُ لُؤْم، فإنّ الحمارَ يَشِبُّ[2] على حمارته، فتارةً بعضَ الانحراف، وتارةً كلّ الانصراف، وتارةً تحت الإكاف[3]، ثم يُوعيه في الغلاف. ويزعمُ الحمارُ أنّه لو شاء في أوّل شبابه، لأتى الأمرَ من بابه، وأقرّ الحقّ في نِصابه، وكان هذا ظنُّنا به، ولكن لوقوف السّيّارة، وتعيير النَّظّارة، وتحريض الحمارة.

فلا تكن أحْمَرَ من حِماري، ولا عليك أنْ يبذّك غيري، فإنّ الجمرَ من الجمر ينِبُّ[4]، ومن الكبائر - والله - طُفيليٌّ يدِبُّ، ومن النّوادر ذبابٌ يَثِب، واللِّص في بيت النّائب أمين، وإنّما يرتعُ في الحريم، ويحتكُّ بحائط الجحيم.

---

(١) في: ص، ي مكان هذه الكلمة: وله.

(٢) شَبّ يَشِبّ: يرفع يديه جميعاً كأنه ينزو. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٨٢ (شبب).

(٣) الإكاف: الرّحال الذي يوضع على الدابّة. لسان العرب، ج٩، ص٨ (أكف).

(٤) أي: يهيج ويزيد اتقاده، مأخوذ من نبيب التيوس، وهو صياحها وهيجانها. الفراهيدي، كتاب العين، ج٨، ص٢٧٣.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ أبي الحسَن الشِّبْلي

إحدَى عشْرةَ ليلةً كنتُ حدَّثتُك يا شيخُ حديثَها والضُّحى، إنّ لحيتَك لمن تلكَ اللّحى.

يا شؤمُ، البَقَرةُ تَرِدُ وأنا لا أشعُر، وتَصدُرُ وأنا لا أخبُر. هَبْني لا أعلمُ بقُدومِك، ألمْ تَعلَمْ بمَقامي؟ وهَبْني لمْ أبالِ بسِبالك، أما تخافُ مَلامي؟ وهَبْني لمْ أنشَطْ للقائك، ألمْ ترغَبْ في سَلامي؟

والله لولا شفيعُك من القَلْب، لربطتُك مع الكَلْب، ولكنْ لا حِيلةَ وصَدْري حِصارُك، وكُلِّي أنصارُك، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله.

وكَتَب - رَحِمه اللهُ - إلى المعدَّلِ بن أحمد[1]

تُصبِّحُنا الأيَّامُ كلَّ صَبيحةٍ ببادرةٍ تَرْبو على أخواتِها
وكانت تُطيرُ الطَّيرَ عن وَكَناتِها[2] فصارت تُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِها

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم: «الرّاجعُ في هِبتِهِ كالرّاجعِ في قَيْئه»[3]، ثم اختلفَ العلماءُ فيمَن وهَب من مالِه، وأعطى من حَلالِه، ثم رجَع في نَوالِه، فقال أبو حنيفةَ: مَكروهٌ قَبيحٌ، وقال الشافعيُّ: حَرامٌ صَريحٌ، وقلتم: إنّه حسَنٌ مَليحٌ، ولكلٍّ أصْلٌ وتَرْجيحٌ، وتأويلُ الخبرِ صَحيحٌ. يقولُ أبو حنيفة: القَيْءُ وإنْ كان رَجيعاً، وكان أكلُهُ قَبيحاً شَنيعاً، فليسَ بحرام. ويقولُ الشافعيُّ: وَرَد الخبرُ مَوْرِدَ النَّهْي، ولا شيءَ في بابِهِ للقَيّ. وتقولونَ: القيء لمن قاءَهُ، لا لمن شاءَهُ، ونحن أوْلَى به من الكَلْب وإنْ ساءَهُ.

وَرَد عليك كتابٌ من سُلطاني بأنْ لا تتعرَّض لِضياعي بوَجْه، ولا تُطالِبَ أكَرَتي بشيء، فرأيتُ أنْ أُصالِحَك على النِّصْفِ من مالِ الأحداث، ووجَدتُّ الصُّلحَ جائزاً في مال الميراث؛ فأمضيتُ الصُّلحَ، وأدَّيتُ النِّصفَ، ثم رجَعت عَوْداً على بَدءٍ تَطلبُ ما بَقيَ، فبعثتُ إليكَ ثَلاثةَ دنانيرَ مُتَّقِياً شرَّكَ، فحرَس اللهُ هذه الدّنانير، ورَزَقنا منها

(١) ص، ي: وله أيضاً إلى المعدَّل. ولعلّ المعدَّل بن أحمد هذا أحد الأمراء من سلالة بني الليث الصَّفاريين حكام سِجِسْتان.

(٢) الوكنات، بضم الكاف وفتحها وسكونها: جمع وُكْنة، وهي عش الطائر ووكره. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٥، ص٢٢٢.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٥٨٩) و(٢٦٢١) و(٢٦٢٢)؛ ومسلم (١٦٢٢) (٧) و(٨) من حديث ابن عباس. وأخرجه البخاري (٣٠٠٣) من حديث عمر بن الخطاب. ولفظه فيهما: «العائد في هبته...». كما أخرجه أحمد في مسنده (٦٩٤٣)، وفيه زيادة تخريج.

الكثير. إنَّها تفعَلُ ما لا يَفعَل التَّوراةُ والإنجيل، وتُغني مـا لا يُغنـي التأويـلُ والتَّنزيـل. وتُصلح ما لا يُصلِحُ جِبْريـلُ ومِيكائيـل. فأمّـا الأمـير، والشّـيخُ الجليـل، ومَنْشـورُهما الطّويل، فنسألُ اللهَ سِتْراً جميلاً، وسُبحانَ الله بُكْرةً وأصيلاً، والسَّلام[1].

(١) من: ص، ي.

وله

إلى الفقيه أبي الحسَن الظَّريف

مَن استلأمَ في أُخوَّةٍ، أو قصَد في مُروَّةٍ، فالفَقيهُ السّابقُ إلى كلِّ كريمٍ من الخِصال، المُبتهجُ بكلِّ نبيهٍ مِن الكَمال، الحالي بكلِّ مَأثرةٍ غَرّاء، العاطلُ عن كلِّ فاحشةٍ عذراء. إنْ ذُكِر الجمالُ طلَع بَدْراً، أو السّخاءُ زَخر بَحْراً، أو العَميدُ رسَخ صَخْراً، أو الرّأيُ أسْفَر فَجْراً، أو الحياءُ رشَحَ خَمْراً، أو الذَّكاءُ توقَّدَ جَمْراً.

وقد وَصَلتْ كتبُه تَتْرَى، وما تأخَّر الجوابُ عنها لِعُذْرٍ إلّا عادةَ كَسَلٍ لَبِسَني عليه الإخْوانُ قَبْلَهُ، وإنْ لم يكونوا مِثْلَه، ولمْ يبلُغُوا فضلَهُ، وأرجو أنْ يكون هذا الكِتابُ لما خرَقَهُ الكسَلُ رَفْواً، ولما جرَحهُ التَّهاوُنُ أسْواً.

وقد نَهَض أبو فُلان، وهو منّي بمنزلةِ العَيْن واليَدَين، وأوصيتُه أنْ لا يُغِبَّ زِيارَتَه يوماً، وكما أوصيتُه كذلك أُوصِي الفَقيه أنْ لا يَأْلوه مُعاضَدةً ومُراغدةً[1]، إنّه بصَدد شُغلٍ لِبَلَدِه، فلْيجمَعْ يدَهُ إلى يَده، في كلِّ ما هو بصَدِدِه.

وممّا أُخبِرُه به ما أجريتُ بحَضرةِ الشّيخ من حديثه، وقرأْتُهُ عليه من كِتابه، وشحذتُ عزْمَهُ فيه من اصطناعِه، وصَوَّبتُ رأيهُ فيه من اختيارِه. وأبو فُلان يَقومُ بوَصْفِهِ وما أسرَّني بكتابِه وارِداً، ورَسولِه قاصِداً، وحَديثِه جارياً، وخَيالِه طارقاً، فليُهدِ منها ما استطاعَ، إنّ لِكُلٍّ موقِعاً، وللفقيه فيما يراهُ التوفيقُ والسَّدادُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله: ومساعدة».

وكَتَبَ[1] إلى طاهر الدّاوَرْديّ[2]
يُهنِّئُهُ بابنٍ له

حقّاً، لقد أنجزَ الإقبالُ وَعْدَه، ووافقَ الطّالعُ سَعْدَه، وإنّ الشأنَ لَفيما بعدَه. وحبَّذا الأصلُ وفَرعُه، وبُورِكَ الغيْثُ وصَوْبُه، وأَيْنعَ الرّوضُ ونَوْرُه، وحبَّذا سَماءٌ أطلعتْ فَرْقداً، وغابةٌ أبْرزتْ أسَداً، وظَهْرٌ وافقَ سَنَداً، وذِكرٌ يبقَى أبداً، ومَجدٌ يُسمَّى ولَداً، وشرَفٌ لُحمةً وسَدًى:

أنجبَ أيّامَ والداهُ بهِ ... إذ نَجلاهُ فنِعمَ ما نَجَلَا[3]

شهابُ ذكاءٍ، وبدرُ عَلاءٍ،

ووَجَداهُ ابنَ جَلا ... أبيضَ يَدعو الجَفَلى

لِمثلِهِ أولى فَلا ... إذا النَّديُّ احتَفَلا

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ي: الراوردي. ولعلّه أبو القاسم الدّاوَرْديّ المذكور في رسالةٍ سابقة، ص٢٨١.

(٣) كتب ناسخ س في الحاشية: «هذا البيت للأعشى من جملة أبيات له، وأنجب: فعل، وأيّام: ظرف متعلق به، ووالداه: فاعل، وإذ نجلاه: في محل جرّ بإضافة اللام إليه، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي، والتقدير: أنجب به والداه أيام إذ نجلاه». وانظر ديوانه، ص٢٣٥، وفيه: أيام والديه.

وكَتَب[1] إلى أبي المظفَّر
في شأن[2] أبيه أبي الحسَن البَغَويّ

يبلُغني أنّ أباهُ دائمُ العَبثِ بِلَحْمي، والتنقُّلِ بِشَتْمي، وأنّه حسَنُ البَصيرةِ في بُغْضي، كثيرُ التناوُلِ من عِرْضي. ولَعمرُ الله، إنّ دمَ الصّديقِ لا يُشربُ على الرِّيق، ولحمَ الوَرِيد لا يصلُحُ للقَديد، والوَليُّ لا يُقلَى، ولا يُتّخذُ لحمه تُفْلاً[3].

وحَسْبُ الغريمِ أنْ لا يُوفَى، ومَن منَع الصّدَقةَ فلْيقُلْ قولاً معروفاً. وما أجهلُ أنّ ذلك الشّيخ مِمَّن احتَملَ ذلك المالَ غُرْماً، ولكنْ لا أعرفُ لنفسي فيه جُرْماً. وما فائدةُ خطٍّ يُبذَلُ، ولِسانٍ يُرهَنُ، وتاريخٍ يُكتَبُ، وضَمانٍ يُقبَلُ، ومالٍ يُغرَمُ؟ ولولا الغَرامةُ، لم تُفِدِ الزَّعامةُ؛ فقبَّح الله هذا المال، ولَعن هذا القِيلَ والقال.

هل كان جُرْمي إلّا أنْ ردَدتُ إليه خَطَّهُ، وذكَّرتُهُ وَعْدَهُ، ألمْ يكُنْ في الرّدِّ مَندوحةٌ عن تجاوزِ الحدِّ؟ أما أنا فليسَ له عندي إلّا الثناءُ الجميل، والوَلاءُ الجزيل. ولولا الكافرُ ابنُ الكافرِ، والعاهرُ ابنُ العاهر، ابنُ فُلانٍ في الظّاهر، واللهُ أعلمُ بالسّرائرِ، وما أُشرِب قلبُهُ من الطّمع في مالي، والتعرُّض لحقّي، لَصفا الغدِيرُ بَيني وبينَ أبيه، ومَن وَجَد أباه

---

(١) ص، ي: وله. وأبو المظفر هذا ذكره العتبي وذكر أباه. اليميني، ص٤٨٣.

(٢) ي: معنى.

(٣) إلى هنا نصّ الرسالة في ص، ي. وبعده في ص: «بالقَدح، وعلى إملائنا بالجرْح، أو يقصُرُ سعيُهُ، ويَتَداركُهُ وَهنُهُ، فيَعلَمُ أنَّ مَن أملَى من مَقاماتِ الكُديةِ أربعَمائةِ مقامة، لا مُناسبةَ بينَ المقامتين لفظاً ولا معنى، وهو لا يقدِرُ منها على عَشْر، حقيقُ الإنهاجِ لِكشفِ عُيوبِه. والسَّلام». وهو ذيل من رسالة أخرى غيرها تأتي في تهنئة المصنف طاهراً الداوردي، وأما ي فلفق ناسخها تتمة هذه الرسالة من رسالة أخرى سابقة في س، ص، جعل نصّها ها هنا دون عنوان، كما أسلفنا في موضعه، وهو صنيعٌ غريب يدلّ على غفلةٍ من الناسخ.

ينكحُ بنتَه، ولا يُقفلُ بيتَه، ولا يغسلُ اسْتَه، ولا يُراعي الفرْضَ ووَقتَه، ولا يُراقِبُ اللهَ ومَقْتَه. لمْ يَرِثِ اللُّؤْمَ كَلالةً، وإنْ انجلتْ هذه الغُمَّة، وسكَنتْ هذه الأُمَّة، استعنتُ بالله عليه، وصرَفتُ أعِنَّةَ الكلام إليه، وهو حَسْبي وبه أستعين، والسَّلام.

وكَتَب[1] إلى أبي عليّ الحساميّ
بغَرْشِسْتان[2]

ولا تكادُ - أدامَ اللهُ عزّ الشّيخ - سَنةُ سَبْعٍ[3] تَعمَلُ إلّا عَمَلَ السِّباع، ثم تعمَلُ في اللِّقاء ما تعمَلُ في الوَداع. وكأنّ سَنةَ ثمانٍ سَنةُ آمال؛ ولم يوجعني العامُ الماضي بنَفْسه، كما أوْجَعني برَفْسِه. إنّه لما طلَعَ العامُ، طلَعَ البَلاء العامُّ، فخَبَط الأوراقَ، ثم فَصَل الأعذاقَ، ثم كسَر السّاقَ، ثم قلَعَ الأعراقَ، وأنزَلَني[4] اللهُ بمَنْجاةٍ من السَّيْل، وعلى جَزيرةٍ من البَحْر في كِنٍّ يَعْصِمُني من الماء، ويَحْميني صَوْبَ السَّماء، حتى مضَى العامُ فلمْ يَضُرَّني عَيْبُه، ولم يُصِبْني نابُه، ولمْ تَخبِطْني يدُه. فلمّا كِدتُّ أسلَمُ رَضَخَني برِجْلِه، فحال بَيني وبينَ أحبِّ النّاس إليَّ، وأعزِّهم عليَّ، وأقرِّهم لعينَيَّ، وأشبههم بأبَوَيَّ، وأوْصلهم ليَديَّ، وأحضرِهم في المُلِمّاتِ لَديَّ. ولمْ يُخْلِني اللهُ في هذه الحادثةِ من جميلِ عادتِه، ولم يُخْلِ سَهْمي من سَعادتِه، حيثُ أنْزَلَهُ في جِوارِ النَّجْم، وفِناء البَحْر، ومَناط المُلْك، ومَرادِ الجُود، ومَساقِ العزِّ، ومجالِ المجْد، ومَقام الدِّيْن، وجَنابِ العِلْم، ومُصابِّ الغَيْث، وذِمارِ[5] اللَّيْث. ومَن جمع اللهُ له جوارَ التَّيّارَيْن، فقد جمعَ له صَلاحَ الدّارَيْن.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) (بغرشستان) زيادة مستحسنة من ص، ي، وفيهما: بغرشتان، خطأ. وقد تقدّم التعريف بها، ص٤٧١.

(٣) لعله يقصد سنة ٣٩٧هـ.

(٤) في الأصول: انزل، وما أثبتناه من طبعة الأحدب.

(٥) ذِمار الرجل: حرمه وأهله وما يلزمه حفظه وحياطته وحمايته. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣١٢ (ذمر).

وكنتُ على أنْ أكْتُبَ كِتابَ شكْرٍ إلى[1] السَّيِّدينِ الملِكَينِ المُؤيَّدَينِ[2] أدامَ اللهُ تَمكينَهُما، وجعَل التّوفيقَ قَرينَهما، والقَضاءَ مَعينَهُما، وبسَطَ بالخيرِ يَمينَهما.

ثم رأيْتُني مُهتزّاً لِلقائهما، مُشتاقاً إلى فِنائهما، فقدَّمتُ هذه الأسطُرَ وأنا بمَشيئةِ الله على إثْرها، وللشّيْخ في تَعريفي جُمَلَ أحوالِهِ وتَفاصِيلَها، رأْيُهُ المُوفَّقُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) سقط حرف الجرّ في ص. وفي ي: إلى الشار ابن السيّدين... إلخ.

(٢) لعلّ المقصود بالملكين: الشار (لقب ملك بلاد غرشستان) ووالده الشار أبو نصر. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٥٠٤.

وكَتَب[1] إلى الشّيخ الرّئيس أبي الفَضْل

كما أنّ عَناءَ الشّيخ في أنْ يُثيرَ أرْضاً، أو يَسقيَ حَرْثاً، أو يَشيدَ بِناءً، أو يُنبِط ماءً، أو يَعمُرَ طاحُوناً، أو يَغرِسَ كَرْماً، كان عَنائي أنْ أفيقَ حِيلةً، أو أخلقَ وَسيلةً. فإذا وجدتُ من الكريمِ فُرْصةً لم أحتشِمْ، ولو خطَر بالمالِ وخطَرتُ بالمروّات لم أغتَنِمْ. وقد كان تطوَّلَ عامَ أوَّل بخطٍّ أنا أقتضيه إعادةَ الإنعام؛ به في هذا العام.

وقد – والله – بدَرتُ،

لكنّــــه زاد الرّحيـــــلَ وخطبُـــــهُ — جَلَـلٌ[2] إذا أصبحتُ عـنكم راحـلا

والثّقــلُ[3] لـيس مضــاعفاً لمطيّــةٍ — إلّا إذا مـــا كـــان قَرْمـــاً بـــازلا

وإذا كانَ الكريمُ مَن قد علِمتُهُ، فلا رحِمَني اللهُ إنْ رَحِمتُهُ.

وقد جهَّزتُ الحاجةَ في دلٍّ رَخيمة، إلى كَفٍّ كَريمة. فإنْ عَمِل بقضيَّة فَضْلِه وَزَن صَداقَها، وإنْ عَمِل بقضيّة تَقصيري أسرعَ طَلاقَها، وله في الأمرَين ما يَراه إنْ شاء الله تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) س، ص: جليلٌ، ولا يستقيم عروضاً، والتصويب من ي.

(٣) س، ص: وثقلت، وليس يصحّ عروضاً، وجاءت في ي على الصواب، وقد فات الأستاذ الأحدب هذه اللفتة، فثبتت في طبعته هذه الكلمة.

وله - عَفا اللهُ تَعالى عنه ورَحِمه - إليه أيضاً[1]

كتابي، والتي ﴿نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾[2] طالِقٌ ثَلاثاً، مَرْدودةٌ على أهلها من وَرائها البَعْرةُ، وفي قفائها النَّعْرةُ. إلّا [أنْ][3] ترجِعَ الخَرْقاء، أو تَظهَرَ العَنْقاء. والله ما نَقْضُ الغَزْلِ من[4] بعد قُوَّة، أسخفَ من نَقْض عَهْدٍ وأُخوَّة، وليسَ أرْشُ الغَزْلِ إذا نُقِض، أرْشَ الفَضْلِ إذا رُفِض، ولمْ يجعَل اللهُ إضاعة الصُّوف، كإضاعةِ المعروف.

يا أبا الحَسَن، الحقُّ ثقيل، وهو خيرُ ما قِيل. أنا أُخاطِبُك بالشّيخ والجُنونُ شُعبةٌ من شبابِك، وبالفاضلِ والفَضْلُ وراءَ بابِك، ولو كانَ القلبُ يَستخيرُ، والهوى يَستشيرُ، ولم أكن المُحبَّ المُغرَم، ولم تكن المُحبَّ المكرَم.

الكتابُ وَصَل، حَجْمٌ هائل، ليس وراءَه طائل، وخطٌّ مجنون، لا يُدرَى ألفٌ فيه من نون، وسُطورٌ فيها شُطور، دَبيبُ السَّرَطانِ على الحِيطان، ولفظُ أخلاطٍ لا يُدرِكُهُ استنباط، ولا يُفسِّرُهُ بُقراط[5]، هَذَيانُ المحموم، وهَوَسُ الملوم، وسَوداءُ المهموم.

وقرأتُ شطرَ كِتابٍ لمْ أدرِ والله عَمّاذا يُعبِّر! عن أمورٍ سَقيمة؟ أو عن أحوالٍ

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) سورة النحل، من الآية ٩٢.

(٣) زيادة منّا لازمة، وعبارة ي: لا ترجع...

(٤) سقط حرف الجر في س.

(٥) أبقراط طبيب يوناني، يُعدّ أحد أعظم الأطباء في تاريخ البشرية. وهو صاحب قسم الأطباء المعمول به إلى الآن. توفي سنة ٤٢٤ ق.م.

مُستقيمة؟ لا جَرَمَ أنِّي ظننتُ خَيْرَه[1]، ولم أُبعِدْ غَيْرَه[2]. وجوَّزتُ السَّلامة ولم آمن ضِدَّها، وذهبَتُ مع الظَّنِّ الجميلِ اتِّفاقاً، ثم رجَعتُ القَهْقَرى إشفاقاً، فسألتُ اللهَ لك المزيدَ إنْ كانت سَلامةٌ، والسَّلام[3].

---

(١) في الأصول: خيراً، وكتب ناسخ **س** في الحاشية: «لعله: خيره». وهو اختياري، لموافقة السَّجْع.

(٢) **ي**: عثيره.

(٣) بعد هذا في **ص** ثلاث رسائل، الأولى: رسالة أولها: «لا يزال الشّيخ يحمل إليّ أبا فُلان فيما يوليه من رفق بأسبابه...» إلخ، وهي مكرَّرة، سبقت في ص١٥٧، فانظرها هناك. والثانية: رسالة أولها: «أين تكرّم الشّيخ العَميد على مولاه،...» إلخ، وهي مكرَّرة أيضاً سبقت في ص١٨٤، من كتابنا المحقَّق هذا. والرسالة الثالثة أولها: «هذا القاضي أنا عنده في المنزلة...» إلخ، وهي مكررة أيضاً، لكنّ الناسخ صهر قسماً منها في رسالة بديع الزمان إلى الحسين بن يحيى، ص١٩٩، ومزج أولها – ونصّه: «هذا القاضي أنا عنده في المنزلة، أقلُّ من شيء المعتزلة. نسأل الله رأياً يستدّ، وستراً يمتدّ، ووجهاً لا يسود...» – مزجه في رسالة بديع الزمان إلى سهل بن محمّد، ص٢٤١، ثم أتى بها هنا في موضعين متفرقين.

وله، عَفا الله عنه

في نَقْض قَصيدة أبي بكر الخوارِزْميّ[1]

سألتَ - أمتَعَ اللهُ بكَ - عن الخوارِزْميِّ وشِعْرِه[2]، وقلتَ: إنِّي لأجِدُ فيه بيتاً لو رُؤيَ في المَنامِ لأوْجب الغُسْلَ حِسّاً، وبعدَهُ بيتاً إذا سُرِدَ يَنقُضُ الطّهارة مَسّاً. ولَعَمْري، إنّ هذينِ البيتَين لو كانا تينَتَينِ ما نَبَتا في أرض، أو تمْرَتينِ ما جُنِيتا من غُصْن، فكذلك إذا كانا شِعْرَينِ يَبعُدُ أنْ يَصْدُرا عن صَدْر، أو يُطبَعا من طبْع، أو يُصَبّا على قالبِ قلب، أو يكونا نَفَسَيْ نَفْس، فقد يَسمُنُ الشاعرُ ثم يَغِثُّ، ويُجيدُ القائلُ ثم يَرِثُّ، ولكن لا كما تَراهُ في شِعْر أبي بكر.

وما كنتُ لأكشِفَ[3] تلكَ الأسْرار، وأهتكَ هذه الأسْتار، وأُظهِرَ منه العارَ والعَوار، لولا ما بلَغنا عنه من اعتراضٍ عَلينا فيما أملَينا، وتجهيزِ قَدْحٍ علينا فيما رَوَينا، من مَقاماتِ الإسكندريِّ[4] من قوله: إنّا لا نُحسِنُ سواها، وإنّا نقفُ عند مُنتهاها.

ولو أنصَفَ هذا الفاضلُ لراضَ طبعَه على خَمْس مَقاماتٍ أو عَشْر مفترَيات، ثم عَرَضها على الأسْماع والضّمائر، وأهْداها إلى الأبْصار والبَصائر، فإنْ كانت تقبلُها ولا

---

(١) الدعاء من س فقط. و(في .... الخوارِزْميّ) ساقط في ي.

(٢) له ديوانُ شعرٍ كان بين يدي بعض المؤرخين مثل العتبي، لكنه فُقد، ولم يصلنا من شعره إلّا قطع وأبيات جمعها حامد صدقي ونشرها بعنوان: ديوان أبي بكر الخوارِزْميّ، آينه ميراث، طهران، ١٩٩٧.

(٣) س: لأكتشف، وهو خطأ محض، والتصويب من ص، ي.

(٤) أبو الفتح الإسكندري شخصية وهمية ابتكرها بديع الزّمان، وجعلها بطلاً لمقاماته. لمحمّد عبدالمنعم خفاجي كتاب بعنوان: (أبو الفتح الإسكندري بطل مقامات بديع الزَّمان وشخصيته المجهولة).

تزُجُّها، وتأخذُها ولا تمجُّها، كان يعترِضُ علينا بالقـدْح، وعـلى إملائنـا[1] بـالجرْح، أو يقصُرُ سَعْيُه ويتداركُه وَهنُه، فيعلَمُ أنّ مَن أمْلى من مَقامـات الكُدْيـة أربعمائـة مَقامـة لا مناسبةَ بين المقامتينِ لا لَفْظاً ولا مَعْنى، وهو لا يقدِرُ منها عـلى عَشْـر، حَقيـقُ الإنهـاج لكشف[2] عُيوبه، والسَّلام.

(١) س: أحلامنا.

(٢) ص: حقيق بكشف.

وكَتَب[1] إلى بعض إخوانِه
في شأن أبي الحسَن المحْتَسِبيّ

بَلَغني - أطالَ اللهُ بقاءَكَ - أنّ فاضلاً يُكنَّى أبا الحسَن مَعْدوداً في نُزُلِ الكُتّاب، وفُرَج أهلِ الفَضْلِ والآداب، انتدَبَ لملاقاتي وبَيني وبَينَهُ مَهامِهُ فِيحٌ[2]، وما شككتُ أنّا إذا وَرَدْنا نَيْسابُور استقبَلَنا مراحلَ بفَضائله، وتلقّانا فَراسِخَ بمَسائله.

وقد وَرَدْناها فلا أرضَ استقبالٍ قَطَع، ولا قوسَ نِضالٍ نَزَع، ولا بابَ سُؤالٍ قَرَع. وما زِلْنا[3] نَنتظِرُ نَشاطَهُ لما أسلفَ حتى أخلفَ، ونصرتَهُ لِما بذَل حتى خذَل، واهتزازَهُ لِما أقدَمَ حتى أحجم، وقِيامَهُ لِما وعَد حتى قعَد، ووفَاءَهُ فيما قال حتى استقال، وإقدامَهُ على ما نذَر حتى اعتذَر، فهو - أيّده الله - وإنْ لم يَستقِل بلسانِ قَوْلِه، فقد استقالَ بلِسان فعلِه. وإنْ لم يَعتذِرْ في ظاهرِ أمرِه، فقد اعتذَر في باطنِ سرِّه. ولا أعلَمُ ما الذي نَهاه، كما لا أعلَمُ ما الذي أغراه، وما أعرِفُ السّبَبَ في نُشوزِه، كما لا أعرِفُه في بُروزِه، ولعلَّ العِلَّةَ في عذْرِهِ الآن، كالعِلَّةِ في نَذْرِهِ كان، ومَن طُلِب لِغير أرَبٍ هرَب لغيرِ سبَب، ومَن شهرَ سيفَهُ قبْلَ الحرْب أغمدَهُ قبلَ الضرْب، ومَن حارَب لِغيرِ إحْنةٍ صالَحَ بغيرِ هُدْنة، وما أحسنَ البِناءَ على القاعدة، وأقبحَ الصَّلَفَ تحتَ الرّاعدة.

ورحِم اللهُ الجاحظَ، فقد ضرَب حالي مع هذا الفاضل في قالبِ قِصَّةٍ[4] ظَريفة،

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) المَهْمَه: المفازة والبرِّية القَفْر، وجمعها: مَهامِه. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٥٤٢ (مهه). والفَيْح: سطوع الحرّ وفورانه. لسان العرب، ج٢، ص٥٥٠ (فيح).

(٣) قوله: (وما زلنا) ممحيّ في ي.

(٤) في الأصول: فضة؛ مجوّدة، والأصح ما أثبتناه.

وحَكاها في مَعرِضِ أعْجُوبةٍ لَطيفة، وذكرَ في كِتاب (طبائعِ الحيَوان)[1] أنّ فأْرَينِ خَرَجا من نَقْبَيْن، فتَوعَّدَ كلٌّ منهما صاحبَهُ، وجعَل يَهزُّ رأسهُ، ويَرفَعُ صدْرَهُ، ويَخبِطُ أرْضَهُ، ويُحرِقُ نابَهُ. ثم هرَب كلٌّ من صاحبِه من دونِ اللّقاء فأوَى إلى جُحْرِهِ، وقد كانَ عجِبَ مَن رآهما في ذلك الفِرار، عَقيبَ ذلك الضِّرار، وذلك الهرَب تِلْو هذا الطلَب، وتلكَ الشّماسةِ بعد هذه الحماسة، ولو شاهدَ هذا النِّفار، لَنَسِيَ الفار.

وما أَلُومُ هذا الفاضلَ على بِساط شرٍّ طَواه، ومَوقِد حرْبٍ اجتَـواه، لكنِّـي ألومُـهُ على ما نَواه[2] ثم لم يبلُغْ هواه، وأرادَهُ ثم لمْ يُورِ زِنادَه، ورامَهُ ثم لم يبلُغ مرامَه.

فأقولُ: قد ضرَب، فأينَ الإيجاع ؟ وأنذرَ، فأينَ الإيقاع ؟ وهـذي بَوارقُـه، فـأينَ صَواعقُهُ ؟ وذاكَ وَعيدُهُ، فأين عَديدُهُ ؟ وتلكَ بُنودُهُ، فأينَ جُنـودُهُ ؟ وهـذي مَعاهـدُهُ، فأينَ عُهودُهُ ؟ وما أهولَ رَعْدَهُ، لو أمطرَ بَعدَهُ. ولا كُفْرَان.

فلَعلَّهُ أشفقَ على غريبٍ أنْ يظْهَرَ عَوارُه، وإنْ طارَ طَوارُه، فأمسكَ عن مُعاياتِه، وإنْ قصَد هذا القصْدَ فقد أساءَ إلى نفسِهِ من حيثُ أحسنَ إليَّ، وأجْحفَ بفضلِه من حيثُ أبقَى عليَّ. وأوهمَ النّاس أنّه هابَ البحرَ أنْ يخوضَهُ، والأسدَ أنْ يروضَهُ، والحيَّةَ أنْ تَطوقَهُ، والسَّمَّ أنْ يَذوقَهُ، وظَنَنْتُ غيرَ المظنونِ بفَضْلِه، بعدَ أنْ شرِقْتُ بكأسِ الغَمِّ من أجْلِه، وهجَرتُ الوِسادَ من خَوفِه، وبينا أُنشِدُ :

إنَّ جَنْبـي عـنِ الفِـراشِ لَنـابِ[3]

---

(١) ج٥، ص١٣٧. لكن اسم الكتاب (الحيوان)، وليس (طبائع الحيوان) الذي هو لشرف الزَّمان المروزي المتوفّى بعد سنة ٥١٨هـ.

(٢) (ما ألوم ...... نواه) جعله ناسخا س، ي رسالةً قصيرةً قائمةً بذاتها، بعنوان: (ولهُ رَحِمه الله إليه رقعةٌ أخرى يصفُ ما جرى بينَه وبينَ الأستاذ أبي بكرٍ الخوارِزْميّ رحمه الله).

(٣) صدرُ بيتٍ عجزُه: كتجافي الأسرّ فوق الظّرابِ. ويُنسب لغير واحـد، منهم: معـد يكـرب بـن عمرو بن الحارث، وعبد الصمد بن المعذل، وابن الرومـي. انظـر: ديـوان ابـن الرومـي، ج١، ص٣٣٠؛ الأصـفهاني، الأغـاني، ج١٣، ص٢٦٦؛ المرزبـاني، معجـم الشـعراء، ص١٣؛ الشمشاطي، الأنوار، ص١٠١.

حتى أنشدتُ:

طـابَ لَـيْلي وطـابَ فيـه شرابي

وبينا أقولُ:

مـا لِقلبِـي كأنّـه ليـسَ منِّـي[1]

حتى قلتُ:

أينَ مَن كان قاعـداً[2] أنـا عنّـي[3]

ومَن وقَع بما لم يكتسِبْ، نجا مـن حيـثُ لم يحتسِـبْ، ومـا أحسـنَ منـاراً في هـذا الفاضلِ أنْ وجَد خِلْفَ العافيةِ فامتراه، وظَهْرَ السَّلامةِ فامتطاه، ومَن أبَـى الأيّـامَ قَبِـلَ اللّيالي، ومَن عَصَى الزجاجَ أطاعَ العَوالي، ومَن لم يشرَب كـأسَ السَّـلامة هنيئـاً، سُـقي سَجْلَ النّدامةِ رَوياً، ولن يَعدَمَ طالبُ المَلامةِ عَبوساً، ولا خاطبُ النّدامةِ عَروساً، ولَئن أساءَ بَدْءاً لقد أحسن عَوْداً، ولئنْ أوعـدَ قـولاً، لقـد أمَّـن فِعـلاً، وبقـيَ أنْ يـنظِم عـلى النِّصال، ولا يَندَمَ على الإفضال، فيأتينا من بابِ المُعاشرة، إنْ لمْ يأتِنا من باب المكـاشَرة، ويَنشُرَنا في الوِداد، إنْ لم يَطونا في بابِ الجِهاد. اللّهمَّ إلّا أنْ يكونَ بَقيَ في صَدْره غرَضٌ، أو في قَلْبِهِ مرَضٌ. ولا يجد من امتحانِنا بُدّاً، فحينئذٍ نَسألُهُ أنْ يَستُرَ علينا ما يظهَرُ له.

وليتَ شعري، بِمَ أراد امْتحاني، ورامَ امْتهاني؟ فلْيفطُنْ أنّي غَفلتُ عمّا فَطِن، واسترحتُ ممّا تعِب.

---

(١) صدرُ بيتٍ، عجزُه: وعظامي إخال فيهنّ فترا. القالي، الأمالي، ج٢، ص١٨٣.

(٢) كتب ناسخ **س** فوق هذا العجز: «أين من كان قائلاً أنا عني».

(٣) **ص**: إياني، **ي**: (أي يأتي) بدلاً من قوله: (أنا عني).

وله

تَجاوَز الله تَعالى عنه[1]

اللَّوْنُ أعْدلُ شاهدٍ، والعينُ أعْرفُ ناقدٍ، فلْيجتَلِ منِّي اللَّوْنَ وشُحوبَه، والقلبَ وخُفوقَه، والجسمَ ونُحولَه، والأجفانَ ودَرَّها، والأنفاسَ وحَرَّها، والأفكارَ وغوصَها. فوالله لقد تحمَّلتُ وَجْداً لَو لاقَى الصَّخْرَ لجَابَه، أو الحديدَ أذابَه، أو الطِفْلَ أشابَه، أو الكَوثَرَ لشابَه، أو الموتَ لهَابَه، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

وله

رَحِمه الله تَعالى وتَجاوَز عنه[1]

الإنسانُ يُولَدُ على الفِطْرة، مَن طَرَفَهُ استطرَفَهُ، ومَن لَمَحَهُ استملَحَهُ، حينَ لا يُسمَّى قَرْطَباناً[2]، حتى يَشقَى زَماناً، فإذا تعِب دَهراً طويلاً، يُسمَّى كَشْخاناً[3] ثقيلاً.

والضَّبُّ إذا شبَّ، كانَ بالخِيار: إنْ شاءَ سُمِّي لحمَ الحُوار[4]، أو كُنِّي[5] أو لُقِّب بَرْدَ الخِيار، أو شُبِّهَ بالجدار، أو أطلالَ الدّار، وإنْ شاءَ سُمِّي أيرَ الحمار[6]، برُفقةِ الأحباب، أو زينةِ الأتراب، أو تَمْرةِ الغُراب[7]، أو دُمْيةِ المحراب، فَرْحة الإياب.

وعلى الأمِّ أنْ تَلِدَ البَنين، وتَغذُوَهم سِنين، وتَقِيَهم الماءَ والنّار، وتكنَّهم اللّيلَ والنّهار. فإنْ خرَجوا مَخانيث، فقد قضَتْ ما عَليها من الحديث، وإنْ قَرُمَ السُّرْم، فلغيرها الجُرم، وإنْ حلّ الشَّرْج، ففي الابن الفرج، وعلى ابنها الحرج.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) القَرْطَبان: الذي لا غيرة له. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٧٠ (قرطب).

(٣) الكَشْخان: الدَّيّوث، والقوّاد. وهو ليس من كلام العرب. انظر: التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص١٤٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٩ (كشخ).

(٤) بعده في ي: أو كني أيرَ الحمار.

(٥) قوله: (أو كني) سقط في ي.

(٦) هاتان الكلمتان ساقطتان في ص.

(٧) انظر ما تقدم، ص٤٥٩.

أمّا الأم ففي العَراء، وإنْ رغمت أنوف الشعراء،

وما حملتْ أمٌّ[1] امرىءٍ في ضُلوعِها أعقَّ مِنَ الجاني عَليها[2] لِسانيا[3]

وقد بَلَغني عن فُلان ما كادَ يُوحِشُ، وسُوء الاسْتمساكِ خيرٌ من حُسْن الصُّرْعة، والسَّلام.

---

(١) في الأصول: من، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) في الأصول: عليه، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٣) نسبة هذا البيت للفرزدق عند: العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص١٨١؛ ابن المبارك، منتهى الطلب، ج٥، ص٣١٧. ولجرير عند: ابن عبد البر، بهجة المجالس. والقافية في المصادر الثلاثة (هجائيا) وليس (لسانيا).

وله

تجاوَز اللهُ تَعالى عنه[1]

مَثَلُ الشّيخ في الْتماسِ الخِلِّ[2]، مَثَلُ المُكَدِّي في الْتماس الـخَلِّ[3]، تقدَّم إلى الخلّال، فقال: يا منكوحَ العيال، صُبَّ لي في هذا الإناء قليلاً من الـخَلِّ، فقال الخلّال: لعَنَ اللهُ الكسَلَ، هلّا طلبتَ بهذا اللّفظِ العَسَل؟

(١) هذه الرسالة برمّتها ساقطة في ص.

(٢) س: الحل، وجاء على الصواب في ي.

(٣) س: الخِلّ بكسر الخاء، والصواب ما أثبتناه. والمكدي: الشحّاذ، وقد تقدّم شرحه.

وله

عَفا اللهُ تَعالى عنه وسامَحه[1] أيضاً[2]

فِتَنٌ تشظّى، ونارٌ تلظّى، وناسٌ يأكُلُ بعضُهم بعضاً. النَّهارُ مُصادَره، واللَّيلُ مُكابرَة، قُتل عَمْرو، وغُلب[3] زَيْد، وانْجُ سَعْد وقد هَلَك سُعَيْد[4] وثمنُ الراس مِنْديل، والسُّنّةُ العادلةُ[5] سكّين، ولا شيءَ إلّا السّلاحُ والصّياح، وكلُّ شيء إلّا[6] السّكونُ والصّلاح.

(١) هذه الرسالة خَلَت منها ص، وهي مختلّة غير تامّة، وفيها بعض كلمات مطموسة.

(٢) الأيض من ي.

(٣) ي: وسلب.

(٤) (وانج .... سعيد) من ي. وسَعْد وسُعَيْد ابنا ضَبّة بن أد. وهو مثلٌ يُضرب في الاستمساك على الباقي عند فوات الماضي. الزمخشري، المستقصى، ج١، ص٣٨٤.

(٥) (منديل .... العادلة) تتمة أسعفت بها ي.

(٦) من ي.

ومن فُصولهُ

عَفا اللهُ تَعالى عنه[1]

أُثني عليه ثناءً لو رُمي به الشّتاءُ لَعاد رَبيعاً، ولو دُعي به الشّبابُ لآبَ سَريعاً، أو صُبّ على الفراق لَعاد شَمْلاً جميعاً.

(١) ي: فصل. وهذا الفصل ساقطٌ في ص.

وله

سامَحه اللهُ تَعالى ورَحِمه[1]

لا والله لا أطأُ العِشْرةَ بَعْدَها، ولا أريدُ كَرامةً، لا تَحتمِلُ غَرامةً، ولا أقبَلُ محَبَّةً، لا تُساوي حَبَّة، والسَّلام.

(١) ص، ي: وله أيضاً.

وكَتَب[1] إلى أبي الحَسَن البَيْهَقيّ

حُزني وأنا حَصير، يدُ الفضْلِ طويلةٌ ولِسانُ الشُكْرِ قصير. أنا بالله وبهذا اللَّجاج بأبي بَيْهقُ وهَداياها، والشّيخُ الفاضلُ وبيتُه. وما أحسنَ هذه العادة، وأحسنُ منها الإعادة.

والبِرُّ في كُلِّ فصلٍ جَديدٌ، والفِطام كما علِمتَ شديدٌ. وابتداءُ الفَضْلِ سَهْلٌ، والشأنُ في تَرتيبِه. والإقْطُ مَطْبوخاً أطيبُ، والباذِنجانُ نَضيجاً أقربُ، ونحنُ إلى الدّعوةِ أحوجُ، والصديقُ لا يُغبَنُ وأنا لا أستزيد، فمَتى القِدْرَ تُدرِك وفي أيِّ لَيلةٍ تَحضُر؟ والسَّلام.

---

(١) قبل هذا في ص: وله أيضاً....، ي: وله.

وله

عَفا الله تَعالى عنه[1]

أنا - أطالَ اللهُ بَقاءَ الشّيخ - إنْ كانَ اللِّقاءُ أوّلُ نَظْرتِهِ حَمْقاء فمُعوِّدُ الرّحالِ على الارتحال، والمرءُ كالسَّيْف، مَضاهُ تحتَ شَباه، فمَن رأى فِرِنْدَه[2] فقد عرَف ما عندَه.

قيل لنَصْرانيٍّ : إنّ المسيحَ يُحيي الموتَى، فقال: واحَرباهُ، كذا مَن أشبهَ أباهُ.

ولو لم أستدِلَّ على فَضْلِهِ إلّا باصْطناعِ ذلك الشّيخ له لكنتُ خَليقاً أنْ لا أضِلَّ طَريقاً، فهل تُرى أنْ نشترِكَ في خِدْمةِ ذلك الشّيخ، على أنْ تكونَ عليَّ مُؤنُها، وله مِنَنُها، وإليَّ كُلَفُها، وله تُحَفُها؟ فإنْ رأى ذلك الصّوابَ، فلْيحسن المناب[3]، وليعرِّفْني لأكونَ الرُّقْعة الثانيةَ إذا رَجَع، أو يَدُلّني على ما أصنَع، فما أشوَقَني إلى ذلك المجلِس الشّريف، وما أحوجني إلى التّعريف، ورأيُه الموفَّق في ذلك إنْ شاء اللهُ تَعالى.

---

(١) ص، ي: وله أيضاً.

(٢) الفِرِنْد: السيف. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٣٤ (فرند).

(٣) ص: المآب.

وكَتَبَ[1] إلى أبي عليّ مَسْكَوَيْه

الأستاذُ الفاضلُ وإنْ كانَ باذلاً في التّجاربِ[2] حنكتَهُ، والأيّامِ عَرْكتَهُ، فقد يَخْفَى على العارفِ وَجْهُ الأمْرِ لِغُموض سَبَبِه، وعينُ الناظرِ أبصرُ من عينِ المُناظِرِ، وليسَ مَن يَدأبُ كَمَنْ يَلعَبُ، وهذا شيءٌ لا تُحمَدُ خاتمتُهُ، ودَسْتٌ لا تُعمَدُ قائِمتُه.

وقد جعَلَ الحَبْسَ يدَ جَريدَتِه، فلْيجعلِ العفْوَ بيتَ قَصيدتِه. وليكن الحِلْمُ سُلطانَ غَضبِه، ولْيَرُشَّ الماء على لَهبِه. فبالله، ما أذْخَرُهُ وُدّاً، ولا آلوهُ نُصْحاً. وَفَّقني اللهُ قائلاً، ووَفَّقَهُ قابلاً.

وعُدِ الآنَ إلى حَديثِ الشوق، وتَقسُّمِ فِكْري بخروجِه، وهذه عادةُ الأيّامِ معي، إذا عقَدتُ إصبَعي:

وذلك أنّي لم أثِقْ بمُصاحبٍ ... من النّاس إلّا خانني وترحّلا[3]

في البيتِ لَفظٌ قلبتُه، لِغرَضٍ أصَبتُه، ومعنىً غيّرتُه، لِشيءٍ آثرتُه وهو الظَّرْفُ الهَمَذاني، فلْيَعْلَم ذلك. والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) لعله يقصد كتابه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم).

(٣) كذا في النسخ، وكتب ناسخ س في الحاشية: «أصل: وتغيرا» وقد صدق في ذلك، وهذا البيت مأخوذ من بيتٍ لامرىء القيس هو:

كذلك جَدّي ما أصاحب صاحباً ... من الناس إلّا خانني وتغيّرا

ديوانه، ص٦٩.

لكن الهمذاني غيّر الكلمة قاصداً كما قال بعد.

وكَتَبَ[1] إلى أبي سَعيدٍ الطّائيِّ الهَمَذاني[2]

أنا بما يُهدَى إليَّ من أخبارِ الشّيخ قريرُ العَين، قويُّ الظّهْر، مُستظْهِرٌ علَى الدّهْر، مُعتدٌّ للأيّام بما يُوليهِ من حالٍ يَرْضاها، ومَحابَّ يَبلُغُها، راغبٌ إلى الله تَعالى في حِفْظِ ما خَوَّلَهُ، والزّيادةِ فيما نَحَلَه.

ومَمّن فتَقَ سَمْعي بالثناء عليه، وبَرَّدَ صَدْري[3] بحُسنِ القَولِ فيه: أبو فُلان، فقد أبدَى وأعاد، وأبلَغَ وزاد، وأحسن وأجاد. وراعى الانفتالَ ورَاءَهُ إلى ما خلَّف من حَظِّهِ بخدْمتِه، ومكانِه من مجلسِه، وسألني تَزويدَهُ هذه الأحرُفَ ليتّخِذَها عندَهُ ذريعة. وتكونَ لديه وَديعة. فأنعمتُ له بالجوابِ، وسَيَصِلُ بمشيئةِ الله تَعالى فلا يألوهُ إعزازاً واهتزازاً، وأنا إلى ما أتطلَّعُهُ من سارِّ أخباره فقير، وهو بإمدادي بها جَدير، ويَسُرُّني له أنْ يَصِلَ رَحِمَ البلَديّة بالجوابِ إذ لمْ يَصِلْها بالافتتاح، فلْيفعَلْ، ولْيُهدِ إليَّ من ثَمراتِ يَديهِ ولِسانِه ما أسكُنُ إليه، وأشكُرُهُ عليه.

الشّيخ أبو فُلان وَصَف لي ظمَأً في جِوارِ البَحْر، وسَغَباً في جِنانِ الخُلْد، وضِيقاً في فَضاءِ الأرْض، على قُربِ الرَّحِم وعُلوِّ السِّنّ، والذّنْبُ في ذلك لِتمامِ الأجلِ له[4]، وانقضاءِ المُدّة.

ومِثلُ الشّيخ مَن شالَ بضَبُعِ الأحرار، من هذه الأدبار، وكان به فضلُ الاستظهار، على اللّيلِ والنّهار. فإنْ فعَل خيراً شُكِر، وإنْ عاقَ عائقٌ عُذِر، وأنا إلى ذلك

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) (الهَمَذاني) من ص.

(٣) في النسخ: صبري. أخذنا بما كتب ناسخ س في الحاشية: «لعله صدري».

(٤) من ص.

الشّيخ بالأشواق، ثم تأكُلُ الطّعامَ وتَمشــي في الأسـواق[1]، حتـى يُفـرِّجَ اللهُ ونَرْتـاحَ، فتُحَلَّ عُقدةُ الحِرْمان، وتُفَلَّ أنيابُ الزَّمان، والسَّلام.

(١) تأثر بقول الله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ سورة الفرقان، من الآية ٧.

وكَتَب[1] إلى أبي القاسم الكاتب

أنا لا أحسُدُ أحداً على ما خَوَّله اللهُ من نِعْمة، ورزَقهُ من خَيْر، ولكن هذه الكُتبُ التي تَصدُرُ عن قلَم الشّيخ يُجِلُّ عنها قدْرُهُ، ولا أحبُّ أنْ يُصدِرَ مِثْلَها صَدْرُهُ، ولا أراهُ بحمدِ الله إلّا مُوفياً على أمسِه، ولا أجدُ آثارَ الرّبيعِ إلّا لآثارِ خَمْسِه.

أنجبَ - والله - عبدُ الشّيخ الجليل، وبارَك اللهُ في السّليل، وما ضرَّهُ تَلَفُه، والشّيخ الفاضلُ خَلَفُه، وما محاهُ مَوْتُه، ما بَقي صِيتُهُ وصَوْتُه. وأمّا الحواصلُ، فإنّها غيرُ حَواصل، والسَّلام.

---

(١) ص، ي: وله.

وكَتَب[1] إلى صديقٍ له يَستدعي منه[2] بَقَرة

الكَدْخُدائيَّةُ[3] زرعٌ إنْ لم يُصادِفْ ثرىً ثَريّاً من التّدبير، وجوّاً غنيّاً عن[4] التّقدير، لم يحصُلْ بالغُهُ، ولم يُجنَ يانعُهُ. والجُملةُ إذا اجتمعت على مِعَدٍ مُختلفة الأهواء، مُتَّفِقة الأرجاء، طاحنة الرّحى، جرَتْ إلى الاحتيالِ فيما يُقيمُ الأوَدَ، ويَكفي العَدَد.

وقد احتيج في الدّارِ إلى بَقَرةٍ يُحلَبُ دَرُّها ؛ فلتكنْ صنوفاً تجمَعُ بين قَعْبَين في حَلْبة، كما تنظِمُ بينَ دَلْوَينِ في شَرْبة. وليملأِ العينَ وَصْفُها، كما يملأ اليدَ خِلْفُها، ولْيَزِنْ مَشيَها سَعَةُ الذَّرْع، كما يَزينُ دَرَّها سَعَةُ الضَّرْع. ولتكنْ عَوانَ السِّنِّ، بينَ البِكْر والمُسِنِّ. ولتكنْ طَروحَ الفَحْلِ، رَموحَ الرِّجْل، ولْيَصِفْ لَونُها صَفاءَ لَبَنِها، ولْيكن ثَمنُها كِفاءَ سِمْنها. ولتكنْ رَخصةَ اللّحْم، جَمَّةَ الشّحْم، كثيرةَ الطّعْم، سَريعةَ الهضْم. صافيةً كالجَوْن، فاقعةَ اللَّوْن، واسعةَ البطن، وَطيَّةَ الظّهْر، ممتلئةَ الصَّهْوة، فسيحةَ اللَّهْوة. لا تَضيقُ بطنُها عن العَلَف، فيؤدّيها إلى التَّلَف، ترِدُ الهَوْلَ ولا تَخافُهُ، وتشرَبُ الرَّنِقَ ولا تَعافُهُ.

واجهَدْ أنْ تكون كبيرةَ الخَلْق، لتكونَ في العينِ أهيب، ضيِّقةَ الحلْق، ليكونَ صوتُها في الأذنِ أطيب.

---

(١) ص، ي: وله.

(٢) ساقطة في: ص، ي.

(٣) كَتْخُدا في الأصل: كبير القرية أو رئيسها (عمدتها). لكن هذه اللفظة دخلت في مصطلحات الأطباء، ففي حديثه عن الحرارة الغريزية، قال ابن سينا: «... فلهذا يقال: حرارة غريزية، ولا يقال: برودة غريزية، ولا يُنسب إلى البرودة من كَدْخُدائية البدن ما يُنسب إلى الحرارة». القانون في الطب، ج١، ص١٦٢. ويقصد طبيعة الجسم في أفعالها. والأرجح أن ما قصده الهمذاني هنا المعنى الأول، أي: الرياسة.

(٤) ص: من، ي: غذيّاً من.

واحذَرْ أنْ تكون نَطوحاً أو سَلوحاً، وإيّاك أنْ تَبْعَثَها مَلوحاً أو رَشوحاً.

ولتكنْ مُطاوعةً عند الحَلْبِ لا تمنَعُ نفسَها، ولا تُكْثِر لَحَسَها، وداهيةً في الرَّعْي، لأقرب سَعيٍ، حَمْقاءَ على الحوْضِ كالنّعجة، لا تأمَنُ من البَعْجة، ألوفةً لِلرّاعي الذي يَرعاها، مُجيبةً لِصوتِه إذا دَعاها، مُهتديةً إلى المنزل بغير هاد، ذاهبةً إلى المَرْعَى بغير قِياد.

ولا أظنُّك تجِدُها، اللّهمَّ إلّا أنْ يُمسخ القاضي بقَرةً، وهو - على رأي التّناسخ - جائزٌ، فاجهَدْ جَهدَك، وابذُلْ ما عِندَك، واجعَلْ اهتمامَك أمامَك، وحِرصَك قُدّامَك، يُوفَّقْ سَعْيُك، ويحسُنْ هَدْيُك، واستعِنْ بالله تَعالى فإنّه نِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ المُعين، والسَّلام.

وهذه صورةُ ما خطَّه في وَصيّتِه

رَحِمه الله[1]

هذا ما أوْصَى أحمدُ بنُ الحسين بن يَحيى بن سعيد، يُوصي وهو يَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهَ وحدَهُ لا شريكَ له، إليه مَتابُه ومآبُه، خلَقَهُ ولم يكنْ شيئاً مَذكوراً[2]، ورزَقَهُ قدَراً مَقدوراً، وضرَب له أمداً ممدوداً، وأمَرَهُ ونَهاهُ، فأطاعَهُ وعَصاه، ولم يُطعْهُ إلّا بتوفيقٍ من عندِه، ولم يَعصِهِ إلّا اعتماداً على لُطفِه بعبدِه، واتّكالاً على رَحمتِه وعَفوِه، لا جُرأةً على لَعْنتِه ومَقْتِه، ولا مُغترّاً بنفسِه ووَقْتِه.

ويَشهَدُ أنّ مُحمّداً عَبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بالهدى ودينِ الحقِّ، فبلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونَصَح الأمّة، وأراهم الجادَّة، وحذَّرَهم ثَنيَّاتِ الطُّرُق، وأمرَهم أنْ يأْخُذوا بالسُّنَّة ويَعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وضَمِنَ الجنَّةَ للآخذ. وخلَّف فيهم القُرآنَ حَبْلاً مَمدوداً، وجِسْراً مَعقوداً، ليتَّخذوهُ إماماً، ولا يُحِلُّوا دونَهُ حَلالاً ولا حَراماً.

ثم لحِق بالرفيق الأعلى وقد خَرَج عن عُهدةِ ما حُمِّل، وصدَع بما أُمِر، فصلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وسلَّم تسليماً، فأوصَى وهو يقولُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

وأوْصَى وهو يَدِينُ لله تَعالى بما دانَ به السّلَفُ الصّالح، والصّدْرُ الأوَّلُ من المُهاجرينَ والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان، بريئاً من الأهواءِ والبِدَع، والرأيِ المختَرَع، والإفكِ المتَّسِع، راجياً قويَّ الطّمَع، خائفاً شديدَ الفزَع، حاذراً أهوالَ المطَّلع،

---

(١) العنوان في ص، ي: وله نسخة وصيّة.

(٢) من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ سورة الإنسان، الآية ١.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

مؤمناً بعذابِ القَبْر وفِتْنتِه، عائذاً بالله منهما ومنه، راغباً إليه في أنْ يُلقِّنهُ حُجَّتَه ويثبته بالقولِ الثابتِ، مُوقناً بالبَعْثِ والبَحْث، شاهداً أنّ الجنةَ حقٌّ ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1]، وأنّ النّار حقٌّ، وأنّ ﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[2]، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[3].

أَوْصَى إذا جاءَهُ الحقُّ، وأشخصَهُ الأمرُ، وجَدَّ به الجدُّ، وتَوفّاهُ الموتُ، أنْ لا تُعقَدَ عليه مَناحةٌ، ولا يُلطَمَ خَدٌّ، ولا يُخمَشَ وَجْهٌ، ولا يُنشَرَ شَعْرٌ، ولا يُمزَّقَ ثوبٌ، ولا يُشَقَّ جَيْبٌ، ولا يُهالَ نَقْعٌ، ولا يُرفعَ صوتٌ، ولا يُدعَى وَيلٌ، ولا يُسوَّدَ بابٌ، ولا يُخرقَ مَتاعٌ، ولا يُقلَعَ غَرْسٌ، ولا يُهدَمَ بناءٌ، ولا يَطرُقَ الشّيطانُ إليه طَريقاً، ولا يُمثِّلَ له أمراً، فمَن فعَلَ ذلك فليس من الله تَعالى في حِلٍّ، ولا من المَيتِ في حِلٍّ، وإنّما يَفعَلُ ذلك مَن لا يَرى الحياةَ عاريةً، ولا يَرَى العاريةَ مَردودة، ومَن علِم أنّ الدّنيا دارُ جهاز، وأنّ الموتَ جِسْرُ جَواز، استشعَرهُ قبلَ حُلولِه، ولمْ يَرُعْهُ وقتَ نزولِه.

وأنْ يُكَفَّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ قَباطيّ[4] لا سَرَفَ فيها. وحَرَّجَ على مَن يَتولّى أمْرَهُ أنْ يَقرنَهُ ثوبَ خُيَلاءَ من مُطرَّزٍ أو مُعلَمٍ أو إبريسم أو منسوجٍ بذهَب، إنّه لمحتاجٌ أنْ يستفيقَ ويتشبَّهَ بالمساكين، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان، من الآية ٧٦.

(٢) سورة الفرقان، من الآية ٦٥.

(٣) سورة الحج، الآية ٧.

(٤) نسيج رقيق من كتان أبيض يصنع في مصر، وينسب إلى القِبْط، على غير قياس. المعجم الوسيط (قبط).

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨١.

وأنْ يتولّى الصّلاةَ عليه أصحابُ الحديث وأهلُ السُّنَّة، وأنْ يُلْحَدَ ولا يُبْنَى عليه، ولا تشهَدَ النّساء فيحمِلَهُنَّ على الصُّراخِ والعَويل[1].

(١) كما أسلفت في المقدمة، فقد جاء في آخر النسخة س بعد هذا ما نصُّه: «هذا آخرُ ما وُجِد من ترسلات أبي الفضل بَديع الزَّمان ومُكاتباتِه تغمَّدهُ الله تَعالى برحمته وغفرانه، وأسكنه بحبوبة جنانه، وأفرغ عليه سجال رضوانه، بقلم العبد الفقير إلى رحمة المولى المنعم: الحاج حسين بن مُحمّد بن حسن الشهير سلفُه بآل ميمي، البصريّ مولداً ومنشأً، كان الله له في جميع أطواره وأوطاره وأدواره، في اليوم الحاديَ عشَرَ من شهر ربيع الآخر لسنة ثمانٍ وخمسين ومائة وألف، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وحسبنا الله تَعالى وكفى».

ونصُّ تذييل ص: «تَمّ. اللهمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيِّدنا ومَوْلانا مُحمّد، شجرةِ الأصل النورانيّة، ولمعة القَبْضةِ الرّحمانية، وأفضل الخِلقة الإنسانية، وأشرف الصورة الجسمانية، ومعدِن الأسرار الربّانيّة، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنيّة، والرُّتبة العلِيّة، من اندرجت النبيُّونَ تحت لوائه، فهم منه وإليه. صلّى وسلّم وبارك عليه وعلى آله، عددَ ما خلَقْتَ ورزقت، وأمتَّ وأحييت، إلى يوم تبعَثُ مَن أفنيت، وسلِّم تسليماً كثيراً. والحمدُ لله ربِّ العالمين. وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب الجليل يوم في الأحد عشرين جمادى الأولى سنة ١٢٩١ من هجرة المصطفى، زاده الله تَعالى عزّاً وشرفاً، على يد أفقر العبيد وأحوجهم إلى مولاه أحمد عرابي ابن المرحوم أحمد عرابلي الشافعي تجاوز الله عن سيئاته والمسلمين، آمين آمين آمين».

ونصّ تذييل ي: «هذا الموجود من ترسيله رحمة الله عليه، والحمد لله وحده، وصلّى الله على مُحمّد وآله وسلّم».

الفهارس العامة

- الأعلام
- الجماعات والأقوام والطوائف والملل
- الأماكن والبلدان
- الألقاب والألفاظ والمصطلحات اللغوية والحضارية
- الأمثال
- الشعر
- أنصاف الأبيات
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الرسائل

الأعلام

الجماعات والأقوام والطوائف والملل

الأماكن والبلدان

فهرس الألقاب والألفاظ والمصطلحات اللغوية والحضارية

الأمثال

الشعر

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
وزاد الإله	واليَدا	طويل	-	٢	٣٤٦
حُثُوا المَطيّ	السَّعْدُ	كامل	-	١	٣٧٦
إنْ يَبْقَ	مُنفرِدُ	بسيط	جذل بن أشمط العبدي	١	٣٩٧
أحِبُّكَ يا شمسَ	والفَراقِدُ	طويل	المتنبي	٢	٤٥
الدّهرُ أدهَى	مُطَّرِدُ	بسيط	-	١	٣٩٧
أهلاً بدارٍ	خُرَّدُها	منسرح	المتنبي	١	٥٦
يا نِعْمَةً	تَكْنُدُها	منسرح	بديع الزمان	١	٥٦
أحِبُّكَ في البَتولِ	بعيدِ	وافر	-	١	٤٥
ما يَفْعَلُ	ثمودِ	مخلّع البسيط	-	٢	٩٤
يا مَرحباً	غَدِ	كامل	النابغة الذبياني	١	١٤٨
فأيُّ سرُورٍ	بِوُجودِهِ	طويل	-	١	١٧٢
بأبي أنت	ووِسادِي	خفيف	-	١	١١٨
وتَبْسِمُ	نَدِي	طويل	طرفة بن العبد	١	٩٢
وما أنكحونا	قَهْرا	طويل	علي بن المغمر	٣	٤٠٢
نصحتُك	مُرّا	وافر	بشر بن عوانة العذري	٣	٤٧
يَعِزُّ عليَّ	وقَهْرا	وافر	بشر بن عوانة العذري	٢	٨٦
ثم أرى	حمارُ	رجز	-	١	٤٥
ورافقتها والجِنُّ	يَنظُرُ	طويل	-	١	٤١٣
وإنّي لَتَعرُوني	القَطْرُ	طويل	عبد الله بن سلمة الهذلي	١	٣٨٣
هنَّ الأرومُ	الشَّجَرُ	بسيط	-	١	٤٠١
ولكن أخُو الحزم	مُبصِرُ	طويل	تأبط شراً	١	٣١٩
يا قومُ	قُبِرُوا	بسيط	-	١	٨٧
ومَن لك	يَنظُرُ	طويل	-	١	٩١
فليتَ شِعْري	يُنْتَظَرُ	بسيط	أبو تمام / البحتري	١	٢٨٠
ولَيتَ لنا	تَدُورُ	وافر	طرفة بن العبد	١	١٢٠، ٤٢٥

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
لا تعتَبنَّ	بالأطرافِ	كامل	أحمد بن محمد السكري	١	٣٩٦
ما لِلزّمانِ	الأشرافِ	كامل	–	١	٣٩٦
إنَّ ابنَ ميكالَ	اللّقا	كامل	ابن دريد	١	٤٦٥
مَهْلا أبا بكرٍ	يُرْزَقُ	كامل	بديع الزمان	٥	٥٥
أفعِشْتَ	بَيْدَقُ	كامل	–	١	٣٢٩
أرَقٌ على أرَقٍ	تَتَرَقْرَقُ	كامل	المتنبي	١	٥٤
فإنْ يكنْ	والوَرَقُ	بسيط	بديع الزمان	٢	٢٨١
وإذا ابتَدَهْتُ	تَتَقَلَّقُ	كامل	أبو بكر الخوارزمي	٨	٥٤
وشبَّهْنا بنَفْسِجَ	الرَّقيقِ	وافر	أبو الفتح كشاجم	١	٦٠
وشبَّهْنا بنَفْسِجَ	الصَّفيقِ	وافر	–	١	٦٠
إنا على البعاد	نلتقِ	رجز	ابن المعتز	١	٤٤
وليستْ	أملِكُ	–	–	١	٣٤٣
هذا الأديبُ	بِبَرْكِهِ	كامل	بديع الزمان	١١	٥٢
لئن ساءني	ببالِكِ	طويل	ابن الدُّمينة	١	١٠٠، ٣٠٢
والرُّمْحُ	الطّلى	مجزوء الكامل	–	٢	٣٤١
ووَجَداهُ	الجَفَلى	منسرح	–	٢	٤٧٩
أنجبَ أيّامَ	نَجَلَا	منسرح	الأعشى	١	٤٧٩
لكنّه زاد	راحلا	كامل	–	٢	٤٨٤
وليس امرؤٌ	بأعزلا	طويل	أبو تمام	١	٩
إنَّ الأشاءَ	أسافِلا	كامل	أبو تمام	١	٢٣٧، ٣٩٧
وذلك أنّي	وترحَّلا	طويل	امرؤ القيس	١	٥٠١
هلَّا سِوَى	فاعِلا	كامل	–	١	٣٩٦
ويا عَزَّ	مَهلا	طويل	كثير عزة	٢	١٥٩
وما شغَفي	نُزولُ	طويل	المتنبي	٢	٣٠٠
ولو كُنتُ	دَليلُ	طويل	العديل بن الفرخ العجلي	١	١٥٤

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
وألسُنا	طِوالُ	طويل	–	١	٤٦
وشُكري لأعقابِ	تُقبِلُ	طويل	–	١	٣٧١
وما كلَّ يومٍ	رسولُ	طويل	أبو بكر الهذلي / يزيد بن الطثرية	١	٣٢
وفيهمْ مَقاماتٌ	والفعلُ	طويل	زهير بن أبي سلمى	١	٣٨
ولو كان	السَّلاسلُ	طويل	الفرزدق / خويلد الهذلي	١	٣٠١
وأنْزَلَني طولُ النَّوى	أشاكلُهْ	طويل	أبو دهمان الغلابي	٢	٦١
ومُسْتَلْئِم	مَيْلَهُ	طويل	–	٢	٧٥
ولو أنّما	المالِ	طويل	امرؤ القيس	١	٢٥٨
فقلتُ ولم	النَّخْلِ	طويل	جرير	١	١٥١
لَعمرِي لئِن	بالحَبْلِ	طويل	الفرزدق	٢	٤٠٢
يا أيُّها العامُ	أوّلِ	كامل	–	١	٤٦٤
ثَلاثةٌ عجَبٌ	مِيكالِ	بسيط	البحتري	١	٤٦٥
وهل ذاكرٌ	أحوالِ	طويل	–	١	٢٠٠
وعَهِدُ	نَزَلْ	متقارب	–	٢	٩٢
أرغِبتَ	قَحِلْ	مجزوء الكامل	–	٣	٩١
لَحا اللهُ	ومَطعما	طويل	–	١	٢٥٧
وأطرقتُ إطْراقَ	لَصَمَّما	طويل	عمرو بن معدي كرب	٢	٣٠١
يا لُـمَّةً	خِيامَهْ	مجزوء الكامل	بديع الزمان	٢٦	٦٧
فهُنَّ إذا	مكارمُ	طويل	–	١	٣٥٨
وإنْ تَكُ	سِلْمُ	طويل	–	١	١٦١
يا ضَيعةَ	الإسلامِ	كامل	البحتري	١	٢٨٩
فإنْ كُنتُ	بِذَميمِ	طويل	عبد العزيز بن زرارة الكلابي	١	٤٠
فأرضَكَ	حُلُمْ	متقارب	عدي بن زيد	١	٤٦، ٢٨٧

صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	عدد الأبيات	الصفحة
إذا ما الدَّهرُ	بآخرينا	وافر	ذو الأصبع العدواني / أكثم بن صيفي / الفرزدق	٢	٢٠٣
وكنتُ كمثل	وَهْنا	طويل	-	٣	٤٠١
رأيتُكمْ لا يَصُونُ	اللَّبَنُ	بسيط	المتنبي	١	٤٦٥
وأوَّله بآخره	قرينُ	وافر	-	١	٢٦٣
بِلادٌ بها	زَمانُ	طويل	رجل من عاد	١	٣٤٢
فما النَّفْسُ	مَعينُها	طويل	عمارة بن عقيل	١	٤٠
إنْ لم تَمَنَّ	بإحْسانِ	بسيط	-	١	١١٧
مِحَنُ الزَّمان	الأحيانِ	كامل	الإمام الشافعي	١	٢٩٣
يُبيحُكَ منهُ	مَصونِ	وافر	علي بن الجهم	١	٣٣١
فإمَّا أنْ تكونَ	سَمِيني	وافر	المثقب العبدي	٢	٤١١
لا تَلُمْني	هَمَذاني	خفيف	-	١	٣٤٣
أعلِّمُهُ الرِّوايةَ	هَجاني	وافر	معن بن أوس المزني	١	٤٤٨
فإذا التَقَينا	شَيطاني	كامل	-	١	١٩٤
اسمَعْ نصيحةَ	والمِقَهْ	مجزوء الكامل	أحمد بن فارس	٢	٤٢٧
والكلبُ	الخساسَهْ	مجزوء الكامل	-	٢	١٦٨
مَدَحتُ	وُجُوهُ	متقارب	بديع الزمان	٢	٤٠٧
إنْ كان شيخاً	سَفيهِ	مجتث	ابن الرومي	٢	٦١
وجَفْنِ سِلاحِ	البَواكيا	طويل	الفرزدق	٢	٣٩٥
ولَمَّا نَزَلْنا	حاليا	طويل	الزهري	٢	٣٨٣
وما حملتْ	لِسانيا	طويل	الفرزدق / جرير	١	٤٩٤
حمولاً صبوراً	راضياً	طويل	المتنبي	٢	١٤٥
وتملأُ بيتَهُ	وريُّ	وافر	امرؤ القيس	١	٤٢٥

أنصاف الأبيات

نصف البيت	قائله	الصفحة
أخضَرَ الجِلدةِ في بَيتِ العرَبْ	الفضل بن العباس بن أبي لهب	١٣٧
إنَّ جَنْبي عنِ الفِراشِ لَنابِ	معد يكرب بن عمرو / عبد الصمد بن المعذل / ابن الرومي	٤٩٠
أينَ مَن كان قاعداً أنا عنّي	–	٤٩١
بجَبْهة العَيْرِ يُفدَى حافرُ الفَرَسِ	المتنبي	٤٠٦
بنُصْحٍ أتى الواشونَ أمْ بحُبُولِ	كثير عزة	١٤٦
ترُوحُ إلى أُنثَى وتَغْدو إلى طفلِ	–	٦٥
طابَ لَيْلي وطابَ فيه شرابي	–	٤٩١
كما التَقتِ الصَّهْباءُ والباردُ العَذْبُ	–	١٣٢
كما انتفَضَ العُصفورُ بلَّلهُ القَطْرُ	قيس بن الملوح (مجنون ليلى)	١٣٢
كما اهتَزَّ تَحتَ البارحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ	الأقرع بن معاذ / بشار بن برد	١٣٢
كما طَرِبَ النَّشوانُ مالَتْ بهِ الخَمْرُ	–	١٣٢
لا يذهبُ الخيرُ بينَ الله والنّاسِ	الحطيئة	١٥٨
ما لِقلبِي كأنَّهُ ليسَ منِّي	–	٤٩١
مُرانا في الحِبالةِ نستبق	–	٤٩
هذا إذا المجدُ كالُوهُ بقُفزانِ	–	١٦٧
وكلٌّ إذَا عُدَّ الرّجالُ مُقَدَّمُ	–	٧١
ولو زَبَنَتْكَ الحربُ لم تَتَرَمْرَمِ	أوس بن حجر	٧٤
وما بِنْهمُ إلّا أغرُّ نَجِيبُ	–	٧١
ومن ذا الذي يا عَزَّ لا يَتغيَّرُ	كثير عزة	٤٦٩
ويرحَمُ اللهُ عبداً قال آمينا	قيس بن الملوح (مجنون ليلى)	٢٠

نصف البيت	قائله	الصفحة
يا للرِّجال لِنازِلِ الـحَدَثانِ	-	١٩
يا مار سِرْجِس لا نُرِيدُ قِتالًا	جرير	٤٩
يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ	الفضل بن العباس بن أبي لهب	١٣٧

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. **الأبشيهي**، محمد بن أحمد بن منصور (ت٨٥٢هـ). **المستطرف في كل فن مستظرف**، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢. **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**، تحقيق يوسف الدقاق، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٣. **ابن الأثير**، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٧هـ). **المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٤. **ابن الأثير**، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ). **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

٥. **أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١.

٦. **الأحمد نكري**، عبد النبي بن عبد الرسول (القرن ١٢هـ). **دستور العلماء**، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

٧. **الاستراباذي**، محمد بن الحسن الرضي (ت٦٨٦هـ). **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

٨. **الأصبهاني**، أبو بكر محمد بن داود الظاهري (ت٢٩٦ أو ٢٩٧هـ). **الزهرة**، تحقيق إبراهيم السامرائي ونوري القيسي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥.

٩. **الأصفهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي القرشي (ت٣٥٦). **الأغاني**، تحقيق سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١٠. **الأصمعي**، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي (ت٢١٦هـ). **الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف بمصر، ١٩٩٣.

١١. **الأعشى الكبير**، ميمون بن قيس بن جندل. **ديوان الأعشى الكبير**، شرح م. محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

١٢. **امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر الكِنْدي**. **ديوان امرىء القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٣. **أوس بن حجر** بن مالك المازني التميمي. **ديوان أوس بن حجر**، بيروت.

١٤. **الباخرزي**، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت٤٦٧هـ). **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٥. **البحتري**، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (ت٢٨٤هـ). **ديوان البحتري**، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة هندية بمصر، ١٩١١.

١٦. **البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير / اليمامة، بيروت، ١٩٨٧.

١٧. **البديعي**، يوسف الدمشقي (ت١٠٧٣هـ). **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**، مطبوع بهامش شرح العكبري، المطبعة الشرقية، (د.م)، ١٣٠٨هـ.

١٨. **البستي**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي (ت٣٥٤هـ). **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٩. ــــــــــــــ. صحيح ابن حبان، ترتيب علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، وهو المسمى **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨.

٢٠. **البصري**، علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت٦٥٩هـ). **الحماسة البصرية**، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٢١. **البعلي**، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت٧٠٩هـ). **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين الخطيب، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ٢٠٠٣.

٢٢. **البغدادي**، عبد القادر بن محمد (ت١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٣. **البيروني**، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارِزْميّ (ت٤٤٠هـ). **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

٢٤. ــــــــــــــ. القانون المسعودي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٤.

٢٥. **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت٤٥٨هـ). كتاب الزهد الكبير، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الثالثة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦.

٢٦. **الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت٢٧٩هـ). **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥.

٢٧. **أبو تمام**، حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٢٨. **التنوخي**، أبو علي المحسّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم البصري (ت٣٨٤هـ). **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

٢٩. ـــــــــــ. **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

٣٠. **التوحيدي**، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ). **مثالب الوزيرين**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، المجمع العلمي العربي بدمشق، صورة عنها، دار صادر، ١٩٩٢.

٣١. **الثعالبي**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ). **الإعجاز والإيجاز**، مكتبة دار البيان، بغداد، دار صعب، بيروت، (د.ت).

٣٢. ـــــــــــ. **تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣. منشور كجزء خامس ليتيمة الدهر.

٣٣. ـــــــــــ. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، (د.ت).

٣٤. ـــــــــــ. **خاص الخاص**، باعتناء مأمون محيي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤.

٣٥. ـــــــــــ. لباب الآداب، باعتناء صلاح الدين المواري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، ٢٠٠٣.

٣٦. ـــــــــــ. المنتحل، تحقيق أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٩٠١.

٣٧. ـــــــــــ. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٣٨. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري (ت٢٥٥هـ). البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

٣٩. ـــــــــــ. الحيوان، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٤٠. ابن الجراح، أبو عبد الله محمد بن داود (ت٢٩٦هـ). الورقة، تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٤١. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت٨١٦هـ). التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٤٢. جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (ت١١٠هـ). ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦.

٤٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ). المدهش، تحقيق مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

٤٤. ـــــــــــ. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٤٥. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن البَيِّع بن عبد الله الضَّبي (ت٤٠٥هـ). تاريخ نيسابور، وضعه بالعربية، وترجمه للفارسية محمد بن حسين خليفة نيسابوري، بتصحيح محمد رضا شفيعي كدكني، چاب أول، چاب نيل، تهران، ١٣٧٥.

٤٦. ـــــــــــ. المستدرك على الصحيحين، الطبعة الهندية.

٤٧. حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (ت٥٤هـ). **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٤٨. الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت٤٥٣هـ). **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، تقديم عبد العزيز البشري، المطبعة الرحمانية بمصر، (د.ت).

٤٩. ــــــــــ. **زهر الآداب وثمر الألباب**، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

٥٠. الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي. **ديوان الحطيئة**، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥.

٥١. ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي البغدادي (ت٥٦٢هـ). **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

٥٢. أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت١٥٠هـ). **مسند أبي حنيفة برواية الحصكفي**، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، دار الآداب، القاهرة، (د.ت).

٥٣. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ). **تاريخ بغداد**، المسمّى (**تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**)، تحقيق بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

٥٤. الخلّال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي (ت٣١١هـ). **السنة**، تحقيق عطية الزهراني، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض، ١٩٨٩.

٥٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ). **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مختلف المحقق، دار القيروان، تونس، مختلف سني الطبع. (نشرة الأستاذ إبراهيم شَبُّوح).

٥٦. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).

٥٧. الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية (ت٢٤هـ). **ديوان الخنساء**، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

٥٨. الخوارِزْميّ، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (٣٨٧هـ). **مفاتيح العلوم**، الطبعة الثانية، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩.

٥٩. خواندمير، غياث الدين بن همام الدين بن جلال الدين بن برهان الدين الشيرازي (ت٩٤٢هـ). **دستور الوزراء**، ترجمة حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

٦٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت٢٧٥هـ). **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت (د.ت).

٦١. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري الدَّوْسي (ت٣٢١هـ). **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٦٢. ـــــــــــــ. **مقصورة ابن دريد**، بشرح عبد الله الصاوي، دار الكتاب، الدار البيضاء، (د.ت).

٦٣. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز (ت٧٤٨هـ). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.

٦٤. ـــــــــــــ. **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٦٥. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ). **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان – ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.

٦٦. **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي (ت٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦٧. **الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦٨. **الرامهرمزي**، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي (ت٣٦٠هـ). **أمثال الحديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٦٩. **ابن الرومي**، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت٢٨٣هـ). **ديوان ابن الرومي**، تحقيق حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٧٠. **الزَّبيدي**، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**، طبعة الكويت.
٧١. **الزبير بن بكار** بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت٢٥٦هـ). **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.
٧٢. **الزمخشري**، جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارِزْميّ (ت٥٣٨هـ). **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٧٣. ــــــــــــ. **المستقصى في أمثال العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
٧٤. زهير بن أبي سُلمى المزني. **ديوان زهير بن أبي سُلمى**، باعتناء حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥.
٧٥. **السبكي**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ). **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر، (د.م)، ١٤١٣هـ.

٧٦. **ابن سعد**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ولاءً البصـري البغـدادي الزهري (ت٢٣٠هـ). **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيـق عـلي محمـد عمـر، الطبعـة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.

٧٧. **السكري**، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٧٥ أو ٢٩٠هـ). **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، (د.ت).

٧٨. **ابن سلّام**، أبو عبيد القاسم بن سلّام بن عبيد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ). **الأمثال**، تحقيق عبد الحميد قطامش، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، (د.م)، ١٩٨٠.

٧٩. ــــــــــــــ. **الغريب المصنف**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الأعداد (١٠١-١٠٤)، للسنتين ٢٦، ٢٧، ١٤١٤-١٤١٧هـ.

٨٠. **ابن سلّام**، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيدالله الجمحي، ولاء (ت٢٣٢هـ). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت).

٨١. **السمعاني**، أبو سعد عبد الكريم بن محمـد بـن منصـور التميمـي (ت٥٦٢هـ). **الأنساب**، تقديم عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨.

٨٢. ــــــــــــــ. **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، تحقيق موفق عبد الله عبـد القادر، الطبعة الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٦.

٨٣. **ابن سَيّار**، أبو محمد المظفر بن نصـر بن سَيّار الـوراق (القـرن الرابـع الهجـري). **كتاب الطبيخ وإصلاح الأغذية المـأكولات وطيبـات الأطعمـة المصـنوعات ممـا استخرج من كتب الطب وألفاظ الطهاة وأهـل اللـب**، تحقيـق إحسـان الثـامري ومحمد القدحات، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠١٢.

٨٤. **ابن سيده**، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت٤٥٨هـ). **المخصص**، تحقيق خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦.

٨٥. **السيرافي**، أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت٣٨٥هـ). **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية / دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.

٨٦. **ابن سينا**، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن (ت٤٢٨هـ). **القانون في الطب**، وضع حواشيه محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٨٧. **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (د.ت).

٨٨. **الشافعي**، أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي (ت٢٠٤هـ). **ديوان الإمام الشافعي**، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥.

٨٩. **ابن شاكر**، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي (ت٧٦٤هـ). **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.

٩٠. **الشمشاطي**، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (ت بعد ٣٧٧هـ). **الأنوار ومحاسن الأشعار**، تحقيق صالح العزاوي، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.

٩١. **الشيرازي**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ). **طبقات الفقهاء**، تهذيب ابن منظور، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠.

٩٢. **الصابي**، أبو الحسين هِلِّيل بن المحسِّن بن إبراهيم (ت٤٤٨هـ). **رسوم دار الخلافة**، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.

٩٣. **الصريفيني**، إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد العراقي (ت٦٤١هـ). **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر للطباعة، (د.م) ١٤١٤هـ.

٩٤. **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.

٩٥. **الطبراني**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت٣٦٠هـ). **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق عوض الله محمد وآخر، دار الحرمين، القاهرة، (د.ت).

٩٦. **طرفة بن العبد**. **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣.

٩٧. **ابن الطقطقى**، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، تحقيق عبد القادر محمد مايو، الطبعة الأولى، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧.

٩٨. **ابن ظافر**، أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي (ت٦١٣هـ). **بدائع البدائه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

٩٩. **العباس بن مرداس** بن أبي عامر بن رفاعة السُّلَمي (القرن الأول الهجري). **ديوان العباس بن مرداس السُّلَمي**، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١.

١٠٠. **العباسي**، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت٩٦٣هـ). **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

١٠١. **العبيدي**، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد (القرن ٨هـ). **التذكرة السعدية في الأشعار العربية**، تحقيق عبدالله الجبوري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٢.

١٠٢. **العتبي**، أبو النصر محمد بن عبد الجبار (من القرن ٤/ ٥هـ). **اليميني**، تحقيق إحسان الثامري، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٤.

١٠٣. **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١هـ). **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حَلّها من الأماثل**، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

١٠٤. **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد ٣٩٥هـ). **جمهرة الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، الطبعة الثانية، دار الفكر، (د.ن)، ١٩٨٨.

١٠٥. **ابن عطية**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٠٦. **علي بن الجَهْم** بن بدر بن الجَهْم القرشي السامي (ت٢٤٩هـ). **ديوان علي بن الجَهْم**، تحقيق خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

١٠٧. **ابن العماد**، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق / بيروت، ١٩٨٦ - ١٩٩٣.

١٠٨. عمر بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ). **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣.

١٠٩. **العمري**، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت٧٤٩هـ). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

١١٠. **العميدي**، أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد (ت٤٣٣هـ). **الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى**، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.

١١١. **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ). **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

١١٢. ــــــــــــ. **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

١١٣. **الفارابي**، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت٣٥٠هـ). **ديوان الأدب**، تحقيق أحمد مختار عمر، مؤسسة الشعب للصحافة والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣.

١١٤. **أبو فراس الحمداني**، الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي (ت٣٥٧هـ). **ديوان أبي فراس الحمداني**، تحقيق نخلة قلفاط، مكتبة الشرق، بيروت، ١٩١٠.

١١٥. **الفراهيدي**، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت١٧٠هـ). **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

١١٦. **الفيروزآبادي**، أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد (ت٨١٧هـ). **القاموس المحيط**، باعتناء محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥.

١١٧. **القالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ). **الأمالي**، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦.

١١٨. **ابن قتيبة**، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ). **الشعر والشعراء**، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٤.

١١٩. ــــــــــــ. **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

١٢٠. **القرشي**، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء الحنفي (ت٧٧٥هـ)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، الطبعة الثانية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، (د.م)، مؤسسة الرسالة / هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٣.

١٢١. **القرماني**، أحمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ). **أخبار الدول وآثار الأُول**، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢.

١٢٢. **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٠٥هـ). **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٢٣. **ابن قطلوبغا**، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله السودوني الجمالي (ت٨٧٩هـ)، **تاج التراجم**، الطبعة الأولى، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ١٩٩٢.

١٢٤. **القفطي**، أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ.

١٢٥. **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.

١٢٦. **القونوي**، قاسم بن عبد الله بن أمير علي الرومي الحنفي (ت٩٧٨هـ). **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تحقيق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.

١٢٧. **قيس بن الخطيم**، أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (القرن الأول الهجري). **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

١٢٨. **قيس بن الملَوَّح** (مجنون ليلى) (ت٦٨هـ). **ديوان قيس بن الملَوَّح**، برواية أبي بكر الوالبي، تحقيق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

١٢٩. **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (ت٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، ١٩٨٨.

١٣٠. ـــــــــــ. مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩١.

١٣١. **كُثَيِّر عزّة**، كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي (ت١٠٧هـ). **ديوان كُثَيِّر عزّة**، جمعه وشرحه إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

١٣٢. **الكرديزي**، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت٤٤٢ أو ٤٤٣هـ) **زين الأخبار**، ترجمة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٢.

١٣٣. كرماني، ناصر الدين منشي (ت بعد ٧٢٥هـ)، **نسائم الأسحار من لطائم الأخبار در تاريخ وزراء**، بتصحيح مير جلال الدين حسيني أرموي، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، چابخانه دانشگاه، ١٣٧٨هـ.

١٣٤. **كشاجم**، أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (ت في حدود ٣٥٠هـ). **ديوان كشاجم**، تحقيق خيرية محمد محفوظ، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠.

١٣٥. **لبيد بن ربيعة بن مالك العامري** (ت٤١هـ). **ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

١٣٦. **ابن المبارك**، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي (ت بعد ٥٩٨هـ). **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩.

١٣٧. **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ). **الكامل في اللغة والأدب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.

١٣٨. **المتنبي**، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجُعْفي الكِنْدي الكوفي (ت٣٥٤هـ). **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

١٣٩. **مجهول**. (من القرن الخامس الهجري). **تاريخ سيستان**، چاب أول، باهتمام جعفر مدرسي صادقي، تهران، نشر مركز، ١٣٧٣هـ.

١٤٠. **المحبّي**، محمد الأمين بن فضل الله بن محب الله الدمشقي (ت١١١١هـ). **قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل**، تحقيق عثمان محمود الصيني، الطبعة الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٤.

١٤١. **المرزباني**، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤هـ). **معجم الشعراء**، تحقيق عبد الستار فراج، نسخة مصورة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٤٢. **المرزوقي**، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت٤٢١هـ). **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق غريد الشيخ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

١٤٣. **مستوفي**، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر القزويني (ت٧٥٠هـ). **نزهة القلوب**، المقالة الثالثة، جاب أول، بتصحيح كي لسترنج، دنياي، كتاب، چابخانه أرمغان، تهران، ١٣٦٣.

١٤٤. **مسلم** بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ). **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

١٤٥. **مصعب الزبيري**، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت٢٣٦هـ). **نسب قريش**، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، (د.ت).

١٤٦. **المطَّوِّعي**، أبو حفص عمر بن علي بن محمد (ت نحو ٤٤٠هـ). **دَرْج الغرر ودُرْج الدرر**، تحقيق جليل العطية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

١٤٧. **ابن المعتز**، أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت٢٩٦هـ). **ديوان عبد الله بن المعتز**، باعتناء محيي الدين الخياط، مطبعة الإقبال، بيروت، (د.ت).

١٤٨. **مقاتل بن سليمان** بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ). **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٤٩. **ابن منظور**، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت٧١١هـ). **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

١٥٠. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ). **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

١٥١. النابغة الذبياني. **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٥٢. ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد القيسي- الدمشقي (ت٨٤٢هـ). **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

١٥٣. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ). **تاريخ بخارى**، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٥٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت٣٠٣هـ). **السنن الكبرى**، تحقيق حسني عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١.

١٥٥. ــــــــــــ **عمل اليوم والليلة**، تحقيق فاروق حماد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٥٦. ــــــــــــ **المجتبى من السنن**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦.

١٥٧. أبو نؤاس، الحسن بن هانيء الحكمي (ت١٩٩هـ). **ديوان أبي نؤاس**، مطبعة جمعية الفنون، (د.م)، ١٨٨٤.

١٥٨. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم القرشي التيمي البكري (ت٧٣٣هـ). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٥٩. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَري (ت٢١٣هـ). **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥.

١٦٠. الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى (ت٣٩٨هـ). **ديوان بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

١٦١. ــــــــــــ **رسائل بديع الزمان الهمذاني**، نشرتنا هذه.

١٦٢. ــــــــــــ **رسائل بديع الزمان الهمذاني**، بشرح إبراهيم الأحدب الطرابلسي، المسمّى: كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، الطبعة الثانية، باعتناء يوسف الفاخوري، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢١.

١٦٣. ــــــــــــ. **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

١٦٤. ياقوت، **أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي** (ت٦٢٦هـ). **معجم الأدباء**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

١٦٥. ــــــــــــ. **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

١٦٦. اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد (ت١١٠٢هـ). **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الأولى، الشركة الجديدة/ دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١.

ثانياً: المراجع

١٦٧. **بدوي**، عبد الرحمن. **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**، الطبعة الثانية، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

١٦٨. **البيطار**، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم الميداني الدمشقي (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م). **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

١٦٩. **الثامري**، إحسان ذنون. **معجم النخلة**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠١١.

١٧٠. **حسن**، عباس. **النحو الوافي**، الطبعة الخامسة عشرة، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٧١. **السامرائي**، إبراهيم. **المجموع اللفيف**، الطبعة الأولى، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧.

١٧٢. **صدّيقي**، أمير حسن. **الخلافة والملكية في إيران في العصر الوسيط**، ترجمة إحسان الثامري، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠٠٧.

١٧٣. **ضيف**، شوقي. **تاريخ الأدب العربي (ج٥)، عصر الدول والإمارات**، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٧٤. **عبود**، مارون. **بديع الزمان الهمذاني**، الناشر : كلمات / هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣.

١٧٥. **عواد**، ميخائيل. **صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي**، وزارة الثقافة والإعلام/ دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.

١٧٦. **قلعجي**، محمد رواس، وحامد صادق قنيبي. **معجم لغة الفقهاء**، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.

١٧٧. لسترنج، كي. **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٧٨. مبارك، زكي. **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، (د.ت).

١٧٩. مرعي، عيد. **اللسان الأكادي**، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢.

١٨٠. موستراس، س.**المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢.

١٨١. الهروي، نظام الدين أحمد. **طبقات أكبري (المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني)**، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

فهرس الرسائل



فهرس الرسائل







33 شارع الإمام محمد عبده خلف الجامع الأزهر

٠٠٢٠١٢٢٠٢٧٥٦٢٩ - ٠٠٢٠١٠٦٠٩٠٨٨٤٥
٠٠٢٠١٠٠٨٥٤٣١٦٠ - ٠٠٢٠٢٥١١٧٩٩٤
dar.alzakhair@gmail.com

